شرح

مصابيح السنة

للإمام البغوي

تأليف

المحدث الفقيه ابن الملك الرومي

محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز الكرماني الرومي الحنفي

المتوفى سنة ٨٥٤ هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة

لجنة مختصة من المحققين

بإشراف

نور الدين طالب

المجلد الخامس

دار النوادر

للبحوث والدراسات
قطر

شرح مصابيح السنة

للإمام البغوي

(٥)

دار النوادر®

للبحوث والدراسات
قطر

شرح مصابيح السنة

للإمام البغوي

تأليف

المحدث الفقيه ابن الملك الرومي
محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز الكرماني الرومي الحنفي
المتوفى سنة ٨٥٤ هـ
رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة
لجنة مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب

المجلد الخامس

دار النوادر
أوقاف للبحوث والدراسات قطر

موسوعة شروح السنة النبوية ١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

دار النوادر ®

أوقاف للبحوث والدراسات قطر

(۲۰)

كتاب اللباس

(٢٠)

كِتَابُ اللِّبَاسِ

(كتاب اللباس)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٣١٨ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: كانَ أحبُّ الثِّيابِ إلى النَّبيِّ ﷺ أنْ يَلْبَسَها الحِبَرة.

«من الصحاح»:

«عن أنسٍ قال: كان أحبُّ الثيابِ إلى النبيِّ ﷺ أن يَلْبَسَها»: بدل من الثياب.

«الحِبَرة»، وهي على وزن العِنَبة: البُرْد اليمنيُّ المخطَّطُ، وقد تُفتَح الحاء.

* * *

٣٣١٩ ـ وقالت عائشةُ رضي الله عنها: خرجَ النبيُّ ﷺ ذاتَ غَداةٍ وعليهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِن شعرٍ أَسودَ.

«وقالت عائشةُ: خرجَ النبيُّ ﷺ ذاتَ غداةٍ وعليه مِرْطٌ»، بكسر الميم ثم السكون: كساءٌ من صوف أو خزٍّ يؤتَزَرُ به، وربَّما تُلْقيه المرأةُ على رأسها.

«مرَحَّلٌ من شعر أسود»، وهو بالحاء المهملة على أكثر الرواية، قال بعضٌ: هو الذي نقشَ فيه صُوَرَ الرجالِ، ذهبُوا في هذه التسمية إلى اختلاف الألوانِ والخطوطِ التي فيه، وبالجيم ما فيه صُوَر الرجال، وقيل ممشَّط الأَهْدَاب، والأَولى أن تُحملَ على ما في «صحاح الجوهري»: مِرْطٌ مُرَحَّلٌ: إزارُ خَزٍّ فيه عَلَمٌ، فإنه أَولى مِن أن يقدَّرَ في ملبوسه ﷺ صورةُ رجل، أو رجلٌ الذي هو مِن ملابس المَسَاخِرِ الذين يُضْحَك بهم.

* * *

٣٣٢٠ ـ عن المغيرةِ بن شُعبةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ لبسَ جُبَّةً روميةً ضَيقةَ الكُمَّينِ.

«**عن المغيرةِ بن شُعبة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبيَّ ﷺ لبسَ جُبَّةً روميَّةً ضَيقةَ الكمين**»: بيانٌ لقولِه: (رومِيَّة).

* * *

٣٣٢١ ـ عن أبي بُرْدةَ قال: أخرجَتْ إلينا عائِشَةُ كِساءً مُلَبَّداً وإزاراً غليظاً فقالت: قُبِضَ روحُ رسولِ الله ﷺ في هذيْنِ.

«**عن أبي بُرْدة قال: أخرجتْ إلينا عائشةُ كِساءً ملبَّداً**»؛ أي: مرَقّعاً، واللِّبْدَة: الرقعة.

«**وإزاراً غليظاً، فقالت: قُبِضَ روحُ رسولِ الله في هذين**».

* * *

٣٣٢٢ ـ وعن عائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كانَ فِراشُ رسولِ الله ﷺ الذي ينامُ عليهِ أَدَماً، حَشْوُهُ ليفٌ.

«وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: كان فراشُ رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي يَنامُ عليه أَدَماً» بفتحتين: فراشٌ من الجلد.

«حشوه ليف».

* * *

٣٣٢٣ ـ وقالت: كانَ وِسادَةُ رسولِ الله ﷺ الذي يتَّكِئُ عليهِ أَدَماً، حَشْوُه ليفٌ.

«وقالت عائشةُ: كانَ وِسادةُ رسولِ الله ﷺ الذي يتَّكِئ عليه أَدَماً حَشْوُه لِيفٌ».

* * *

٣٣٢٤ ـ وقالت عائشةُ: بينا نحنُ جُلوسٌ في بيتِنا في حَرِّ الظَّهيرةِ قالَ: قائلٌ لأبي بكرٍ: هذا رسولُ الله ﷺ مُقْبِلاً مُتَقَنِّعاً.

«وقالت عائشة: بينا نحن جلوسٌ في بيتنا في حَرِّ الظهيرةِ قال قائل لأبي بكر: هذا رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم مُقْبِلاً»؛ أي: جائياً قاصداً إلى مكان.

«متقنِّعاً»؛ أي: مغطِّياً رأسه بطرَفِ ردائهِ، وإنما فعلَ ﷺ ذلك لحَرِّ الظهيرةِ، وهو من عادةِ العرب عند الظهيرة.

* * *

٣٣٢٥ ـ وعن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لهُ: فِراشٌ للرَّجلِ، وفِراشٌ

لامرأتهِ، والثالثُ للضَّيفِ، والرابعُ لِلشَّيطانِ.

«عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال له: فِراشٌ للرجل، وفراشٌ لامرأته»، استدلَّ بعضٌ بهذا على أن الرجلَ لا ينامُ بامرأته، وهو ضعيف؛ لأن النومَ معها بغير إزارٍ أفضلُ؛ لأنَّ النبي ﷺ فعلَه، بل تعدادهُ فِراشاً لامرأته من جهة أنه يحتاجُ كلٌّ واحدٍ منهما إلى فراشٍ عند المرض.

«والثالثُ للضَّيف، والرابع للشيطان»، معناه: أنه زائدٌ على الحاجة، وما زادَ عليها فإنَّما يُتَّخذُ للمباهاة غالباً وهي مذمومة، وكل مذموم يضاف إلى الشيطان.

* * *

٣٣٢٦ - عن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا ينظرُ الله يومَ القيامةِ إلى مَن جرَّ إزارَه بَطَراً».

«عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه -: أن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لا ينظرُ الله يومَ القيامة»؛ أي: نظرَ الرَّحْمةِ، فيكونُ محمولاً على المستحلِّ، أو على الزَّجْر، ويجوزُ أن يرادَ به نَظَرُ اللُّطْفِ والعناية.

«إلى مَن جَرَّ إزارَه بَطَراً»؛ أي: للِكبْر، يُفْهَمُ منه أنَّ جَرَّه إن لم يكن للكِبْر لا يكون حراماً، لكنه مكروهٌ كراهةَ تَنْزيه.

* * *

٣٣٢٧ - وعن ابن عمرَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن جَرَّ ثوبَه خُيَلاءَ، لم يَنظُر الله إليهِ يومَ القيامةِ».

«عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما -، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: مَن جَرَّ ثوبَه خُيلاءَ»، بضم الخاء المعجمة؛ أي: كِبْراً.

«لم يَنْظُر الله إليه يومَ القيامة».

* * *

٣٣٢٨ ـ وقال: «بينَما رَجُلٌ يجرُّ إزارَه مِن الخُيَلاءِ، خُسِفَ بهِ فهو يَتجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ».

«وعنه قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: بينما رجلٌ يجرُّ إزارَه من الخيلاءِ خُسِفَ به»؛ أي: دخلَ في الأرض.

«فهو يتجَلْجَلُ في الأرض»؛ أي: يتحرَّكُ وينخسِفُ بالتدريج.

«إلى يوم القيامة»، يحتمل أن يكونَ ذلك من هذه الأمة، أخبرَ بصيغة الماضي لتحقُّقِ وقوعهِ، وأن يكونَ من الأمم الماضية، وهذا هو الصحيح.

* * *

٣٣٢٩ ـ وقال: «ما أسفلَ مِن الكعبينِ مِن الإزارِ في النَّارِ».

«عن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما أسفلَ»: (ما) مبتدأ موصولة، أو موصوفة، وصلتها، أو صفتها (كان) محذوفةً و(أسفلَ) ظرفٌ لهما.

«مِن الكعبين مِن الإزارِ في النارِ»، خبر المبتدأ.

قال الخَطَّابي: تأويلُه على وجهين:

أحدهما: أن ما دون الكَعبين مِن قدمِ صاحبهِ في النار عقوبةً له على فِعله.

وثانيهما: أن فِعلَه ذلك في النار؛ أي: معدودٌ من أفعال أهلِها.

* * *

٣٣٣٠ ـ وعن جابرٍ ﷺ قال: نَهى رسولُ الله ﷺ أنْ يأكلَ الرَّجلُ بشِمالهِ، أو يمشيَ في نعلٍ واحدةٍ، وأنْ يشتملَ الصَّمَّاءَ، أو يحتبيَ في ثوبٍ واحدٍ كاشِفاً عن فَرْجهِ.

«عن جابرٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال: نهى رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأكلَ الرجلُ بشِماله»، تقدم بيانُه في (كتاب الأطعمة).

«أو يمشي في نَعْلٍ واحدةٍ»، يأتي بيانَه في (باب النعال).

«وأن يَشْتَمِلَ الصَّمَّاء»، وهو عند العرب تجليلُ الجَسدِ كلِّه بثوبٍ بلا رفعِ جانبٍ تخرجُ منه اليدُ، وذكر أبو عُبيد: أن الفقهاءَ يقولون: هو الاشتمالُ بثوبٍ واحدٍ، وليس عليه غيرُه، ثم يرفعُ مِن أحدِ جانبيه، ويوضَع على المَنْكِب فيبدو منه الفرج.

«أو يحتبيَ في ثوبٍ واحدٍ»، وهو جمعُ الظَّهر والساقين بثوبٍ أو غيره.

«كاشفاً عن فَرْجِه»، هذا إذا لم يكن الثوبُ واسِعاً قد أسبلَ شيئاً منه على فرجه، فإن كان واسعاً لا تظهرُ عورتُه فلا بأسَ بالاحتباء فيه، رويَ أنه ﷺ احتبى بشَمْلَةٍ وقعَ هدبُها على قدميه.

* * *

٣٣٣١ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن لبسَ الحريرَ في الدُّنيا لم يَلْبَسْهُ في الآخرةِ».

«وعن عبدِالله بن الزُّبَير ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رســولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من لَبِسَ الحريرَ في الدنيا لم يلبَسْه في الآخرة».

* * *

٣٣٣٢ ـ وقال: «إنَّما يلبـــسُ الحريرَ في الدُّنيا مَن لا خَلاقَ لهُ في الآخرةِ».

«وقال: إنما يلبَسُ الحريرَ في الدنيا مَن لا خَلاَقَ»؛ أي: لا نصيبَ «له»، مِن لبسِ الحرير.

«في الآخرة»، فيكونُ عدمُ نصيبهِ منه كنايةً عن عدم دخولِ الجَنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] فيُؤَوَّل بالمستحل.

* * *

٣٣٣٣ ـ عن حُذَيْفَةَ قال: نَهانا النبيُّ ﷺ أنْ نشربَ في آنيةِ الذَّهَبِ والفضَّةِ، وأنْ نأكلَ فيها، وعن لُبْسِ الحريرِ والدِّيباجِ، وأنْ نجلسَ عليهِ.

«عن حُذَيفة قال: نهانا رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن نشربَ في آنيةِ الفضةِ والذهبِ وأن نأكلَ فيها وعن لبسِ الحريرِ والدِّيباج، وأن نجلسَ عليه».

* * *

٣٣٣٤ ـ وقال عليٌّ ﷺ: أُهْدِيَتْ لرسولِ الله ﷺ حُلَّةٌ سِيَراءَ فبعثَ بها إليَّ فلَبِســتُها، فعرفْتُ الغضبَ في وجههِ، فقالَ: «إنِّي لم أبعثْ بها إليكَ لِتَلبَسَها، إنما بعثتُ بها إليكَ لتُشقِّقَها خُمُراً بينَ النساءِ».

«وقال عليٌّ: أُهْدِيَتْ لرسولِ الله حُلَّةٌ سِيَرَاء» بكسر السين وفتح الياء: بُرْدٌ فيه خطوطٌ صغيرة، وقيل: نوعٌ من البرود مخالطةُ حريرٍ.

«فبعثَ بها إليَّ فلبستُها، فعرفتُ الغضبَ في وجهه، فقال: إني لم أبعث بها إليكَ لتلبسَها إنما بَعثتُ بها إليكَ لتشقِّقَها خُمُراً»، حال أو تمييز، جمع

الخِمَار وهو المقنعة؛ أي: لتقطِّعَها قطعةً قطعةً، كلُّ قطعةٍ قَدْر خِمار، وتقسِمَها «بين النساء».

* * *

٣٣٣٥ ـ عن عمرَ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ نهَى عن لُبْسِ الحريرِ إلا هكذا، ورفعَ رسولُ الله ﷺ إصْبَعَيْهِ، الوسطَى والسَّبَّابَةَ وضَمَّهُما.

«وعن عمرَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبيَّ ﷺ نهى عن لبسِ الحريرِ إلا هكذا»؛ أي: بقدر إصبعين مضمومتين عَرْضاً.

«فرفع رسولُ الله إصبعَيه الوُسْطَى والسَّبَّابة وضَمَّهما»، وهذا يدلُّ على أنه يجوزَ أن يجعل قَدْر إصبعين من الإبريسم علماً.

* * *

٣٣٣٦ ـ ورُوِيَ عن عمرَ: أنَّه خطبَ بالجابيةِ فقال: نَهَى رسولُ الله ﷺ عن لُبْسِ الحريرِ إلا في موضعِ إصْبَعَينِ، أو ثلاثٍ، أو أربعٍ.

«ورويَ عن عمرَ: أنه خطبَ بالجابية»، وهي مدينة بالشام؛ أي: وعظَ الناسَ فيها.

«فقال: نهى رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن لُبْسِ الحريرِ إلا موضعَ إصبعين»؛ أي: قَدْر إصبعين.

«أو ثلاثٍ أو أربعٍ»، (أو) هذه للإباحة.

* * *

٣٣٣٧ ـ وعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ: أنها أخرجَتْ جُبَّةَ طَيالِسَةٍ كِسْرَوانِيَّةٍ لها لِبنةُ ديباجٍ، وفرجَيْها مكفوفَيْنِ بالدِّيباجِ، وقالت: هذه جُبَّةُ رسولُ الله ﷺ،

كانَتْ عندَ عائشةَ رضيَ الله عنها، فلمَّا قُبِضَتْ، قَبَضْتُها، وكانَ رسولُ الله ﷺ يلبَسُها، فنحنُ نغسِلُها للمَرْضَى نستَشْفي بها».

«**عن أسماءَ بنتِ أبي بكر: أنها أخرجتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ**»، كَنَّى بالإضافة إلى الطيالسة عن الخَلَق؛ لأن صاحبَ الخَلَق لم يكن ليلبسَه إلا بطيلسَانٍ ليوارِيَ به ما يحرقُ منه، أو تكون الجُبَّة منسوبةً إلى الباعَة الذين يبيعُون الخُلْقَان فيكون بناء الطَّيَالَسَةِ من الطلس، مثل بناء الصَّيَارفةِ من الصَّرْف، والهاء فيه للنسبة، يقال: ثوبٌ أَطْلَس؛ أي: أَخْلَق، وكذا الطِّلْس - بالكسر -، وجمعه: أَطْلاَس، ويقال أيضاً للأَسْوَد الوَسِخ مِن طُول ما لُبِسَ أطلس.

«**كِسْرَوانِيَّة**»، بكسر الكاف؛ أي: منسوبة إلى كسرى بزيادة الألف والنون.

«**لها لِبنة ديباج**»، واللِّبنة - بالكسر -: رقعةٌ تُعمَلُ موضعَ جيبِ القَميص والجُبَّة.

«**وفَرْجَيها**»، نصب بإضمار فعل، أو عطفٌ على الجُبَّة؛ أي: أخرجتها، وأخرجتْ فرجيها؛ يعني: شِقَّيها شقٌّ من قُدَّام وشِقٌّ مِن خَلْف كما هو عادة الأعراب.

«**مَكْفُوفين بالدِّيباج**»؛ يعني: خيطُه على طَرَف كلِّ شِقٍّ قطعةِ حريرٍ من الأعلى إلى الأسفل، وهذا يدلُّ على جواز لُبْسِ الرجالِ الثوبَ المطرَّز بالدِّيباج ونحوه.

«**وقالت**»؛ أي: أسماءُ: «**هذه جُبَّةُ رسولِ الله كانت عندَ عائشة**»، وهبَها ﷺ لها.

«**فلما قُبِضَتْ**»؛ أي: تُوفِّيتْ عائشةُ

«**قَبَضْتُها**»؛ أي: الجُبَّة بالوارثة منها.

«وكان النبي ﷺ يلبَسُها، فنحن نغسِلُها للمرضى نستشفي بها».

* * *

٣٣٣٨ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: رَخَّصَ رسولُ الله ﷺ للزُّبيرِ وعبدِ الرحمنِ ابن عوفٍ في لُبْسِ الحريرِ لحِكَّةٍ بهما.

ورُوِيَ: أنهما شَكَوَا القَمْلَ فرخَّصَ لهما في قُمُصِ الحريرِ.

«عن أنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: رخَّصَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم للزُّبير وعبدِ الرحمن بن عوف في لُبْسِ الحريرِ لحكَّةٍ بهما»، وهذا يدلُّ على جوازِ لُبْسِ الحرير للحَرْب.

«وروي: أنهما شَكَوَا القملَ، فرخَّصَ لهما في قُمُصِ الحرير»، وهذا يدل على جواز لبسه للقمل.

* * *

٣٣٣٩ ـ عن عبدِالله بن عمرِو بن العاصِ ﷺ: أنَّه قال: رَأَى رسولُ الله ﷺ عليَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ فقال: «إنَّ هذه مِن ثيابِ الكُفَّارِ فلا تلبسهما».

وفي روايةٍ: «قلتُ: أَغسِلُهما؟ قال: «أَحرِقْهما».

«عن عبدِالله بن عمرو بن العاص قال: رأى رسولُ الله ﷺ عَلَيَّ ثوبين مُعَصْفَرَين»؛ أي: مَصْبُوغَين بالعُصْفُر.

«قال: إن هذه»، إشارة إلى جِنْسِ الثياب.

«من ثيابِ الكُفَّار»؛ أي: الذين لا يُمَيـزُون بين الرجال والنساء في اللِّباس.

«فلا تَلْبَسْها»، وإنما نهى الرجالَ عن ذلك لمَا فيه من التشبُّه بالنساء،

قيل: المنهي عنه: المصبوغُ بعد النسج زينة دونَ ما صُبغَ غزلُه ثم نُسِجَ ولم يكن له رائحةٌ، فإنه مرخَّصٌ عندَ البعض.

«وفي رواية: قلت: أغسِلُهما؟ قال: أحرقهما»، أرادَ به الإفناءَ ببيع أو هبة، فإنه قد يُستَعمل فيه، وفيه مبالغةٌ في النَّكير، وإنما لم يأْذَنْ في الغسل؛ لأن المُعَصْفَرَ وإنْ كُرِهَ للرجال لم يُكْرَهْ للنساء، فغسلُه تضييعٌ للمال.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٣٤٠ ـ عن أمِّ سَلَمةَ رضي الله عنها: أنَّها قالت: كانَ أحبُّ الثِّيابِ إلى رسولِ الله ﷺ القميصَ.

«من الحسان»:

«عن أمِّ سَلَمةَ قالت: كان أحبُّ الثيابِ إلى رسولِ الله ﷺ القميص»، وهو اسمٌ لما يلبَسُه الرجلُ من المَخِيط الذي له كُمَّانِ وجَيْب.

* * *

٣٣٤١ ـ عن أسماءَ بنتِ يزيدَ رضي الله عنها قالت: كانَ كُمُّ قميصِ رسولِ الله ﷺ إلى الرُّسْغِ. غريب.

«عن أسماءَ بنتِ يزيدَ قالت: كان كُمُّ قميصِ رسولِ الله ﷺ إلى الرُّسْغ»، وهو ـ بضم الراء وسكون السين المهملتين ـ: مفصل ما بينَ الكَفِّ والساعِدِ ويُسمَّى الكُوع.

* * *

٣٣٤٢ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا لبسَ قميصاً بدأَ بميامِنِه.

«عن أبي هريرةَ قال: كانَ رسولُ الله إذا لَبِـسَ قميصاً بدأ بميامنه»؛ أي: أخرجَ يدَه اليمنى من الكُمِّ قبلَ اليُسْرى.

* * *

٣٣٤٣ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إزْرَةُ المؤمنِ إلى أنصافِ ساقَيْهِ، لا جُناحَ عليهِ فيما بينَهُ وبينَ الكعبينِ، ما أسفلَ مِن ذلكَ ففي النارِ»، قال ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، «ولا ينظرُ الله يوم القيامةِ إلى مَن جرَّ إزارَهُ بَطَراً».

«عن أبي سَعِيد الخُدْري قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: إزْرةُ المؤمن»؛ أي: الحالة التي تُرْضَى منه في الاتزار.

«إلى أنصافِ ســـاقيه لا جُنَاحَ»؛ أي: لا إثمَ «عليه فيما بينَه»؛ أي: بين نصف ساقيه.

«وبينَ الكعبين، ما أسفلَ من ذلك ففي النار، قال ذلك ثلاث مــرات، ولا ينظرُ الله يومَ القيامة إلى مَن جَرَّ إزارَه بَطَراً».

* * *

٣٣٤٤ ـ عن سالمٍ، عن أبيهِ، عن النبيِّ ﷺ قال: «الإسبالُ في الإزارِ والقميصِ والعمامةِ، مَن جرَّ مِنها شيئاً خيلاءً لم ينظر الله إليه يومَ القيامةِ».

«عن سالمٍ عن أبيه قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: الإسبالُ في الإزار»؛ أي: الإسبالُ يكونُ فيه: يقال: أسبلَ إزارَه: إذا أَرْخَاه.

«والقميصِ والعِمَامَة»، فينبغي أن لا يجرَّها كِبْراً.

«من جَرَّ منها شيئاً خُيَلاَءَ لم ينظُرِ الله إليه يومَ القيامة».

* * *

٣٣٤٥ ـ عن أبي كبشةَ ﷺ قال: «كانَ كِمامُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ بُطْحاً».

«**عن أبي كَبْشَةَ قال: كانت كِمامُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ**»، بكسر الكاف: جمع كُمَّة بالضم، وهي القَلَنْسُوة المستديرة سُمِّيَتْ بها؛ لأنها تغطِّي الرأس.

«**بُطحاً**» بضم الباء: جمع الأبطح؛ أي: لازقة بالرأس غير ذاهبةٍ في الهَواء يعني منبطِحة غير منبسِطَة.

* * *

٣٣٤٦ ـ عن أمِّ سلمَةَ قالت لرسولِ الله ﷺ حينَ ذَكَرَ الإزارَ: فالمرأةُ يا رسولَ الله؟ قال: «تُرْخي شِبْراً»، فقالت: إذاً ينكشفُ عنها ـ ويُروَى: تنكشفُ أقدامُهنَّ ـ قال: «فذراعاً، لا تَزيدُ عليهِ».

«**عن أم سَلَمةَ ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت لرسول الله ﷺ حين ذكرَ الإزارَ: فالمرأةُ**»؛ أي: ما تفعل المرأة «**يا رسول الله؟ قال: تُرْخِي شبراً**»؛ أي: تُسْبل ذيلها أو إزارَها زائداً على نصف ساقيها قَدْر شِبر.

«**فقالت: إذاً ينكشِفُ عنها، ويُروى: تنكشِفُ أقدامُهنَّ، قال: فذراعاً**»؛ أي: تُرْخِي قَدْرَ ذراع بحيثَ يصِلُ ذلك إلى الأرضِ ويسترُ: أقدامَهنَّ.

«**لا تزيدُ عليه**»، فيجوزُ للنساء إطالةُ أذيالِهنَّ بذلك القَدْر؛ لتكونَ أقدامُهن مستورةً.

* * *

٣٣٤٧ ـ عن معاويةَ بن قُرَّةَ، عن أبيه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في رَهْطٍ مِن مُزَيْنَةَ، فبايعوهُ وإنه لَمُطْلَقُ الإزارِ، فأدخلتُ يدَيَّ في جيبِ قميصِهِ، فمَسَسْتُ الخاتمَ.

«عن معاوِيَة بن قُرَّة»، بضم القاف وتشديد الراء.

«عن أبيه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في رَهْطٍ من مُزينة فبايَعُوه وإنه لمُطْلَقُ الأزرار»؛ أي: كان جيبُ قميصهِ مفتوحاً واسعاً، ولم يكنْ مشدوداً بالأزرار جمع زِر القميص بالكسر، وعادةُ العربِ توسيعُ الجيوب، فربَّما يشدُّونها، وربما يتركُونها مفتوحةً.

«فأدخلتُ يَدِي في جَيْبِ قميصِه فمَسَسْتُ الخاتم»؛ أي: خاتم النبوة.

* * *

٣٣٤٨ ـ عن سَمُرةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اِلبَسُوا الثيابَ البيضَ، فإنها أَطْهرُ وأطيبُ، وكفِّنوا فيها مَوْتاكم».

«عن سَمُرةَ: أن النبيَّ ﷺ قال: البَسُوا الثيابَ البيضَ فإنها أَطْهرُ»؛ لأنه لم تَصِلْ إليه يدُ الصباغ ولا الصبغ، فإنه قد يكونُ نَجِساً بملاقاته شيئاً نجساً.

«وأطيبُ»؛ أي: أحسنُ لبقائه على اللون الذي خُلِقَ عليه.

«وكفِّنُوا فيها موتاكم».

* * *

٣٣٤٩ ـ عن ابن عمرَ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا اعْتَمَّ سَدَلَ عمامَتَهُ بينَ كتفيْهِ. غريب

«عن ابن عمَر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كان رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا اعتمَّ»، بتشديد الميم؛ أي: لفَّ العِمامة.

«سدلَ عمامته»؛ أي: أرسلَ طَرَفَها «بينَ كتفيه».

«غريب».

* * *

٣٣٥٠ ـ وعن عبدِ الرَّحمنِ بن عوفٍ ﷺ: أنه قال: عمَّمَني رسولُ الله ﷺ فسدَلَها بينَ يديَّ ومِن خلفي».

«وعن عبدِ الرحمن بن عوف ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: عَمَّمَني رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسدَلَها»؛ أي: أَسْبَلَ[1] لعمامتي طَرَفَيْنِ، أحدُهما «بين يديَّ» على صدري، «و» الآخر «من خلفي».

* * *

٣٣٥١ ـ وعن رُكانةَ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «فَرْقُ ما بَيْنَنا وبينَ المُشركينَ، العَمائمُ على القَلانِسِ»، صحيح.

«عن رُكانَة، عن النبيِّ ﷺ قال: فَرْقُ ما بينَنا وبينَ المشركين العمائمُ على القَلانِس»، جمع القَلَنْسُوة وكانوا يتعمَّمُون بلا قَلَنْسُوَة، ونحن نعمِّم عليها.

«غريب».

* * *

٣٣٥٢ ـ عن أبي موسى الأشعريِّ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُحِلَّ الذَّهبُ والحريرُ للإناثِ مِن أمَّتي، وحُرِّمَ عن ذكورِها»، صحيح.

«عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: أُحِلَّ الذهبُ والحريرُ للإناث من أمتي»؛ أي: للحُلِيِّ.

«وحُرِّمَ على ذكورها»، وأما الأواني من الذهب والفِضَّة فحرامٌ على الذكور والإناث.

«صحيح».

* * *

---

(١) في «ت»: «أرسَلَ».

٣٣٥٣ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قال: «كانَ رسولُ الله ﷺ إذا استَجَدَّ ثوباً سمَّاهُ باسمهِ، عمامةً، أو قميصاً، أو رداءً»، ثم يقولُ: «اللهمَّ لكَ الحمدُ كما كَسَوْتَنِيهِ، أسألُكَ خيرَه وخيرَ ما صُنِعَ لهُ، وأعوذُ بكَ مِن شرِّه وشرِّ ما صُنِعَ لهُ».

«عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا استجدَّ ثوباً»؛ أي: لبسَ ثوباً جديداً.

«سمَّاه باسمِه عِمامةً، أو قميصاً، أو رداءً»، بأن يقول: رَزَقَني الله هذه العِمامَة، أو القميصَ، أو الرداء.

«ثم يقولُ: اللهمَّ لك الحمدُ كما كَسَوْتَنيه»: متعلِّق بما بعدَه وهو «أسألُك خيرَه»؛ أي: خيرَ هذا الثوب.

«وخيرَ ما صُنِعَ له، وأعوذُ بك من شره، وشرِّ ما صُنِعَ له».

* * *

٣٣٥٤ ـ عن سهلِ بن مُعاذِ بن أنسٍ ﷺ، عن أبيه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن أكلَ طعاماً ثم قال: الحمدُ للهِ الذي أطعَمني هذا الطَّعامَ ورزقنيهِ، بغيرِ حولٍ مني ولا قوةٍ، غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذنبهِ وما تأخَّرَ»، وقال: «مَن لبسَ ثوباً فقال: الحمدُ للهِ الذي كَساني هذا ورزقنيهِ، مِن غيرِ حولٍ مني ولا قوةٍ، غُفِرَ له ما تَقدَّمَ مِن ذنبهِ وما تأخَّرَ».

«عن سهل بن معاذ، عن أنس، عن أبيه: أنَّ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: مَن أكلَ طعاماً، ثم قال: الحمدُ لله الذي أطعَمَني هذا الطعامَ ورزَقَنيه مِن غيرِ حولٍ مني ولا قوة، غُفِرَ له ما تقدَّم مِن ذنبه وما تأَخَّر»؛ أي: من الصغائر.

«ومَن لَبِسَ ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزَقَنِيه من غير حولٍ

مني ولا قوة، غُفِرَ له ما تَقدم من ذنبه وما تأَخَّر».

* * *

٣٣٥٥ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قــال لــي رســـولُ الله ﷺ: «يا عائشةُ! إنْ أردتِ اللُّحوقَ بي فليكفِكِ مِن الدُّنيا كزادِ الرَّاكبِ، وإيَّاكِ ومجالسةَ الأغنياءِ، ولا تستخلقي ثوباً حتى ترقعيهِ»، غريب.

«عن عائشةَ ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: قال لي رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا عائشةُ! إن أردتِ اللَّحوقَ بي فليكفِك من الدنيا كزادِ الراكب»؛ أي: مثل زاده في محل الرفع بأنه فاعل (فليكفِك)؛ أي: لتقنعي بشيءٍ يسيرٍ من الدنيا.

«وإياك ومجالسَة الأغنياءِ»؛ أي: احذَرْ من المجالسة معهم.

«ولا تستَخْلَقِي ثوباً»؛ أي: لا تعدِّيه خَلَقاً.

«حتى تَرْقَعِيه»؛ أي: تَخِيطِي عليه رقعةً، ثم تلبَسِيـه مرة أخرى، أرادَ ﷺ بهذا تحريض عائشةَ على تركِ الدنيا واختيارِ القَناعة.

«غريب».

* * *

٣٣٥٦ ـ وقال: «إنَّ البَذاذَةَ مِن الإيمانِ».

«وقال أبو أمامةَ الحارثي: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنَّ البَذَاذَةَ»، بفتح الباء ـ؛ أي: رثاثة الهيئة؛ يعني: بترك الزِّينة واختيارِ الفَقْر بلُبْسِ الخَلَق من الثياب.

«من الإيمان»؛ أي: من خُلُق أهلِ الإيمان.

* * *

٣٣٥٧ ـ وقال: «مَن لبسَ ثوبَ شُهْرةٍ في الدُّنيا، ألبسَهُ الله ثوبَ مَذَلَّةٍ يومَ القيامةِ».

«عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مَنَ لَبِسَ ثوبَ شهرةٍ في الدنيا»، وهو ما يُقصَدُ بلبسه التفاخرُ والتكبُّر على الفقراء وكَسْر قلوبهم، أو ما يتخذهُ المُساخِر ليجعلَ به نفسَه ضُحْكَةً بين الناس، أو ما يتخذُه الزّهّاد ليُشْهِرَ نفسَه بالزهد ويقصِد به الرياء.

«ألبسَه الله ثوبَ مذلةٍ يوم القيامة»، وهذا كنايةٌ عن شُمول الذُّلّ به شُمولَ الثوب البدَن؛ أي: يصغِّرُه في العيون ويحقِّره في القلوب.

* * *

٣٣٥٨ ـ عن ابن عمرَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن تَشبَّهَ بقومٍ فهو منهم».

«وقال: مَن تشَبَّهَ بقومٍ»؛ يعني من شَّبه نفسَه بالكفارِ مثلاً في اللِّباس وغيرِه، أو بالفُسّاق، أو بالنِّساء، أو بأهلِ التصوُّف والصُّلَحاء.

«فهو منهم» في الإثم والخير.

* * *

٣٣٥٩ ـ وقال: «مَن تركَ لُبْسَ ثوبِ جَمالٍ وهو يقدرُ عليهِ ـ ويُروَى: تَواضعاً ـ كساهُ الله حُلَّةَ الكرامةِ».

وقال: «مَن زَوَّجَ للهِ توَّجَهُ الله تاجَ الملكِ».

«وقال: مَن تركَ لُبْسَ ثوبِ جَمالٍ»؛ أي: زينة.

«وهو يقدِرُ عليه»؛ أي: على لُبْسِه.

«ويروى: **تواضُعاً كساه الله حُلَّة الكرامة**»؛ يعني أكرَمه الله وألبسَه من ثياب الجنة.

«ويروى: **مَن زَوَّجَ لله**»؛ أي: ابنته، أو نفسَه، أو أختَه، أو عبدَه، وقيل: أي: أَعطى مِن كلِّ شيءٍ زوجين، وفي بعض النسخ: (من تزوَّجَ)، وفسر التزوُّج لله بالنزولِ عن درجته في الكفاءة.

«**توَّجَهُ الله**»؛ أي: ألبسَه «**تاجَ المُلْك**».

* * *

٣٣٦٠ - عن عمرِو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله يُحِبُّ أن يَرَى أثرَ نِعمَتِهِ على عبدِه».

«**عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جده - رضي الله تعالى عنهم - قال: قال رسولُ الله صلَّى الله تعالى عليه وسلم: إنَّ الله تعالى يُحبُّ أن يَرى أثرَ نعمتهِ على عبدِهِ**»؛ يعني: إذا أعطى الله عبداً نعمةً يحبُّ أن يُظهِرَ أثرَها في حالةٍ من تحسينِ الثيابِ بالتنظيفِ والتجديدِ عند الإمكان بلا مبالغةٍ قاصداً إظهارَ نعمةِ الله عليه؛ ليقصدَه المحتاجون لطلبِ الزكاةِ والصدقاتِ، ولا يجوزُ أن يكتُمَ نِعَمَ الله بحيث لا يعرفونه، وكذلك العلماءُ؛ ليظهروا علمَهم ليعرفَهم الناسُ ويستفيدُوا مِن عِلْمِهم.

* * *

٣٣٦١ - عن جابرٍ ﷺ قال: أتانا رسولُ الله ﷺ زائِراً، فرأَى رجلاً شَعِثاً قد تفرَّقَ شَعرُهُ فقال: «أَما كانَ يجدُ هذا ما يُسَكِّنُ بهِ رأسَهُ»، ورأَى رَجُلاً عليهِ ثيابٌ وَسِخةٌ فقال: «أَما كانَ يجدُ هذا ما يغسلُ بهِ ثوبَهُ».

«**عن جابرٍ - رضي الله تعالى عنه -: أتانا رسولُ الله صلَّى الله تعالى عليه**

وسلم زائراً فرأى رجلاً شَعِثاً قد تفرَّقَ شعرُه فقال: ما كان يجِدُ هذا»، بحذف همزة الاستفهام.

«ما يسكِّن به رأسَه»؛ أي: يلمُّ شعثَه ويجمَع متفرِّقَه.

«ورأى رجلاً عليه ثيابٌ وَسِخةٌ فقال: ما كان يجدُ هذا ما يغسِلُ به ثوبَه».

* * *

٣٣٦٢ ـ عن أبي الأَحْوَصِ الجُشَميِّ ، عن أبيهِ قال: رآني النبيُّ ﷺ وعليَّ أَطمارٌ فقال: «هل لكَ مِنْ مالٍ؟» قلتُ: نعم، قال: «مِن أيِّ المالِ؟» قلتُ: مِن كلٍّ قد آتاني الله، مِن الشَّاءِ والإبلِ، قال: «إذا آتاكَ الله مالاً فلتُرَ أثرُ نعمةِ الله وكرامتِهِ عليكَ».

«عن أبي الأحوص الجُشَمي»: بضم الجيم وفتح الشين المعجمة.

«عن أبيه قال: رآني النبيُّ ﷺ وعليَّ»: الواو للحال.

«أطمارٌ» بفتح الهمزة: جمع طِمْر بكسر الطاء وسكون الميم، وهو الثوبُ الخَلَق.

«فقال: هل لك مِن مال؟ قلت: نعم، قال: من أيِّ المال؟ قلت: من كُلٍ قد آتاني الله من الشاء والإبل، قال: إذا آتاك الله مالاً فلتُرِ نعمةَ الله وكرامتَه عليك»؛ يعني البَسْ ثوباً ليعرِفَ الناسُ أنك غنيٌّ، وأن الله تعالى أنعمَ عليك بأنواعِ النِّعَم.

فإن قلت: أليسَ أنه ﷺ حثَّ على البَذَاذة؟.

قلت: إنما حثَّ عليها حتى لا يؤنَفَ عنها، فأمَّا مَن اتخذَ ذلك دَيدَناً من قدرةٍ على الجديد فلا؛ لأنه دَناءةٌ وخِسَّةٌ.

* * *

٣٣٦٣ ـ وعن عبدِالله بن عَمرٍو ﷺ قال: مَرَّ رجلٌ وعليهِ ثَوْبانِ أحمرانِ، فسلَّم على النبيِّ ﷺ فلَمْ يَرُدَّ عليهِ.

«عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: مرَّ رجلٌ عليه ثوبان أحمران، فسلَّم على النبيِّ ﷺ فلم يَرُدَّ عليه»، وهذا يدلَّ على أنَّ مَنْ كان مشغولاً بمنهيٍّ في وقتِ تسليمهِ لا يُستحبُّ الجوابُ، لكن مستحَبٌّ أن ينبَّهَ بأنْ يقال له: إنما لم أُجِبْك لكذا؛ لِيُقلِعَ عما هو فيه، وكراهيته ﷺ للحُمْرة محمولةٌ على الصَّبْغ بعد النَّسْج، وفي معناه ما روى الحسن عن النبيِّ ﷺ: «الحُمْرةُ زينةُ الشيطان».

* * *

٣٣٦٤ ـ عن عِمرانَ بن حُصَينٍ ﷺ: أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «لا أركبُ الأُرْجُوانَ، ولا أَلبَسُ المُعَصْفَر، ولا أَلبسُ القميصَ المكفَّفَ بالحريرِ».

وقال: «ألا وَطِيبُ الرِّجالِ ريحٌ لا لونَ لهُ، وطيبُ النِّساءِ لونٌ لا ريحَ لهُ».

«عن عمرانَ بن حُصَين: أن نبيَّ الله ﷺ قال: لا أركبُ الأُرجوانَ»، بضم الهمزة والجيم وسكون الراء: صِبغٌ شديدُ الحُمْرة معرَّب أُرْغُوان، أراد به المِيثَرةَ الحمراءَ يُتَّخَذُ من حريرٍ أحمرَ، وهي وسادةٌ صغيرةٌ توضَعُ على السَّرْج، ويمكن التَّعميمُ فيما يُجلَسُ عليه أيضاً من الثيابِ الحمرة، والمعنى: لا أجلِسُ على ثوبٍ أحمَر ولا أركَبُ دابةً على سَرْجِها وسادةٌ صغيرةٌ حمراءُ.

«ولا ألبَسُ المعصفرَ»؛ أي: الثوبَ المصبوغَ بالعُصْفُر.

«ولا ألبَسُ القَمِيصَ المكفَّفَ»؛ أي: المرقَّع جيبُه وأطرافُ كُمَّيه وذيلُه «بالحرير»، والتوفيقُ بين هذا وحديثِ أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ: أنَّ قَدْرَ ما كُفِّفَ

بالحرير هنا أكثرُ من القَدْر المرخَّصِ ثَمَّةَ، وهو أربعُ أصابعَ، أو يُؤَوَّلُ هذا على الوَرَع وذاكَ على الرُّخْصَة، أو هذا يتأخَّر عن لُبْس الجُبَّة.

«وعن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ألا وطيبُ الرجال ريحٌ لا لونَ له»، نحو المِسْك والكافورِ والعُوْد.

«وطيبُ النساءِ لونٌ لا ريحَ له»، نحو الزَّعْفرانِ والخَلُوق والحِنَّاءِ، ولا يجوزُ لهنَّ التطيُّب بما له رائحةٌ طيبةٌ عند الخروج من بيوتهنَّ، ويجوزُ إذا لم يَخْرُجْن.

* * *

٣٣٦٥ ـ وعن أبي ريحانةَ ﷺ قال: نَهَى رسولُ الله ﷺ عن عشرٍ: عن الوَشْرِ، والوَشْمِ، والنَّتْفِ، وعن مُكامَعةِ الرَّجُلِ الرَّجلَ بغيرِ شِعارٍ، ومُكامعةِ المَرأةِ المَرأةَ بغيرِ شِعارٍ، وأنْ يَجعَلَ الرَّجلُ في أسفلِ ثيابهِ حريراً مثلَ الأعاجِمِ، أو يَجعلَ على مَنْكِبَيْهِ حريراً مثلَ الأعاجِمِ، وعن النُّهْبَى، ورُكوبِ النُّمورِ، ولُبوسِ الخاتمِ إلا لِذِي سُلطانٍ.

«عن أبي ريحانة قال: نهى رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عَشْرٍ: عن الوَشْرِ» بفتح الواو وسكون الشين المعجمة: تحديدُ الأسنانِ بحديدةٍ وترقيقُ أطرافِها، تفعلُه المسِنَّةُ تشبهاً بالأحداث.

«والوَشْم» بفتح الواو ثم السكون: غَرْزُ إبرة أو نحوِها في ظَهْرِ الكَفِّ، أو في غيرِه ويُحشَى بشيءٍ من سوادٍ ليبقَى نَقْشُه.

«والنَّتْف»، أراد به نتفَ النساءِ الشعورَ من وجوهِهنَّ، أو نتفَ الشَّعْرِ الأبيضِ من اللِّحْية، أو نتفَ الشَّعْرِ من اللِّحْية والرأسِ عند المُصيبة.

«وعن مكامَعَةِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ»، وهي المضاجَعة.

«بغير شِعارٍ»؛ أي: بغيرِ اللِّباس.

«ومكامَعَةِ المرأةِ المرأةَ بغير شِعَارٍ، وأن يَجعلَ الرجلُ في أسفلِ ثيابهِ حريراً مثلَ الأعاجم»، فإنَّ عادةَ الجُهَّالِ من الرجال أن يَلْبَسُوا تحت الثياب ثوباً قصيراً من الحريرِ لتليينِ الأعضاء.

«أو يجعلَ على مَنْكِبَيه حريراً»؛ أي: عَلَمَ حَريرٍ زائداً على قَدْر ما رُخِّصَ فيه.

«مثلَ الأعاجم»، فأما العَلَم بقدْرِ الرُّخْصَة، أو سوى الثوب من الحريرِ فلا بأسَ به، وكان ابن عمر يكرَهُ أعلام الحرير في الثياب.

«وعن النُّهبَى» بضم النون، اسمُ ما نُهِبَ به؛ يعني: من إغارة أموال المسلمين.

«وركوبِ النُّمور»، جمع نَمِر؛ أي: ركوب جلودِها لمَا فيه من الزينة والخُيَلاَء، أو لأنها زِيُّ العَجَم، أو لمَا عليها من الشُّعور فإنها لا تطهُرُ بالدِّبَاغ.

«ولُبْسِ الخاتم» من الفضة؛ لأنه زينةٌ مَحْضَة.

«إلا لذي سلطانٍ»، فإنه محتاجٌ إليه لختْمِ الكتاب، وفي معناه كلُّ محتاجٍ إلى ذلك، قيل: المرادُ بالنهيِ التنزيهُ، أو القَدْرُ المشتركُ بينه وبينَ التحريم، وقيل: منسوخٌ بدليل الصحابةِ في عصرِه ﷺ وعصرِ خلفائهِ بلا نكِير.

* * *

٣٣٦٦ - عن عليٍّ ﷺ قال: «نهاني رسولُ الله ﷺ عن خاتمِ الذَّهَبِ، وعن لُبْسِ القَسِّيِّ والمياثِر».

وفي روايةٍ: عن مَيَاثِرِ الأُرْجُوان.

«عن عليٍّ قال: نهاني رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن خاتَمِ الذَّهَب، وعن لُبْسِ القَسِّيِّ»، بفتح القاف وكسر السين المشددة: نسبةً إلى القَسِّ من بلاد مصر تُنسَب إليها الثيابُ، والمنهيُّ عنه هو إذا كان من حرير.

«والمياثِر» بفتح الميم: جمع مِيثَرة بالكسر.

«وفي رواية: نهى عن مياثرِ الأُرْجُوان».

* * *

٣٣٦٧ ـ وعن معاويةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَركَبُوا الخَزَّ ولا النِّمارَ».

«وعن معاويةَ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تركَبُوا الخَزَّ»: وهو الثوبُ المنسوجُ من إِبْرِيسيم وصوف.

«ولا النِّمَار»: جمع نَمِر؛ أي: على جلودها، كان العجمُ مياثِرُهم من الحرير والديباجِ وجلودِ النُّمور فنهاهم عنها، وقيل: جمع نَمِرَة: كساءٌ مخطَّط، فالكراهيَة للتنزيه.

* * *

٣٣٦٨ ـ عن البَراءِ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ نهَى عن المَيْثَرةِ الحمراءِ.

«وعن البراءِ بن عازب: أن النبيَّ ﷺ نهى عن الميثَرة الحمراءِ».

* * *

٣٣٦٩ ـ عن أبي رِمْثَةَ التَّيمِيِّ ﷺ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وعليهِ ثَوْبانِ أخضرانِ، ولهُ شعرٌ قد علاهُ الشَّيبُ وشَيبُهُ أحمرُ.

وفي روايةٍ: وهو ذو وَفْرَةٍ، وبها رَدْعٌ من حِنَّاءٍ.

«عن أبي رِمْثَةَ»، بكسر الراء.

«التيميِّ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وعليه ثوبان أخضران، وله شعرٌ قد علاه الشَّيبُ»؛ أي: صار شيبٌ.

«وشيبُه أحمرُ»؛ أي: بالحِنَّاء.

«وفي رواية: وهو ذو وَفْرَة»، والوَفْرَة: شعرُ الرأس الواصِلُ إلى شَحْمةِ الأذن.

«وبها»؛ أي: بالوَفْرَة.

«رَدْغٌ من حِنَّاء»؛ أي: لَطْخٌ منه وَأَثرٌ.

* * *

٣٣٧٠ ـ وعن أنسٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ شاكِياً، فخرج يَتَوكَّأُ على أسامةَ، وعليهِ ثوبٌ قِطْرِيٌّ قد تَوَشَّحَ به، فصَلَّى بهم.

«وعن أنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبيَّ ﷺ كان شاكِياً»؛ أي: مريضاً.

«فخرَج يتوكَّأُ على أسامةَ وعليه ثوبُ قِطْرٍ» بكسر القاف وسكون الطاء: نوعٌ من برودِ اليمنِ فيه حُمْرة، وقيل: حلة جيدةٌ تُحمَلُ من قِبَلِ البحرين.

«قد توشَّحَ به»؛ أي: ألقى ذلك الثوبَ على عاتِقَيه؛ لأنه كان شبهَ رداءٍ، وقيل: معناه أدخله تحت يدِهِ اليمنى وألقاه على مَنْكِبه الأيسرِ كما يفعلُ المُحْرِمُ، وقيل: تغشَّى به.

«فصلَّى بهم»؛ أي: بأصحابه.

* * *

٣٣٧١ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كانَ على النبيِّ ﷺ ثوبانِ

قِطْرِيَّانِ غَليظانِ، فكانَ إذا قعدَ فعرِقَ ثَقُلا عليهِ، فقدِمَ بَزٌّ مِن الشَّامِ لفلانٍ اليهوديِّ، فقلتُ: لو بعثتَ إليه فاشتريتَ منهُ ثَوْبينِ إلى المَيْسَرَةِ، فأَرسلَ إليه فقالَ: قد علمتُ ما يريدُ، إنما يريدُ أنْ يذهبَ بمالي، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «كذبَ؟ قد علمَ أنِّي من أتقاهُم وآدَاهُمْ للأَمانَةِ».

«عن عائشَة قالت: كان على النبيِّ ﷺ ثوبان قِطْرِيَّان غَلِيظَان، فكانَ إذا قعدَ فعَرِقَ ثَقُلا عليه»: من الثِّقَل.

«فَقِدمَ بَزٌّ» بفتح الباء وتشديد الزاي المعجمة: أمتعة البزاز من ثياب ونحوها.

«من الشام لفلانٍ اليهوديِّ، فقلت: لو بعثتَ إليه»؛ أي: لو أرسلْتَ إلى ذلك اليهوديِّ «فاشتريتَ منه ثوبين» بثمنٍ مؤجَّل. «إلى المَيْسَرة»؛ أي: إلى الغِنَى، وجواب (لو) محذوف؛ أي: لكان حسناً حتى لا تتأذَّى بهذين الثوبين القِطْرِيِّين وكانا من الصوف، وهذا البَزُّ كان من القُطْن، وقيل: (لو) للتمني.

«فأرسلَ إليه»؛ أي: أرسلَ رسولاً إلى اليهوديِّ يتسلَّفُ بَزّاً إلى المَيْسَرة.

«فقال»؛ أي: اليهودي.

«قد علمتُ ما تُريد»، (ما) استفهامية عَلَّقت العِلْم عن العمل، ويجوزُ أن تكونَ مصدريةً، والعِلْمُ بمعنى العرفان.

«إنما تريدُ أن تذهبَ بمالي»؛ أي: لا تؤدِّي إلي ثمنَه.

«فقال رسول الله ﷺ: كذبَ»؛ أي: اليهوديُّ.

«قدَ عِلَم» في التوراة «أني أتقاهم»؛ أي: أتقى الناس.

«وآداهم»؛ أي: أقضاهم «للأمانة»، ولكن إنما يقولَ ذلك القول من الحسد.

* * *

٣٣٧٢ ـ عن عبدِالله بن عمرِو بن العاصِ ﷺ قال: رآني رسولُ الله ﷺ وعليَّ ثوبٌ مَصْبوغٌ بعُصْفُرٍ مُوَرَّداً فقال: «ما هذا؟» فعَرَفْتُ ما كرِهَ، فانطلقتُ فأحرقْتُه، فقالَ النبيُّ ﷺ: «ما صنعتَ بثوبِـكَ؟» فقلتُ: أحرقتُه، قال: «أفَلا كَسَوْتَهُ بعضَ أهلِكَ، فإنه لا بأسَ بهِ للنِّساءِ».

«عن عبدِالله بن عمرو بن العاص قال: رآني رسولُ الله ﷺ وعليَّ ثوبٌ مصبوغٌ بعُصْفُرٍ مورَّداً»، نصبه على أنه صفةُ مصْدَرٍ محذوفٍ؛ أي: صِبْغاً مورَّداً؛ أي: على لونِ المَوْرِد، أو على الاختصاص.

«فقال: ما هذا؟ فعرفْتُ ما كَرِهَ»، (ما) هذه مصدرية.

«فانطلقتُ فأحرقتُه، فقال النبي ﷺ: ما صنعتَ بثوبِكَ؟ فقلتُ: أحرقتُه، قال: أفلا كسوتَه بعضَ أهلِك، فإنه لا بأسَ به للنِّساء».

* * *

٣٣٧٣ ـ عن هلالِ بن عامرٍ ﷺ، عن أبيه قال: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ بمِنَى يخطُبُ على بغلةٍ وعليهِ بُرْدٌ أحمرُ وعليٌّ يُعَبِّـرُ عنه.

«عن هلالِ بن عامرٍ، عن أبيه قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ بمنًى يخطُبُ على بغلةٍ وعليه بُرْدٌ أحمرُ»، وتأويله أنه لم يكن كلُّه أحمرَ، بل كان عليه خطوطٌ حُمْرٌ.

«وعليٌّ يُعَبِّرُ عنه»؛ أي: يُبلِّغُ كلامَه ﷺ بأعلى صوتِه إلى ورائه؛ لأنه من كثرةِ الخَلْق لا يصلُ صوتُ النبيِّ ﷺ إلى جميعهم.

* * *

٣٣٧٤ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: صُنِعَتْ للنبيِّ ﷺ بُرْدَةٌ سوداءُ فلَبِسَها، فلمَّا عَرِقَ فيها وجدَ ريحَ الصُّوفِ فقذَفَها.

«عن عائشةَ قالت: صنعتُ للنبيِّ ﷺ بُرْدَةً سوداءَ فَلبِسَها، فلما عَرِقَ فيها وجدَ ريحَ الصُّوفِ فقذفَها»؛ أي: ألقاها.

* * *

٣٣٧٥ ـ وعن جابرٍ ﷺ قال: أَتيتُ النبيَّ ﷺ وهو مُحْتَبٍ بشَمْلَةٍ قد وقع هُدْبُهَا على قدمَيْهِ.

«عن جابرٍ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو محتبٍ بشَمْلَةٍ»، قيل: معناه كان جالساً على هيئة الاحتباء، وألقَى شَمْلَةً خلفَ ركبتيه.

«قد وقع هُدْبُها»؛ أي: حاشيتُها.

«على قدميه»، وأخذَ بكلِّ يدٍ طرفاً من تلك الشَّمْلَة؛ ليكون كالمتَّكِئِ على شيء، وهكذا عادةُ العرب إذا لم يَتَّكِئوا على شيء.

* * *

٣٣٧٦ ـ عن دِحْيَةَ بن خليفةَ ﷺ قال: أُتِيَ النبيُّ ﷺ بقَباطيَّ فأعطاني منها قُبطِيَّةً فقال: «اصدَعْها صَدْعَينِ، فاقطعْ أحدَهما قميصاً وأعطِ الآخرَ امرأتَكَ تختمرُ بهِ»، فلما أدبرَ قال: «وأْمُرِ امرأتَكَ أنْ تجعلَ تَحْتَهُ ثوباً لا يصِفُها».

«عن دِحْيةَ بن خَلِيفة الكَلْبي قال: أُتيَ النبيُّ ﷺ بقَباطِيَّ»، بفتح القاف: جمع قِبْطِيَّة، وهي ثيابٌ بيضٌ رِقَاقٌ تُتَّخَذُ من كِتَّانٍ بمصرَ، وقد تضم القاف؛ لأنهم يغيرون في النِّسبة.

«فأعطاني منها قِبْطِيَّةً فقال: اصدَعْها صِدْعَين»؛ أي: شُقَّها شِقَّين وكلُّ شِقٍّ فهو صِدْع بكسر الصاد.

«فاقْطَع أحدَهما قميصاً، وأعطِ الآخَر امرأتَك تختمرُ»؛ أي: تتقنع «به، فلمَّا أدبرَ قال: وأْمُرِ امرأتَك أن تجعلَ تحتَه ثوباً لا يصِفُها»؛ أي: كي لا يصفَها

بظهورِ لونِ بشرتِها؛ لكونِ ذلك القِبْطِيِّ رقيقاً تظهرُ من تحته البَشَرَةُ.

* * *

٣٣٧٧ ـ عن أمِّ سلَمَةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ عليها وهي تختمِرُ فقال: «لَيَّةً لا لَيَّتَيْنِ».

«عن أم سَلَمةَ ـ رضي الله تعالى عنها ـ: أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ عليها وهي تختمرُ فقال: لَيَّةً» بفتح اللام والياء المشددة: مفعولٌ مطلق؛ أي: لوِّي لَيَّةً واحدة.

«لا لَيَّتَين»؛ أي: لا تَلْوِيه وتُدِيريه مَرَّتين، أمرَها أن تلويَ الخمارَ على رأسِها، وما تحت حَنَكِها عطفةً واحدةً كي لا تشبهي الرجالَ إذا اعْتَمُّوا.

فيه تنبيه على أن النساءَ لا ينبغي لهن أن يلْبَسْنَ مثلَ لباسِ الرجالِ وعكسه.

* * *

٢ ـ باب
الخاتَمِ

(باب الخاتم)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٣٧٨ ـ عن ابن عمرَ ﷺ قال: اتَّخَذَ النبيُّ ﷺ خاتماً مِن ذَهَبٍ ـ وفي روايةٍ: وجعلَهُ في يدِهِ اليُمنَى ـ ثم أَلْقاهُ، ثم اتَّخذَ خاتَماً مِن وَرِقٍ نُقِشَ فيهِ: محمدٌ رسولُ الله، وقال: «لا ينقشْ أحدٌ على نقشِ خاتَمي هذا»، وكانَ إذا لَبِسَه جعلَ فَصَّهُ مما يلي بطنَ كفِّهِ.

«من الصحاح»:

«عن ابن عمَر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: اتخذَ النبيُّ ﷺ خاتماً من ذهب»، قيل: هذا كان قبلَ تحريمِ الذهبِ على الرجال.

«وفي رواية: وجعَله في يده اليمنى، ثم ألقاه، ثم اتخذَ خاتماً من وَرِق»، بكسر الراء؛ أي: من فِضَّةٍ مضروبة.

«نُقِشَ فيه» على صيغة المجهول ـ: «محمدٌ رسولُ الله»، مبتدأ وخبر، فالجملَةُ في محل الرفع نحو كتبَ: زيدٌ قائمٌ؛ أي: لفظُه.

«وقال: لا يَنْقُشْ أحدٌ على نَقْشِ خاتمي هذا»، (على) هنا بمعنى المِثل؛ يعني: لا يجوزُ لأحدٍ أن ينقشَ على خاتمِه مثلَ نقش خاتمي، وهو: محمدٌ رسولُ الله، وإنما نهى عنه؛ لاختصاصِ مضمونهِ به مع ما فيه من التهاونِ بالاسمين، وهو ألاَّ ينزَعِ الخاتمَ في المواضع المكروَهةِ.

«وكان إذا لَبِسَه جعلَ فَصَّه مما يلي بَطْنَ كَفِّه»؛ لبعده عن الخُيَلاَء وإظهارِ الزِّينة، وكَرِهَ بعضٌ خاتَمَ الفِضَّة للمرأة؛ لأنه زِيُّ الرجالِ، فإن لم تجِدْ غيرَه صَفَّرَتْه ولو بزَعْفَران.

* * *

٣٣٧٩ ـ عن عليٍّ ﷺ قال: «نهَى رســولُ الله ﷺ عن لُبْس القَسِّيِّ، والمُعَصفرِ، وعن تَخَتُّمِ الذهبِ، وعن قراءةِ القرآنِ في الركوعِ».

«عن عليٍّ قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن لُبْسِ القَسِّي، وعن المُعَصْفَر، وعن تختُّم الذهبِ، وعن قراءةِ القرآنِ في الركوع»؛ لأن الركوعَ موضعُ التسبيحِ لا القراءة.

* * *

٣٣٨٠ ـ وعن عبدِالله بن عبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ رأى خاتماً من ذهبٍ في يَدِ رجلٍ، فنزعَهُ فطرحَه، فقال: «يَعْمِدُ أحدُكم إلى جَمْرٍ من نارٍ فيجعلُه في يدِه».

«وعن عبدالله بن عباس: أن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: رأى خاتماً من ذهبٍ في يدِ رجلٍ؛ فنزعَهُ فطرحَه، فقال يعمِدُ»؛ أي: يقصِدُ «أحدُكم إلى جمرٍ من نارٍ فيجعلُه في يده».

* * *

٣٣٨١ ـ عن أنسٍ ﷺ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أرادَ أَنْ يكتبَ إلى كِسرَى وقيصرَ والنجاشِيِّ فقيلَ: إنَّهم لا يقبلونَ كتاباً إلا بخاتَمٍ، فصاغَ رسولُ الله ﷺ خاتَماً حَلْقَةً فضةً، نَقَشَ فيهِ: «مُحمَّدٌ رسولُ الله».

«عن أنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبيَّ ﷺ أرادَ أن يكتُبَ إلى كِسْرى وَقَيْصَرٍ والنَّجَاشِيِّ، فقيل: إنهم لا يقبَلُون كتاباً إلا بخاتمٍ، فصاغَ رسولُ الله ﷺ خاتماً»؛ أي: أمر بصُنْعِ خاتمٍ، «حَلْقَةَ فِضَّةٍ»، بالإضافة بدل من خاتم أو بياناً له.

«نقشَ فيه: محمد رسول الله» ﷺ.

* * *

٣٣٨١/م ـ «كانَ نقشُ الخاتَمِ ثلاثةَ أسطُرٍ: مُحَمَّدٌ سطرٌ، ورسولُ سطرٌ، والله سطرٌ».

«كان نقشُ الخاتَمِ ثِلاثةَ أسْـطُرٍ: محمدٌ سَطْرٌ، ورسولُ سطرٌ، والله سَطْرٌ».

* * *

٣٣٨٢ ـ عن حُمَيْدٍ، عن أنسٍ ﷺ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ خاتمهُ مِن فضةٍ، وكانَ فَصُّه منه.

«عن حُمَيد» بصيغة التصغير.

«عن أنسٍ: أن نبيَّ الله كان خاتَمُه من فِضَّة، وكان فَصُّه منه»؛ أي: فَصُّ الخاتم من الفضة، تذكيرُ الضمير بتأويل الورق.

* * *

٣٣٨٣ ـ وعن ابن شِهابٍ، عن أنسٍ ﷺ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ لبسَ خاتمَ فضةٍ في يمينِهِ، فيهِ فَصٌّ حَبَشيٌّ، كانَ يجعلُ فَصَّهُ مما يلي كَفَّهُ.

«عن ابن شِهابٍ»، بكسر الشين المعجمة: هو الزُّهْريُّ، وهو محمدُ بن مسلمِ بن عُبيدالله بن شِهَاب.

«عن أنس: أن النبيَّ ﷺ لَبِسَ خاتمَ فِضَّةٍ في يمينه، فيه فَصٌّ حبشيٌّ»؛ أي: عقيق، أو جَزْع؛ لأن معدنَهما اليمنُ والحَبَشة، أو نوعٌ آخر يُنْسَب إليها.

«كان يُجْعَلُ فَصَّه مما يلي كَفَّه»، وهذا الحديثُ لا يخالِفُ الأولَ لجوازِ كونِ هذا الخاتم غِيرَ ذلك الخاتم، أو يكونَ غيرَ فَصِّه.

* * *

٣٣٨٤ ـ عن ثابتٍ، عن أنسٍ ﷺ قال: كانَ خاتَمُ النبيِّ ﷺ في هذه، وأشارَ إلى الخِنْصَرِ من يدِه اليُسرَى.

«عن ثابتٍ، عن أنس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كان خاتَمُ النبيِّ ﷺ في هذه، وأشار إلى الخِنْصَر من يده اليسرى»، وهذا لا يخالِفُ حديثَ التختُّم في اليمنى؛ لجوازِ كونِهِ تارةً في ذا، وتارةً في ذاك، وارتضَى كلَّ واحدٍ من

المحَلَّين، أما التختُّمَ في اليمين فِلكَرَامته، وأما اليسارُ فلأنه جعلَ العبرةَ فيه للفِعل لا للمَحَلِّ.

والأَولى أن يقال: إنه يَجبرُ نقصانَها وحرمانَها عن جميع الأفعال الفاضلة، وتخصيصُ الخِنْصَر لضَعْفِها أيضاً.

* * *

٣٣٨٥ ـ وعن عليٍّ ﷺ قال: نهاني رسولُ الله ﷺ أنْ أَتَخَتَّمَ في أُصبَعي هذه أو هذه، قال: فأَوْمَأَ إلى الوُسْطَى والتي تليها.

«وعن عليٍّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: نهاني رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أتختَّمَ في إصبعي هذه أو هذه، قال فأومَأَ إلى الوَسْطَى والتي تَلِيها»؛ يريد بها السَّبَّابة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٣٨٦ ـ عن عبدِالله بن جَعْفَرٍ قال: كانَ النبيُّ ﷺ يَتَخَتَّمُ في يمينِهِ.

«من الحسان»:

«عن عبدالله بن جعفر قال: كانَ النبيُّ ﷺ يتختَّمُ في يمينه».

* * *

٣٣٨٨ ـ وعن عليٍّ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ أخذَ حريراً فجعلَه في يمينِه، وأخذَ ذهباً فجعلَه في شِمالِه ثم قالَ: «هذينِ حرامٌ على ذكورِ أُمَّتي».

«وعن عليٍّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبيَّ ﷺ أخذ حريراً فجعلَه في يمينه، وأخذ ذهباً فجعلَه في شِمَاله، ثم قال: إن هذين حرامٌ على ذُكُور أمتي»،

وهذا يدلُّ على أنها تَحِلُّ للنساء.

* * *

٣٣٨٧ ـ وعن ابن عمرَ ﷺ قال: كانَ النبيُّ ﷺ يَتَخَتَّم في يسارِهِ.

«عن ابن عمَر قال: كان النبيُّ ﷺ يتختَّم في يَسارِه».

* * *

٣٣٨٩ ـ وعن معاويةَ ﷺ: «أنَّ رسولَ الله ﷺ نهَى عن ركوبِ النُّمورِ، وعن لُبْسِ الذَّهبِ إلا مُقطَّعاً».

«عن معاويةَ: أن رسولَ الله ﷺ نهى عن رُكُوبِ النُّمُور وعن لُبْسِ الذَّهبِ إلا مقطَّعاً»، يريد به اليسيرَ كالحَلَقِ في آذان النساء والخاتَمِ لهنَّ، وقيل: وكرهَ من ذلك الكثيرُ الذي هو عادةُ أهلِ السَّرَف، وزينةُ أهل الخُيَلاَء؛ لأنه ربما يحلُّ صاحبُه بإخراج زكاتِهِ فيأثَمُ بذلك.

وفيه نظرٌ؛ لأن الحديثَ لا يُشْعِرُ التخصيصَ بالنساء، ولئنْ سُلِّم فالظاهرُ استواءُ الكثير والقليلِ بالنسبة إليهن.

والصوابُ: أن يحملَ الحديثُ على الرجال؛ لأن ركوبَ النمور من عادتهِم، ويراد حينئذ لبسَ قطعةِ أنفٍ من ذهب، أو قطعةَ إصبع، أو سِنٌّ منه لمن قُطِعَ منه هذه الأعضاء، أو قطعة يُشَدُّ بها فَصُّ الخاتم ونحوها.

* * *

٣٣٩٠ ـ وعن بُرَيدَةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لرجلٍ عليهِ خاتمٌ مِن شَبَهٍ: «ما لي أجدُ منكَ ريحَ الأصنامِ؟» فطرحَهُ ثم جاءَ وعليهِ خاتمٌ مِن حديدٍ، فقالَ: «ما لي أَرَى عليكَ حِليةَ أهلِ النارِ؟» فطرحَهُ فقال: «اتَّخِذْهُ مِن وَرِقٍ ولا تُتِمَّهُ مِثْقالاً».

«عن بُرَيدة: أنَ النبيَّ صلَّى الله تعالى عليه وسلم قال لرجلٍ عليه خاتَمٌ مِن شَبَهٍ»، وهو ضربٌ من النحاس، سُمِّيَ به لشبهه بالذهب لوناً.

«ما لي أجدُ منك ريحَ الأَصْنَام»؛ لأنها كانت تُتخَذُ من الشَّبَه.

«فطرحَه»؛ أي: ألقى الرجلُ ذلك الخاتَم.

«ثم جاءَ وعليه خاتَمٌ من حديد، فقال: ما لي أرى عليكَ حِلْيَةَ أهلِ النار»، حليةُ الرجلِ ـ بالكسر ـ: صفة، وإنما كرهَه؛ لأنه زِيُّ بعضِ الكُفَّار، أو لأنَّ الكُفَّارَ يعذَّبُون بالسلاسلِ والأغلالِ، وهي في عُرْفِنا تُتخَذُ من الحديد.

«فطرحَه»، وبهذا كرهَ بعضٌ التختُّمَ به.

«فقال: اتَّخِذْه من وَرِقٍ ولا تُتِمَّه مثقالاً»، وهذا نهيُ إرشادٍ على الوَرَع، فإنَّ الأَولى أن يكون الخاتمُ أقلَّ من مثقال؛ لأنه من السَّرَف أبعدُ، وإلى التواضع أقربُ، فإن أتمَّه مثقالاً، أو زادَ عليه جاز.

* * *

٣٣٩٠/ م ـ قالَ الإمامُ رحمه الله: وقد صَحَّ عن سهلِ بن سَعْدٍ في الصَّداقِ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لرجلٍ: «اِلتَمِسْ ولو خاتَماً مِن حديدٍ».

«قال المصنِّفُ: وقد صحَّ عن سهلِ بن سعدٍ في حديث الصَّدَاق: أن النبيَّ ﷺ قال لرجل: التمِسْ ولو خاتَماً مِن حديد»، وهذا يدلُّ على الرُّخْصَة في التختُّم بالحديد، وبه قال بعضٌ، وأوردَه المؤلِّفُ هنا تنبيهاً على أنَّ النهيَ عنه ليس نهيَ تحريمٍ، وإلا لما جوَّزَ التماسَ الخاتم من حديدٍ وجَعْلَه صداقاً.

قيل: وجهُ التوفيقِ هو أنَّ معنى قوله: (ولو خاتماً) المبالغةُ في بَذْل ما يمكِنُه في النِّكاح، وإن كان شيئاً يسيراً، كما يقال: أعطِ زيداً ولو كَفاً من تراب، فجَعْلُه ﷺ إياه مَهْراً لا يدلُّ على جواز التختُّم به، وإن سُلِّمَ الجوازُ فحديثُ سهلٍ

كان قبلَ استقرارِ الشرائع، وحديثُ بُريدةَ بعده.

* * *

٣٣٩١ ـ عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: «كانَ النبيُّ ﷺ يكرهُ عشرَ خلالٍ: الصُّفْرةَ، يعني الخَلُوقَ، وتَغْييرَ الشَّيبِ، وجَرَّ الإزارِ، والتختُّمَ بالذَّهبِ، والتبرُّجَ بالزينةِ لغيرِ مَحَلِّهَا، والضَّربَ بالكِعابِ، والرُّقَى إلا بالمعوِّذاتِ، وعقدَ التمائمِ، وعزلَ الماءِ لغير مَحَلِّه، وفسادَ الصَّبيِّ غيرَ مُحَرِّمِه».

«**عن ابن مسعودٍ قال: كان النبيُّ ﷺ يكرَهُ عَشْر خِلالٍ**»؛ أي: خِصَال.

«**الصُّفْرَةَ؛ يعني الخَلُوقَ**» بفتح الخاء المعجمة وضم اللام: طِيبٌ معروفٌ، وقد أبيحَ مرةً ونُهِيَ عنه أخرى، وهو أكثر؛ لأنه مِن طِيبِ النساء، وكأنه ناسخٌ للإباحة.

«**وتغييرَ الشَّيبِ بالنَّتفِ**»، أو إلى السواد إخفاءً له وإظهاراً للشباب دون الخِضَاب بالحِنَّاء.

«**وَجرَّ الإزار، والتختُّمَ بالذهب، والتبرُّجَ بالزِّينة**»؛ أي: إظهارَ المرأةِ محاسنَها «**لغير مُحِلِّها**»، بكسر الحاء واللام، وقيل بفتحهما أيضاً؛ أي: لغيرِ من يَحِلُّ لها مِن زوجِها.

«**والضَّرْبَ بالكِعَاب**» بكسر الكاف: جمع كَعْب، قالوا: هي فصوصُ النَّرْد فاللَّعِبُ به حرامٌ كرهه عامةُ الصحابة، وقيل: كان ابن مُغَفَّل يفعلُه مع امرأته، ورخَّصَ فيه ابن المسيَّب على غير قمار.

«**والرُّقَى**» جمع رُقْيَة، وقد جاء جوازُها، والنهيُ عنها، فتحمَلُ الكراهةُ على ما كان بغيرِ العربيِّ، وبغيرِ أسمائِه تعالى وصفاتِه وكلامِه، ولا يُكرَهُ ما خالف ذلك.

«إلا بالمعوِّذات»، وهي كلُّ سورةٍ أولُها: ﴿قُلْ﴾ كـ (الإخلاص) و(المُعوِّذَتين) و(الكافرون)، لأمره ﷺ بقراءتها على الأطفالِ، وفي معناه جميعُ ما يتعوَّذُ به من آيِ القرآن وأسمائِهِ وصفاته والرُّقَى المُرْقِية.

«وعَقْدَ التمائم»، جمع تَمِيم، وهي أباطيلُ الجاهليةِ، نحو خَرَزَاتٍ علَّقَها الجاهلية على أولادِهم اتقاءَ العينِ فأبطَله الإسلام؛ لأنه لا يدفَعُ شيئاً إلا الله.

«وعَزْلَ الماءِ لغيرِ مَحَلِّه»، واللام في (لغير) بمعنى (عن)؛ يعني: إبعادَ المَنِيِّ عن الفرجِ وإراقتَه خارجَ الفَرْجِ، وقيل: فيه تعريضٌ بإتيانِ الدُّبُر، ويجوزُ كون معنى (لغير محله) لغير الإماء؛ أي: محل العَزْل الإماءُ دون الحرائر.

«وفسادَ الصَّبيِّ»، باغياً له بمجامعةِ مُرْضِعه فُيفْسِدُ عليه لبنه إذا حملتْ، فيكون من ذلك فسادُ الصبي، وسُمِّي الغَيْلَة.

«غيرَ محرِّمِه»، نصب (غير) على الحال عن فاعل (يكره)، والضميرُ المجرورُ يعود إلى فساد الصبي؛ أي: أنه كرهَهُ بلا تحريمٍ.

* * *

٣٣٩٢ - عن ابن الزُّبيرِ: أنَّ مولاةً لهم ذهبَتْ بابنةِ الزُّبيرِ إلى عمرَ بن الخَطَّابِ وفي رجلِها أجراسٌ، فقطَعَها عمرُ وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مع كلِّ جرَسٍ شَيطانٌ».

«عن ابن الزُّبَير: أن مولاةً»؛ أي: معتقةً «لهم ذهبت بابنة الزبيرِ إلى عمرَ ابن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وفي رِجْلِها أجراسٌ»، جمع جَرَس بفتحتين، وهو معروف.

«فقطعَها عمرُ وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: مع كلِّ جَرَسٍ شيطانٌ»؛ يريد به شيطانَ الإنس، والتعميمُ أولى.

* * *

٣٣٩٣ ـ ودُخِلَ على عائشةَ رضي الله عنها بجاريةٍ عليها جَلاجِلُ يُصَوِّتنَ فقالت: لا تُدخِلْنَها عليَّ إلا أنْ تُقطِّعْنَ جَلاجِلَها، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيهِ جرسٌ».

«ودُخِلَ على عائشةَ بجاريةٍ عليها جَلاَجِلُ»، جمع جُلجُل بضم الجيمين.

«يُصَوِّتْنَ فقالت: لا تُدْخِلنَّها عليَّ إلا أن يُقطِّعْنَ جلاجلُها، سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه جَرَسٌ».

* * *

٣٣٩٤ ـ وعن عبدِ الرَّحمنِ بن طَرَفَةَ: أنَّ جدَّه عَرفجَةَ بن أسعدَ قُطِعَ أنفُه يومَ الكُلابِ، فاتَّخذَ أنفاً مِن وَرِقٍ فأَنتنَ عليهِ، فأمرَهُ النبيُّ ﷺ أنْ يتخِذَ أنفاً مِن ذهبٍ.

«عن عبد الرحمن بن طَرَفَة»: بالفتحات.

«أن جَدَّه عَرْفجَةَ»: بفتح العين والفاء وسكون الراء.

«ابن أسعدَ قُطِعَ أنفُه يوم الكُلاَب»، بالضم والتخفيف، قيل: اسمُ ماءٍ، وكان به للعرب في الجاهلية يومٌ معروفٌ من أيامهم، فيومُ الكُلاَب إذن اسمُ حَرْبٍ معروفة مِن حروبهم.

«فاتخذَ أنفاً من وَرِق» بكسر الراء.

«فأنتنَ عليه، فأمرَه النبي ﷺ أن يتخِذَ أنفاً من ذهب»، وبهذا أباحَ العلماءُ اتخاذَ الأنفِ من ذهبٍ، وربْطَ الأسنانِ بالذَّهَب.

* * *

٣٣٩٥ ـ عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن أحبَّ أن يُحلِّقَ

حبيبَهُ حَلْقَةً مِن نارٍ فليُحلِّقْه حلْقةً مِن ذهبٍ، ومَن أحبَّ أنْ يُطوِّقَ حبيبَهُ طَوْقاً مِن نارٍ فليُطوِّقْه طَوْقاً مِن ذهبٍ، ومَن أحبَّ أنْ يُسَوِّر حبيبَهُ سِوَاراً مِن نارٍ فليُسوِّرْه سِوَاراً مِن ذهبٍ، ولكنْ عليكم بالفِضَّةِ فالعَبوا بها».

«عن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: مَن أحبَّ أن يُحلِّق حَبيبَه»، أراد به المحبوبَ من زوجِهِ وأولادِهِ وغيرهما.

«حَلْقةً من نار فليحلِّقْه حلقةً من ذهب، ومن أحبَّ أن يطوِّقَ حبيبَه طوقاً من نار فليطَّوقْه طوقاً من ذهب، ومن أحبَّ أن يسِّورَ حبيبَه سِواراً من نارٍ فليسوِّرْه سِواراً من ذهبٍ ولكن عليكُم» ـ وهو للترغيب ـ «بالفِضَّة، فالعَبُوا بها»، واللعبُ بالشيءِ: التصرُّفُ فيه كيفما شاء؛ يعني: اجعلُوها الفضةَ في أيِّ نوعٍ شئتُم من أنواع حُلِيِّ النساء دون الرجال، إلا التختُّمَ وتحلِيةَ السيفِ وغيرِه من آلات الحرب.

* * *

٣٣٩٦ ـ عن أسماءَ بنتِ يزيدَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أيُّما امرأةٍ تقلَّدَتْ قِلادَةً مِن ذهبٍ قُلِّدَتْ في عُنُقِها مثلَه مِن النَّارِ يومَ القيامةِ، وأيُّما امرأةٍ جعلَتْ في أُذنِها خُرْصاً مِن ذهبٍ جَعَلَ الله في أُذنِها مثلَها مِن النَّارِ يومَ القيامةِ».

«عن أسماءَ بنت يزيدَ ـ رضي الله تعالى عنها ـ: أن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: أيُّما امرأةٍ تقلَّدَتْ قلادةً من ذهب قُلِّدت في عُنُقِها مثلَها من النار يوم القيامة، وأيُّما امرأةٍ جَعَلَتْ في أذنها خُرْصاً»، بضم الخاء المعجمة وسكون الراء، وقيل: بكسر الخاء؛ أي: حَلْقةً «من ذهبٍ جعلَ الله في أذنِها مثلَه من النارِ يومَ القيامة».

هذا الحديثُ والذي يليه محمولٌ على كراهةِ التَّنْزيهِ للإسرافِ في الزينة، أو على ألاَّ تؤدَّى زكاتُها.

* * *

٣٣٩٧ ـ عن أختٍ لِحُذَيفةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يا معشرَ النِّساءِ أَمَا لَكُنَّ في الفِضَّةِ ما تُحَلَّينَ بهِ، أَمَا إنه ليس مِنكنَّ امرأةٌ تَحَلَّت ذهباً تُظْهِرُه إلا عُذِّبَت بهِ».

«**عن أخت حُذَيفة: أن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: يا معشرَ النساءِ أَمَا**»، بالتخفيف: حرفُ تنبيه، أو الهمزة فيه للاستفهام على سبيلِ الإنكار و(ما) نافية.

«**لَكُنَّ في الفِضَّة ما تُحلَّينَ به**»، (ما) هذه موصولة مبتدأ خبرُه (لَكُنَّ).

«**أَمَا إنه ليس منكنَّ امرأةٌ تُحلَّى ذهباً فتُظْهِرُه إلا عُذِّبتْ به**»، قال المؤلِّف:

«**هذا منسوخٌ بحديثِ أبي موسى الأشعري أنه ﷺ قال: أحلَّ الله الذهبَ والحريرَ للإناثِ من أمتي**».

* * *

٣ ـ باب
النِّعَال

(باب النعال)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٣٩٨ ـ قال ابن عمرَ ؓ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَلبَسُ النِّعالَ التي ليسَ فيها شعرٌ.

«من الصحاح»:

«عن ابن عمَر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يلبَسُ النِّعالَ التي ليس فيها شعر»؛ يعني: يلبس النعال من جلود نقيت من الشعر.

* * *

٣٣٩٩ ـ وقال أنسٌ ﷺ: إنَّ نعلَ النبيِّ ﷺ كانَ لها قِبالانِ.

«وقال أنسٌ: إن نعلَي النبيِّ ﷺ كان لهما قِبالان»، القِبال ـ بالكسر: ـ زمامُ النعلِ يكونُ بين الإصبعين الوُسْطَى والتي تَليـها، فيكفي لكلِّ نعلٍ زمامان يُدخِل الوسطى والإبهام في قِبال، والأصابعُ والأُخرى في قِبَال.

* * *

٣٤٠٠ ـ وعن جابرٍ ﷺ قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ في غزوةٍ غزَاها: «استكثِرُوا مِن النِّعالِ فإنَّ الرَّجلَ لا يزالُ راكِباً ما انتعلَ».

«وعن جابر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ في غزوةٍ غزاها يقولُ: استكثِرُوا من النِّعال فإنَّ الرجلَ لا يزالُ راكباً ما انتعلَ»؛ يعني لا يزالُ يُشْبِـهُ الراكبَ في خِفَّة المَشْيِ وسلامةِ رِجْلهِ من الأذى ما دام مُنتعِلاً.

* * *

٣٤٠١ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «إذا انتعلَ أحدُكم فليبدَأْ باليُمنَى، وإذا نزَعَ فليبدَأْ بالشِّمالِ، لِتكنِ اليُمنَى أوَّلَهما تُنعَلُ وآخِرَهما تُنزَعُ».

«عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إذا انتعلَ أحدُكم»؛ أي: لَبِسَ النعلَ.

«فليبدَأْ باليُمْنَى»، فإنَّ الابتداءَ باليمنى مستحَبٌّ في كُلِّ فعل.

«وإذا نزعَ فيبدأْ بالشّمال، لتكنِ اليُمنى أولَهما تُنعلُ وآخرَهما تُنْزَع».

* * *

٣٤٠٢ ـ وقال: «لا يمشي أحدُكم في نَعلٍ واحدةٍ، ليُحْفِهما جميعاً، أو ليُنعِلْهُما جَميعاً».

«**وعنه قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا يمشيَنَّ أحدُكم في نعلٍ واحدةٍ، ليُحفِهما جميعاً**»، أمرٌ من الإحفاء ضدُّ الإنعال، ليمشِ حافيَ الرِّجْلَين.

«**أو لينعلْهما جميعاً**»؛ لأنه قد يشُقُّ المشيُ بنعلٍ واحدةٍ، ولا يأمَنُ عند ذلك من العثار، ويندرجُ تحتَه ما هو في معناه من الجَوْربين، أو الخُفَّين، أو نحوِهما، وهذا نهيُ تنزيهٍ لا تحريم، أو هو مختصٌّ بمسافةٍ يَلْحَق الرِّجْلَ الحافيةَ مشقَّةٌ [منها]، فأمَّا المشيُ القليل كمِن البيتِ إلى المسجد المتقارِبَين فلا بأسَ به.

* * *

٣٤٠٣ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن انقطعَ شِسْعُ نَعْلِه فلا يَمشِيَنَّ في نَعلٍ واحدةٍ حَتَّى يُصلِحَ شِسْعَهُ، ولا يمشِ في خُفٍّ واحدٍ، ولا يأكلْ بشِمالِه، ولا يَحْتَبِ بالثَّوبِ الواحدِ، ولا يلتحِف الصَّمَّاءَ».

«**عن جابرٍ وأبي هريرَة ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قالا: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من انقطعَ شِسْعُ نَعْلِه**»، بكسر الشين المعجمة وسكون المهملة: واحدُ شُسُوعِ النَّعْل التي تُشَدُّ بها زمامُها.

«**فلا يمشِيَنَّ في نعل واحدةٍ حتى يُصْلِحَ شِسْعَه، ولا يمشيَنَّ في خُفٍّ واحدٍ، ولا يأكُل بشماله، ولا يحتبِ بالثوب الواحد**»؛ لئلا تنكشِفَ عورتُه.

«ولا يلتحِفْ بالصَّمَّاء»؛ وهو اشتمالُ الصَّمَّاء، وقد مرَّ ذِكرُه.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٤٠٤ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: كانَ لنعلِ رسولِ الله ﷺ قِبَالانِ مُثْنًى شِرَاكُهما.

«من الحسان»:

«عن ابن عبَّاسٍ قال: كان لنعلِ رسولِ الله ﷺ قِبالاَن مُثَنًّى شِرَاكُهما».

* * *

٣٤٠٥ ـ عن جابرٍ ﷺ قال: نهى رسولُ الله ﷺ أنْ يَنْتَعِلَ الرَّجلُ قائماً.

«عن جابر قال: نهى رسولُ الله ﷺ أن ينتعلَ الرجلُ قائماً»، وهذا النهيُ مختصٌّ بما في لُبْسهِ تعبٌ عن القيام كالخُفِّ؛ لأنه إذ ذاك ربما يقعُ على الأرض.

* * *

٣٤٠٦ ـ عن القاسمِ بن محمَّدٍ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: رُبَّما مَشَى النبيُّ ﷺ في نَعلٍ واحدةٍ، والصَّحيح: أنه عن عائشةَ رضي الله عنها: أنها مَشَتْ بنعلٍ واحدةٍ.

«عن القاسم بن محمَّدٍ عن عائشةَ قالت: ربما يمشي النبيُّ ﷺ في نعلٍ واحدةٍ»، وهذا يدلُّ على الرُّخْصَة في المَشْيِ القَليلِ كما بيناه.

«والصحيحُ: أنه عن عائشة أنها مَشَتْ بنعلٍ واحدةٍ».

* * *

٣٤٠٧ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: مِن السُّنَّةِ إذا جلسَ الرَّجُلُ أنْ يخلَعَ نعلَيْهِ فيضعهما بجنبـهِ.

«عن ابن عباسٍ ـ رضيَ الله تعالى عنهما ـ قال: مِن السُّنَّةِ إذا جلسَ الرجلُ أن يخلَعَ نعليه فيضعَهما بجنبه»؛ ليكون آمناً من السرقة ونحوها.

* * *

٣٤٠٨ ـ عن ابن بُرَيْدةَ، عن أبيه: أنَّ النَّجاشيَّ أهدَى إلى النَّبيِّ ﷺ خُفَّينِ أسودَيْنِ ساذَجَيْنِ، فلبِـسَهما ثم توضَّأَ ومسحَ عليهما.

«عن ابن بُرَيدة عن أبيه: أن النَّجَاشِيَّ أَهْدَى إلى النبيِّ ﷺ خُفَّين أَسْوَدين ساذَجَيْنِ»؛ أي: غيرَ منقوشين.

«فَلبِـسَهما، ثم توضَّأَ ومسَحَ عليهما».

* * *

٤ ـ باب
التَّرجيلِ

«باب التَّرْجيل»: وهو التطهيرُ والتَّزْيينُ، والتَّرْجِيلُ: تسريحُ الشَّعْر بالمِشْط؛ أي: استعمالُه فيه.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٤٠٩ ـ عن عائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كنتُ أُرَجِّلُ رأسَ رسولِ الله ﷺ وأنا حائِضٌ.

«من الصحاح»:

«عن عائشةَ قالت: كنتُ أُرَجِّلُ شعرَ رسولِ الله صلى الله تعالى عليه

وسلَّم وأنا حائِضٌ»، وفيه دليلٌ على جوازِ المخالَطَة مع الحُيَّض.

* * *

٣٤١٠ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الفِطْرةُ خمسٌ: الختانُ، والاستِحدادُ، وقَصُّ الشَّاربِ، وتقليمُ الأظفارِ، ونَتْفُ الآباطِ».

«عن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: الفِطْرة»؛ أي: السُّنَّةُ «خَمسٌ: الخِتانُ»، قال الحسن: أنه للرجال سُنَّة، وعند الأكثَر: أنه واجبٌ، وشدَّدَ فيه ابن عباس فقال: الأَقْلَف لا تُقْبَلُ شهادتُه وصلاتُه وذبيحتُه، وكان أبو العباس بن شُرَيح يقول: سترُ العورةِ واجبٌ وفاقاً، فلولا وجوبُ الخِتانِ لم يَجُزْ كشفُه له، فجوازُ الكشفِ له دليلُ وجوبِهِ.

«والاستحدادُ»؛ أي: حَلْقُ العانة.

«وقصُّ الشارب، وتقليمُ الأظفار، ونَتْفُ الآباط»، جمع الإبط، والتوفيقُ بينَه وبين حديثِ عائشةَ: «عشرةٌ من الفِطْرة» أنه أشارَ في هذا الحديثِ إلى مُعْظَمِها.

* * *

٣٤١١ ـ وقال: «خالِفُوا المُشركينَ: أَوفِروا اللِّحَى، وأَحفُوا الشَّواربَ».

ويُروَى: «أَنهِكوا الشَّواربَ، وأَعفُوا اللحىَ».

«وقال النبي ﷺ خالِفُوا المُشْرِكين»: فإنهم يقُصُّون اللِّحَى ويتركُون الشواربَ حتى يطولَ.

«وأَوْفِرُوا اللِّحَى»، بضم اللام: جمع اللِّحْية، والتوفيرُ بعدَمِ القَطْع وبتخليَتِها وافرة؛ أي: تامة.

«وأَحْفُوا الشَّوَارب»، بقطع الهمزة والوصل أيضاً؛ أي: بالِغُوا في أَخْذِها حتى يُلْزِقُوا الجَزَّ بالشفة، والأصلُ في الإحفاء: الاستقصاءُ.

«ورُوِي: انهكُوا الشَّوارب»؛ أي: بالِغُوا في قَصِّها.

«وأعْفُوا اللحى»: مِن: عفا النبتُ والشعر؛ أي: كَثُرَ.

* * *

٣٤١٢ ـ وقال أنسٌ ﷺ: وُقِّتَ لنا في قصِّ الشَّارِبِ، وتقليمِ الأظفارِ، ونَتْفِ الإبْطِ، وحَلْقِ العانةِ، أنْ لا نَترُكَ أكثرَ مِن أربعينَ ليلةً.

«وقال أنسٌ ﷺ: وُقِّتَ لنا في قَصِّ الشاربِ، وتقليمِ الأظفار، ونَتْفِ الإبط، وحَلْقِ العانه، أن لا نتركَ أكثرَ من أربعين ليلةً»، وقد جاءَ في بعض الروايات عن ابن عمر: أن النبيَّ ﷺ كان يأخذُ أظفارَه وشاربَه كلَّ جمعة، ويحلِقُ العانةَ في كلِّ عشرين يوماً، وينتِفُ الإبط في كلِّ أربعين يوماً.

* * *

٣٤١٣ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ اليهودَ والنَّصارَى لا يَصبُغُونَ فخالِفوهم».

«عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه ـ ﷺ قال ـ: إنَّ اليهودَ والنصارى لا يَصْبـغُون»؛ أي: لحاهم وشعورَهم، وهو ـ بضم الباء وفتحها ـ لغتان.

«فخالِفُوهم»؛ أي: اصبـغُوا لحاكم بالحِنَّاء ونحوِه مما ليس بسواد.

* * *

٣٤١٤ ـ وعن جَابـرٍ ﷺ قال: أُتيَ بِأَبي قُحَافةَ يومَ فتحِ مَكَّةَ، ورأسُه

ولحيَتُه كالثُّغامَةِ بَيَاضاً، فقال رسولُ الله ﷺ: «غَيروا هذا بشيءٍ، واجتنِبُوا السَّوادَ».

«عن جابر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: أُتِيَ بأبي قُحَافة»؛ اسمهُ عثمانُ بن عامر.

«يومَ فَتْح مَكَّةَ ورأسُه ولحيتُه كالثُّغَامة»، نبتٌ في الجبل أبيضُ الزَّهْرِ والثَّمَر، تبيضُّ كأنه الثَّلْجُ، شُبِهَ به الشَّيْبُ.

«بياضاً، فقال النبيُّ ﷺ: غيـرُوا هذا» الشَّيْبَ.

«بشيءٍ»؛ أي: اخضـبُوه بخِضَابٍ سوى السَّوَاد.

«واجتَنِبُوا السوادَ»، قيل: هذا في حقِّ غيرِ الغُزَاة، وأما مَن فعلَ ذلك مِن الغُزَاة؛ ليكون أهيبَ في عينِ العدوِّ، لا للتزين فلا بأسَ به، روي: أن عثمانَ والحسنَ والحسينَ خَضَبُوا لحاهم بالسواد للمهابة.

* * *

٣٤١٥ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: كانَ النبيُّ ﷺ يحبُّ موافقةَ أهلِ الكتابِ فيما لم يُؤمرْ فيهِ، وكانَ أهلُ الكتابِ يَسدِلُون أشعارَهم، وكانَ المشركونَ يَفرُقون رؤوسَهم فسَدَلَ النبيُّ ﷺ ناصيتَه ثم فَرَقَ بعدُ.

«عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كان النبيُّ ﷺ يحبُّ موافقةَ أهلِ الكتاب»؛ أي: اليهودَ والنصارى.

«فيما لم يؤمَرْ فيه»؛ أي: فيما لم ينزِلْ عليه فيه حكمٌ بالمخالَفة لهم، قيل: فعلَه ﷺ في أولَ الإسلام ائتلافاً لهم، فلمَّا أُظْهِرَ الإسلامُ على الدِّين كلِّه خالفَهم في أمورٍ منها صبغَ الشَّيْبَ.

استدلَّ بعضٌ بالحديث على أنه ﷺ كان مأموراً باتباعِ شرائعِهم فيما لم

يُوحَ إليه شيء، وإنما كان هذا فيما عَلِمَ أنهم لم يبدِّلُوه.

وقيل: معناه موافقةُ أهلِ الكتاب أَولَى من موافقة المشركين الذين لا كتابَ لهم؛ لأن أهلَ الكتابِ احتملَ أن يعملوا بكتابهم، ولا كذلك المشركين.

«**وكان أهلُ الكتاب يُسْدِلُون أشعارهم**»، أراد به إرسالَ الشعرِ حولَ الرأسِ من غيرِ أن يقسِمَه بنصفين نصفٍ من جانب يمينه نحوَ صَدْرِه، ونصفٍ من جانبِ يسارِه كذلك.

«**وكان المشركون يَفْرِقُون رؤوسَهم، فسدَلَ النبيُّ ﷺ ناصيتَه**» حين قَدِمَ المدينةَ فرآهم يُسْدِلُون، ففعَل المُسْلِمُون كذلك.

«**ثم فَرَقَ بعدَه**»؛ لأن جبريلَ ـ عليه السلام ـ أتاه وأخبرَه بالفَرْقِ، ففَرَقَ المسلمون رؤوسَهم.

* * *

٣٤١٦ ـ عن نافعٍ، عن ابن عمرَ ﷺ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ ينهي عن القَزَعِ، قيلَ لنافعٍ: ما القَزَعُ؟ قال: يُحْلَقُ بعضُ رأسِ الصَّبيِّ ويُتْرَكُ البعضُ، وأَلحقَ بعضُهم التفسيرَ بالحديثِ.

«**عن نافعٍ، عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يَنْهَى عن القَزَعِ**»، بفتحتين: جمع قَزَعَة، وهي في الأصل قِطْعةٌ من السَّحَاب.

«**قيل لنافع: ما القَزَعُ؟ قال: يَحْلِقُ بعضَ رأسِ الصَّبيِّ ويتركَ البَعْض**»، شَبَّهَ كلَّ قطعةٍ من الشعر المحلوق ما حولَه بِقطْعة سحاب، وجهُ كراهَتِهِ تقبيحُ الصورةِ، وأنه من عادة الكفار.

«**وألحقَ بعضُهم التفسيرَ بالحديث**».

* * *

٣٤١٧ ـ ورُوِيَ عن ابن عمرَ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ رأى صبياً قد حُلِقَ بعضُ رأسِه وتُرِكَ بعضُه، فَنَهاهُمْ عن ذلكَ وقال: «اِحلِقُوا كلَّه، أو اترُكُوا كلَّه».

«ورويَ عن ابن عمَر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: أن النبيَّ ﷺ رأى صَبياً قد حَلَقَ بعضَ رأسِه وتركَ بعضَه، فنهاهم عن ذلك وقال: احلِقُوا كلَّه أو اتركُوا كلَّه»، فيه إشارةٌ إلى أن الحَلْق في غير الحجِّ والعمرة جائزٌ، وأن الرَّجُلَ مخيَّرٌ بين الحَلْقِ وتَرْكِهِ.

* * *

٣٤١٨ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: «لعنَ النبيُّ ﷺ المُخَنَّثينَ مِن الرِّجالِ، والمُترجِّلاتِ من النِّساءِ»، وقال: «أَخرِجُوهم مِن بيوتِكم».

«عن ابن عباسٍ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: لعَنَ النبيُّ ﷺ المُخَنَّثِين من الرجال»، أرادَ بهم المشبَّهين بالنساء في الزِّيِّ واللِّباس والخِضَاب والصُّورة والتَّكَلُّم والحَرَكات والسَّكَنَات، فهذا الفعل منهيٌّ؛ لأنه تغييرٌ لخَلْقِ الله.

«والمترجِّلات من النساء»، وهن المتشبـهات بالرجال زِياً وهيئةً لا رأياً وعلماً؛ لمَا رُوِيَ: أن عائشةَ كانت رَجلَةَ الرأيِ رأيُها كرأي الرجال.

«وقال: أخرجوهم من بيوتكم»، وهذا خطابٌ للرجال بمنعهم المخَنَّثين من دخول بيوتِهم، فيه دليلٌ على أنه لا يجوزُ دخولُهم على النساء.

* * *

٣٤١٩ ـ وعنه قال: لَعَنَ النبيُّ ﷺ المُتَشبـهينَ مِن الرِّجالِ بالنِّساءِ والمتشبـهاتِ مِن النِّساءِ بالرِّجالِ.

«وعنه قال: لعنَ النبيُّ ﷺ المتشبـهين من الرجال بالنساء، والمتشبـهات

من النساء بالرجال».

* * *

٣٤٢٠ ـ عن ابن عمرَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَعَنَ الله الواصِلةَ والمُسْتَوْصِلَةَ، والواشِمَةَ والمسْتَوْشِمَةَ».

«عن ابن عمَر ﷺ: أن النبيَّ ﷺ قال: لعَن الله الواصِلَة»، وهي المرأةُ التي توصِلُ شعراً أجنبياً بشعرها.

«والمستوصِلَة»؛ أي: التي تطلُبُ هذا الفِعْل.

«والواشِمة»، وهي التي تفعَلُ الوشْمَ، وقد مرَّ معناه وبيانه.

«والمستوشِمة»؛ أي: التي تطلُبُ أن يُفْعلَ بها ذلك.

* * *

٣٤٢١ ـ عن عبدِالله بن مسعودٍ قال: لعنَ الله الواشِمَاتِ والمُستوشِماتِ، والمُتنَمِّصَاتِ، والمُتفلِّجاتِ للحُسْنِ المُغيراتِ خلقَ الله، فجاءتهُ امرأةٌ فقالت: إنَّه بلغَني أنكَ لعنتَ كيتَ وكيتَ؟ فقالَ: ما لي لا ألعنُ مَن لَعَنَ رسولُ الله ﷺ، ومَن هو في كتابِ الله! فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللَّوحَينِ، فما وجدتُ فيهِ ما تقولُ؟ قال: لئنْ كنتِ قرأتِهِ لقد وجدْتِه، أَمَا قرأتِ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نَهَى عنه.

«عن عبدالله بن مسعود قال: لعَن الله الواشـماتِ والمستوشماتِ والمتنِّمصَاتِ»، جمع المتنمِّصَة وهي التي تنتِفُ شعرَ الوجهِ بالمِنْمَاص؛ وهو المِنْقَاش.

«والمتفلِّجات»: جمع المتفلِّجَة وهي التي تباعِدُ بين الثنايا والرَّبَاعِيَّات بترقيقِ الأسنان.

«للحُسْنِ»، قد تُنازِع فيه الصِّفاتُ التي قبلَه.

«المغَيِّراتُ خلقَ الله»؛ أي: بالوَصْل والوَشْم ونحوِهما.

«فجاءَتْه»؛ أي: ابن مسعود.

«امرأةٌ فقالت: إنه بلغَني أنكَ لعَنْتَ كيتَ وكيتَ»؛ يعني الواشمات والمستوشمات... إلخ.

«فقال: ما لي لا ألعَنُ مَن لعَن رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم»؛ أي: لعَن رسولُ الله ﷺ هؤلاء.

«ومَن هو في كتاب الله فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللَّوحين»، أرادتْ بهما جِلْدَ أولِ المصحَفِ وآخرَه؛ يعني: قرأتُ جميعَ القرآن.

«فما وجدتُ فيه ما تقولُ، قال: لئن قرأْتيه لقد وجدتيه»، الياء فيهما زائدة حصلَتْ من إشباعِ كسرة التاء.

«أما قرأتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧]؟ قالت: بلى، فإنه قد نهى عنه»؛ يعني: إذا كان العِبادُ مأمورِين بانتهاءِ ما نهاهم الرسول وقد نهاهم ﷺ عن الأشياءِ المذكورة في هذا الحديث وغيرِه، فكان جميعُ منهيَّات الرسولِ ﷺ منهياً مذكوراً في القرآن.

* * *

٣٤٢٢ - عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «العَينُ حَقٌّ»، ونهَى عن الوَشْمِ.

«عن أبي هريرةَ - رضيَ الله تعالى عنه - قال: قال رسولُ الله: العينُ»؛ أي: إصابتُها.

«حَقٌّ»؛ أي: لها تأثيرٌ مَقْضيٌّ به في الأنْفُسِ والأموالِ في الوضع الإلهي

لا شبهةَ فيه.

«ونهى عن الوشم»، لعل اقترانَ النَّهْيِ عن الوشْمِ بإصابة العَيْن رَدٌّ لزعمِ الواشِم أنه يردُّ العين.

* * *

٣٤٢٢/م ـ وقال: «لا تَشِمْنَ وَلاَ تَسْتَوْشِمْنَ».

«**وقال: لا تشِمُوا ولا تستوشِمُوا**».

* * *

٣٤٢٣ ـ وقال ابن عمرَ: لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ مُلَبِّداً.

«**وقال ابن عمرَ: لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ مُلَبِّداً**» بكسر الباء؛ والتلبيدُ إلصاقُ شعرِ الرأسِ بعضَه ببعض بأن يجعَلَ فيه صَمْغاً ليدفعَ القَمْل، ولئلاً يتفرَّقَ شعرُ الرأسِ، وفيه بيانُ جوازِ التَّلْبِيد في غير الإحرام.

* * *

٣٤٢٤ ـ عن أنسٍ ؓ قال: نَهَى النبيُّ ﷺ أنْ يتزعفرَ الرَّجلُ.

«**عن أنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يتزعْفَرَ الرجلُ**»؛ أي: يستعمِلَ الزعفرانَ في ثوبه وبدنِه؛ لأنه عادةُ النساءِ، أما القليلُ منه فيجوزُ؛ لأنه ﷺ لم ينكِرْه لمَّا رآه ببعضِ الصحابة.

* * *

٣٤٢٥ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كنتُ أُطَيِّبُ النبيَّ ﷺ بأطيبِ ما نجدُ، حتى أجدَ وبيصَ الطِّيبِ في رأسِه ولحيتِه.

«عن عائشة ـ رضَي الله تعالى عنها ـ قالت: كنت أطيبُ النبيَّ ﷺ بأطيبِ ما نجِدُ حتى أجدَ وبيصَ الطِّيبِ»؛ أي: بريقَه ولمعانَه **«في رأسِه ولحيتِه»**.

قيل: التوفيقُ بين هذا الحديث وبين قولِه: «طِيبُ الرجالِ ما ظهرتْ رِيُحه وخَفِيَ لونُه» أن يقال: كلُّ طِيبٍ له لونٌ وفيه تشبُّهٌ بالنساء من حيث أنَّ لونَه للتزيين والجَمال كالصفرةِ والحمرةِ فهو حرامٌ على الرجالِ، وما لا فلا، كالمِسْك والعَنْبَر والكافور.

قال بعضُهم: ليس في هذا التوفيقِ توفيقٌ لمكان الوَبِـيص، ويمكن أن يقال: المرادُ من ظهورِ اللونِ ما كان لَوْناً ناشئاً من نَفْسِ الطِّيب كالزعفران مثلاً، وهنا جازَ أن يكونَ الوبيصُ لمخالطتهن.

* * *

٣٤٢٦ ـ وقالَ نافعٌ: كانَ ابن عمرَ إذا استجمرَ استجمرَ بأُلُوَّةٍ غيرِ مُطَرَّاةٍ، وبـكَافُورٍ يطرحُه مع الأُلُوَّةِ ثم قال: هكذا كان يَستجمِرُ رسولُ الله ﷺ.

«وقال نافعٌ: كان ابن عمَر إذا استَجْمَرَ»؛ أي: تبخَّرَ وتعطَّر بالمِجمَرَة.

«استَجْمَر بأَلُوَّةٍ» بفتح الهمزة وضمها أيضاً وضم اللام وتشديد الواو: العودُ الذي يُتبخَّر به.

«غيرِ مُطَرَّاةٍ»؛ أي: غير مربَّاة ولا مطَّيبة بكافور أو عنبر ونحوِه مما يزيدُ في رائحته.

«وبكافورٍ يطرحُه»: صفة كافور.

«مع الأَلُوة، ثم قال: هكذا كان يستَجْمِرُ رسولُ الله ﷺ».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٤٢٧ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: كانَ النبيُّ ﷺ يَقُصُّ ـ أو يأخذُ ـ مِن شاربـه وكانَ إبراهيمُ خليلُ الرَّحمن يفعلُه.

«من الحسان»:

«عن ابن عبَّاسٍ قال: كان النبي ﷺ يقصُّ أو يأخذُ»، شك من الراوي.

«مِن شاربِهِ، وكان إبراهيمُ خليلُ الرحمن يفعلُه».

* * *

٣٤٢٨ ـ عن زيدِ بن أرقمَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن لم يأخذْ مِن شاربـه فليس منا».

«عن زيدِ بن أرقمَ: أنَّ رسولَ الله صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم قال: مَنْ لم يأخذْ من شاربِهِ فليس منا»، وهذا تهديدٌ لمن تركَ هذه السُّنَّة.

* * *

٣٤٢٩ ـ عن عبدِالله بن عمرَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يأخذُ أظفارَه وشارِبَه كلَّ جمعةٍ.

«وروي نحوُه عن عبدالله: أنَّ رسولَ الله كانَ يأخذُ أظفارَه وشارَبه كلَّ جمعَة».

* * *

٣٤٣١ ـ عن عمرِو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يأخذُ مِن لِحيتِه، مِن عرضـها وطولِها. غريب.

«عن عمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جده: أن النبيَّ ﷺ كان يأخذُ من لحيتِه من عَرْضِـها وطولِها»، فتسوية شعر اللِّحْية سُنَّةٌ، وهي أن يَقُصَّ كل شعرةٍ أطولَ من غيرها لتَسْتَوِيَ جميعاً.

«غريب».

* * *

٣٤٣٢ ـ عن يَعْلَى بن مُرَّةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ رأى عليهِ خَلُوقاً فقال: «أَلَكَ امرأةٌ؟» قال: لا، قال: «فاغسِلْه، ثم اغسِلْه، ثم اغسِلْهُ، ثم لا تَعُدْ».

«عن يَعْلَى بن مُرَّة: أن النبيَّ ﷺ رأى عليه خَلُوقاً»، نوعٌ من الطِّيبِ فيه الصُّفْرة.

«فقال: ألك امرأة»؛ أي: إن كان لك امرأةٌ أصابَكَ الخَلُوقُ من بدنِها، أو ثوبِها فأنت معذورٌ.

«قال: لا قال: فاغسِلْه، ثم اغسِلْه، ثم اغسِلْه، ثم لا تَعُدْ»؛ أي: لا ترجِعْ إلى استعمالِه؛ فإنه لا يَليقُ بالرجال.

* * *

٣٤٣٣ ـ عن أبي موسى قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يقبلُ الله صلاةَ رجلٍ في جَسَدِه شيءٌ مِن خَلُوق».

«عن أبي موسى قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا يَقْبَلُ الله صلاةَ رجلٍ»؛ أي: لا كمالَ لصلاة رجلٍ «في جَسَدِه شيءٌ من خَلُوق»، وهذا وعيدٌ وَزْجرٌ عن استعمال الخَلُوق.

* * *

٣٤٣٤ ـ عن عمَّارِ بن ياسرٍ قال: قدِمْتُ على أهلي وقد تَشَقَّقتْ يدَاي فخَلَّقوني بزعفرانَ، فغدوْتُ على النبيِّ ﷺ فسلَّمتُ عليهِ فلم يردَّ عليَّ، وقال: «اذهبْ فاغسلْ هذا عنك».

«عن عمارِ بن ياسرٍ قال: قدمتُ على أهلي، وقد تشقَّقَتْ يداي، فخلَّقُوني بزَعْفَران»؛ أي: جعلُوه في شقوقِ يديَّ للمداواة.

«فغدوتُ على النبي ﷺ»؛ أي: جئتُه وقتَ الغداة.

«فسلَّمْتُ عليه، فلم يردَّ عليَّ وقال: اذهب فاغسِلْ هذا عنك».

* * *

٣٤٣٥ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «طِيْبُ الرِّجالِ ما ظهرَ ريحُه وخَفِيَ لونُه، وطِيبُ النِّساءِ ما ظهرَ لونُه وخفيَ ريحُه».

«وعن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: طِيْبُ الرجالِ ما ظهرَ ريحُه وخَفِيَ لونُه، وطِيْبُ النِّساءِ ما ظهرَ لونُه وخَفِيَ ريحُه».

* * *

٣٤٣٦ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: كانَ لرسولِ الله ﷺ سُكَّةٌ يتطَيَّبُ منها.

«عن أنس ﷺ قال: كان لرسولِ الله ﷺ سُكَّة»، بضم السين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة: نوعٌ من الطِّيبِ عربي، وقيل: السُّكُّ معجونٌ من أنواع الطِّيْبِ، والسُّكَّة قطعةٌ منها.

«يتطَّيبُ منها».

* * *

٣٤٣٧ ـ وعن أنسٍ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ دَهْنَ رأسِه وتسريحَ

لحيتِه، ويُكثِرُ القِناعَ، كأنَّ ثوبَه ثوبُ زيَّاتٍ.

«وعنه: كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ دَهْنَ رأسِه»، بفتح الدال.

«وتسريَح لحِيتهِ، ويُكثِرُ القِناع»؛ أي: يكثر اتخاذَ القِنَاع، وهو الخِرْقَة التي تُجْعَلُ على الرأسِ لحفظِ العِمَامَة عِند التَّدْهِين من الدُّهْن.

«وكأنَّ ثوبَه ثوبُ زيَّات»: لحِرْصِه على التَّدْهين.

* * *

٣٤٣٨ ـ عن أمِّ هانئٍ قالت: قدِمَ رسولُ الله ﷺ علينا بمكَّةَ قَدْمةً ولهُ أربعُ غدَائر.

«عن أم هانئ قالت: قَدِمَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا مكةَ قَدْمةً»، وهي مرة من القُدُوم.

«وله أربعُ غدائرَ»؛ جمع غديرة: وهي الضَّفِيرة والذُّؤَابة.

* * *

٣٤٣٩ ـ وقالت عائشةُ رضي الله عنها: كنتُ إذا فَرقتُ لرسولِ الله ﷺ رأسَه صَدَعْتُ فرقَهُ عن يَافُوخِهِ، وأرسلتُ ناصيتَهُ بينَ عينيهِ.

«وقالت عائشةُ: كنتُ إذا فَرَقْتُ لرسولِ الله ﷺ رأسَه»؛ أي: إذا قَسَمْتُ شعرَ رأسِه قِسْمين أحدُهما من جانبِ يمينِهِ، والآخر من جانب يَسارِه.

«صَدَعْتُ»؛ أي: شَقَقْتُ.

«فَرْقَه»، بالفتحات: هو الخطُّ الظاهرُ بين شعرِ الرأسِ إذا قُسِمَ نصفين وهو بياضُ بَشَرَةِ الرأس.

«عن يافوخِه»، وهو مؤخَّرُ الرأسِ مما يلي القَفَاء، يعني كان أحدُ طَرَفي

ذلك الخَطِّ عند اليافُوخِ والآخرُ عند جبهته.

«وأرسلْتُ ناصيتَه»؛ أي: شعرَ ناصيتِه.

«بين عينيه»، بحيث يقعُ نِصْفَ شعرِ ناصيتِهِ من جانبِ يمينه، والآخرُ من جانب يساره.

* * *

٣٤٤٠ ـ عن عبدِالله بن مُغَفَّلٍ قال: نهىَ رسولُ الله ﷺ عن التَّرجُّلِ إلا غِبّاً.

«عن عبدالله ابن مغفَّل قال: نهى رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الترجُّل»؛ أي: التمشُّط.

«إلا غِبّاً»، وهو أن يَفْعلَ يوماً ويتركَ يوماً، والمرادُ هنا النهيُ عن دوام تسريحِ الشعر وتدهينِه؛ لأنه مبالغة في التزيين والتَّنْعِيم إلا حيناً بعد حين.

* * *

٣٤٤١ ـ قال رجلٌ لفُضالةَ بن عُبَيْد: مالي أراكَ شَعِثاً؟ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ ينهانا عن كثيرٍ مِن الإِرْفَاهِ، قال: مالي لا أَرَى عليكَ حِذَاءً؟ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يأمُرنا أنْ نَحتَفِي أحياناً.

«قال رجلٌ لفُضالَة بن عُبيد: ما لي أراك شَعِثاً؟»؛ أي: متفرِّقَ الشعر.

«قال: إن رسولَ الله ﷺ كان ينهانا عن كثيرٍ من الإِرْفاه»، بكسر الهمزة على المصدر معناه: الترجُّل والتَّدْهِين كلَّ يوم، مأخوذٌ مِن: رَفَهَتِ الإبل ترفُه رُفُوهاً ورَفَهاً وردتِ الماءَ كلَّ يومٍ متى شاءت، ومنه الرفاهية، وهي الخَفْضُ والدَّعَة، وفي معناه مظاهرةُ اللِّباس على اللباس، والطعامِ على الطَّعام، كعادة الأعاجم، فإنَّ كثرةَ التنُّعم تجعلُ النَّفْسَ متكبـرةً غافلةً، ولأنَّ اعتيادَ ذلك قد

يضُرُّ؛ لأنه ربما حدَثَ به فقرٌ وسوءُ عيشٍ فيشُقُّ عليه.

«قال»؛ أي: الرجلُ لفُضَالةَ:

«ما لي لا أرى عليك حِذاءً؟»؛ أي: نعلاً، وإنما قال عليكَ؛ لأن النعلَ لها اشتمالٌ على الرِّجْل.

«قال»؛ أي: فُضَالَة: **«كان رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمُرُنا أن نَحْتَفِيَ»؛** أي: نَمْشِي حافياً **«أحياناً»** تواضعاً وكَسْراً للنفس، وليتمكَّن ذلك عند الاضطرار إليه.

* * *

٣٤٤٢ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن كانَ له شعرٌ فليُكْرِمْهُ».

«وعن أبي هريرة: أن النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم قال: من كان له شعرٌ فليُكْرِمْه» بالتدهين والترجيلِ بلا مبالَغة، والتنظيفِ بالغَسْل.

* * *

٣٤٤٣ ـ وعن أبي ذرٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحسنَ ما غُيـرَ بهِ الشَّيْبُ: الحِنَّاءُ والكَتَمُ».

«عن أبي ذَرٍّ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنَّ أحسنَ ما غُيـرَ به الشيبُ الحِنَّاءُ والكَتَمُ» بفتحتين والتخفيف: نبتٌ يخلَطُ بالوسمة، ويصبَغُ به الشعرُ؛ أي: الشَّيْبُ يُخضَبُ بالحِنَّاء تارةً فيكون لونُه أحمرَ، وبالكَتَم أخرى فيكون لونه أخضرَ، فالمرادُ استعمالُ كلٍّ منهما مفرَداً، إذ لو خُلِطَ الحِنَّاءُ بالكَتَم، أو خُضـبَ بالحِنَّاء، ثم بالكَتَم يكونُ لونُه أسودَ، واللونُ الأسودُ منهيٌّ عنه، فالواو تكون بمعنى (أو).

والظاهر: أن المرادَ تفضيلُهما في تغييرِ الشيبِ بهما على غيرِهما، لا بيانُ كيفيةِ التغيير.

* * *

٣٤٤٤ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ: أنه قال: «يكونُ قومٌ في آخرِ الزَّمانِ يخضــبُونَ بهذا السَّوَادِ، كحَوَاصِلِ الحَمَامِ، لا يَجِدُون رائحةَ الجنَّةِ».

«**عن ابن عباسٍ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: يكونُ قومٌ في آخرِ الزمانِ يَخْضبُون**»؛ أي: الشعرَ الأبيضَ «**بهذا السَّوَادِ كحواصِلِ الحَمَام**»؛ أي: في برقه، وحوصلةُ الحَمَام معدتُه، والمرادُ هنا صدرُه، وليس جميعُ الحمائِمِ حواصِلُها سودٌ بل بعضُها.

«**لا يجِدُون رائحةَ الجَنَّة**»، يرادُ به التهديدُ والتَّشْدِيدُ.

* * *

٣٤٤٥ ـ عن ابن عمرَ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يلبَسُ النِّعالَ السِّبْتيَّة، ويُصَفِّرُ لحيتَهُ بالوَرْسِ والزَّعفرانِ، وكانَ ابن عمَر ﷺ يفعلُ ذلكَ.

«**عن ابن عمَر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: أن النبيَّ ﷺ كان يلبَسُ النِّعالَ السِّبْتيةِ**»، والسِّبْتُ ـ بالكسر ـ: جلودُ البقر المدبوغة بالقرظ، وهو ورق السلم يُتَّخَذُ منها النعال، سُمِّيت بها؛ لأن شعورَها قد سُبِتَ عنها؛ أي: حُلِقَتْ وأُزِيلَتْ بالدِّبَاغ.

«**ويُصَفِّر لحيتَه**»: من التصفير؛ أي: يجعلها أصفر.

«**بالوَرْس**»: وهو نبتٌ أصفرُ يكونُ باليمن.

«**والزَّعفرانِ، وكانَ ابن عمر يفعلُ ذلك**».

* * *

٣٤٤٦ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: مرَّ على النبيِّ ﷺ رجلٌ قد خَضَبَ بالحِنَّاءِ فقال: «ما أحسنَ هذا!» قال: فمرَّ آخرُ قد خضبَ بالحِنَّاءِ والكَتَم، فقال: «هذا أحسنُ مِن هذا!» ثم مرَّ آخرُ قد خضبَ بالصُّفْرَةِ فقال: «هذا أحسنُ مِن هذا كلِّه».

«عن ابن عباسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: مرَّ على النبيِّ ﷺ رجلٌ قد خضبَ»؛ أي: شعَره بالحِنَّاء، فقال: ما أحسنَ هذا! قال: فمرَّ آخرُ وقد خضَبَ شعرَه «بالحِنَّاء والكتَم، فقال: هذا أحسُن من هذا، ثم مرَّ آخرُ قد خضبَ بالصُّفرَة، فقال: هذا أحسُن مِن هذا كلِّه».

* * *

٣٤٤٧ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «غَيـرُوا الـــشَّيْبَ، ولا تَشَبَّهوا باليهودِ».

«عن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه تعالى عليه وسلم: غيـرُوا الشَّيْبَ ولا تَشَبَّهُوا باليهود»؛ أي: لا تَشَبُّهوا بهم في تَرْكِ خضابِ الشَّيْب.

* * *

٣٤٤٨ ـ عن عمرِو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَنتِفُوا الشَّيْبَ فإنه نورُ المسلمِ، مَن شابَ شيبةً في الإسلامِ كتبَ الله لهُ بها حسنةً، وكفَّر عنه بها خطيئةً، ورفَعهُ بها درجةً».

«عن عمروِ بن شُعَيب، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تَنْتِفُوا الشَّيْب»؛ أي: لا تقلَعُوه «فإنه نورُ المُسْلِم»؛ لأنه يمنُع عن الغرور، ويدْعُو إلى الإنابة إلى دارِ السُّرور، ويكسِرُ الشهواتِ، ويُميلُ

إلى الطاعات، وكلُّ ذلك موجِبٌ للثواب المُفْضي إلى النُّورِ في دار المآب.

«مَنْ شابَ شيبةً في الإسلام كتَب الله له بها حسنةً، وكَفَّرَ عنه بها خطيئةً، ورفَعه بها درجةً»، وأولُ مَن شابَ من بني آدم كان إبراهيمُ خليلُ الله، فلَّما رأى الشيبَ في لحيتِه، فقال: ما هذا يا ربِّ؟ فقال الله تعالى: هذا الوَقَارُ، فقال إبراهيم ـ عليه السلام ـ: يا ربِّ! زِدْني وقاراً.

* * *

٣٤٤٩ ـ عن كعبِ بن مُرَّةَ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «مَن شابَ شَيْبةً في الإسلامِ، كانتْ لهُ نُوراً يومَ القيامةِ».

«عن كعب بن مرَّة: عن رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: مَن شابَ شيبةً في الإسلام كانَت له نوراً يوم القيامة»؛ أي: ضياءً ومُخلِّصاً عن شِدَّة القيامة.

* * *

٣٤٥٠ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كنتُ أَغتسِلُ أنا ورسولُ الله ﷺ مِن إناءٍ واحدٍ، وكانَ لهُ شعرٌ فوقَ الجُمَّةِ ودونَ الوَفْرةِ.

«عن عائشةَ ـ رضي الله تعالى عنها ـ: كنتُ أغتسِلُ أنا ورسولُ الله من إناء واحدٍ، وكان له شعرٌ فوق الجُمَّة»، بضم الجيم وتشديد الميم: الشعرُ الذي يكونُ إلى المَنْكِب.

«ودون الوَفْرَة»، وهي ـ بالفتح ـ الشعرُ الذي إلى شَحْمةِ الأذن، واللِّمَّة دون الجُمَّةَ؛ لأنها ألَمَّتْ بالمَنْكِبَين، فإذا زادتْ فهي الجُمَّة، ودون الوَفْرَة، وقيل: الجُمَّة أطولُ من الوَفْرة، واللِّمَّة أطولُ من الجُمَّة، فعلى هذا معناه: أنه بين الجُمَّة والوَفْرَة.

* * *

٣٤٥١ ـ وقال ابن الحَنْظَلِيَّةِ ـ رجلٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ ـ قال النبيُّ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجلُ خُرَيْم الأَسْديُّ لَوْلاَ طولُ جُمَّتِه وإسبالُ إزارِه»، فبلغَ ذلكَ خُرَيْماً فأخذَ شَفْرَةً فقطعَ بها جُمَّتَه إلى أُذُنَيْهِ، ورفعَ إزاره إلى أنصافِ ساقَيْهِ.

«**وقال ابن الحَنْظَلِيَّة رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ نِعْمَ الرجلُ خُرَيمٌ الأسديُّ لولا طولُ جُمَّتِهِ**»، وطولُ الشعر ليس مذموماً، ولعله ﷺ رأى في هذا الرجل تبختراً بطول جُمَّتِهِ، فأرادَ تقصيرَها منه.

«**وإسبالُ إزارِه**»؛ أي: إطالَةُ ذيلِهِ.

«**فبلغَ ذلك خُرَيماً، فأخذ شَفْرةً**»؛ أي: سِكِّيناً.

«**فقطَع بها جُمَّتَه إلى أذنيه، ورفعَ إزارَه إلى أنصاف ساقيه**»، وفي الحديثِ دليلٌ على جوازِ ذِكْرِ المسلمِ أخاه الغائبِ بما فيه مكروهٌ شرعاً إذا عَلِمَ تركَه لو سمعَه.

* * *

٣٤٥٢ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: كانت لي ذُؤَابةٌ فقالَت لي أمِّي: لا أَجُزُّهَا، كانَ رسولُ الله ﷺ يمدُّها ويأخذُها.

«**عن أنسٍ ﷺ قال: كانَت لي ذُؤَابةٌ، فقـالت لي أمي: لا أَجُزُّها**»؛ أي: لا أقطعُها.

«**كان النبيُّ ﷺ يمدُّها ويأخذُها**»؛ أي: يلعَبُ بها؛ لأنه ﷺ كان ينبسِطُ معه، وقيل: يمدُّها حتى يصلَ الأذن، ثم يقطعُ الزائدَ من الأُذُن.

* * *

٣٤٥٣ ـ عن عبدِالله بن جَعْفَرٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ أمهلَ آلَ جعفرٍ ثلاثاً، ثم

أَتاهم فقالَ: «لا تَبْكُوا على أخي بعدَ اليوم»، ثم قال: «ادْعُوا لي بني أخي»، فجيءَ بنا كأننا أفرُخٌ، فقال: «ادْعُوا لي الحلاقَ»، فأمَرَهُ فحلق رؤوسَنَا.

«عن عبدالله بن جعفر: أن النبيَّ ﷺ أمهلَ آل جعفر» بن أبي طالب؛ أي: تركَ أهلَه بعد وفاته يبكُون عليه.

«ثلاثاً»؛ أي: ثلاثةَ أيام، وإنما ثلاثاً اعتباراً بالليالي، وهذا يدلُّ على أن البكاءَ على الميت من غير نَدْب، ونياحةٍ جائزٌ ثلاثةَ أيام.

«ثم أتاهم فقال: لا تَبْكُوا على أخي بعد اليوم»، وهذا يدلُّ على أن المستَحبَّ ألاَّ يزادَ في البكاء على الميت والتعزيةِ فوقَ ثلاثةِ أيام، وسمَّى جعفراً الطيارَ أخاً توسُّعاً؛ لأنه ابن عمِّه وأخوه في الدين.

«ثم قال: ادْعُوا لي بني أخي»، وهم عبدالله، وعوف، ومحمد.

«فجيء بنا كأننا أَفْرُخٌ»: جمع الفرخ ولدُ الطير؛ أي: كُنَّا صغاراً.

«فقال: ادْعُوا لي الحَلاَّق فأمره فَحَلقَ رؤوسَنا»، وإنما حلقَ رؤوسَهم لمَا رأى من اشتغالِ أمِّهم عن تَرْجيل شعورِهم بما أصابهَا مِن قَتْل زوجِها في سبيل الله، فأشفقَ عليهم الوسَخَ والقَمْلَ، وهذا يدلُّ على أن للوَلِيِّ التصرفَ في الأطفال حَلْقاً وخِتَاناً.

* * *

٣٤٥٤ ـ عن أمِّ عطيَّةَ الأنصاريةَ: أنَّ امرأةً كانت تختِنُ بالمدينةِ، فقالَ لها النبيُّ ﷺ: «لا تُنْهِكِي، فإنَّ ذلِكَ أَحْظَى للمرأةِ وأحبَّ إلى البعلِ».

«عن أم عطيةَ الأنصاريةِ: أن امرأةً كانت تختِنُ بالمدينةِ، فقالَ النبيُّ ﷺ لها: لا تُنْهِكِي»؛ أي: لا تبالِغي في القَطْع، ولا تَسْتَقْصِي في الخِتَان.

«فإنَّ ذلك»؛ أي: عدمَ النَّهْكِ.

«أَحْظَى»؛ أي: أَنفَعُ «للمرأةِ، وأحبُّ إلى البَعْل»، وهو الزوجُ، فإنه إذا بولغَ في خِتَانِها لا تَلْتَذُّ هي ولا هو.

* * *

٣٤٥٥ ـ ورُوِيَ: أنَّ امرأةً سألت عائِشَةَ رضي الله عنها عن خِضَابِ الحِنَّاءِ؟ فقالت: لا بأسَ ولكِنِّي أَكرهُهُ، كانَ حبيبي ﷺ يكرهُ ريحَهُ.

«رويَ أن امرأةً سألتْ عائشةَ عن خِضَابِ الحِنَّاء، فقالت: لا بأسَ، ولكنِّي لا أكرَهُه، كان حبيبي»؛ أي: أرادت به النبيَّ «ﷺ يكرَهُ ريحَه».

* * *

٣٤٥٦ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ هنداً بنتَ عتبةَ قالت: يا نَبيَّ الله بايِعْني؟ فقالَ: «لا أُبايُعكِ حتى تُغَيـري كفَّيْكِ، فكأنَّهما كَفَّا سَبُعٍ».

«عن عائشةَ: أن هنداً بنت عُتْبةَ قالت: يا نبيَّ الله بايعني؟ فقال: لا أُبايـعُكِ حتى تُغَيـري كفَّيْكِ»؛ أي: بخضابِ الحِنَّاء.

«فكأنهما كَفَّا سَبُعٍ»، وهذا يدُّل على شِدَّةِ استحبابِ الخِضَابِ بالحِنَّاء للنِّساء.

* * *

٣٤٥٧ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: أَوْمَأَتْ امرأةٌ مِن وراءِ سِتْرٍ، في يدها كتابٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقبضَ النبيُّ ﷺ يدَه، فقال: «ما أَدري أَيَدُ رَجُلٍ؛ أَمْ يدُ امرأةٍ؟» قالت: بل يدُ امرأةٍ، قال: «لو كنتِ امرأةً لغيَّرتِ أظفاركِ»؛ يعني بالحِنَّاء.

«عن عائشةَ قالت: أومَأْتِ امرأةٌ»؛ أي: أشارتْ «من وراء سِتْرٍ، بيدِها

كتابٌ إلى رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم»، متعلق بـ (أومأَت).

«فقبضَ النبيُّ ﷺ يدَه، وقال: ما أدْرِي أيدُ رَجُلٍ أم يدُ امرأة؟، قالت: بل يدُ امرأة، قال: لو كنتِ امرأةً»؛ أي: لو كنتِ تُراعِين شِعَارَ النساء «لَغَيَّرتِ أظفارَكِ»؛ يعني بالحِنَّاء.

* * *

٣٤٥٨ ـ عن ابن عبَّاسٍ قال: لُعِنَتْ الواصِلةُ والمُستَوْصِلَةُ، والنَّامِصةُ والمُتنمِّصةُ، والواشِمةُ والمُستَوْشمةُ، مِن غيرِ داءٍ.

«عن ابن عباسٍ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: لُعِنَت الواصلةُ والمستوصِلَةُ، والنَّامِصَةُ والمتنمِّصَةُ، والواشِمَةُ والمستوشِمةُ من غير داء»؛ أي: من غير عِلَّة؛ يعني: لو كان بها عِلَّةٌ فاحتاجتْ إلى أن تكونَ يدُها للمداواةِ جازَ.

* * *

٣٤٥٩ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: لَعَنَ رسولُ الله ﷺ الرَّجلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المرأةِ، والمرأةَ تَلْبَسُ لِبسةَ الرجلِ.

«عن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: لعَن رسولُ الله ﷺ الرجلَ يَلبَسُ لِبسةَ المرأة، والمرأةُ تلبَسُ لِبسَةَ الرجل».

* * *

٣٤٦٠ ـ وقيلَ لعائشةَ رضي الله عنها: إنَّ امرأةً تلبَسُ النَّعلَ! قالت: لعنَ رسولُ الله ﷺ الرَّجُلَة مِن النِّساءِ.

«وقيل لعائشة: إن امرأَة تَلبَسُ النعلَ، قالت: لعَن رسولُ الله ﷺ الرَّجُلَةَ من النِّساء»، وهي التي تُشبه نفسَها بالرجال في الكلام واللِّباس.

* * *

٣٤٦١ ـ عن ثوبانَ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا سافرَ كانَ آخرُ عهدِه بإنسانٍ مِن أهلِه فاطمةَ، وأولُ مَن يدخلُ عليها فاطمةَ، فقَدِمَ مِن غَزَاةٍ وقد عَلَّقتْ مِسْحاً أو سِتْراً على بابِها، وحَلَّتِ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ قُلْبَينِ مِن فِضَّةٍ، فقَدِمَ فلم يدخلْ، فظنَّت أنَّما منعَه أنْ يدخلَ ما رَأَى، فَهتكَتْ السِّترَ وفكَّتِ القُلْبينِ عن الصَّبيَّيْنِ وقطعَتهُ منهما، فانطلقَا إلى رسولِ الله ﷺ يبكيانِ، فأخذه منهما وقال: «يا ثوبانُ! اذهبْ بهذا إلى آلِ فلانٍ، إنَّ هؤلاءِ أهلي أَكْرَهُ أنْ يأكلوا طيباتِهم في حياتِهم الدُّنيا، يا ثوبانُ اشترِ لفاطمةَ قِلادَةً مِن عَصَبٍ وسِوَارَيْنِ من عاجٍ».

«عن ثوبانَ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا سافرَ كان آخرُ عهدِهِ بإنسانٍ من أهله فاطمةَ، وأولُ مَن يدخلُ عليها فاطمةُ، فَقَدِمَ مِن غزاةٍ»، أصله غَزَوَة، نُقِلَتْ حركةُ الواو إلى الزاي فَقِلبتْ ألفاً لعروض سكونها.

«وقد عَلَّقتْ»؛ أي: فاطمةُ «مِسْحاً»؛ أي: بَلاساً، «أو سِتراً على بابها، وحلَّتْ»، أصلُه: حَلَّيَتْ، فقلبت الياءُ ألفاً وحُذِفَت؛ أي: زَيَّنَتْ «الحسنَ والحسينَ قُلْبَيْنِ»: بضم القاف؛ أي: سِوارَين «من فِضَّة، فقَدِمَ»؛ أي: النبيُّ ﷺ، وهو تأكيدٌ لـ (قَدِمَ) الأوّل.

«فلم يَدْخُلْ» بيتَ فاطمة.

«فظَنَتْ أَنَّما» ـ بفتح الهمزة ـ «منعَه أن يدخُلَ ما رأى»، يحتمل أن تكونَ (ما) في (أنما) كافة، وفاعل (منعه) ما رأى تقديره: ما منعَه من الدُّخُول إلا ما رآه من تعليقِ السِّتْر وتحليةِ الحَسَن والحُسَين، ويحتملُ أن تكونَ موصولةً و(منعَه) صِلتُه، وفاعله ضمير يعود إلى (ما)، وما رأى خبر (أن)، فتقديره: أن الذي منعه من الدخول ما رآه، فعلى هذا تكتَبُ (ما) منفصلة.

«فَهتكَتِ السِّتْر»؛ لظنها أنه ﷺ كرهَه للصُّورَ فيه، أو للتجَمُّل والزِّينة.

«وفَكَّت»؛ أي: فصَلَتِ «القُلْبَين عن الصَّبيَّين وقَطَعَتْه منهما، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ يبكِيان فأخذَه»؛ أي: النبيُّ ﷺ القُلْبَ.

«منهما، فقال: يا ثوبانُ! اذهبْ بهذا»، أشار به إلى دراهمَ، أو دنانيرَ أعطاها ثوبان، أو إلى القُلْبَين.

«إلى آلِ فلانٍ، إنَّ هؤلاء أَهْلِي أكرَهُ أن يأكلُوا طَيباتِهم»؛ أي: أن يَتَلَذَّذُوا بطيبِ طعامٍ ولبسٍ نفيسٍ، بل أختارُ لهم الفقرَ والرِّياضَة.

«في حياتِهِم الدُّنيا، يا ثوبان! اشترِ لفاطمة قلادةً من عَصْبٍ»، بفتح العين وسكون الصاد المهملتين: سِنُّ دابةٍ بحريةٍ تسمَّى فَرَسَ فِرْعَون، يُتَّخذُ منه الخَرَزُ البيضُ ونصابُ السِّكِّين وغيره، وهي لغة يمانِيَة.

«وسوارين مِن عاجٍ»، وهو عظم الفيل.

* * *

٣٤٦٢ - عن ابن عبَّاسٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اكتحِلُوا بالإثمدِ فإنه يَجْلُو البَصرَ، ويُنْبِتُ الشَّعرَ» وزعم: أنَّ النبيَّ ﷺ كانتْ لهُ مُكْحُلَةٌ يكتحلُ بها كلَّ ليلةٍ ثلاثةً في هذه، وثلاثةً في هذه.

«عن ابن عباسٍ - رضي الله تعالى عنه -: أن النبيَّ ﷺ قال: اكتحِلُوا بالإثمد»: - بكسر الهمزة -، هو الحَجَرُ المعدنِي يُكتحَلُ به.

«فإنه يجلُو البَصَر»؛ أي: يزيدُ نورَ العَيْن.

«ويُنْبِتُ الشَّعْر»؛ أي شعرَ أهداب العَيْن.

«وزعمَ»؛ أي: ابن عباس.

«أن النبيَّ ﷺ كانت له مُكْحُلَةٌ»، بضم الميم والحاء: هي التي فيها الكُحْل.

«يَكْتَحِلُ بها كلَّ ليلةٍ ثلاثةً في هذه وثلاثةً في هذه»، وهذا يدلُّ على [أن] السُّنةَ في الاكتحالِ الإيتارُ في كُلِّ عين.

* * *

٣٤٦٣ ـ وعن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: كانَ النبيُّ الله ﷺ يكتحلُ قبلَ أنْ ينامَ بالإثمدِ ثلاثاً في كلِّ عينٍ، قال: وقال: «إنَّ خيرَ ما تَدَاوَيْتُم به اللَّدُودُ، والسَّعُوطُ، والحِجَامَةُ، والمَشِيُّ، وخيرَ ما اكتحَلْتُم بهِ الإثمدُ، فإنه يجلُو البصرَ ويُنْبِتُ الشعرَ، وإنَّ خيرَ ما تَحتجِمونَ فيهِ يومُ سبعَ عشرةَ، ويومُ تسعَ عشرةَ، ويومُ إحدى وعشرينَ»، وإنَّ رسولَ الله ﷺ حيثُ عُرِجَ بهِ ما مَرَّ على ملأٍ مِن الملائكةِ إلا قالوا: عليكَ بالحِجَامةِ. غريب.

«وعنه: كان النبيُّ ﷺ يكتحِلُ قبل أن ينامَ بالإثمد ثلاثاً في كل عينٍ، قال»؛ أي: ابن عباس.

«وقال»؛ أي: النبي ﷺ: «إن خيرَ ما تداويتُم به اللَّدُود» بفتح اللام: ما سُقيَ المريضُ في أحدِ شِقَّي فَمِه.

«والسَّعُوطُ»، بفتح السين: ما يُصَبُّ في الأنفِ من الدواء.

«والحِجامَةُ، والمَشِيُّ»، بفتح الميم، وكسر الشين المعجمة، وتشديد الياء، ويجوز ضم الميم وكسرها، وهو الدواءُ المُسْهِل، فَعِيل مِن المشي؛ لحملهِ شاربَه على المشيِ إلى الخَلاَء.

«وخيرُ ما اكتحلتُم به الإثْمدُ، فإنه يجلُو البصرَ ويُنْبِتُ الشَّعْر، وإنَّ خيرَ ما تحتجِمُون فيه يومَ سبعَ عشرةَ، ويوم تسعَ عشرةَ، ويومَ إحدى وعشرين، وإنَّ رسول الله حيث عُرِجَ به»؛ أي: حين عُرِجَ به إلى السماء ليلةَ المعراج.

«ما مرَّ على ملأٍ»؛ أي: جماعةٍ من الملائكة.

«إلا قالوا: عليكَ بالحِجَامة»: بكسر الحاء المهمَلَة؛ أي: الزمِ الحِجَامة، قيل: وجهُ مبالغةِ الملائكةِ فيها أن الدَّمَ أصلُ القِوى الحيوانية، فإذا نزفَ ضعفت الموادُّ السفليّةُ وتهذيب الروح القدسية.

«غريب».

* * *

٣٤٦٤ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى الرِّجالَ والنِّساءَ عن دخولِ الحَمَّاماتِ، ثم رخَّصَ للرِّجالِ أنْ يدخلُوا بالميازِرِ.

«عن عائشةَ ـ رضي الله تعالى عنها ـ: أن النبيَّ ﷺ نهى الرجالَ والنساءَ من دخولِ الحمَّاماتِ، ثم رخَّصَ للرجال أن يدخلُوها بالمَيازر»، بفتح الميم: جمع المئزر، وهو الإزارُ، دون النِّساء؛ لأن جميعَ أعضائِهنَّ عورةٌ وكشفها غيرُ جائزٍ إلا عند الضرورة بأن اقتضت الحاجُة إلى دخولِ الحَمَّام بأن تكونَ مريضةً فتدخل للتداوي، أو انقطعَ حَيْضُها، أو تكون جُنُباً، والبَرْدُ شديدٌ فجازَ لها دخولُ الحَمَّام.

* * *

٣٤٦٥ ـ عن أبي المَليحِ قال: قَدِمَ على عائشَةَ رضي الله عنها نِسوةٌ مِن أهلِ حمْصَ فقالت: مِن أينَ أَنْتُنَّ؟ قُلْنَ: مِن الشامِ، قالت: فلعلَّكُنَّ مِن الكُورةِ التي تدخلُ نِسَاؤها الحمَّامَاتِ؟ قُلْنَ: بلى، قالت: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تخلعُ امرأةٌ ثيابَها في غيرِ بيتِ زوجِها إلا هَتَكَتْ السِّترَ بينَها وبينَ ربـها».

وفي روايةٍ: «في غيرِ بيتِها إلا هتكَتْ سِترَها فيما بينَها وبينَ الله ﷻ».

«عن أبي المَلِيح» بفتح الميم.

«قال: قَدِمَ على عائشةَ نسوةٌ من أهل حِمْص»، بكسر الحاء وسكون الميم، بلدة من الشام.

«فقالت: من أين أنتنَّ؟ قلن: مِن الشام، قالت: فلعلَّكن من الكُورَة»: من البلدة، أو الناحية «التي تدخلُ نساؤُها الحَمَّامات؟ قلن: بلى»، فيه دليلٌ على أن العربَ تستعملُ (بلى) في تصديقِ ما بعدَ النفي وغيرِه.

«قالت: فإني قد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لا تخلَعُ امرأةٌ ثيابَهَا في غير بيتِ زوجِها إلا هتكتْ السِّتْرَ بينَها وبين ربـها»؛ لأنها مأمورةٌ بالتستُّر والتحفُّظ من أن يَراها أجنبيٌّ حتى لا يجوزَ لهنَّ أن يكشِفْنَ عورتَهنَّ في الخَلْوة أيضاً إلا عند أزواجِهِنَّ، فإذا كشفتْ أعضاءَها في الحَمَّام من غير ضرورةٍ، فقد هَتَكَتِ السِّتْرَ الذي أمرَها الله به.

«وفي رواية: في غير بيتها إلا هتكت سترها فيما بينها وبين الله ﷻ».

* * *

٣٤٦٦ ـ عن عبدِالله بن عمرٍو: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنها ستُفْتَحُ لكم أرضُ العجمِ، وستجدُونَ فيها بُيوتاً يقالُ لها الحمَّاماتِ، فلا يَدخُلَنَّها الرِّجالُ إلا بالأُزُرِ، وامنعُوها النِّساءَ إلا مريضةً أو نفساءَ».

«عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: إنها»، ضمير القصة.

«سَتُفْتَح لكم أرضُ العَجَم، وستَجِدُون فيها بيوتاً يقالُ لها الحَمَّامات»، أسندَ الوجدانَ إليهم دون الفَتْح؛ لأنَّ الفتحَ ليس مضافاً إلى فِعْلِهم بل بتأييدٍ منه تعالى.

«فلا يدخلَنَّها الرجالُ إلا بالأُزُر»، جمع الإزار.

«وامنعُوها النساءَ إلا مريضةً، أو نُفَسَاءَ»، وهذا يدلُّ على أنه لا يجوزُ لهنَّ دخولُ الحَمَّام إلا بعُذْر.

* * *

٣٤٦٧ ـ عن جابرٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يدخل الحَمَّامَ بغيرِ إزارٍ، ومَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الحَمَّامَ، ومَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يجلسْ على مائدةٍ تُدَارُ عليها الخَمْرُ».

«عن جابرٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبيَّ ﷺ قال: مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يدخلِ الحَمَّام بغيرِ إزارٍ، ومَنْ كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يُدخِلْ حليلتَه»؛ أي: امرأتَه «الحَمَّامَ، ومَنْ كان يؤمِنُ بالله واليوم الآخرِ فلا يجلِسْ على مائدة»؛ أي: على خِوان «تدارُ عليها الخَمْر»؛ أي: يُشْرَبُ فيها الخَمْر.

* * *

٥ ـ باب

التَّصاويرِ

«باب التصاوير»: جمع التصوير، وهو فِعْلُ الصُّورة، والمرادُ بها صورُ الحيوانات التي تكونُ على حائطٍ أو سِتْر.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٤٦٨ ـ عن أبي طلحةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيهِ كلبٌ ولا تصاويرُ».

«من الصحاح»:

«عن أبي طَلْحَةَ قال: قال رســولُ الله صــلى الله تعالى عليه وســلم: لا تدخلُ الملائكةُ»، المراد بهم غير الحَفَظَة.

«بيتاً فيه كَلْبٌ»، يعمُّ جميعَ أنواعِ الكِلاَب، وقيل: يختصُّ بما لا يجوزُ اقتناؤُه منها.

«ولا تصاويرُ»، جميع تصويرٍ، يعمُّ جميعَ أنواعِ الصُّوَر، وقد رخَّصَ بعضٌ فيما كان في الأنماطِ المَوْطُوءة بالأَرْجُلِ.

* * *

٣٤٦٩ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، عن مَيْمونةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ أصبحَ يوماً وَاجِماً وقال: إنَّ جبريلَ كانَ وَعَدَني أنْ يلقَاني الليلةَ فلَمْ يَلْقَني! أَمَا والله ما أَخْلَفَني»، ثم وقعَ في نفسِه جَرْوُ كلبٍ تحتَ فُسْطَاطٍ، فأَمرَ بهِ فأُخرِجَ ثم أخذَ بيدِه ماءً فنضحَ مَكَانَهُ، فلمَّا أَمسَى لقيَهُ جبريلُ، فقالَ لهُ: «قد كنتَ وعدتَني أنْ تَلقَاني البارحةَ؟» فقال: أَجَلْ، ولكِنَّا لا ندخُل بيتاً فيهِ كلبٌ ولا صورةٌ، فأَصبحَ رسولُ الله ﷺ يومئذٍ فأمرَ بقتلِ الكلابِ، حتى إنَّه يأمرُ بقتلِ كلبِ الحائطِ الصَّغيرِ، ويتركُ كلبَ الحائطِ الكبيرِ.

«عن ابن عباسٍ، عن ميمونَةَ: أن النبيَّ ﷺ أصبحَ يوماً واجماً»؛ أي: حزيناً.

«وقال: إن جبريلَ كان وعدَني أن يلقاني الليلةَ فلم يلقَني، أَمَ»، أصلُه (أَمَا) للتنبيه حُذِفت الألف تخفيفاً.

«والله ما أَخْلَفَني» جبريلُ في الوعد.

«ثم وقعَ في نفسِه جروُ كلبٍ»؛ أي: خطرَ في نفسِ النبيِّ ﷺ أن جبريلَ

إنما لم يأتِهِ الليلة للجَرْوِ الذي رآه.

«**تحت فُسْطاطٍ**» بضم الفاء، أي: خيمة.

«**فأمرَ به**»؛ أي: بإخراجِ الجَرْو.

«**فأُخْرِجَ، ثم أخذَ بيده ماءً فنضَحَ مكانَه**»؛ أي: رشَّ مكانَ الجَرْو.

«**فلمَّا أمسى لقيَه جبريلُ ـ عليه السلام ـ فقال له: قد كنتَ وعدتَني أن تلقاني البارحةَ، قال أجل**»؛ بمعنى: نعم.

«**ولكنَّا لا ندخلُ بيتاً فيه كَلْبٌ ولا صورةٌ، فأصبحَ رسولُ الله ﷺ يومئذ فأمرَ بقتلِ الكِلاَبِ حتى إنه يأمرُ بقتلِ كَلْبِ الحائطِ**»؛ أي: البستان «**الصغيرِ**»، لأنه لا يُحتاجُ إلى حراسةِ الكَلْبِ لصِغَرِه.

«**ويتركُ كَلْبَ الحائطِ الكبير**»؛ لعُسْرِ محافظتِه بلا كَلْب.

* * *

٣٤٧٠ ـ **عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ لم يَكُنْ يتركُ في بيتِه شيئاً فيهِ تَصَاليبُ إلاَّ نَقَضَه.**

«**عن عائشةَ: أن النبيَّ ﷺ لم يكن يتركُ في بيته شيئاً فيه تصاليب**»، هو في الأصل صُنْعُ الصَّليب وتصويرُه، فأطلقَ على نَفْسِ الصَّليب تسميتَه بالمصدر، ثم جمع على تصاليب لتسميةِ الصورة بالتصوير، ثم جُمِعَ على تصاوير.

«**إلا نقضَه**»؛ أي: أزالَه وقَطَعه، والنقضُ إبطالُ أجزاءِ البناءِ بعضها من بعضٍ.

* * *

٣٤٧١ ـ وقالت قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أصحابَ هذه الصُّوَرِ يُعَذَّبونَ يومَ القيامةِ ويقالُ لهم: أَحْيوا ما خَلَقتُم». وقال: «إنَّ البيتَ الذي فيه الصُّورةُ لا تدخُلُه الملائكةُ».

«وقالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن أصحابَ هذه الصُّوَرِ يعذَّبون يومَ القيامة، ويقال لهم: أَحْيُوا ما خَلَقْتُم»؛ يعني صَوَّرْتُم، شبَّه تصويرَهم بالخَلْق، فعبَّر عنه به سخريةً بهم، وهذا الأمرُ للتعجيز؛ أي: انفخُوا فيه الروحَ ولن يقدِرُوا عليه فيعذَّبون ما شاء الله تعالى.

«وعن أبي طلحة قال: قال ﷺ: إن البيتَ الذي فيه الصورةُ لا تدخلُه الملائكةُ».

* * *

٣٤٧٢ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنها كانَتْ قد اتخذَتْ على سَهْوَةٍ لها سِتراً فيهِ تَماثيلُ، فهتكَهُ النبيُّ ﷺ فاتخذَتْ منهِ نُمْرُقَتَيْنِ، فكانتا في البيتِ يجلِسُ عليهِما.

«وعن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ: أنها قد اتخذتْ على سهوةٍ لها»، وهي الكُوَّة بين الدَّارين، وقيل: هي الصفةُ بين يَدَي البيت، وقيل: بيتٌ صغيرٌ يُشْبِهُ المَخْدَعِ وهو الخزانةُ يكونُ فيها المتاع.

«سِتراً فيه تماثيل»؛ جمع تِمثال بالكسر، والمرادُ بها صورُ الحيوانات.

«فهتكَه»؛ أي: خرَقَه. «النبيُّ ﷺ، فاتخذَتْ منه»؛ أي: عائشةُ من ذلك السِّتْر المخرَّق.

«نُمْرُقَتَين»، والنُّمْرُقَةُ بضمتين يتخللهما سكون، أو بكسرتين كذلك، وبالهاء ودونها: الوسادةُ الصغيرةُ، وجمعها نمارق.

«وكانتا في البيتِ يجلِسُ عليهما»، وهذا يدُّل على جوازِ كَوْنِ الصُّوَر فيما يجلِسُ عليه.

* * *

٣٤٧٣ ـ ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ في غزاةٍ، فأخذتُ نَمَطاً فسترتُه على البابِ، فلمَّا قدِمَ فرأَى النَّمطَ فجذبَهُ حتى هتكَهُ، ثمَّ قال: «إنَّ الله لم يأمرْنَا أنْ نكسُوَ الحِجارةَ والطِّين».

«**ورويَ عن عائشَة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: أن النبيَّ ـ ﷺ ـ خرجَ في غزاةٍ فأخذت نمَطاً**»؛ ضربٌ في البُسُط، وقيل: هو ثوبٌ من صوف يُطرَحُ على الهَوْدَج.

«**فستَرتُه على البابِ، فلمَّا قَدِمَ فرأى النمطَ فجذبَه حتى هتكَه، ثم قال: إنَّ الله لم يأمُرنا أن نكسُوَ الحجارَة والطين**»، وفيه دلالةٌ على كراهة سَتْرِ الحيطانِ بالثياب كراهَة تنزيهٍ إنْ لم يكن للبَطَر.

* * *

٣٤٧٤ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها، عن رسولِ الله ﷺ قال: «أشدُّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ الذينَ يُضاهونَ بخلقِ الله».

وروي: «**عن عائشةَ ـ رضي الله تعالى عنها ـ: أن النبيَّ ﷺ قال: أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُضَاهون**»؛ أي: يشابـهُون «**بخَلقِ الله**»، فيفعلون ما يضاهِي خَلْقَه؛ أي: مخلوقَه، أو يُشْبـهُون فِعلَهم بفِعْلِه في التصوير والتَّخليق، فإن اعتقدَ ذلك فهو كافرٌ يزيدُ عذابُه بزيادة قُبْحِ كُفْرِه، وإلا فالحديثُ محمولٌ على التهديد.

* * *

٣٤٧٥ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «قال الله: ومن أظلمُ ممن ذهبَ يخلق كخلقي، فليخلقوا ذَرَّةً أو ليخلقوا حَبَّةً أو شعيرةً».

«عن أبي هريرةَ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: قال الله تعالى: ومَن أَظْلَمُ»، (مَن) هذه للاستفهام.

«ممن ذَهبَ»؛ أي: أراد وطَفِقَ «يخلُقُ كخَلْقِي»؛ أي: يصوِّرُ صورةً شِبْه صورةٍ خلقْتُها.

«فلْيَخْلُقوا ذَرَّةً»، والأمرُ للتعجيز.

«أو ليخْلُقُوا حَبَّةً، أو شَعِيرةً».

* * *

٣٤٧٦ ـ وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: «أشدُّ الناسِ عذاباً عندَ الله المُصَوِّرون».

«عن عبدالله بن مسعود قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: أشدُّ الناسِ عذاباً عند الله المصَّورون»، الأَولَى أن يُحمل على التهديدِ؛ لأن قولَه (عند الله) تلويحٌ إلى أنه يستحِقُّ أن يكون كذا لكنه محلُّ العَفْو.

* * *

٣٤٧٧ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ مصوِّرٍ في النارِ، يُجعَلُ له بكلِّ صورةٍ صَوَّرَها نفساً فتُعَذِّبُه في جهنَّم».

«عن ابن عباسٍ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: كلُّ مصوِّرٍ في النار، يُجْعَلُ له»؛ أي: يُخْلَقُ في القيامة

«بكل صورةٍ»؛ أي: بعددِ كلِّ صورةٍ «صوَّرَها» في الدنيا «نفسٌ، فتعذِّبُه»؛

أي: تلك النفسُ ذلك المصوِّرَ «في جهنم».

* * *

٣٤٧٨ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَن تَحَلَّمَ بحُلمٍ لم يَرَهُ، كُلِّفَ أنْ يعقِدَ بينَ شعيرتينِ ولن يفعلَ، ومَن استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهم له كارِهونَ، أو يَفِرُّونَ منهُ، صُبَّ في أُذُنَيْهِ الآنُكُ يومَ القيامةِ، ومَن صَوَّرَ صورةً عُذِّبَ وكلِّفَ أنْ ينفخَ فيها وليسَ بنافخٍ».

«**عن ابن عباسٍ قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: من تحلَّم**»؛ أي: ادَّعى الرؤيا كاذباً.

«**بحُلُمٍ لم يَرَه**» في منامه.

«**كُلِّفَ أن يعقدَ بين شَعِيرتين، ولن يفعلَ**» ذلك، وهذا التكليف بلا قدرةٍ عليه مبالغةً في التعذيب، ومعناه عُذِّب أبداً.

«**ومن استمعَ إلى حديثِ قومٍ**»، عدَّى الاستماع بـ (إلى) لتضمنُّهِ معنى الإصغاء.

«**وهم له كارِهُون**»، الجملة حالٌ من القوم، أو من ضمير (استمع)؛ يعني حالَ كونهِم يكرهونَه لأجل استماعهِ، أو صفة (قوم)، والواو لتأكيد لصوقِها بالموصوف.

«**أو يفرُّون منه**»، شكٌّ من الراوي.

«**صُبَّ في أذنيه الآنِكُ**» ـ بالمد وضم النون وتخفيف الكاف ـ: الأُسْرُب.

«**يومَ القيامة**»، الجملة إخبارٌ، أو دعاءٌ عليه، وهذا الوعيدُ في حقِّ من يستمِعُ لأجل النميمة، وأما مَن استمَع حديثَ قومٍ ليمنعَهم عن الفساد، أو ليتحرَّزَ من شروروهم فلا يدخلُ تحتَه.

ومن صوَّر صورةً» ذي الروح.

«عُذِّبَ وكُلِّفَ أن ينفُخَ فيها»؛ أي: الروح.

«وليس بنافخٍ».

* * *

٣٤٧٩ ـ وعن بُريدةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن لعبَ بالنَّردَشِيرِ فكأنَّما صبغَ يدَهُ في لحمِ خنزيرٍ ودمِهِ».

«عن بُرَيدةَ: أن النبيَّ ﷺ قال: من لَعِبَ بالنَّرْدَشِير»: وهو اسمُ لعبٍ معروفٍ، عجمي معرَّب، وقيل: اسمه نَرْدَرَشِير، معناه على لغتهم حُلْو.

«فكأنما صَبغَ يدَه في لحمِ الخنزيرِ ودمِه»؛ أي: أدخلَ يدَه فيها وتخصيص الصبغ بهما؛ لكونه نجِسَ العَيْن، فيكون أَقْلَعَ للاعبيه عنه، قالوا: هذا من موضوعات سابوُر بن أَرْدَشِير بن بابك ثاني ملوك الساسانية، فمن يلعبُ به يكونُ مجتهداً في إحياءِ سُنَّةِ المَجْوس المستكبـرَة على الله.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٤٨٠ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أتاني جبريلُ عليهِ السَّلامُ فقالَ: أتيتُكَ البارحةَ فلم يَمنعْني أنْ أكونَ دخلتُ إلا أنه كانَ على البابِ تماثيلُ، وكانَ في البيتِ قِرامُ سِترٍ فيهِ تماثيلُ، وكانَ في البيتِ كلبٌ، فمُرْ برأسِ التمثالِ الذي على بابِ البيتِ فيُقطَع، فيصير كهيئةِ الشَّجرةِ، ومُرْ بالسِّتْرِ فليقطعْ، فليُجعَلْ وسادتينِ منبوذتَيْنِ تُوطَآن، ومُرْ بالكلبِ فليُخرَجْ»، ففعلَ رسولُ الله ﷺ.

«من الحسان»:

«عن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أتاني جِبريلُ ـ عليه السلام ـ فقال: أتيتكَ البارحَة فلم يَمْنَعْنِي أن أكونَ دخلتُ إلا أنه كان على الباب تماثيلُ، وكان في البيت قِرَامٌ»، وهو سِتْرٌ فيهَ رقْمٌ ونقوشٌ فقوله:

«سِتْرٍ فيه تماثيل»: تفسيرٌ لـ (قِرام).

«وكان في البيت كلبٌ، فمُر برأسِ التمثال»؛ أي: بقطعِ رأسِ التِّمْثَال.

«الذي على بابِ البيتِ، فيُقطعُ فيصيرُ كهيئة الشــــــجر»، فإن قلتَ: ما الفائدة في ذكر هذا؟.

قلت: الإعلامُ أن القطعَ ليس المرادُ به محوَ موضعِ الرأسِ من القِرَام، بل فصْلُه عنه؛ لأنه لا يَصِيرُ كهيئة الشَّجَر إلا إذا فُصِلَ منه الرأسُ، فأما ما دام الرأسُ باقياً ظاهراً، أو ممحوّاً فلا.

«ومُرْ بالسِّتْر فليُقْطَعْ فليجعلْ وسادتين منْبوذَتَين»؛ أي: مَطْرُوحَتَين.

«توطآن»: وأَصْلُ الوَطْء الضربُ بالرِّجْل؛ أي: يجلِسُ عليهما، والفائدة في اتخاذ ذلك صيرورةُ السِّتْر مخروقاً بقطعِ موضعِ الرَّأْس وألاَّ يكون موضعٌ من الصورة باقياً.

والحديث يدلُّ على أن الصورةَ لو غُيـرَتْ هيئتُها حتى لم يبقَ لها أثرٌ فلا بأسَ بها، وعلى جوازِ تصويرِ نحوِ الأشجارِ مما لا حياةَ فيه.

«ومُر بالكَلْبِ فليُخْرَجْ، ففعلَ رسولُ الله ﷺ».

* * *

٣٤٨١ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ عنقٌ مِن النارِ يومَ القيامةِ لها عينانِ تبصِرانِ، وأُذُنانِ تَسمعانِ، ولسانٌ يَنطقُ تقولُ: إني وُكِّلتُ بثلاثٍ: بكلِّ جَبَّارٍ عنيدٍ، وكلِّ مَن دَعا معَ الله إلهاً آخرَ، والمصوِّرينَ».

«عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يخرجُ عنقٌ»؛ أي: طائفةٌ، وقيل: شخصٌ طويلٌ.

«من النار»، (منْ) هذه للبيانِ أو تتعلَّقُ بمقدار؛ أي: تكوَّنَتْ، أو كائنةٌ من النار.

«يومَ القيامة، لها عينان تُبْصِران وأُذُنَان تَسْمَعان ولسانٌ يَنْطِق، تقولُ: إني وُكِّلْتُ بثلاثٍ، بكلِّ جَبَّارٍ»؛ أي: متمرِّدٍ عاتٍ.

«عَنِيدٍ»؛ أي: جائرٍ عن القَصْد رادٌّ للحقِّ مع عِلْمِه به.

«وكلِّ مَنْ دعا مع الله إلهاً آخر، والمُصَوِّرِين»؛ يعني: وَكَّلَني الله بأن أُدْخِلَ هؤلاءِ الثلاثَة النارَ وأُعذِّبَهم.

* * *

٣٤٨٢ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ الله حرَّمَ الخَمْرَ والمَيْسرَ والكُوبَة»، وقال: «كلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ» قيلَ: الكُوبَةُ: الطَّبْلُ.

«عن ابن عباس: أن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إنَّ الله حَرَّمَ الخَمْرَ والمَيْسر»، تحريمُهما مذكور في القرآن.

«والكُوبَةَ»، بضم الكاف ثم السكون، تحريمُها على لسانِ نبيه.

«وقال: كلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ، والكوبة: الطبلُ»: وقيل: البَرْبَط، وقيل: النرد.

* * *

٣٤٨٣ ـ وعن ابن عمرَ ﷺ: أنَّ نبيَّ الله ﷺ نَهَى عن الخَمْرِ والمَيْسرِ

والكُويَــةِ والغُبَيراءِ. والغُبَيراءُ: شــرابٌ تعملُه الحَبَشةُ مِن الذرةِ يقالُ لهُ: السُّكْرُكَةُ.

«وعن ابن عمرو ﷺ: أنَّ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الخَمْر والمَيْسِر والكُوْبَة والغُبَيْرَاء، والغُبَيْرَاء شرابٌ يعملُه الحَبَشَة مِن الذُّرَة يقال له السُّكْرُكة»، بضم السين والراء وسكون الكاف الأولى؛ نوعٌ من الخمور يُتَّخَذُ من الذُّرَة.

قال الجوهري: هي لفظةٌ حبشيةٌ قد عُرِّبَتْ إلى السُّقُرْقَع.

* * *

٣٤٨٤ ـ عن أبي موسى الأشعرِيِّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن لعبَ بالنردِ فقد عَصَى الله ورسولَهُ».

«عن أبي موسى ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: مَن لَعِبَ بالنَّرْدَشِير فقد عصى الله ورسولَه».

* * *

٣٤٨٥ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ رَأَى رجلاً يتبعُ حمامةً فقال: «شيطانٌ يتبعُ شيطانةً».

«عن أبي هريرة ﷺ: أن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى رجلاً يتبعُ حمامةً»؛ أي: يَقفُو أثرَها لاعباً بها.

«فقال: شيطانٌ يَتبَعُ شيطانةٌ»، سَــماه شــيطاناً لاشتغاله بما لا يَعنيه، وسَمَّاها شيطانةً لأنها أورثته الغفلَةَ عن ذِكْرِ الله وعن أمر دينهِ ودنياه.

❐❐❐

(٢١)

كتاب الطب والرقى

(٢١)

كِتَابُ الطِّبِّ وَالرُّقَى

١ ـ باب
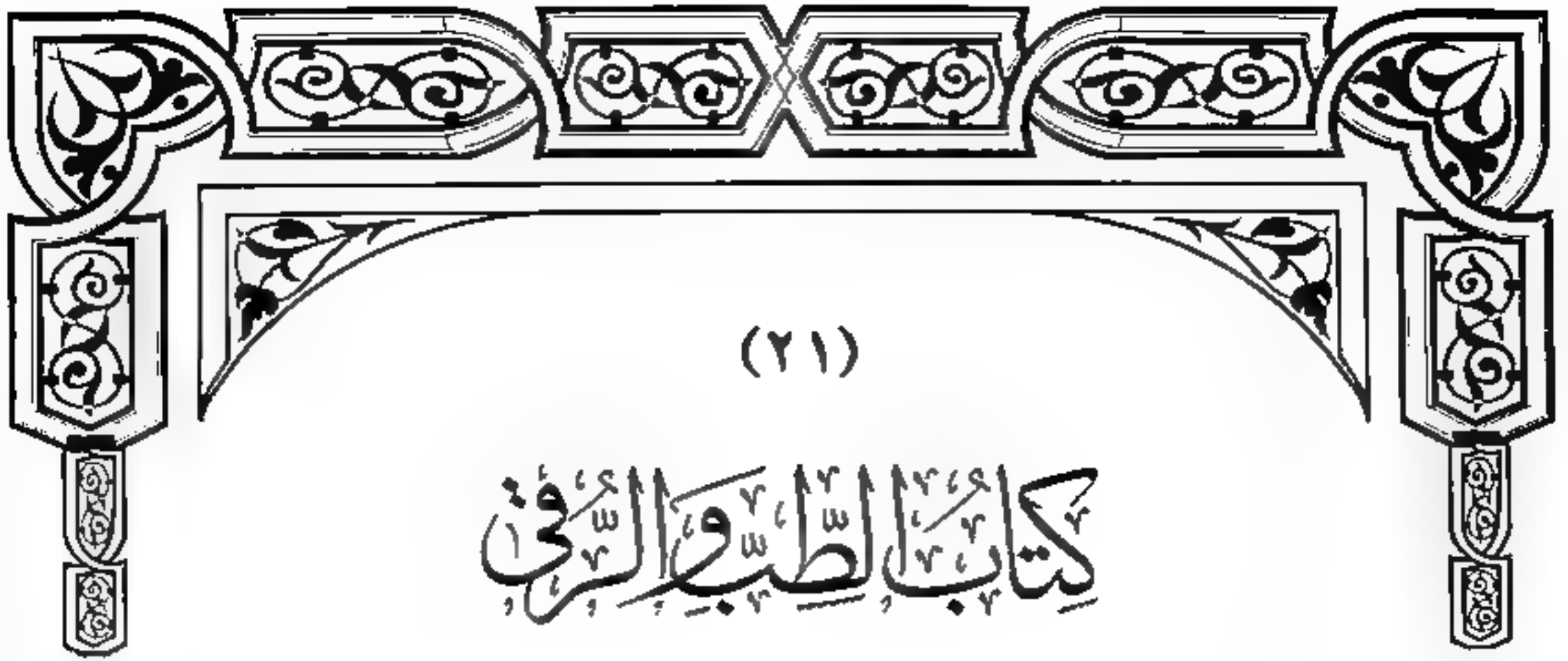
«باب الطِّبِّ والرُّقَى» بضم الراء وفتح القاف: جمع رقية.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٤٨٦ ـ قال رسولُ الله ﷺ: «ما أنزلَ الله داءً إلاَّ أنزلَ لهُ شفاءً».

«عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما أنزلَ الله داءً»؛ أي: عِلَّةً.

«إلا أنزلَ له شَفِاءً»؛ أي: دواءً، وفيه إشارةٌ إلى جوازِ التَّداوي واستعمالِ الطِّبِّ.

* * *

٣٤٨٧ ـ وقال: «لكلِّ داءٍ دواءٌ فإذا أُصيبَ دواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذنِ الله».

«وعن جابرٍ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلَّم: لكلِّ داءٍ دواءٌ، فإذا أُصِيبَ دَواءُ الداءِ بَرَأ» بفتحتين، يقال: بَرَأْتُ من المرض أَبرَأُ بَرْءاً بالفتح، فأنا بارِئٌ، وأبرأَني الله منه، وعن أهل الحجاز: بَرِئْتُ بالكسر، بُراءً بالضم.

«بإذن الله»؛ أي بتقديرِه مع الشِّفَاء.

* * *

٣٤٨٨ ـ وقال: «الشِّفاءُ في ثلاثةٍ: في شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أو شَرْبةِ عَسَلٍ، أو كَيَّةٍ بنارٍ، وأنا أَنْهَى أُمَّتي عن الكيِّ».

«وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: الشِّفاءُ في ثلاثةٍ: في شَرْطَةِ مِحْجَمٍ»، الشَّرْطَة ـ بفتح الشين ـ: الضربُ بالمِشْرَاط على مَوْضع الحِجَامة ليخرجَ منه الدَّمُ.

والمِحْجَمُ ـ بالكسر ـ: الآلةُ المجتمعُ فيها الدَّمُ عند المَصِّ، وبالفتح: موضعُ الحِجَامَة، وهو المراد في الحديث.

«أو شربةِ عَسَلٍ، أو كَيَّةٍ بنار»، والكَيُّ من جملة العلاجِ المأذونِ فيه، وقيل: ذلك عند عدمِ القُدْرَة على المداواة بدواءٍ آخر.

«وأنا أنهى أمتي عن الكَيِّ»، والنهيُ قبلَ وقوعِ ضرورةٍ داعيةٍ إليه، أو في موضع يعظُمُ خطرُه، أو الكَيُّ الفاحِش، وإليه وقعتِ الإشارةُ بقوله: أو كَيَّةٍ؛ أي: كَيَّةٍ واحدةٍ غيرِ فاحِشَة، أو لأنَّ أهلَ الجاهليةِ كانوا يعتقِدُون أن الشِّفَاءَ يحصلُ منه البتةَ فنهاهم عنه؛ لأن الشافيَ هو الله تعالى، وقيل: النهيُ عنه نهيُ تَنْزِيه.

* * *

٣٤٨٩ ـ عن جابرٍ قال: رُمِيَ أُبَيٌّ يومَ الأحزابِ على أَكْحَلِه فكَواهُ رسولُ الله ﷺ.

«وعن جابر ﷺ قال: رُمي أُبَيٌّ»: وهو أُبيُّ بن كعب.

«يومَ الأحزابِ على أَكْحَلِه»: عِرْقٌ معروفٌ في وسَطِ الذراع، ومنه يُفْصَد.

«فكَواه رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم» بيده.

* * *

٣٤٩٠ ـ وقال: رُميَ سعدُ بن معاذٍ في أَكْحَلِه فحَسَمَهُ النبيُّ ﷺ بيدهُ بمِشْقَصٍ، ثم وَرِمَتْ فحسمَهُ الثانيةَ.

«وقال: رُمي سَعدُ بن معاذ في أَكْحَلِه فحسَمه النبيُّ ﷺ»؛ أي: كَواه.

«بمِشْقَصٍ» بكسر الميم وفتح القاف: نَصْل السهمِ إذا كان طويلاً.

«ثم وَرِمَتْ فحَسَمه الثانيةَ».

* * *

٣٤٩١ ـ وقال: بعثَ رسولُ الله ﷺ إلى أُبَيِّ بن كعبٍ طبيباً، فقطعَ منهُ عِرْقاً ثم كَواهُ عليهِ.

«وقال: بعث رسولُ الله ﷺ إلى أُبَيٍّ بن كعبٍ طبيباً فقطعَ منه عِرْقاً، ثم كَواه عليه».

* * *

٣٤٩٢ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «في الحَبَّةِ السَّوداءِ شفاءٌ مِن كلِّ داءٍ إلا السَّامُ»، قال ابن شِهابٍ: السَّامُ: المَوْتُ، والحَبَّةُ السوداءُ: الشُّونيزُ.

«وعن أبي هريرة ﷺ: أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ في الحَبَّةِ السوداءِ: شفاءٌ مِن كلِّ داء»، قال جالينوس: إنها تحلِّلُ النَّفْخَ، وتقتُلُ ديدانَ البطنِ إذا أُكِلَ أو وُضعَ على البطن، وتنفَعُ الزكام إذا قُلِيَ وصُيرَ في خِرْقَةٍ وشُمَّ، وتنفَعُ

الصُّدَاع إذا طُلِيَ به الجَبين، ويقلَعُ البُثُور والجَرَب، وتنفَعُ الأورامَ البَلْغَمِيَّة إذا يضمَّد به مع الخل، ويتمضْمَضُ به من وجعِ الأسنان وُيـدِّر البولَ واللَّبن وغيرَ ذلك.

«إلا السَّام. قال ابن شهاب: السَّام الموت، والحبة السوداء الشُّونيـزُ».

* * *

٣٤٩٣ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنَّ أخي استَطْلَقَ بطنُهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «اسقِهِ عسلاً» فسقاهُ، ثم جاءَهُ فقال: سقَيْتُه عَسَلاً فلم يزِدْهُ إلا استِطْلاقاً!؟ فقال له ثلاثَ مرَّاتٍ، ثم جاءَ الرَّابعةَ فقال: «اسقِهِ عَسَلاً» فقال: لقد سقيْتُه فلم يزدْهُ إلا استِطْلاقاً!؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «صدقَ الله وكذبَ بطنُ أخيكَ»، فسقاهُ فبرَأَ.

«عن أبي سعيدِ الخُدْري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنَّ أخي استَطْلَقَ بطنُه، فقال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: اسقِهِ عَسَلاً فسقاه، ثم جاء فقال: سقيته فلم يَزِدْه إلا استطلاقاً، فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة، فقال: اسقِه عسلاً»، أَمْرُه ﷺ بسَقْيِ العسل كأنَّه لعلمه أن السببَ اجتماعُ فضلاتٍ بَلْغَمِيةٍ لَزِجَةٍ دفعتْها الطبيعةُ بذلك مرةً بعد أخرى ليَسْهُلَ باقيه.

«فقال: لقد سقيتُه فلم يزِدْه إلا استطلاقاً، فقال رسول الله ﷺ صدق الله» في كلامه؛ يريدُ به قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[النحل: ٦٩].

«وكذَبَ بطنُ أَخِيك» في أنه لم يُصِبْه الدواءُ بعد حظِّه، **«اسقِه عسلاً»**.

«فسقَاه فَبرَأ».

* * *

٣٤٩٤ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أَمْثَلَ ما تَداويتُم بهِ الحِجامَةُ، والقُسْطُ البَحريُّ».

«عن أنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنَّ أمثلَ ما تداويتمُ به»؛ أي: أفضلُه وأنفعُه.

«الحِجَامةُ والقُسْطُ البحريُّ»، القُسط ـ بضم القاف ـ يكون بحرياً وهندياً فالبحريُّ، وهو الأبيضُ أَجْوَدُ من الهنديِّ الأسودِ، وهو من عقاقيرِ البحرِ تتبخَّر به النساء.

* * *

٣٤٩٥ ـ وقال: «لا تُعذِّبُوا صِبيانَكم بالغَمْزِ مِن العُذْرةِ، وعليكم بالقُسْطِ».

«وقال: لا تُعذِّبُوا صِبيانَكم بالغَمْزِ»، وهو إدخالُ الإصبَعِ في حَلْق المعذورِ فيَعْصِرُ بها.

«من العُذْرَة»؛ أي: مِن أجلها، وهي ـ بالضم ـ: وَجَعٌ في الحلق يَهيجُ من الدم، ومن عادةِ النساءِ أن يعصِرْنَه بالإصْبَع فيخرجُ منه دمٌ أسودُ، فنهى عنه وأمرَ بمداواته بالقُسْط بقوله: «وعليكم بالقُسْط».

* * *

٣٤٩٦ ـ وقال: «عَلامَ تَدْغَرْنَ أولادكُنَّ بهذا العِلاقِ؟ عليكُنَّ بهذا العودِ الهِنديِّ، فإنَّ فيهِ سبعةَ أَشْفِيَةٍ، منها ذاتُ الجَنْبِ، يُسعَطُ مِن العُذْرَةِ، ويُلَدُّ مِن ذاتِ الجَنْبِ».

«وقال: علامَ تَدْغَرْنَ»، بالدال والراء المهملتين بينهما غين معجمة: استفهامُ إنكار، وأصل الدَّغْر ـ بالفتح ثم السكون ـ: الدفعُ، ويراد به هنا دفعُ

لَهاءِ المَعْذُور بالإصبَع.

«أولادكُنَّ بهذا العِلاق؟» وهو ـ بالكسر ـ: الداهيةُ، وبالضم: ما يعصرُ به العُذْرَة من إصبع وغيرها؛ أي: لا تعصرن عُذْرَة أولادِكنَّ بالإصْبَع وغيرها.

بل «عليكنَّ بهذا العودِ الهِنْدِي»: وهو القُسْط؛ أي: الْزَمْنَ باستعمالهِ في عُذْرَة أولادِكُنَّ، والإشارةُ إلى الجنس المستحضَر في الذهن.

«فإن فيه سبعةَ أشفيةٍ؛ منها ذاتُ الجَنْب»؛ أي: مِن تلك الأشفيةِ شفاءُ ذاتِ الجَنْب، أو التقديرُ فيه سبعةُ أَشْفِيَة من سبعةِ أدواء: منها ذاتُ الجَنْب وهي دُبيلة كبيرةٌ ظاهرةٌ في باطن الجَنْب منفجِرَةٌ إلى داخل.

«يُسْعَطُ من العُذْرة»: بيانٌ لكيفية التَّداوِي به؛ يعني: يُدَقُّ العودُ ناعماً ويُدْخَلُ في الأنف.

«ويُلَدُّ من ذاتِ الجَنْب»، على صيغة المجهول، يقال: لَدَّ الرجلُ إذا صَبَّ من الدواء في أحد شِقَّي الفَم، سكتَ النبيُّ ﷺ عن الخمسةِ منها لعدمِ الاحتياجِ إلى تفصيلِها في ذلك الوقت.

* * *

٣٤٩٧ ـ وقال: «الحُمَّى مِن فيحِ جَهنَّمَ فأبرِدُوها بالماءِ».

«عن ابن عباسٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: الحُمَّى من فَيْحِ جَهنَّم»؛ أي: من شِدَّةِ حَرِّها؛ يعني: حرارةُ الطبيعة تُشْبِـهُ نارَ جهنَّمَ في العذاب وإذابةِ الجَسَد.

«فأبرِدُوها بالماء»، فإنَّ الماءَ الباردَ ينفَعُ المحمومَ في الحُمَّيات الحارَّةِ شُرْباً ووَضْعاً للأطراف؛ لأن الماءَ للطافتهِ يصلُ إلى أماكنِ العِلَّة فيدفَعُ حرارتَها.

* * *

٣٤٩٨ ـ وعن أنسٍ ﷺ قال: رخَّصَ رسولُ الله ﷺ في الرُّقيَةِ مِن العَيْنِ، والحُمَةِ والنَّملةِ.

«**وعن أنسٍ ﷺ أنه قال: رَخَّصَ رسولُ الله ﷺ في الرُّقْيَة**» إذا لم يكن فيها مِن ألفاظ الجاهلية، وهذه الرُّخْصَة بعد النهي.

«**من العَينِ والحُمَة**» بالضم وتخفيف الميم: سمٌّ ذواتِ السُّموم، قيل: يريدُ بها لدْغَ العقربِ وأشباهِها، وأصلُها: حَمُوَ أو حَمِيَ، والهاء عوض.

«**والنُّملة**» ـ بضم النون ـ: بَثْرَة، أو بثورٌ صِغَارٌ يحدثَ عن صفراء حريقة شَبهتْ بالنَّمْل؛ لانتشارها في البَدَن ودبيبها فيه، ويقال لها بالفارسية: إتش بارسي فَيُرقَى فيذهَبُ بإذن الله تعالى.

* * *

٣٤٩٩ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: أمرَ النبيُّ ﷺ أنْ يُسترقَى مِن العينِ.

«**عن عائشَة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالتْ: أمرَ النبيُّ ﷺ أن يُسْتَرْقَى**»؛ أي: نطلبَ الرُّقيَة.

«**من العين**»، وهذا تصريحٌ بأنَّ مَنْ أصابَته عينٌ من الإنس والجِنِّ يُستَحبُّ أن يُرْقَى عليه.

* * *

٣٥٠٠ ـ وعن أمِّ سلَمَةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ رَأَى في بيتِها جاريةً في وجهِها سَفْعَةٌ، تعني صُفرةٌ، فقالَ: «استرقُوا لها، فإنَّ بها النَّظْرَةَ مِن الجِنِّ».

«**وعن أمِّ سَلَمَة: أن النبيَّ ﷺ رأى في بيتها جاريةً في وجهها سَفْعَة**»،

بفتح السين المهملة.

«تعني صُفْرَة، فقال: اسْتَرْقُوا لها»؛ أي: اطْلُبوا لها الرُّقْيَة.

«فإنَّ بها النظرةَ»، أراد بها العين أصابَتْها «من» نَظَرِ «الجَنِّ»، قيل: عيونهم أنفَذُ من أَسِنَّةِ الرماح.

* * *

٣٥٠١ ـ عن جَابرٍ قال: نَهَى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقَى، فجاءَ آلُ عمرِو ابن حَزْمٍ فقالوا: يا رسولَ الله! إنَّه كانَتْ عِندَنا رُقْيَةٌ نَرقي بها مِن العقربِ، وأنتَ نَهَيْتَ عن الرُّقَى؟ قال: «اعرِضُوها» فعَرَضُوها عليهِ فقالَ: «ما أَرَى بأساً، مَن استطاعَ منكم أنْ ينفعَ أخاهُ فلْيَنفعْه».

«عن جابرٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقَى، فجاءَ آلُ عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله! إنه كانتْ عندنا رُقْيَةٌ نَرقَى بها من العَقْرَب، وأنتَ نهيتَ عن الرُّقَى؟ قال: اعرِضُوها، فعَرَضُوها عليه، فقال: ما أرى بها بأساً، مَن استطاع منكم أن ينفَعَ أخاه فلينفَعْه».

* * *

٣٥٠٢ ـ عن عوفِ بن مالكٍ الأشجَعيِّ قال: كنا نَرقي في الجاهليةِ فقلنا: يا رَسولَ الله! كيفَ تَرَى في ذلكَ؟ فقال: «اِعرِضُوا عليَّ رُقاكم، لا بأسَ بالرُّقَى ما لم يكنْ فيهِ شِرْكٌ».

«عن عوفِ بن مالكٍ الأشجعيِّ أنه قال: كنا نَرْقِي في الجاهلية، فقُلْنا: يا رسولَ الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرِضُوا عليَّ رُقاكم، لا بأس بالـــرقى ما لم يكنْ فيه شِرْكٌ».

* * *

٣٥٠٣ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «العينُ حقٌّ، ولو كانَ شيءٌ سابقَ القَدَرَ سبقَتْهُ العينُ، فإذا استُغْسِلتُم فاغْسِلُوا».

«**وعن ابن عباسٍ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: العينُ حَقٌّ**»؛ أي: أثرُها حَقٌّ، وتحقيقُه: أن الشيءَ لا يُعانُ إلا بعد كَماله، وكلُّ كاملٍ فإنه يُعْقِبُه النقصُ بقضاء، ولمَّا كان ظهورُ القضاءِ بعد العينِ أُضيفَ ذلك إليها.

«**فلو كان شيءٌ سابقَ القدرَ سبقَتْه العينُ**»؛ أي: لو كان شيءٌ مهلِكاً، أو مُضـراً بغير قضاءِ الله وقَدَرِه؛ لكانَ العينَ؛ أي: أصابَتْها لشِدَّةِ ضررِها.

«**فإذا استغسلْتُم فاغسِلُوا**»؛ أي: إذا طلبَ المصابُ بالعين أن يغتَسِلَ مَن أصابه بعينهِ فليُجِبْه، وكان من عادتهم أن يجيءَ المصابُ إلى العائن بقَدَح فيه ماء فيُدْخِلُ كفَّه فيه فيتَمَضْمَض، ثم يمجُّه في القَدَح، ثم يغسِلُ وجهَه فيه، ثم يأخذُ غَرْفَة بكفِّه اليُسْرَى، فيصبُّها على اليمنى وباليمنى فيصبُّها على اليسرى، ثم يُدْخِلُ اليسرى فيصبُّ على مِرفقهِ اليمنى، ثم يُدْخِلُ اليمنى فيصُبُّ على مِرفقهِ اليسرى، ثم يدخِلُ يده اليُسْرَى فيصُبُّ على قدمهِ اليمنى، ثم يدخِلُ يدَه اليمنى فيصُبُّ على قدمه اليُسْرَى، ثم يُدْخِلُ يدَه اليُسْرَى فيصُبُّ على ركبته اليمنى، ثم يُدخِلُ يدَه اليُمْنَى فيصُبُّ على ركبته اليسرى، ثم يغسِلُ داخلَ إزارِه بلا وضع القَدَحِ بالأرض، ثم يصبُّ ذلك الماءَ المستعمَلَ على رأس المصابِ بالعين مِن خلفهِ صبةً واحدةً فيبَرأُ بإذن الله تعالى، كذا نقل عن الزهري في صفةِ غسلِ العائِن.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٥٠٤ ـ عن أسامةَ بن شَريكٍ قال: قالوا: يا رسولَ الله! أَفَنَتَداوَى؟ قال:

«نعَم يا عبادَ الله تَداوَوْا، فإنَّ الله لم يَضعْ داءً إلا وضعَ لهُ شفاءً، غير داءٍ واحدٍ الهَرَمُ».

«من الحسان»:

«عن أسامة بن شريك أنه قال: قالوا: يا رسولَ الله! أفنتداوى؟ قال: نعمْ يا عبادَ الله! تداوَوا، فإنَّ الله لم يضَعْ داءً إلا وضعَ له شفاءً غيرَ داءٍ واحدٍ: الهَرَمُ»، بالرفع خبر مبتدأ محذوف؛ أي: وهو الهرم، وبالجر بدلاً من داءٍ، شَبَّهَ الهَرَمَ وهو الكِبَرُ؛ السنِّ بالداء؛ لأن الموتَ يتعقَّبه كالأدواء.

* * *

٣٥٠٥ ـ عن عُقْبَةَ بن عامرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُكْرِهُوا مَرْضاكُم على الطَّعامِ والشَّرابِ، فإنَّ الله يُطعِمُهم ويَسقيهم»، غريب.

«عن عقبةَ بن عامر قال: قالَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسـلم: لا تُكْرِهُوا مرضاكم على الطَّعَام والشَّرَاب»؛ يعني لا تُطْعِمُوهم كرهاً.

«فإنَّ الله يُطْعِمُهم ويسقيهم»؛ أي: يُمِدُّهم بما يقعُ موقَعَ الطعامِ والشرابِ منهم، ويقوِّيهم على الصَّبْرِ عنهما واحتمالِ المكروه، فإنَّ الحياةَ والصبرَ والقوةَ مِن الله، لا من الطعام والشراب.

«غريب».

* * *

٣٥٠٦ ـ عن أنسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كَوَى أسعدَ بن زُرارةَ مِن الشَّوكةِ. غريب.

«عن أنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم كَوى أسعدَ بن زُرارة»: بضم الزاي.

«من الشَّوْكَة»، قيل: هي حُمْرةٌ تعلو الوجهَ والجَسَد.

«غريب».

* * *

٣٥٠٧ ـ عن زيدِ بن أرقمَ قال: أمرَنا رسولُ الله ﷺ أنْ نتَداوَى مِن ذاتِ الجَنْبِ بالقُسْطِ البحريِّ والزيتِ».

«عن زيد بن أرقمَ أنه قال: أمَرنا رسولُ الله ﷺ أن نتَداوَى من ذات الجَنْب بالقُسْط البحريِّ والزيت».

* * *

٣٥٠٨ ـ وعنه قال: كانَ النبيُّ ﷺ ينعتُ الزَّيتَ والوَرْسَ مِن ذاتِ الجَنْبِ.

«وعنه أنه قال: كان النبيُّ ﷺ ينعَتُ الزيتَ والوَرْس»؛ أي: يصِفُ حُسْنَهما.

«مِن ذاتِ الجَنْب»؛ أي: في مداواة داء الجَنْب.

* * *

٣٥٠٩ ـ عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ سألَها: «بِمَ تَستمشِينَ؟» قالت: بالشُّبْرُمِ، قال: «إنَّه حارٌّ حارٌّ»، قالت: ثُمَّ استمشَيْتُ بالسَّنا، فقال النبيُّ ﷺ: «لو أنَّ شيئاً كانَ فيهِ الشِّفاءُ مِن الموتِ لكانَ في السَّنا».

«عن أسماءِ بنتِ عُميس»: ـ بالضم ثم الفتح ـ.

«أن النبيَّ ﷺ سألَها بما تَسْتَمْشِين»؛ أي: تَسْتَسْهِلين بطَنَكِ، ويجوزُ إرادةُ المشيِ العارِضِ عند شُرْبِ الدواء إلى بيت الخلاء.

«قالت بالشُّبْرُمَة» بضم الشين المعجمة والراء المهملة: نبتٌ يسهِّلُ البطنَ، وقيل: حَبٌّ يُشْبِـهُ الحِمَّصَ يُطبَخُ ويُشْرَبُ ماؤُه للتداوي.

«قال: حارٌّ حارٌّ»: بحائين مهملتين، كرَّرَ للتأكيد؛ يعني: هذا الدواءُ حارٌّ لا يَليـقُ بإسهالِ البَطْن، فإنَّ إسهالَه ينبغي أن يكونَ بشيءٍ بارد، وفي بعضٍ: بالجيم في الثاني، وفي بعضٍ: (حارٌّ بارٌّ)، وهو أكثرُ استعمالاً يقال: حارٌّ بارٌّ، وحارَّان بارَّان.

«قالت: ثم استَمْشَيْتُ بالسَّنَا» مقصوراً، معروفٌ، وقد يروى بالمد، يقال: سنامَكِّي.

«فقال النبي ﷺ: لو أنَّ شيئاً كان فيه الشفاءُ من الموت لكانَ في السَّنَا».

«غريب».

* * *

٣٥١٠ ـ عن أبي الدَّرداء قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله أَنْزَلَ الداءَ والدواءَ، وجعلَ لكلِّ داءٍ دواءً فتَداوَوْا، ولا تَتَداوَوْا بحرامٍ».

«عن أبي الدَّرْداء ﷺ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنَّ الله أنزلَ الداءَ والدواءَ»؛ يعني: الإنزالُ هنا: الإحداث.

«وجعلَ لكلِّ داءٍ دواءً، فتَدَاوَوْا، ولا تتداوَوا بحرامٍ».

* * *

٣٥١١ ـ ورُوِيَ عن أبـي هُريرةَ قـال: نَهَى رسـولُ الله ﷺ عن الدَّواءِ الخبيثِ.

«وعن أبي هريرةَ ﷺ أنه قال: نهى النبيُّ ﷺ عن الدَّواءِ الخَبيثِ»، وهو إمَّا

النَّجِسُ إلا ما خصَّته السُّنَّة من بولِ الإبل، أو خبيثُ المَطْعَم والمذاقِ، كَرِهَه ﷺ لمشقَّتهِ طبعاً.

* * *

٣٥١٢ ـ عن سَـــلْمى خادمِ النبيِّ ﷺ قالت: ما كانَ أحدٌ يشتكي إلى رسولِ الله ﷺ وجعاً في رأسِهِ إلا قال: «احتجِمْ»، ولا وَجَعاً في رجلَيْه إلا قال: «اِخْضِبْهما».

«**عن سَـــلْمى خادمةِ النبيِّ ﷺ أنها قالتْ: ما كان أحدٌ يَشْتكِي إلى رسولِ الله ﷺ وجَعاً في رأسِه إلا قال: احْتَجِمْ، ولا وَجَعاً في رِجْلَيه إلا قال: اخْتَضِبْهما**».

* * *

٣٥١٣ ـ وقالت: ما كانَ يكونُ برسولِ الله ﷺ قَرْحَةٌ ولا نَكْبَةٌ إلا أمرني أنْ أَضَعَ عليها الحِنَّاءَ.

«**وقالت: ما كان يكونُ برسولِ الله ﷺ قُرحةٌ**»، بضم القاف؛ أي: جراحةٌ من السيفِ وغيرِه من الأَسْلِحَة.

«**ولا نَكبةٌ**»: ـ بفتح النون ـ؛ أي: جِراحةٌ من حَجَرٍ، أو شَوْكٍ، أو غيرهما.

«**إلا أَمَرَني أنْ أضعَ عليهما الحِنَّاء**».

«**غريب**».

* * *

٣٥١٤ ـ وعن أبي كَبْشَةَ الأَنْمَاريِّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يحتجِمُ على هامَتِه وبينَ كَتِفَيْهِ وهو يقولُ: «مَن أَهْراقَ مِن هذهِ الدِّماءِ فلا يَضُرُّهُ أنْ لا يَتَداوى بشيءٍ».

«عن أبي كَبْشَة الأنماريّ: أن رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يَحْتَجِمُ على هَامتهِ»؛ أي: على وسَطِ رأسِه.

«وبين كَتِفَيه وهو يقولُ: مَنْ أَهْرَاقَ مِن هذه الدِّماءِ فلا يَضُرُّه أن لا يتداوى بشيءٍ».

* * *

٣٥١٥ ـ وعن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ احتجمَ على وِرْكِهِ مِن وَثْءٍ كانَ بِـهِ.

«وعن جابرٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبيَّ ﷺ احتجمَ على وَرِكِه»، وهو جانِبُ الفَخِذ من طَرَفِ الأَلية.

«من وَثْءٍ كان به»، الوَثْءُ ـ بفتح الواو وسكون الثاء وبالهمزة وتركها ـ: وجعٌ يصيب العَظْمَ من غير كسر.

* * *

٣٥١٦ ـ عن ابن مَسْعُودٍ ﷺ قال: حدَّثَ رسولُ الله ﷺ عن ليلةِ أُسْرِيَ بهِ أنَّه لم يَمُرَّ على مَلأٍ مِن الملائكةِ إلا أَمَرُوه: «مُرْ أُمَّتَكَ بالحِجامةِ». غريب.

«عن ابن مسعودٍ أنه قال: حدَّثَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ليلةِ أُسْرِيَ به أنه لم يمرَّ على ملأٍ من الملائكة إلا أَمَرُوه: مُرْ أُمَّتَك بالحِجَامة»، غريب.

* * *

٣٥١٧ ـ عن عبدِ الرَّحمن بن عُثمانَ: أنَّ طبيباً سأَلَ النبيَّ ﷺ عن ضِـفْدَعٍ يجعلُها في دواءٍ، فنهاهُ النبيُّ ﷺ عن قتلِها.

«عن عبد الرحمن بن عثمان ﷺ: أن طَبيباً سأل النبيّ ﷺ عن ضِفْدَع»: على وزن خِنْصَر، وفتح الدال ضعيف.

«يجعلُها في دواءٍ، فنهاه النبيُّ ﷺ عن قَتْلِها»، ونهيُه عن قَتْلِها لا لشَرَفِها، بل لم ير التداويَ بها لنجاسَتِها، أو لتنَفُّرِ الطبعِ عنها، أو لمعرفتِهِ المُضـرَّة منها فوقَ معرفةِ الطبيبِ المنفعَة فيها.

* * *

٣٥١٨ ـ عن أنسٍ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يحتَجِمُ في الأَخْدَعَينِ والكاهِلِ، وكانَ يحتجمُ لسبعَ عشرةَ، وتسعَ عشرةَ، وإحدَى وعشرينَ.

«عن أنس أنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يحتَجِمُ في الأَخْدَعَين»، وهما عِرقَان في موضـعِ الحِجَامة من جانِبَي العُنُق بين الكتفين.

«والكاهل»: وهو ما بين الكتفين.

«وكان يحتجِمُ لسبعَ عشرةَ، وتسعَ عشرةَ، وإحدى وعشرين».

* * *

٣٥١٩ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يستحِبُّ الحِجامةَ لسبعَ عشرةَ، وتسعَ عشرةَ، وإحدَى وعشرينَ».

«عن ابن عباسٍ: أن رسولَ الله ﷺ كان يستحِبُّ الحِجَامَة لسبعَ عشرةَ، وتسعَ عشرةَ، وإحدى وعشرين».

* * *

٣٥٢٠ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «مَن احتجمَ لسبعَ عشرةَ وتسعَ عشرةَ وإحدَى وعشرينَ، كانَ شفاءً مِن كلِّ داءٍ».

«وعن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: مَن احتجمَ لسبعَ عشرةَ وتسعَ عشرَةَ وإحدى وعشرين، كان شفاءً مِن كلِّ داء».

* * *

٣٥٢١ ـ وقال ﷺ: «مَن احتجمَ يومَ الثُّلاثاءِ لسبعَ عشرةَ خَلَتْ مِن الشَّهرِ أخرجَ الله منهُ داءَ سنةٍ».

«وقال ﷺ: من احتجَم يومَ الثلاثاءِ لسبعَ عشرةَ خلتْ من الشهرِ أخرجَ الله تعالى منه داءَ سَنة».

* * *

٣٥٢٢ ـ وعن كَبْشَةَ بنتِ أبي بكرةَ: أنَّ أباها كانَ يَنْهَى أهلَه عن الحِجامةِ يومَ الثلاثاءِ، ويزعُمُ عن رسولِ الله ﷺ أنَّ يومَ الثلاثاءِ يومُ الدَّمِ، وفيهِ ساعةٌ لا يرقَأُ.

«عن كَبْشَة بنتِ أبي بَكْرَة: أن أباها كان يَنْهَى أهلَه عن الحِجَامة يومَ الثلاثاء ويزعُمُ عن رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم»، والزعم ـ بالفتح والضم ـ: قريبٌ مِن الظنِّ، عدَّاه بـ (عن) لتضمين معنى الرواية.

«أنَّ يومَ الثلاثاءِ يومُ الدَّمِ»؛ أي: يومٌ كان الدَّمُ فيه، والمرادُ قتلُ ابن آدمَ أخاه، وقيل: يومُ غَلَبَة الدَّم.

«وفيه ساعةٌ لا يرقَأُ»؛ أي: لا يسْكُنُ فيها الدَّمُ ولا ينقطِعُ، لو احتجَمَ أو فُصِدَ فيها، وربَّما يهلَكُ الإنسانُ بعدمِ انقطاعه.

* * *

٣٥٢٣ ـ ورُوِيَ عن الزُّهريِّ مُرْسلاً، عن النبي ﷺ قال: «مَن احتجمَ يومَ

الأَربعاءِ ويومَ السَّبتِ فأصابَهُ وَضَحٌ فلا يلومَنَّ إلا نفسَه»، وقد أُسنِدَ، ولا يصحُّ.

«وروي عن الزهري مرسلاً عن النبي ﷺ: من احتجم يوم الأربعاء، أو يوم السبت فأصابَه وَضَحٌ» ـ بفتح الواو والضاد المعجمة ـ؛ أي: بَرَصٌ، والأصل فيه البياضُ.

«فلا يلومَنَّ إلا نفسَه. وقد أسند، ولا يَصِحُّ».

* * *

٣٥٢٤ ـ ويُروَى: «مَن احتَجَمَ أو اطَّلَى يومَ السَّبتِ أو الأربعاءِ فلا يلومنَّ إلا نفسَه في الوَضَحِ».

«ويُرْوَى: مَن احتجَمَ أو اطلَّىَ»؛ أي: لطَّخَ عضواً بدواءٍ، وأصلُه اطتلى.

«يومَ السبتِ أو الأربعاءِ فلا يلومَنَّ إلا نفسَه في الوَضَح».

* * *

٣٥٢٥ ـ وعن ابن عبَّاسٍ ﷺ رفعه: «خيرُ ما تَداوَيتُم بهِ اللَّدُودُ والسَّعُوطُ والحِجَامةُ والمَشِيُّ»، غريب.

«وعن ابن عباسٍ ﷺ رفعَه قال: خيرُ ما تداوَيْتُم به اللَّدُود والسَّعُوط والحِجَامة والمَشِيُّ»

«غريب».

* * *

٣٥٢٦ ـ عن زينبَ امرأةِ عبدِالله بن مسعودٍ: أنَّ عبدَالله رأَى في عُنُقي خيطاً فقال: ما هذا؟ فقلتُ: خيطٌ رُقِيَ لي فيهِ، قالت: فأخذه فقَطَعَه ثم قال:

أنتم آلَ عبدِالله لأغنياءُ عن الشِّرْكِ! سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ الرُّقَى والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ»، فقلتُ: لِمَ تقولُ هكذا؟ لقد كانَت عيني تُقْذَفُ، فكنتُ أَختلِفُ إلى فلانٍ اليهوديِّ فإذا رَقاها سكنَت! فقالَ عبدُالله: إنَّما ذلكَ عملُ الشيطانِ، كانَ ينخَسُها بيدِه، فإذا رُقي كَفَّ عنها، إنَّما كانَ يَكفيكِ أنْ تقولي كما كانَ رســولُ الله ﷺ يقول: «أَذهِبِ البأسَ ربَّ الناسِ، واشفِ أنتَ الشــافي، لا شفاءَ إلا شفاؤُكَ، شفاءً لا يغادِرُ سَقَماً».

«عن زينبَ امرأةِ عبدِالله بن مسعود: أن عبدَالله رأى في عُنُقي خَيْطاً فقال: ما هذا؟ فقلت: خيطٌ رُقِيَ لي فيه، قالت: فأخذَه فقطعَه، ثم قال: أنتم آلَ عبدِالله»، أنتم مبتدأ وخبره، «لأغنياءُ عن الشِّرْك»، فـ (آل) منصوبٌ بتقدير: أعني، وقيل: على الاختصاص، وقيل: منادى مضاف، أو خبره (آل عبدالله) و(لأغنياء) جواب قسمٍ محذوف، والمرادُ بالشِّرْك اعتقادُ أنَّ ذلك سببٌ قويٌّ وله تأثير.

«سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: إنَّ الرُّقَى»، يريدُ بها رقيةً فيها اسمُ صَنمٍ أو شيطانٍ، أو غيرِهما مِّما لا يجوزُ في الشرع.

«والتمائِم»: جمعُ تَميمة وهي خَرَزَاتٌ تُعلقُها النساءُ على عُنُقِ أولادِهِنَّ يزعُمْنَ أنها تَدفَعُ العَيْن.

«والتِّوَلَة» بالكسر ثم الفتح: نوعٌ من السِّحْر، وقيل: خيطٌ يُقرَأُ فيه من السِّحر والنيرنجات، أو قِرْطاسٌ يُكْتَبُ فيه شيءٌ منهما للمحبة.

«شِرْكٌ»: لاعتقادِهم خلافَ المُقدَّر.

«فقلت: لمَ تقولُ هكذا؟ لقد كانت عيني تُقذَف»، على بناء المجهول؛ أي: يُرْمَى بما يَهيجُ الوجعُ، وعلى بناء المعلوم؛ أي: ترمي بالرَّمَض والماءِ من الوَجع.

«وكنتُ أختلِفُ»؛ أي: أتردَّد بالرَّواح والمجيء.

«إلى فلانٍ اليهوديِّ، فإذا رقَاها سكنَتْ، فقال عبدالله: إنما ذلك عملُ الشيطان»، إشارة إلى الوجَع الذي كانتْ العينُ تجِدُه؛ أي: إنه لم يكنْ وجَعاً في الحقيقةِ، بل نَخْرَةٌ من نَخَراتِ الشَّيْطان.

«كان يَنْخَسُها»؛ أي: يطعُنُها بيده.

«فإذا رُقِيَ»؛ أي: إذا رَقى اليهوديُّ عينَك.

«كفَّ عنها»؛ أي: تركَ الشيطانُ ضَرْبَ عينكِ بيده؛ لتعتقدَ أن تلك الرقيةَ من اليهودي حَقٌّ.

«إنما كان يكفيكِ أن تقولي كما كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: أَذْهِبِ الباسَ ربَّ الناس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤُك شِفاءً لا يغادِرُ سَقَماً»، تقدم البيانُ فيه في (باب عيادة المريض).

* * *

٣٥٢٧ ـ عن جابرٍ قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن النُّشْرَةِ، فقال: «هو مِن عملِ الشَّيطانِ».

«عن جابرٍ ﷺ أنه قال: سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن النُّشْرة» بضم النون وسكون الشين المعجمة: نوعٌ من الرُّقْية كان يُعالَجُ في الجاهلية بها مَن يُظَنُّ أن به مَسَّ الجِنِّ.

«فقال: هو مِن عملِ الشيطان».

* * *

٣٥٢٨ ـ عن عبدِالله بن عَمْرٍو قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما أُبالي

ما أَتيتُ إنْ أنا شربتُ تِرْياقاً، أو تعلَّقتُ تَميمةً، أو قلتُ الشِّعرَ مِن قِبَلِ نفسي».

«عن عبدِالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولُ: ما أُبالِي»: (ما) هذه نافية.

«ما أتيتُ»: (ما) مفعولُه مقدَّمٌ عليه.

«إنْ أنا شربتُ تِرْياقاً» بكسر التاء: ما ينفَعُ في السمِّ من الأدويةِ والمعاجِينِ، حُذِفَ جوابُ (إنْ) لدلالة ما تقدَّم عليه والمعنى: إن أنا فعلتُ هذا فما أُبالي كلَّ شيء أتيتُ به، لكنِّي أُبالي مِن إتيان بعضِ الأشياءِ، وإنما كَرِهَ ﷺ شُرْبَ التِّرْياق لمَا فيه من لحوم الأفاعي والخَمْر مع ما فيه من الانتزاع عن التوكُّل.

«أو تعلَّقْتُ» لي «تميمةً»؛ أي: أخذتُها لي عُلاَقةً.

«أو قلتُ الشِّعْرَ مِن قِبَلِ نَفْسي»؛ يعني كما أنَّ إنشاءَ الشِّعْر حرامٌ عليَّ فكذلك شربُ التِّرْياق وتعليقُ التمائم حرامان عليَّ، وأمَّا في حقِّ الأمة التمائمُ وإنشاءُ الشِّعْر غيرُ حَرَامٍ إذا لم يكُنْ فيه كَذِبٌ، أو هَجْوُ مُسْلِمٍ، أو من المعاصي، وكذا التِّرْياق الذي ليس فيه محرَّمٌ شَرْعاً.

* * *

٣٥٢٩ ـ عن المغيرةِ بن شُعبةَ قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَن اكتوَى أو استرقَى فقد بَرِئَ مِن التَّوَكُّلِ».

ويُروَى: «مَن تَعلَّقَ شيئاً وُكِلَ إليه».

«عن المغيرة بن شُعْبَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: مَن اكْتَوى»: بمعنى كَوى، من الكَيِّ.

«أو اسْتَرْقى فقد بَرِئَ من التوكُّل»؛ أي: سقطَ مِنْ مرتبَتِهِ، وهذا محمولٌ

على أنْ يَرَى المُكْتَوِي الشفاءَ من الكَيَّةِ والمُسْتَرْقِي مِن الرُّقْيَة.

«ويروى: مَن تَعلَّق شيئاً»؛ أي: تمسَّكَ بشيءٍ من المداواة والرُّقية واعتقد الشفاءَ منه.

«وُكِلَ إليه»؛ أي: شفاؤُه إلى ذلك الشيءِ، فلا يحصُلُ شفاؤه.

* * *

٣٥٣٠ ـ عن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا رُقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ».

«عن عمرانَ بن حُصَين: أنَّ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لا رُقْيَة إلا من عَيْنٍ أو حُمَةٍ»؛ أي: لا رقيةَ أَوْلَى وأنفَعُ مِن رقيتِهما.

* * *

٣٥٣١ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «لا رُقيةَ إلا مِن عينٍ أو حُمَةٍ أو دَمٍ».

«عن أنسٍ ـ رضيَ الله تعالى عنه ـ قال: قال النبيُّ ﷺ: لا رقيةَ إلا من عينٍ أو حُمةٍ أو دَمٍ»؛ أي: دمِ الرُّعَاف، وإنما خصَّها بهذه الثلاثة؛ لأن رقيتَها أَشْفَى وأفشى بين الناسِ، ولم يَرِدْ به نفيَ الرقيةِ عما سواها؛ لأنه ﷺ كان يَرْقِي أصحابَ الأمراضِ والأوجاعِ بكلماتِ الله التاماتِ والآياتِ المنزلاتِ المباركات.

* * *

٣٥٣٢ ـ عن أسماءَ بنتِ عُمَيسٍ قالت: يا رسولَ الله! إنَّ وَلَدَ جعفرٍ تسرعُ إليهم العينُ، أفاسترقي لهم؟ قال: «نعم، فإنَّه لو كانَ شيءٌ سابَقَ القَدَرَ لسبقَتْهُ العينُ».

ورُوِيَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال للشِّفاءِ بنتِ عبدِالله، وهي عندَ حَفْصَةَ: «ألا تُعَلِّمينَ هذهِ رُقيةَ النَّمْلَةِ كما علَّمتِيها الكتابةَ».

«عن أسماءَ بنت عُميس أنها قالت: يا رسولَ الله! إنَّ وُلْدَ جعفرٍ»: ـ بضم الواو وسكون اللام ـ جمع وَلَد.

«تُسْرِعُ إليهم العينُ»؛ أي: تؤثِّرُ فيهم العينُ.

«أفأَسْتَرْقِي لهم؟ قال: نعم، فإنه لو كان شيءٌ سابقَ القَدَرَ لسبقتْه العينُ،

ويروى: أن النبيَّ ﷺ قال للشِّفَاء بنتِ عبدِالله وهي عند حَفْصَة» زوجةِ النبيِّ ﷺ:

«ألا تُعلِّمينَ هذه» ـ أي: حفصةَ ـ «رُقْيَةَ النَّمْلَة»، ذهب أكثرُ العُلَماءِ أن المرادَ بها ما مرَّ ذِكرُه سالفاً من المَرَض، وقيل: هي شيءٌ كانت تستعمِلُه نساءُ العَرَب يعلمُ كلُّ مَن سَمِعَه أنه كلامٌ لا يَضُرُّ ولا يَنْفَع.

«كما عَلَّمْتِيها الكتابةَ»، والياء نشأتْ من إشباع الكَسْرَة، وهذا يدلُّ على أن تعليمَ النِّساءِ الكتابةَ غيرُ مكروهٍ، أو خُصَّتْ به حفصة؛ لأنَّ نساءَه ﷺ خُصِصْنَ بأشياءَ، قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وما رُوي: أنه ﷺ قال: «لا تُعَلِّموهنَّ الكتابة» يُحمَل على نساء العامَّة؛ لخوف الافتتان عليهنَّ.

* * *

٣٥٣٣ ـ عن أبي أُمامةَ بن سَهْلِ بن حُنيفٍ قال: رأَى عامرُ بن ربيعة سهلَ ابن حُنيفٍ يغتسلُ فقالَ: والله ما رأيتُ كاليومِ، ولا جِلْدَ مخبَّأَةٍ! قال: فلُبِطَ سَهْلٌ، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ فقيلَ له: يا رسولَ الله! هل لكَ في سَهْلِ بن حُنَيفٍ، والله ما يرفَعُ رأسَه! فقالَ: «هل تَتَّهمونَ لهُ أحداً؟» قالوا: نتَّهمُ عامرَ بن ربيعةَ، قال فدَعا رسولُ الله ﷺ عامراً فتَغَلَّظَ عليهِ وقال: «عَلامَ يقتلُ أحدُكم أخاهُ، ألا

بَرَّكْتَ؟ اغتسِلْ لهُ»، فغَسلَ عامرٌ وجهَهُ ويدَيهِ ومِرفَقيهِ ورُكْبَتيه وأطرافَ رِجليهِ وداخِلةَ إزارِه في قدَح ثم صُبَّ عليه، فراحَ مع النَّاس ليسَ بهِ بأسٌ.

«عن أبي أمامةَ بن سهلِ بن حُنَيف»: بصيغة التصغير.

«أنه قال: رأى عامرُ بن ربيعة سهلَ بن حُنَيف يغتسِلُ فعانَه»؛ أي: أصابَتْه عينٌ.

«فقال: والله ما رأيتُ كاليومِ ولا جِلْدَ مُخبَّأَةٍ»: عطف على مفعول (رأيت) مقدَّراً، والكافُ مفعولٌ مطلَقٌ، والتقديرُ: ما رأيتُ في وقتٍ ما جِلْدَ غيرِ مُخبَّأَةٍ ولا جِلْدَ مُخبَّأَةٍ، أو ما رأيتُ جِلْدَ رجُلٍ في اللَّطافَةِ ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ في البياضِ والنعومةِ مثل رؤيتي اليومَ؛ أي: مثلَ الجِلْد الذي رأيتُه اليومَ، وهو جِلْدُ سَهْلِ بن حُنَيف؛ لأنَّ جِلْدَه كان لطيفاً، والمخَبَّأَة: الجاريةُ التي في خِدْرها لم تتزَوجْ بعدُ؛ لأن صيانتَها أبلَغُ من المتزوِّجة وجلدُها أنْعَم.

«قال»؛ أي: الراوي.

«فلُبِطَ»، بضم اللام وكسر الباء الموحدة؛ أي: صُرِعَ «بسَهْلٍ» وسقطَ إلى الأرضِ من تأثير إصابةِ عَيْنِ عامر.

«فأُتِيَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل: يا رسولَ الله! هل لك»؛ أي: من خير، أو مداواة «في سهل بن حُنيف؟»؛ أي: شأنِه.

«والله ما يَرْفَعُ رأسَه، فقال»؛ أي: النبي ﷺ: «هل تَتَّهِمُون له أحداً»؛ أي: تظنُّون أحداً أصابَه بالعين.

«فقالوا: نتَّهِمُ عامرَ بن ربيعة، قال: فدعا رسولُ الله ﷺ عامراً فتغلَّظَ عليه»؛ أي: قال معه كلاماً غليظاً.

«فقال: علامَ»، أصلُه: علا ما، حَذِفت الألف مِن (ما) الاستفهامية، معناه:

لمَ «يقتُلُ أحدُكم أخاه؟ ألاَ بَرَّكْتَ»؛ أي: هلاَّ قلتَ: باركَ الله عليك، حتى لا تؤثِّرَ العينُ فيه.

«اغْسِل له، فغسَلَ له عامرٌ وجهَه ويديه ومِرفَقيه وركبتيه وأطرافَ رِجْلَيه وداخِلةَ إزارِه»، قيل: المرادُ به الذَّكَر، وقيل: الأفاخذ والوَرِك، وقيل: طرفُ الإزارِ الذي يَلِي الجسد مما يَلِي الجانبَ الأيمن.

«في قَدَحٍ، ثم صُبَّ عليه» ذلك الماء.

«فراحَ مع النَّاسِ»؛ أي: ذهبَ بهم.

«وليس به بأس».

* * *

٣٥٣٤ - عن أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يتعوَّذُ من الجانِّ وعينِ الإنسانِ حتى نزلَتْ المُعَوِّذتانِ، فلمَّا نزلَتا أخذَ بهما وتركَ ما سِواهما. غريب.

«عن أبي سعيدٍ الخُدْري ﷺ أنه قال: كان رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوَّذُ من الجَانِّ» بأن يقولَ: أعوذ بالله من الجانِّ

«وعينِ الإنسانِ، حتى نزَلَتِ المعوِّذَتـــان، فلمَّا نزلتْ أخـــذَ بهما وتركَ ما سواهما» غريب.

* * *

٣٥٣٥ - قالت عائشةُ رضي الله عنها: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «هل رُئيَ فيكم المُغَرِّبُونَ؟» قلت: وما المُغرِّبونَ؟ قال: «الذينَ يشتركُ فيهم الجِنُّ»، غريب.

«قالت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ: قال لي رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: هل رُئِيَ فيكم المغرِّبون؟»: بتشديد الراء وكسرها.

«قلتُ: وما المغرِّبُون؟ قال: الذين يشترِكُ فيهم الجِنُّ»؛ لتركهم ذِكْرَ الله عند الوِقَاع، فيلْتَوِي الشيطانُ على إحْلِيله فيجامعُ معه، قال الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[الإسراء: ٦٤] فيجبُ على الإنسانِ إذا خالطَ امرأتَه أن يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ جَنِّبنا الشيطانَ وجَنِّبِ الشيطانَ ما رَزَقْتَنا»، فإذا تركَ هذا الدعاءَ عند المواقعةِ شاركَه الشيطانُ في الوِقَاع، ويسمَّى هذا الولدُ مُغرِّباً؛ لأنه دخلَ فيه عِرْق.

«غريب».

* * *

٢ ـ باب

الفَأْلِ والطِّيَرَةِ

(باب الفأل والطيرة)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٥٣٦ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا طِيَرَةَ، وخيرُها الفألُ»، قالوا: وما الفألُ؟ قال: «الكلِمةُ الصَّالحةُ يسمعُها أحدُكم».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرةَ أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لا طِيَرَةَ»، وهي ـ بكسر الطاء وفتح الياء ـ اسمٌ ما يتشاءَم، وقيل: مصدر تَطَيَّر؛ أي: تشاءَم، وكان أهلُ الجاهلية إذا قصد أحدٌ إلى حاجة، وأتَى من جانبهِ الأيسرِ طير، أو

غيره يتشاءَم به فيرجِعُ، هذا هو الطِّيَرة، فأبطَلها النبيُّ ﷺ.

«وخيرُها الفَأْل»؛ أي: الفَأْلُ خيرٌ من الطِّيَرَة، لا بمعنى أنَّ في الطِّيَرَة خيراً، أو الفأل خيرٌ منها، إذ لا خيرَ فيها أصلاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[الفرقان: ٢٤]؛ أي: أصحابُ الجَنَّة خيرٌ من أصحابِ النار.

«قالوا: وما الفَأْل؟ قال: الكلمةُ الصالحةُ يسمَعُها أحدُكم»، على قَصْدِ التفاؤل كسماعِ مريضٍ: يا سالم، وطالبِ ضالَّة: يا واجد، وخارجٍ لحاجةٍ: يا راشد، يا نَجِيح.

* * *

٣٥٣٧ ـ وقال: «لا عَدْوَى، ولا طِيَرَةَ، ولا هامَةَ، ولا صَفَرَ، وفِرَّ مِن المجذومِ كما تَفِرُّ مِن الأسدِ».

«وعن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا عَدْوَى»، وهو اسمٌ من الإعْدَاء، وهو مجاوزَةُ العِلَّة من صاحبها إلى غيره.

«ولا طِيَرَة ولا هامَةَ»؛ اسمُ طيرٍ يَتَشَاءَم به الناسُ، وكانت العربُ تزعُمَ أن عظامَ الميتِ إذا بَلِيَتْ تصيرُ هامةً، وتخرج من القَبْرِ وتَتَرَدَّدُ، وتأتي الميتَ بأخبار أهلهِ، فأبطل ﷺ هذا الاعتقاد.

«ولا صَفَرَ»، وقيل: أراد به النَّسِيءَ المَجْعُول في الجاهلية بتأخيرِ المُحَرَّم إلى صفر وجَعْلِهم إياه الشهرَ الحرامَ، فيقاتِلُون في المُحَرَّم ويحُرمونه في صَفَر بدلَه، وقيل: كانوا يتشاءمون بصَفَر، وقيل: الصَّفَر حَيَّةٌ في بطن الإنسان والماشية، تؤذيه وتلدَغُه إذا جاعت.

«وفِرَّ من المَجْذُومِ كما تَفِرُّ من الأسد»، والعِلَّةُ فيه أن الجُذَام من الأمراض المُعْدِية كالجَرَب والحَصْباء والبَرَص والوَبَاء وغيرِها، وقد تُعْدِي بإذن الله تعالى فيحصُلُ له منه ضررٌ، وأما قوله ﷺ: (لا عدوى)، فالمرادُ منه نفيُ ما كان أهلُ الجاهليةِ يزعُمُونه من أن المرضَ يتعدَّى بطبعه لا بفعل الله تعالى.

* * *

٣٥٣٨ ـ وقالَ: «لا عَــدوَى، ولا هـــامةَ، ولا صفرَ»، فقالَ أعرابيٌّ: يا رسولَ الله! فمَا بالُ الإبلِ يكونُ في الرَّملِ كأنَّها الظِّباءُ، فيخالطُها البعيرُ الأجربُ فيُجربُها؟ فقالَ ﷺ: «فمَن أَعدَى الأوَّلَ؟».

«وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: لا عَــدْوَى ولا هـــامَةَ ولا صَفَرَ، فقال أعرابيٌّ: يا رسول الله! فما بالُ الإبـلِ تكونُ في الرَّمْل كأنَّها الظِّباءُ، فيخالِطُها البعيرُ الأجْرَبُ فيُجْرِبهُا، فقال رسولُ الله ﷺ: فمَنْ أَعْدَى الأول؟»: استفهام؛ أي: فمن أَجْرَبَ ذلك البعيرَ أولاً؟ يريدُ أنه كان ذلك بقضاءِ الله تعالى وقَدَرِه لا بالعَدْوى.

* * *

٣٥٣٩ ـ وقال: «لا عَدْوَى، ولا هامَةَ، ولا نَوْءَ، ولا صَفَرَ».

«وقال لا عَدْوَى ولا هامَةَ ولا نَوْءَ»، والنَّوْءُ عند العَرَبِ: سقوطُ نَجْمٍ وطلوعُ نظيرِه من الفَجْر أحدُهما في المَشْرِق والآخرُ في المَغْرِب من المنازل الثمانية والعشرين، كانوا يعتقِدُون أن لا بُدَّ عنده من مَطَر، أو ريحٍ ينسُبـونه إلى الطالع أو الغارب، فنفى ﷺ صحةَ ذلك.

«ولا صَفَرَ».

* * *

٣٥٤٠ ـ وعن جــابرٍ قال: ســـمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا عَدوَى، ولا صَفَرَ، ولا غُوْلَ».

«عن جابرٍ ﷺ أنه قال: سمعُت رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولُ: لا عَدْوَى ولا صَفَرَ ولا غُولَ»، وهو واحد الغِيْلاَن وهي نوعٌ من الجِنِّ كان العربُ يعتقِدُون أنه في الفلاة يتصرَّف في نفسه ويتراءَى الناسُ بألوانٍ مختلفةٍ وأشكالٍ شَتَّى ويُضلُّهم عن الطريق ويُهْلِكُهم.

وأما قوله ﷺ: «إذا تغوَّلَت الغِيْلاَن فعليكُم بالأذان»، فمحمولٌ على أنه كانَ ذلك في الابتداء، ثم دفعَه الله عن عبادِهِ.

* * *

٣٥٤١ ـ عن عَمْرِو بن الشَّرِيدِ، عن أبيه قال: كانَ في وفدِ ثَقيفٍ رجلٌ مجذومٌ فأرسلَ إليهِ النبيُّ ﷺ: «إنَّا قد بايعناكَ فارجعْ».

«وعن عمروِ بن الشَّرِيد، عن أبيه أنه قال: كان في وَفْدِ ثقيف»، وهي قبيلةٌ.

«رجلٌ مَجْذُومٌ، فأرسَلَ إليه النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم: إنا قد بايعناكَ فارْجِعْ»، وفيه رَخْصَةٌ لمن أراد أن يَحْتَرِزَ من المَجْذُوم لِقِلَّة توكُّلِهِ.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٥٤٢ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يتفاءَلُ ولا يتطيرُ، وكانَ يحبُّ الاسمَ الحَسَنَ.

«من الحسان»:

«عن ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: كانَ النبيُّ ﷺ يتفاءَلُ

ولا يَتَطيَّرُ، وكان يُحِبُّ الاسم الحسن».

* * *

٣٥٤٣ ـ عن قَطِن بن قَبِيصَةَ، عن أبيه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «العِيَافةُ والطَّرْقُ والطِّيرَةُ مِن الجِبْتِ».

«عن قَطَن»: بفتحتين.

«ابن قَبِيصَةَ»: بفتح القاف وكسر الباء.

«عن أبيه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: العِيَافَةُ»، أرادَ به زَجْرَ الطيرِ للتفاؤُلِ، والاعتبارُ في ذلك بأسمائِها وأصواتِها ومَمرِّها ومساقِطِها، والعيافةُ أخصُّ من الطِّيَرَة.

«والطَّرْقُ» بفتح الطاءِ وسكونِ الراء المهملتين: الضربُ بالحَصَا، قيل: أي: ضربَ الطيرَ بالحَصَا لتَسْنَحَ، أو تَبْرَح، يقال: سَنَحَ لي الظبيُ [يَسْنَح] سُنُوحاً: إذا مَرَّ من مياسِرِكَ إلى ميامِنِك، والعربُ تتيمَّن بالسانح وتتشاءَم بالبارح، والبارِحُ ما ولاَّك مياسِرَه، والسانِحُ ما ولاَّك ميامِنَه، وقيل: الذي يفعلُه النساء بالحصا، وهي نوعٌ من التكهُّن.

«والطِّيَرَة من الجِبْتِ»؛ أي: مِن السِّحْر والكِهَانة؛ أي: هذه الأشياءُ محرَّمَةٌ كالسِّحْر.

* * *

٣٥٤٤ ـ عن عبدِالله بن مسعودٍ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «الطِّيرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»، قاله ثلاثاً ـ ما مِنَّا إلا ـ ولكنَّ الله يُذهِبُه بالتوكُّلِ» قيل: قوله: «وما مِنا» قولُ ابن مسعودٍ.

«عن عبدالله بن مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»؛ لاعتقادِهم أنَّ التطيُّرَ يجلُبُ لهم نَفْعاً، أو يدَفَعُ عنهم ضَرَراً إذا عَمِلُوا بموجِبه، فكأنَّهم أَشْرَكُوه مع الله في ذلك.

«**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، قاله ثلاثاً، وما مِنّا إلا**»، تفاؤلٌ؛ أي: ليس منا مَن تعرَّضَ له الوَهْمُ من قِبَلِ الطِّيَرَة، وقيل: أي: ما مِنَّا مَن كان في قلبه الطِّيَرَة؛ يعني: نفوسُنا كنفوس الجاهِلِيَّة في اعتقاد الطِّيَرَة.

«**ولكنَّ الله يُذْهِبُه بالتوكُّلِ**»؛ أي: بتوكُّلِنا على الله تعالى واعتقادِنا صِدْقَ حديثِ رسولِ الله ﷺ.

قيل قوله: (وما منا) قولُ عبدِالله بن مسعودٍ، لا قولُ النبيِّ ﷺ، كذا قاله سليمانُ بن حارث.

* * *

٣٥٤٥ ـ وعن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذَ بيدِ مَجذومٍ فوضعَها معَهُ في القَصْعَةِ وقال: «كُلْ ثِقَةً بالله وتَوَكُّلاً عليهِ».

«**وعن جابرٍ ﷺ: أنَّ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذَ بيد مَجْذُومٍ فوضَعها معه في القَصْعَة وقال: كُلْ ثقةً بالله وتوكُّلاً عليه**»، نصبُهما على أنهما مفعولان مُطْلَقان مؤكِّدان لغيرِهما، والتقديرُ: أثِقُ بالله ثقةً وأتوكَّلُ عليه توكُّلاً، والجملةُ حالية، والثقةُ الاعتمادُ، وهذا درجةُ المتوكِّلِين، فإنَّ حالَ النبيِّ ﷺ في التوكُّلِ على الله تعالى أَقْوى من حالِ الأُمَّة، فجازَ ألاَّ يُخافَ عليه ما يُخافُ على غيره من العِلَلِ المتعدِّية، مع أن الأنبياءَ معصُومُون مِن مثل هذه الأمراضِ المنفِّرة.

* * *

٣٥٤٦ ـ وعن سعدِ بن مالكٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال: «لا هـامَةَ، ولا عَدْوَى، ولا طِيَرَة، وإنْ تَكُن الطِّيَرَةُ في شيءٍ ففي الدَّارِ والفَرَسِ والمرأةِ».

«وعن سعدِ بن مالكٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: لا هـامَةَ ولا عَـدْوَى ولا طِيَرَةَ، فإنْ تكنِ الطِّيَرَةُ»؛ أي: الشؤمُ «في شيءٍ ففي الدَّار والفَرَسِ والمَرْأَة»، قيل: ربطُ الشرطيَّة على قوله: «ولا طِيَرَة» يدلُّ على انتفاءِ الشُّؤْم عن هذه الثلاثةِ أيضاً؛ أي: لو كان للشُّؤْمِ وجودٌ في شيء؛ لكانَ في هذه الأشياءِ، لكنْ لا وجودَ له فيها ولا وجودَ له أصلاً.

* * *

٣٥٤٧ ـ عن أنسٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُعجِبُه إذا خرجَ لحاجةٍ أنْ يسمعَ: يا راشدُ! يا نجيحُ!.

«وعن أنـسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُعْجِبُه إذا خرجَ لحاجـةٍ أن يَسْـمَع: يا راشدُ!»؛ أي: يا واجدَ الطريقِ المستقيم.

«يا نَجِيح!»، وهو الذي قُضِيَتْ حاجتُه، تفاءَلَ بهذين اللَّفْظَين وأشباهِهما.

* * *

٣٥٤٨ ـ وعن بُرَيْدَةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ لا يتطيرُ مِن شيءٍ، فإذا بعثَ عامِلاً سألَ عن اسمِهِ؟ فإذا أعجبَهُ اسمُه فَرِحَ به ورُئِيَ بِشْرُ ذلكَ في وجهِهِ، وإنْ كَرِهَ اسمَهُ رُئِيَ كراهيةُ ذلكَ في وجهِهِ، وإذا دخلَ قريةً سألَ عن اسمِها؟ فإنْ أعجبَهُ اسمُها فَرِحَ بها ورُئِيَ بِشْرُ ذلكَ في وجهِهِ، وإنْ كَرِهَ اسمَها رُئِيَ كراهيةُ ذلكَ في وجهِهِ.

«عن بُريدة: أن النبيَّ ﷺ كان لا يتطيَّرُ من شيءٍ، فإذا بعثَ عاملاً يسألُ

عن اسمِهِ، فإذا أعجبَه اسمُه فَرِحَ به ورُئِي بِشْرُ ذلك في وجهِهِ، وإن كَرِهَ اسمَه رُئِيَ كراهيةُ ذلك في وجهه»، فالسُّنَّةُ أن يختارَ الإنسانُ لولدِهِ وخادمِهِ الأسماءَ الحسنةَ، فإن الأسماءَ المكروهةَ قد تُوافِقُ القَدَر، مثلاً لو سَمَّى أحدٌ ابنه بِـ (خَسَارٍ) فربما جرى قضاءُ الله بأنْ يَلْحَقَ بذلك المسمَّى به خَسَارٌ، فيعتقِدُ بعضُ الناس: أن ذلك بسببِ اسمه فيتشاءمون به، ويحترِزون عن مجالسته ومواصَلَتِه.

وروي عن سعيدِ بن المسيَّب: أن عمرَ بن الخَطَّاب قال لرجلٍ: ما اسمك؟ قال: جَمْرَة، قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: ممن؟ قال: من الحَرَّاقَة، قال: أين مسكنُك؟ قال: بحرَّة النار، قال: بأيـها؟ قال: بذات لَظًى، فقال عمر: أَدْرِكْ أهلك فقد احترَقُوا، فكان كما قال عمر.

«وإذا دخلَ قريةً سألَ عن اسمِها، فإنْ أعجبَه فَرِحَ بها، فرُئِيَ بِشْرُ ذلك في وجهِه، وإنْ كَرِهَ اسمَها رُئِي كراهيةُ ذلك في وجهه».

* * *

٣٥٤٩ ـ عن أنسٍ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله! إنَّا كنا في دارٍ كثيرٌ فيها عَدَدُنا وأموالُنا فتحوَّلنا إلى دارٍ قلَّ فيها عددُنا وأموالُنا؟ فقالَ رسول الله ﷺ: «ذَرُوها ذَمِيمَةً».

«عن أنسٍ أنه قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! إنَّا كنَّا في دارٍ كثيرٍ فيها عددُنا وأموالُنا فتحوَّلْنا»؛ أي: انتقَلْنا **«إلى دارٍ قلَّ فيها عددُنا وأموالُنا، فقال ﷺ: ذَرُوها»**؛ أي: اتركُوها بالتحوُّل عنها.

«ذميمةً»، وهي مذمومة نصب على الحال؛ أي: في حال كونِها مذمومةً؛ لأن هواها غيرُ موافِقٍ لكم.

* * *

٣٥٥٠ ـ ورُوِيَ عن فَرْوَةَ بن مُسَيْكٍ أنَّه قال: يا رسولَ الله! أرضٌ عندَنا هي أرضُ رَيْعِنا ومِيرتِنا، وإنَّ وباءها شديدٌ؟ فقالَ: «دَعْها عنكَ، فإنَّ مِن القَرَفِ التَّلَفَ».

«وروي عن فَروة بن مُسَيك»، بالتصغير.

«أنه قال: يا رسول الله! أرضٌ عندنا هي أرضُ رَيْعِنا»؛ الرَّيْعُ: الزيادةُ؛ يعني: يحصلُ لنا فيها الثمارُ والنبات.

«ومِيرتُنا»: المِيْرَةُ: الطعامُ المنقولُ من بلدٍ إلى بلد.

«وأن وباءَها شديدٌ، فقال: دَعْها»؛ أي: اترُكْها «عنك، فإنَّ من القَرَفِ»: وهو مداناةُ المرِيضِ ومداناة الوباء، (من) هنا للسببية.

«التَّلَف»؛ أي: الهلاك، وهذا ليس من باب العَدْوى، بل مِن بابِ الطِّبِّ، فإنَّ استصلاحَ الهواءِ مِنْ أَعْوَنِ الأشياءِ على الصِّحَّة، وفَسَاده من أسرعِها إلى الأسقام عند الأطباء، وكلُّ ذلك بإذنِ الله تعالى.

* * *

٣ ـ باب
الكَهانَة

«باب الكِهَانة»: وهو الإخبار عن الغَيْبِ في الكوائن المستقبلة.

مِنَ الصِحَاحِ:

٣٥٥١ ـ عن مُعاويةَ بن الحَكَمِ ﷺ قال: قلتُ: يا رسولَ الله! أموراً كنا نصنعُها في الجاهليةِ، كنَّا نأتي الكُهَّانَ؟ قال: «فلا تأتُوا الكُهَّانَ» قال: قلتُ: كُنَّا نتطيَّرُ؟ قال: «ذلكَ شيءٌ يجدُه أحدُكم في نفسِهِ فلا يَصُدَّنَّكم»، قال: قلتُ: وما مِنَّا رِجالٌ يَخُطُّونَ؟ قال: «كانَ نبيٌّ من الأنبياءِ يَخُطُّ فمَنْ وافقَ خطَّهُ فذاكَ».

«من الصحاح»:

«عن معاويةَ بن الحَكَم أنه قال: قلت: يا رسولَ الله! أموراً»؛ أي: أذكر أموراً «كنَّا نصنَعُها في الجاهليةِ، كُنَّا نأتي الكُهَّان قال: فلا تأْتُوا الكُهَّان، قال: قلت: كنا نتطيَّر قال: ذلك شيء يجدُه أحدُكم في نفسِه» مِن قِبَلِ الظنونِ المعتَرِيَةِ بحُكْمِ البشريَّة بلا تأثيرٍ منه.

«فلا يصدَّنَكم»؛ أي: لا يَمنعنَكُم التطُّيرُ عن الأمر الذي قَصَدْتُم.

«قال: قلتُ: ومنَّا رجالٌ يخطُّون؟ قال: كان نبيٌّ من الأنبياء يخطُّ فمن وافقَ خَطَّه فذاك»، تَقَدَّمَ بيانهُ في (باب ما لا يجوزُ من العمل في الصلاة).

* * *

٣٥٥٢ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سألَ أُناسٌ رسولَ الله ﷺ عن الْكُهَّانِ؟ فقالَ لهم رسولُ الله ﷺ: «ليسوا بشيءٍ»، قالوا: يا رسولَ الله! فإنَّهم يُحَدِّثونَ أحياناً بالشَّيءِ يكونُ حَقَّاً؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «تلكَ الكلِمةُ مِن الحقِّ يخطَفُها الجِنِّيُّ فيَقُرُّها في أُذُنِ وَلِيـهِ قَرَّ الدَّجاجةِ، فيخلِطونَ فيها أكثرَ مِن مِئَةِ كَذْبةٍ».

«عن عائشةَ أنها قالتْ: سألَ أُناسٌ رسولَ الله ﷺ عن الكُهَّانِ، فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لَيْسُوا بشيءٍ»؛ أي: لا يُعْتَمدُ على قَوْلِهِم.

«قالوا: يا رسول الله! فإنهم يحدِّثُون أحياناً بالشيء يكون حقاً، فقال رسول الله: تلك الكلمةُ مِن الحَقِّ»؛ أي: من الصِّدْق.

«يخطَفُها الجِنِّيُّ»؛ أي: يَسْتَلِبُها بسرعة، قيل: الجِنُّ قد تتصِلُ بالملائكةِ اتصالاً ما بسببِ مناسبةٍ ما بينَهما، فيستفيدُ بعضَ علومِهابحسب استعدادِها.

«فَيَقُرُّها»؛ أي: يُصَوِّتُ الجِنِّيُّ تلك الكلمةَ «في أُذنِ وَلِيـه» من الكهَّان بحيث لا يَطَّلِعُ عليه غيرُه.

«قَرَّ الدَّجاجةِ»؛ أي: مِثْلَ صوتِها بما لا يُفْهَم، أو يردِّدُها حتى يَفْهَمه كما تُردِّدُ الدجاجةُ صوتهَا، أو يصبها بحيث يتولَّد منها كلماتٌ يصدُقُ في بعضها ويكذِبُ في أكثَرَ، مثل صَبِّ الدجاجةِ مَنِيَّه في صاحبته بحيثُ يتولَّد منه بيضاتٌ كثيرةٌ.

«فيَخْلِطُون فيها»؛ أي: الكُهَّان في تلك الكلمة.

«أكثر من مئة كَذْبَة» بفتح الكاف وسكون الذال.

* * *

٣٥٥٣ ـ وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ الملائكةَ تَنْزِلُ في العَنان ـ وهو السَّحابُ ـ فتذكرُ الأمرَ قُضِـيَ في السَّماءِ فتَسترِقُ الشَّياطينُ السَّمعَ فتسمعُه، فتُوحيهِ إلى الكُهَّانِ فيكذبونَ معَها مِئَةَ كَذْبةٍ مِن عندِ أنفسِهِم».

«وعن عائشةَ أنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: إنَّ الملائكةَ تنزِلُ في العَنَان، وهو السَّحَاب»، يحتملُ أن يكونَ من قولِ الرَّاوي تفسيراً للعَنَان، والسَّحاب مجازٌ عن السماء.

«فتَذْكُرُ»؛ أي: الملائكةُ «الأمرَ الذي قضـيَ»؛ أي: قَضَى الله تعالى في كلِّ يومٍ من الحوادثِ في الدنيا، فيحدِّثُ بعضهُم بعضاً.

«في السماء، فتسترِقُ الشياطينُ السَّمْعَ»؛ أي: يسْتَرِقُونه مُسْتَخْفِين.

«فتَسمَعُه فتُوحِيه»؛ أي: الشياطينُ الأمرَ.

«إلى الكُهَّان»، والإيحاءُ والوَحْيُ: الإعلامُ بخُفْيَة، وعن الزَّجَّاج: الإيماءُ يُسَمَّى وَحْياً.

«فَيَكذِبُون معها مئة كذبَةٍ من عندِ أَنْفُسِهم»، فما ظهرَ صِدْقُه فهو من قَسْمِ ما سمعَ من الملائكةِ وما ظهَر كَذِبُه فهو من قَسْمِ ما قالُوه مِن تلقاءِ أنفسِهم، قيل: صعودُ الجِنِّ إلى السماءِ قبلَ ولادةِ نبيِّنا ﷺ، وأمَّا بعدَها فكانت إذا صعدَتْ لاستراقِ السَّمْعِ رُجِمَتْ بكواكبَ أمثالِ النارِ يُحرَقُون بها.

* * *

٣٥٥٤ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَتَى عَرَّافاً فسأَلَه عن شيءٍ لم تُقبَلْ له صلاةٌ أربعينَ ليلةً».

«**وعن صفيَّة بنت أبي عُبيدة أنها قالتْ: قالَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من أَتَى عَرَّافاً**»، وهو مَن يُخبِـرُ بما أُخْفِيَ من المسروق ومكانِ الضَّالَّة.

وفي «الصحاح»: العرَّاف: الكاهِن.

«**فسأَلَه عن شيءٍ لم تُقبَلْ له صلاةٌ أربعين ليلةً**»؛ أي: يوماً، والمرادُ بعدمِ قَبُولِ صلاتهِ عدمُ كمالِها، وتخصيصُ الصلاة مِن بينِ الأعمالِ يَحتملُ أنْ يكونَ لكونِها عمادَ الدِّين فيكونُ صيامُه وغيرُه كذلك، أو يفوَّضُ عِلْمَه إلى الشَّارع، قيل: ذِكْرُ العَدَدِ هنا للتَّكْثير، وهذا في حَقِّ مَن اعتقدَ صِدْقَ العَرَّافِ، لا في حقِّ مَن سألَ للاستهزاءِ أو للتَّكْذيـب.

* * *

٣٥٥٥ ـ عن زيدِ بن خالدٍ الجُهنيِّ قال: صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبحِ بالحُديبيةِ على إثرِ سماءٍ كانت من اللَّيلِ، فلمَّا انصرفَ أقبلَ على النَّاسِ، فقال: «هلْ تدرونَ ماذا قالَ ربُّكم؟» قالوا: الله ورسولُه أعلمُ، قالَ: «أصبحَ مِن عبادِي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأمَّا من قال: مُطِرنا بفضلِ الله وبرحمتِه، فذلك مؤمنٌ

بي كافرٌ بالكواكبِ، وأمَّا مَن قالَ: مُطِرنا بنوْءِ كذا وكذا، فذلكَ كافِرٌ بي مُؤْمِنٌ بالكواكبِ».

«عن زيدِ بن خالدٍ الجُهَنِيِّ أنه قال: صلَّى لنا رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلمَ صلاةَ الصبُّح بالحُدَيْبية على إثْرِ سماءٍ»، بكسر الهمزة وسكون الثاء وبفتحتين أيضاً؛ أي: عَقِيب مطرٍ «كانَتْ من اللَّيل»، تأنيثُه باعتبار الرَّحمة، أو نظراً إلى لفظة السَّماء.

«فلما انصرفَ أقبلَ على النَّاسِ فقال: هل تَدْرُون ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: الله ورسولُه أعلَمُ، قال: قالَ الله تعالى: أصبحَ مِن عبادي»، (من) للتبعيضِ، وهو مبتدأ، وما بعدَه خبرٌ له، والجملة خبر (أصبح).

«مؤمنٌ بي» وكافرٌ بالكواكب.

«وكافرٌ بي» ومؤمنٌ بالكواكب، ويحتملُ أن يكونَ اسمُه (مؤمنٌ بي)، و(من عبادي) خبرُه، فـ (مِن) بيانية، وفيه قلبٌ مِن حيثُ المعنى كقوله: عرضتُ الناقةَ على الحَوْض.

«فأمَّا مَن قال»، تفصيلٌ للمُجْمَل.

«مُطِرْنا» بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي وكافرٌ بالكواكب، وأمَّا مَن قال:

«مُطِرْنا بنوءِ كذا وكذا فذاك كافرٌ بي ومؤمنٌ بالكواكب».

* * *

٣٥٥٦ - عن أبي هريرةَ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «ما أنزل الله مِن السَّماءِ من بركةٍ إلا أصبحَ فريقٌ مِن النَّاسِ بها كافرينَ، يُنَزِلُ الله الغيثَ فيقولونَ: بكوكبِ كذا وكذا».

«عن أبي هريرةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما أنزلَ الله من السماءِ من بركةٍ»؛ أي: مِن مطرٍ.

«إلا أصبحَ فريقٌ من الناسِ بها كافِرينَ، يُنزلُ الله الغيثَ فيقولون: بكوكبِ كذا وكذا»؛ أي: نزولُ المطرِ بسببِ طُلوعِ كذا أو غروبه، أو وصوله إلى موضع كذا وكذا، قالوا: مَن قال ذلك معتقِداً أن الكواكبَ فاعلٌ مدبِّرٌ مُنْشِئٌ للمطر كما كان بعضُ أهلِ الجاهلية يزعُمُ فهو كافرٌ بالله، ومَن اعتقدَ أنه مِن الله وبرحمتهِ، وأنَّ النَّوْءَ ميقاتٌ له وعلامةٌ اعتباراً بالعادةِ فلا يكفُر، لكنْ يُكْرَهُ في الأَظْهَر كراهةَ تَنْزيه.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٥٥٧ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «مَن اقتبسَ عِلْماً مِن النُّجومِ؛ اقتبسَ شُعبةً مِن السِّحْرِ، زادَ ما زادَ».

«من الحسان»:

«عن ابن عباسٍ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من اقْتَبَسَ»؛ أي: تعلَّمَ. «عِلماً من النجوم اقتبسَ شُعْبَةً»؛ أي: قطعةً «من السِّحْر»؛ لأن المنَّجم يُضيفُ الكوائنَ إلى غير الباري تعالى، كالساحرِ يُضيفُها إلى سِحْرِه.

«زاد» اقتباس شعبة السِّحر «ما زاد» اقتباسُ عِلْمِ النجوم.

* * *

٣٥٥٨ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَتَى كاهِناً

فصدَّقه بما يقولُ، أو أَتَى امرأتَه حائِضاً، أو أتى امرأتَه في دُبُرِها فقد بَرِئَ مما أُنزِلَ على محَمدٍ ﷺ».

«عن أبي هريرةَ ـ رضيَ الله تعالى عنه ـ قال: قالَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مَن أَتَى كاهناً فصدَّقَه بما يقولُ، أو أَتَى امرأتَه حائضاً، أو أتى امرأتَه في دُبُرِها» مُستحِلاً بها.

«فقد بَرِئَ بما أُنْزِلَ على محمد».

❐❐❐

(٢٢)
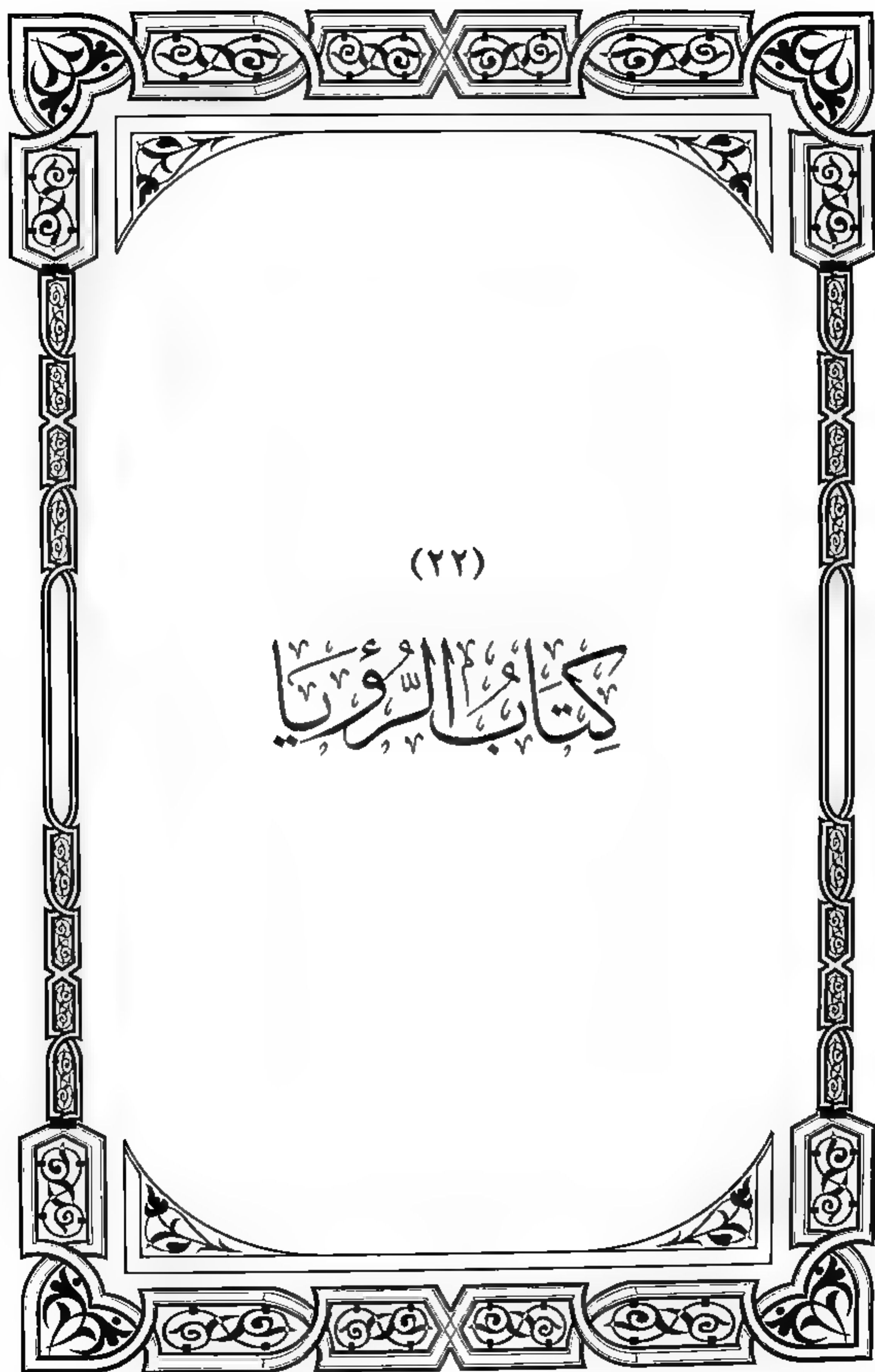
كِتَابُ الرُّؤْيَا

(٢٢)

كِتَابُ الرُّؤْيَا

(كتاب الرؤيا)

وهو ما يُرى في المنام، يقال: رأى في منامِه رُؤْيا ـ بلا تنوين ـ بمعنى الرؤية، لكن فُرِّقَ بينَ ما يُرى مناماً ويقظةً بتاء التأنيث وألفه.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٥٥٩ ـ قال رسولُ الله ﷺ: «لم يَبْقَ مِن النُّبوَّةِ إلا المُبشِّراتِ»، قالوا: وما المُبشِّراتُ؟ قال: «الرُّؤيا الصَّالحةُ يَراها المسلمُ، أو تُرَى له».

«عن ابن عباسٍ ـ رضيَ الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لم يَبْقَ مِن النُّبوة»؛ أي: من أجزاءِ النبوة.

«إلا المبشِّرات، قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: الرؤيةُ الصالحِة»؛ أي: الحسَنَةُ، وقيل: أي: الصحيحة.

«يَراها المسلمُ»؛ أي: لنفسِه.

«أو تُرَى له» على بناء المجهول؛ أي: يَراها مسلمٌ لأجل مسلمٍ آخرَ.

* * *

٣٥٦٠ ـ وقال: «الرُّؤيا الصَّالحةُ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وأربعينَ جُزْءاً مِن النُّبوَّةِ».

«عن أنسٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ الرؤيا الصالحة جُزْءٌ مِن ستةٍ وأربعين جُزْءاً من النُّبوَّة»، قيل: هذا إخبارٌ من النبيِّ ﷺ عن رؤياه؛ لأنه ﷺ أنبأ بالرؤيا في بدءِ نبَّوتهِ ستةَ أشهُرٍ وكانَ زمانُ نبوتهِ ثلاثاً وعشرين سنة، فزمانُ رؤياه بالنسبةِ إلى جميعِ زمانِ وَحْيه جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءاً.

٣٥٦١ ـ وقال: «مَن رآني في المنامِ فقد رآني فإنَّ الشَّيطانَ لا يتمثَّلُ في صورتي».

«وعنه قال: قالَ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مَن رآني في المنام فقدْ رآني»؛ أي: قدَ رأى مِثَالِي.

«فإنَّ الشيطانَ لا يتمثَّلُ بي»؛ أي: لا يكونُ على مِثالي، وهذا غير مختصٍّ بنبيـنا ﷺ بل جميعُ الأنبياء معصومون من أنْ يظهرَ شيطانٌ بصُوَرهم في النوم واليقظَة؛ لئلا يشتبـهَ الحقُّ بالباطل، ويروى: (في صورتي).

* * *

٣٥٦٢ ـ وقال: «مَن رآني فقد رأى الحَقَّ».

«عن أبي قَتادة قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مَن رآني في المنامِ فقدْ رأى الحَقَّ»؛ أي: الرؤيا الصادقة.

* * *

٣٥٦٣ ـ وقـــال: «من رَآني في المنامِ فسَيراني في اليَقَظةِ، ولا يتمثَّلُ الشَّيطانُ بي».

«وعن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مَنْ

رآني في المنام فسَيَراني في اليَقَظَة»، والمرادُ به يقظةُ دارِ الآخرةِ، وبرؤيتهِ فيها الرؤيةَ الخاصَّة بالقُرْب منه، وقيل: المرادُ به أهلُ عَصْرِه، معناه: مَن رآني في المنامِ ولم يكنْ هاجَرَ ورزقَه الله الهِجْرةَ وفي رؤيته في اليقظة.

«ولا يتمثَّلُ الشيطانُ بي».

* * *

٣٥٦٤ ـ وقال: «الرُّؤيا الصَّالحةُ مِن الله، والحُلْمُ مِن الشَّيطانِ، فإذا رَأَى أحدُكم ما يُحِبُّ فلا يحدِّثْ بهِ إلا مَن يُحِبُّ، وإذا رَأَى ما يكرهُ فليتعوَّذْ بالله مِن شرِّها ومِن شرِّ الشَّيطانِ وليتفُلْ ثلاثاً، ولا يُحدِّثْ بها أحداً فإنَّها لن تَضُرَّهُ».

«وعن قَتادَة قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: الرؤيا الصالحةُ مِن الله»؛ أي: بشارةٌ منه تعالى له بالخيرِ، مثل أن يَرى في منامه شيئاً فيه بِشَارةٌ، أو تنبيهٌ عن الغَفْلَة.

«والحُلمُ من الشيطان»: وهو ـ بضم الحاء ـ ما كان من وساوس الشيطانِ، مثل أن يَرى أنه شَرِبَ الخَمْرَ، أو يقتلَ، أو يَزْنِيَ وغير ذلك من المُحَرَّمات، ولمَّا كانت الرؤيا الصالحةُ موسومةً بالحقِّ أضافَها إلى الله تعالى، ولمَّا كانت الحلم تخليطاً لا حقيقة له أضافها إلى الشيطان وإن كان كل منهما بقضاء الله تعالى.

«فإذا رأى أحدُكم ما يحبُّه فلا يحدِّث به إلا مَن يُحِبُّ»؛ لأن مَن لا يحبُّه لا يأمَن مِن تأكيد تعبيره بسوء، قال الله تعالى حكايةً عن يعقوب ويوسف: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

قال عمر رضي الله تعالى عنه: إذا رأى أحدَكم رؤيا فقصَّها على أخيه فليقلْ: خيراً لنا وشراً لأعدائنا.

«وإذا رأى ما يَكْرَهه فليتعوَّذْ بالله من شَرِّها وشَرِّ الشيطانِ، وليَتْفُلْ»؛ أي: ليَرْمِ البُصَاقَ من طَرَفِ لسانهِ «ثلاثاً»؛ كراهةً لتلك الرؤيا وطَرْداً للشيطان.

«ولا يحدِّثْ بها أحداً»؛ لئلا يزدادَ هماً.

«فإنها لن تَضُرَّه».

* * *

٣٥٦٥ ـ وقال: «إذا رَأَى أحدُكم الرُّؤيا يكرهُها فلْيَبْصُقْ عن يسارِه ثلاثاً، ولِيستَعِذْ بالله مِن الشَّيطانِ ثلاثاً، وليتحوَّلْ عن جنبه الذي كانَ عليهِ».

«وعن جابرٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إذا رأى أحدُكم الرؤيا يَكرَهُها فليَبْصُقْ عن يسارِه ثلاثاً، وليستعِذْ بالله من الشيطان ثلاثاً»، قصداً لطَرْدِه عنه.

«وليتحوَّلْ»؛ أي: لينْقُلْ «عن جَنْبِهِ الذي كان عليه» إلى جَنْبه الآخر، ليزولَ عنه رؤيةُ حلم الشيطانِ.

* * *

٣٥٦٦ ـ وقَال: «إِذَا اقتَربَ الزَّمانُ لَمْ تَكَدْ تَكذِبُ رؤْيَا المُؤْمنِ، ورُؤيَا المُؤْمنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وأربَعِينَ جُزْءاً مِن النُّبوَّةِ، ومَا كَانَ مِن النُّبوَّةِ فإِنَّه لا يَكْذِبُ»، رواهُ مُحمَّدُ بن سِيرِينَ، عَنْ أبي هُريْرةَ ﷺ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قَال مُحَمَّدٌ: وأَنا أَقُولُ: الرُّؤيا ثلاثٌ: حَدِيثُ النَّفسِ، وتَخْويفُ الشَّيطانِ، وبُشرَى مِن الله، فمَنْ رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُه فلا يقُصَّه عَلى أَحَدٍ، ولْيقُمْ فليُصَلِّ، قَال: وكَانَ يَكرَهُ الغُلَّ في النَّومِ ويُعْجبُه القَيْدُ، ويُقالُ: القَيْدُ ثباتٌ في الدِّينِ. وأَدْرجَ بعضُهم الكُلَّ في الحَدِيثِ.

«وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم:

إذا اقتربَ الزمانُ لم تَكَدْ تكذِبُ رؤيا المؤمنِ»، المراد منه اقترابُ الساعة، وقيل: وقت اعتدالِ اللّيلِ والنهار؛ لأنَّ عند ذلك تَصِحُّ الأمزِجَةُ فتكونُ الرؤيا آمنةً عن التَّخَالِيط، وقيل: المرادُ منه زمانٌ يستَقْصِرُ ويتقارَبُ أطرافُه حتى يكونَ السنةُ كالشهر، والشهرُ كالجمعة، والجمعةُ كاليوم، واليومُ كالساعة؛ لاستلذاذِهِ وَبَسطِ العَدْل فيه، وذلك يكونُ في زمانِ المَهْدِيِّ، ويحتملُ أنه أرادَ بذلك إذا قَرُبَ أَجَلُ الرجل بسِنِّ الكهولةِ والمَشِيبِ فإنَّ رؤياه قلَّما يكذِبُ لذهاب الظُّنونِ الفاسِدَةِ، وتوزُّع الشهواتِ عنه، قيل: رؤيا الليلِ أَقْوى مِن رؤيا النهارِ وأصدَقُ ساعاتِهِ وقتَ السَّحَر.

«**ورؤيا المؤمنِ جُزءٌ من ستةٍ وأربعين جُزْءاً من النُّبوةِ، وما كانَ من النُّبوةِ فإنه لا يكذِبُ، رواه محمد بن سيرين»**: وهو مِن التَّابعين.

«**عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال محمد بن سيرين: وأنا أقولُ: الرؤيا ثلاثة: حديثُ النفس»**، كمَنْ يكونُ في أمر وفي حِرفة يَرى نفسَه في ذلك الأمر، وكالعاشق يَرى معشوقَه، ونحو ذلك.

«**وتخويفُ الشيطانِ»**، بأن يلعبَ بالإنسانِ فيُرِيَه ما يُحزِنُه كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[المجادلة: ١٠]، ومِن لَعِبِهِ به الاحتلامُ الموجِبُ للغُسْل، وهذان لا تأويلَ لهما.

«**وبُشْرَى من الله»**، بأن يأتيك به مَلكُ الرؤيا من نسخةِ أمِّ الكتابِ؛ يعني من اللوح المحفوظ، وهذا هو الصحيحُ من الرؤيا، وما سوى ذلك أضغاثُ أحلام.

«**فمَنْ رأى شيئاً يَكْرَهُه فلا يَقُصَّه على أحدٍ، وليَقُمْ فليصلِّ، قال»**؛ أي: ابن سيرين وأبو هريرة: «**وكانَ»**؛ أي: النبيُّ ﷺ «**يكره الغُلَّ في النوم»**؛ لأنه كُفْرٌ لقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾[المائدة: ٦٤] و﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ

أَغْلَلًا﴾[يس: ٨]، وقد يكونُ بُخلاً لقولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾[الإسراء: ٢٩]، وقد يكون كفاً عن المعاصي بأنَّ يراه الصالح.

وقيل: ضمير (قال) يعود إلى أيوب، وهو الذي يَروي عن ابن سيرين ـ رضي الله تعالى عنه ـ كان يعودُ إلى ابن سيرين، أو في (قال) ضمير ابن سيرين، وفي (كان) ضمير أبي هريرة، وإنما يكره الغُلَّ؛ لأنه تقييدُ العُنُقِ وتثقيلُه، وذلك يكونُ بتحمُّلِ الدُّيون، أو المظالم، أو كونِهِ محكوماً ورقيقاً متعلِّقاً بشيء، أو لأنه في حقِّ الكُفَّار في النار.

«ويُعجِبُه القَيْدُ»؛ أي: يحبُّ القَيْد.

«ويقال: القيدُ ثباتٌ في الدِّين»؛ يمنعه صاحبُه عن النُّهوض والتقلُّب، فهو كالوَرَعِ المانعِ صاحبَه عمَّا لا يوافِقُ الدِّين، وهذا إذا كان مقيَّداً في مسجدٍ أو في سبيلٍ من سُبُلِ الخير، أو عملٍ من أعمال البرِّ، فإنْ رآه مسافِراً فهو إقامةٌ عن السَّفر.

«وأدرجَ بعضُهم الكُلَّ في الحديثِ»، قال أبو عبدالله الثقفي: عن أيوبَ السِّجستاني عن محمدِ بن سيرينَ: إنَّ الرؤيا ثلاثةٌ . . . إلخ، من جملة الحديثِ لا مِن قولِ محمد بن سيرين.

* * *

٣٥٦٧ ـ عَنْ جَابِرٍ قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقَالَ: رأيتُ في المَنامِ كَأَنَّ رأسِي قُطِعَ، قال: فضحِكَ النَّبيُّ ﷺ وقال: «إذا لَعِبَ الشَّيطَانُ بأحدِكُمْ في مَنامِه فلا يُحدِّثْ به النَّاسَ».

«عن جابرٍ ﷺ أنه قال: جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: رأيتُ في المنامِ كأنَّ رأسي قُطِعَ، قال»؛ أي: جابر: «فضَحِكَ النبيُّ ﷺ وقال: إذا لعبَ الشيطانُ

بأحدِكم في منامهِ فلا يحدِّثْ به الناسَ».

* * *

٣٥٦٨ ـ وعَنْ أنسٍ ﷺ قَال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رَأَيْتُ ذاتَ ليلَةٍ فِيْمَا يرَى النَّائمُ كأنَّا في دَارِ عُقبةَ بن رافعٍ، فأُتِيْنا برُطَبٍ مِن رُطَبِ ابن طَابٍ، فأَوَّلتُ أنَّ الرِّفعةَ لنا في الدُّنيا، والعَاقِبَةَ في الآخِرَةِ، وأَنَّ دينَنَا قَدْ طَابَ».

«وعن أنسٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: رأيتُ ذاتَ ليلةٍ»، (ذات) زائدة.

«فيما يَرى النائمُ كأنَّا في دار عُقبَة بن رِافعٍ فأُتينا»، على بناء المجهول.

«بُرطَبٍ مِن رُطَب ابن طَابٍ»، رجلٍ من أهل المدينة يُنْسَب إليه الرُّطَب والتَّمر.

«فأَوَّلْتُ أنَّ الرفعةَ لنا في الدنيا والعاقبةَ في الآخرة، وأنَّ دينَنا قد طابَ»؛ أي: كَملَ وحَسُنَ وزالَ المَكَارِه، أخذَ ﷺ الرفعةَ من لفظ (رافع)، والعاقبة من لفظ (عُقْبة)، والباقي من لفظ (طاب)، وفيه إشارةٌ إلى أن تعبيرَ الرؤيا قد يؤخَذ من حروف كلماتِه ودلالةِ اشتقاقِها.

* * *

٣٥٦٩ ـ عَنْ عبدِالله بن عُمرَ ﷺ، في رُؤْيَا النَّبيِّ ﷺ في المَدِيْنَةِ: «رَأَيْتُ امْرَأةً سَوداءَ ثائِرةَ الرأسِ، خرجَتْ مِن المَدينةِ حتَّى نزلَتْ مَهْيَعَةَ، فتأَوَّلْتُها: أنَّ وَبَاءَ المَدينةِ نُقِلَ إلى مَهْيَعةَ، وَهِي الجُحْفَةُ».

«عن عبدالله بن عمرَ ﷺ في رؤيا النبي ﷺ في المدينة»؛ أي: في حقِّها.

«رأيتُ امرأةً سوداءَ ثائرةَ الرأسِ»؛ أي: منتشِراً شعرُه.

«خرجتْ من المدينة حتى نزلتْ مَهْيَعة»، بفتح الميم والياء.

«فَأَوَّلْتُها أن وباءَ المدينةِ نُقِلَ إلى مَهْيَعَة، وهي الجُحْفَة»، ميقاتُ أهلِ الشام، وهو موضعٌ شديدُ الوَخَامة.

* * *

٣٥٧٠ ـ وعَنْ أبي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَال: «رأيتُ في المَنامِ أنِّي أُهاجِرُ مِن مكَّةَ إلى أرضٍ بها نَخْلٌ، فذهبَ وَهَلي إلى أنَّها اليَمامةُ، أو هَجَر، فإذا هِيَ المَدِينةُ يَثْرِبُ، ورأيتُ في رُؤيَايَ هذه أنِّي هَزَزْتُ سَيْفاً فانقَطَعَ صَدْرُهُ، فإذا هُوَ ما أُصِيْبَ مِن المُؤْمِنينَ يومَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُه أُخرى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فإذا هُوَ مَا جاءَ الله بهِ مِن الفَتْحِ واجتِمَاعِ المُؤْمنينَ».

«عن أبي موسى ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: رأيتُ في المنامِ أنِّي أهاجِرُ من مكةَ إلى أرضٍ بها نخلٌ، فذهبَ وَهْلي»، بفتح الواو وسكون الهاء؛ أي: وَهْمي.

«إلى أنها اليمامةُ أو هَجَر» بفتح الهاء والجيم، وهما بلدتان معروفتان.

«فإذا هي المدينةُ يَثْرِب»: عطف بيانٍ للمدينة.

«ورأيتُ في رؤيايَ هذه أني هَزَزْتُ»؛ أي: حَرَّكْتُ «سيفاً فانقطعَ صَدْرُه»؛ أي: صدْرُ السَّيف.

«فإذا هو ما أُصِيبَ من المؤمنين»؛ بيانٌ للموصول.

«يومَ أُحُد»، إنما أَوَّلَ ﷺ السيفَ بالمؤمنين؛ لأنهم أنصارُه، وكان ﷺ يصولُ بهم كما يصولُ الرجلُ بسيفِهِ، وأَوَّلَ انقطاعَ صَدْرِه بما استشهدَ يومَ أُحُدٍ معظَمُ عَسْكَرِهِ كحمزة وغيرِه الذين كانوا كالصَّدْر في جيشِه، وهَزُّه ﷺ هو حَثُّهم على الجهاد.

«ثم هَزَزْتُه أُخرى»، وفيه إشارةٌ إلى أنه ﷺ حملَهم على الجِهَاد على ذلك

اليومِ مَرّةً أُخْرى.

«فعادَ»؛ أي: السيفُ «أحسنَ ما كانَ، فإذا هو ما جاءَ الله به من الفَتْح واجتماعِ المؤمنين».

* * *

٣٥٧١ ـ وعَنْ أبي هُريْرةَ ﷺ قَال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بيْنَا أنَا نَائِمٌ، أُتيْتُ بخزائِنِ الأَرْضِ، فوُضِعَ في كَفَّي سِوارَانِ مِن ذَهَبٍ فكبُرا عَلَيَّ، فأُوحِيَ إليَّ: أن انفُخْهُما، فَنَفَخْتُهُما فذَهبا، فأَوَّلْتُهُما الكذَّابيْنِ اللَّذَيْنِ أنَا بينَهمَا: صَاحِبَ صَنعاءَ، وصَاحِبَ اليَمامةِ».

وفي رِوايةٍ: «يُقالُ لأَحدِهِما: مُسَيْلمةُ صَاحِبُ اليمامةِ، والعَنْسيُّ صَاحِبُ صَنعاءَ».

«عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى ﷺ: بينا أنا نائمٌ أُتِيتُ»، على بناء المَجْهول.

«بخزائنِ الأرضِ»؛ يعني أتاني المَلَكُ بمفاتيحِ خَزَائِنِ الأرضِ، وقيل: أُتي بالخزائنِ حقيقةً إشارةً إلى تملُّك أمتِهِ عليها بفتح البلادِ عُنوةً ودعوةً.

«فوُضِعَ»؛ أي: مِن خزائنِ الأرض «في كَفَّي سِواران من ذهبٍ فكَبُرَا»؛ أي: ثَقُلاَ «عليَّ»؛ لكراهةِ نفسي إياهما.

«فأُوحِيَ إلي أن انفُخْهما»، (أن) هذه مفسِّرة لتضمُّنِ (أوحي) معنى القول، وفيه إرشادٌ إلى سهولةِ أمرِهما وذهابهِما بأدْنَى سَعْيٍ.

«فنفخْتُهما فذهبًا، فأوّلْتُهما الكذَّابيْنِ اللَّذَيْنِ أنا بينَهما؛ صاحبُ صنعاء» وهو الأسودُ العَنْسِي، «وصاحبُ اليَمامة» مُسَيلَمةُ الكَذَّاب، رجلان ادَّعيا النبوةَ في عهدِ رسولِ الله ﷺ، وجهُ تأويلِهما بالكَذَّابين أن السَّوارَين كالقَيْد لليدِ يمنَعها عن البَطْشِ، فكذا الكَذَّابان يقومان بمعارضةِ شريعتهِ ويصُدَّان عن نفاذِ أمرِها، أمّا

الأسودُ العَنْسي فقد قتلَه فيروز الدَّيْلَمي في مَرَضِ وفاةِ النبيِّ ﷺ فلما بلغَه خبرُ قتلِه قال: فازَ فيروزُ، وأما مُسيلمةُ فقد قتلَه الوحشيُّ قاتلُ حمزةَ في خلافةِ الصديق، فلمَّا قتلَه قال: قتلتُ خيرَ الناسِ في الجاهلية وشَرَّ الناسِ في إسلامي.

«وفي رواية قال: أحدُهما: مُسَيلَمةُ صاحبُ اليمامة، والعَنْسِيُّ صاحبُ صنعاء»: بلدة باليمن.

* * *

٣٥٧٢ ـ وقالت أمُّ العَلاءِ الأنصاريَّةُ: رأيتُ لِعثُمانَ بن مَظْعُونٍ ﷺ في النَّومِ عَيْناً تَجرِي، فقَصَصْتُها على رَسُولِ الله ﷺ فقَالَ: «ذاكَ عَمَلُه يُجْرَى لهُ».

«وقالت أمُّ العلاءِ الأنصاريةُ: رأيتُ لعثمانَ بن مظعون»، بفتح الميم وسكون الظاء المعجمة.

«في النوم عيناً تَجْرِي»، وكانت هذه الرؤيا بعد وفاةِ عثمان.

«فقصَصْتُها على رسولِ الله ﷺ، فقال: ذاك عملُه يُجْرَى له»، عبَّرَ ﷺ العينَ الجاريةَ له بأعمالِهِ الصالحةِ التي يَصِلُ ثوابُها إليه.

* * *

٣٥٧٣ ـ عن سَمُرَةَ بن جُنْدبٍ ﷺ قَال: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذا صَلَّى أقبلَ علينا بوجْهِهِ فقَال: «مَن رَأَى مِنكُم اللَّيلةَ رؤيا؟» قال: فإنْ رَأَى أحدٌ قَصَّها، فيقولُ: «ما شاءَ الله!» فسألَنا يَوْماً فقال: «هل رَأَى منكُم أَحَدٌ رؤيا؟» قُلْنَا: لا، قال: «لكنِّي رأيتُ الليلةَ رَجلَيْنِ أَتياني، فأَخَذا بيدَيَّ فأَخرجاني إلى أَرْضٍ مُقدَّسةٍ، فإذا رَجُلٌ جالِسٌ، ورَجُلٌ قائمٌ بيدِهِ كَلُّوبٌ مِن حَديدٍ، يُدْخِلُه في شِدْقِه فيُشقَّه حتى يبلُغَ قَفاهُ، ثم يفعَلُ بشِدْقِهِ الآخرِ مِثْلَ ذلكَ، ويَلتئمُ شِدْقُه هذا،

فيعَودُ فيصْنَعُ مِثلَه، قُلْتُ: ما هذا؟ قالا: انطلِقْ، فانطلَقْنا حتَّى أتيْنا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ على قفَاهُ، ورَجُلٌ قائمٌ على رأسِهِ بِفِهْرٍ أو صَخْرةٍ يشْدَخُ بِهِ رأسَهُ، فإذا ضَرَبَه تَدَهْدَهَ الحَجرُ، فَانطَلَقَ إليهِ لِيأْخُذَه، فلا يرجِعُ إلى هَذا حتَّى يلْتَئِمَ رأسُهُ، وعَادَ رأسُهُ كَمَا كَانَ، فعادَ إليهِ فضربَه، فقلْتُ: ما هذا؟ قالا: انطلِقْ، فانطلَقْنا حتَّى أتيْنا إلَى نَقْبٍ مِثلِ التَّنُّورِ، أَعْلاهُ ضَيِّقٌ وأسفَلُه واسِعٌ، تتوقَّدُ تحتَه نارٌ، فإذا اتَّقدَتْ ارتفعُوا حتَّى يَكادوا يَخرُجُونَ منها، فإذا خَمَدَتْ رجَعُوا فيها، وفيها رِجَالٌ ونِسَاءٌ عُراةٌ، فَقُلتُ: ما هذا؟ قَالا: انطلِقْ، فانْطَلَقْنا حتَّى أتيْنا على نَهرٍ مِن دَمٍ، فيهِ رَجُلٌ قائمٌ، وعلى شَطِّ النَّهرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيهِ حِجارَةٌ، فأقبلَ الرَّجُلُ الذي في النَّهرِ، فإذا أرادَ أنْ يَخرُجَ رَمَى الرَّجُلَ بحَجَرٍ في فِيْهِ، فردَّه حيثُ كان، فجعَلَ كُلَّما جَاءَ ليخرُجَ رَمَى في فِيْهِ بحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَان، فَقُلتُ: مَا هذا؟ قَالا: انْطَلِقْ، فانطلَقْنا حتَّى انتهَيْنا إلى رَوضةٍ خَضراءَ فيها شَجرةٌ عظيمةٌ، وفي أَصْلِها شَيْخٌ وصِبْيانٌ، وإذا رَجُلٌ قريبٌ مِن الشَّجرةِ بَيْنَ يَدَيهِ نارٌ يوقِدُها، فصَعَدا بيَ الشَّجَرةَ فأَدخَلاني داراً أَوْسَطَ الشَّجرةِ لم أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ منها، فيها رِجَالٌ شُيوخٌ وشُبَّانٌ ونِساءٌ وصِبيَانٌ، ثم أخرَجاني منها فصَعَدا بيَ الشَّجرةَ، فأدخلاني داراً هي أفضلُ وأحسنُ، فيها شُيوخٌ وشبَّانٌ، فقلتُ لهما: إنَّكما قد طَوَّفتُمانِي اللَّيلةَ فأخبِـراني عمَّا رأيتُ، قالا: نعَم، أمَّا الَّذي رأيتَه يُشَقُّ شِدقُه فكذَّابٌ يُحدِّث بالْكَذْبَةِ فتُحمَلُ عَنْهُ حتَّى تبَلُغَ الآفاقَ، فيُصنَعُ بهِ ما ترَى إلى يومِ القيامةِ، والَّذي رأيتَه يُشدَخُ رأسُه فرجلٌ علَّمَه الله القُرآنَ، فنامَ عنه بالليلِ ولم يعملْ بما فيه بالنَّهارِ، يُفعَلُ بهِ مَا رأيتَ إلى يومِ القيامةِ، والذي رأيتَه في النَّقْبِ فهم الزُّناةُ، والذي رأيتَهُ في النَّهرِ آكِلُ الرِّبا، والشَّيخُ الَّذي رأيتَه في أصلِ الشَّجرةِ إبراهيمُ عليه السَّلامُ والصِّبيانُ حَوْلَه فأولادُ النَّاسِ، والَّذي يوقِدُ النَّارَ مالِكٌ

خازنُ النَّارِ، والدَّارُ الأُولَى التي دَخَلْتَ دارُ عامَّةِ المؤمنينَ، وأمَّا هذه الدَّارُ فدارُ الشُّهداءِ، وأنَا جِبْريلُ، وهذا مِيْكائِيْلُ، فارفعْ رأسَكَ، فرفعْتُ رأسي فإذا فوقي مثلُ السَّحاب ـ وفي رِوَايةٍ: مثلُ الرَّبابةِ البَيْضَاءِ ـ قالا: ذاكَ منزلُكَ، قلتُ: دَعاني أَدْخُلْ منزِلي، قالا: إنَّه بَقِيَ لكَ عُمُرٌ لَمْ تَستكمِلْهُ فلو استكمَلْتَهُ أتيتَ منزِلَك».

«عن سَمُرَةَ بن جُنْدَب أنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلى»؛ أي: صلاةَ الصُّبْحِ وفرغَ من أورادهِ.

«أقبلَ علينا بوجههِ فقال: مَن رأى منكم الليلةَ رؤيا؟»: على وزن فُعلَى بلا تنوين.

«قال»؛ أي: الراوي: «فإنْ رأَى أحدٌ قَصَّها»؛ أي: أخبرَ بتلك الرؤيا رسولَ الله ﷺ.

«فيقول»؛ أي: النبيُّ ﷺ في تعبيره «ما شاء الله»؛ أي: ما يُلْهِمُه الله تعالى على قَلْبـه، ويُجْرِي على لسانه.

«فسألَنا»؛ أي: النبيُّ ﷺ «يوماً فقال: هل رأى منكم أحدٌ رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكنِّي رأيتُ الليلةَ رَجلَين أَتَياني فأخَذَا بيدِي فأخْرَجَاني إلى أرضٍ مُقدَّسة»؛ أي: مطهَّرة مطيبَّة، وهي الشَّام.

«فإذا رجلٌ جالسٌ، ورجلٌ قائمٌ بيدِه كَلُّوب» بفتح الكاف وتشديد اللام المضمومة: حديدةٌ معوجَّةُ الرأسِ.

«من حديدٍ، يُدْخِلُه في شِدْقِهِ» بكسر الشين المعجمة وسكون الدال المهملة، وهو طرفُ شفتيه من جانبِ الأُذُن.

«فيشقُّه حتى يبلغَ قفاه، ثم يفعلُ بشِدْقِهِ الآخرِ مثلَ ذلك، ويلتَئِمُ شِدْقُه هذا»؛ أي: يبرأ شِدْقُه المشقوقُ.

«فيعودُ فيَصْنَعُ مِثلَه، فقلتُ: ما هذا؟ قالا: انطِلْق»؛ أي: اذهبْ.

«فانطلْقنا حتى أتَيْنا على رجلٍ مضطجعٍ على قَفَاه ورجلٍ قائمٍ على رأسِه بِفِهْر»: بكسر الفاء، وهو الحَجَر مِلْء الكَفّ.

«أو صخرةٍ»، شكٌّ من الراوي.

«يَشْدَخُ» بالشين والخاء المعجمتين وبفتح الدال المهملة؛ أي: يَكْسِرُ «به رأسَه، فإذا ضربَه تَدَهْدَهَ الحَجَرُ»؛ أي: تَدَحْرَجَ.

«فانطلقَ إليه»؛ أي: الرجلُ إلى ذلك الحَجَر.

«ليأخذَه فلا يرجِعُ إلى هذا»؛ أي: ذلك الرجلُ إلى هذا المَشْدُوخ.

«حتى يلتَئِمَ رأسُه، وعادَ رأسُه كما كان»، هذه الجملةُ تأكيدٌ لمَا قبلَها.

«فعادَ إليه فضربَه، فقلتُ: ما هذا؟ قالا: انطِلقْ فانطلَقْنا حتى أتينا إلى نَقْبٍ»؛ أي: ثُقْبَة «مثلِ التَّنُّور، أعلاه ضَيقٌ وأسفلُه واسعٌ، تتوقَّدُ تحته نارٌ فإذا اتَّقدَتِ»؛ أي: اشتعلتْ النارُ «ارتفعُوا»؛ أي: الناسُ الذين في النَّقْب.

«حتى يكادُوا يخرجون منها فإذا خَمدَتْ» بفتح الخاء المعجمة والميم؛ أي: سكنَ لَهبُها.

«رجَعُوا فيها، وفيها رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلِقْ فانطلَقْنا حتى أَتَيْنا على نَهْرٍ من دَمٍ فيه رجلٌ قائمٌ، وعلى شَطِّ النَّهْرِ»؛ أي: طرفه «رجلٌ بين يديه حجارةٌ، فأقبلَ الرَّجُلُ الذي في النهر فإذا أرادَ أن يَخْرُجَ رمى الرجلَ بحجَرٍ في فيه فردَّه حيث كان، فجعلَ كلما جاءَ ليخرُجَ رمى في فيه بحجرٍ فيرجِعُ كما كان، فقلتُ: ما هذا؟ قالا: انطِلقْ، فانطلقْنا حتى أتينا إلى روضةٍ خضراءَ فيها شجرةٌ عظيمة، وفي أصلِها شيخٌ وصِبيان، فإذا رجلٌ قريبٌ من الشجرة وبين يديه نارٌ يوقِدُها، فصعدَا بي الشجرة»؛ أي: رفعاني على الشجرة.

«فأَدْخَلاني داراً» وسطَ الشَّجَرة «لم أرَ قطُّ أحسنَ منها، فيها رجالٌ وشيوخ وشُبَّانٌ» بضم الشين وتشديد الباء: جمع شاب.

«ونساءٌ وصِبْيان، ثم أَخْرَجَاني منها فصعدَا بي الشجرةَ فأَدْخَلاَني داراً هي أحسنُ وأفْضَلُ» من الدار الأولى.

«وفيها شيوخٌ وشبانٌ، فقلتُ لهما: قد طَوَّفْتُماني الليلةَ، فأخبراني عما رأيت؟ قالا: نَعم، أمَّا الرجلُ الذي رأيتَه يَشُقُّ شِدْقَه فكذَّابٌ يحدِّثُ بالكِذْبَة يتحمَّل»؛ أي: ينقُلُ تلك الكِذْبةَ «حتى تبلغَ الآفاقَ، فيُصْنَعُ به ما ترى إلى يومِ القيامةِ، والذي رأيتَه يَشْدَخُ رأسَه فرجلٌ علَّمه الله القرآنَ، فنام عنه بالليل»؛ أي: لم يكنْ يَقْرَأ القرآنَ بالليل، «ولم يعملْ بما فيه بالنهار، يُفْعلُ به ما رأيتَ إلى يوم القيامة، والذي رأيتَه في النَّقْبِ فهم الزُّنَاة، والذي رأيتَه في النَّهْرِ آكلُ الرِّبا، والشيخُ الذي رأيتَه في أصْلِ الشجرة إبراهيمُ، والصِّبْيانُ حولَه فأولادُ الناسِ، والذي يوقِدُ النارَ مالِكٌ خازِنُ النار، والدارُ الأُولى التي دخلتَ دارُ عامَّةِ المؤمنين، وأما هذه الدارُ فدارُ الشهداءِ، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل فارفَعْ رأسَك، فرفعتُ رأسي فإذا فوقي مِثْلُ السَّحاب، وفي رواية مثل الرَّبَابة»؛ وهي - بفتح الراء وبالباء الخفيفة: - السحابةُ التي رَكِبَ بعضُها بعضاً.

«البيضاءِ، قالا: ذلك منزِلُكَ، قلت: دَعاني»؛ أي: اتركاني «أدخلْ منزلي، قالا: إنه قد بقيَ لك عُمْرٌ لم تستكمِلْه، فلو استكملْتَه أتيتَ منزِلَك».

وفي الحديثِ استحبابُ السؤالِ عن الرؤيا، والمبادَرةُ إلى تعجيل تأويلِها أولَ النهار قبلَ أن يشتغِلَ الذِّهْنُ في معايشِ الدُّنيا.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٥٧٤ ـ عن أبي رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رُؤيا المؤمن جُزءٌ مِن سِتةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزءاً مِن النُّبوَّةِ، وهي على رِجْلِ طائرٍ ما لم يُحدَّثْ بها، فإذا حدَّثَ بها وقعَتْ ـ وأَحْسِبُه قال: ـ لا يُحدِّثُ إلا حَبيباً أو لَبِيْباً».

وفي رِوَايةٍ: «الرُّؤيا على رِجْلِ طَائرٍ ما لم تُعَبَّرْ، فإذا عُبرت وقعَتْ، ـ أَحْسِبُه قال: ـ ولا تَقُصَّها إلاَّ على وادٍّ أو ذيْ رَأْيٍ».

«من الحسان»:

«عن أبي رزِينٍ» بفتح الراء، «العُقَيلِيِّ» بضم العين.

«قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: رؤيا المؤمنِ جُزْء من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة، وهي»؛ أي: الرؤيا.

«على رِجْلِ طائرٍ»، هذا مَثَلٌ في عدَم قِرارِ الشيءِ؛ أي: لا تستقِرُّ الرؤيا قرارَها كالشَّيء المعلَّقِ على رِجْل طائرٍ.

«ما لم يحدَّثْ بها، فإذا حُدِّثَ بها وقعتْ» على وفق ما يسوقُه التقديرُ إليك من التعبير.

«وأحسَبُه»؛ من كلام الراوي؛ أي: أظنه «قال»؛ أي: النبيُّ ﷺ:

«لا يحدِّث إلا حَبيباً أو لبيباً»؛ أي: عاقلاً.

«وفي رواية: الرؤيا على رِجْلِ طائرٍ ما لم تُعبَّر»، على بناء المجهول؛ أي: لم تفسَّر.

«فإذا عُبـرَتْ وَقَعَتْ أحسَبُه، قال: ولا تقصَّها إلا على وادٍّ»، بتشديد الدال؛ أي: مُحِبٍّ؛ لأنه لا يـــستقبِلُك في تعبيرِها إلا بما يُحِبُّ، ولم يعجِّلْ

لك بما لا يَعْلَم.

«أو ذي رَأْيٍ»؛ أي: ذي عِلْمٍ؛ لأنه يُخبِـرُك بحقيقةِ تفسيرِها، أو بأقربِ ما يُعلَم منها.

* * *

٣٥٧٥ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن وَرَقَةَ، فقالَت لهُ خَدِيْجةُ: إنَّه كَانَ صَدَّقَكَ، ولكنْ مَاتَ قبلَ أنْ تظهرَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أُرِيتُهُ في المَنامِ وعَلَيْهِ ثيابٌ بيضٌ، ولو كَانَ مِن أهلِ النَّارِ لكانَ عليهِ لِباسٌ غيرُ ذلكَ».

«**عن عائشةَ أنها قالتْ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن ورقَةَ**» بن نوفل: هو من أهل النار أم لا؟، وسيأتي قصتُه في (باب البعث).

«**فقالت له**»؛ أي: للنبيِّ ﷺ «**خديجةُ: إنه كان صدَّقَك**»؛ أي: في نبوَّتك.

«**ولكنْ ماتَ قبل أن تَظْهَرَ**»؛ أي: قبل ظهورِ صِيتِ نبوَّتِك.

«**فقال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أُريتُه في المنام وعليه ثيابٌ بيضٌ، ولو كانَ من أهلِ النارِ لكانَ عليه لبـاسٌ غيرُ ذلك**»، عبَّر ﷺ الثيابَ البـيضَ عليه بدِينه، وهذا يدلُّ على أنها مِن لباسِ أهلِ الجَنَّة وأهلِ الخَيْر.

* * *

٣٥٧٦ ـ عن أبي بَكْرةَ ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَال ذاتَ يَوْمٍ: «مَن رَأَى مِنْكُم رُؤيا؟» فقال رَجُلٌ: أنا رَأَيْتُ كأنَّ ميزَاناً نزلَ مِن السَّماءِ، فوُزِنْتَ أَنْتَ وأبو بَكْرٍ فرجَحْتَ أَنْتَ بأبي بَكْرٍ، ووُزِنَ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ فرجَحَ أبو بَكْرٍ، ووُزِنَ عمرُ وعُثْمَانُ فرجَحَ عُمرُ، ثم رُفِعَ الميزانُ، فرأيتُ الكَراهيةَ في وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ.

ورُوِيَ: أنَّ خُزيمةَ بن ثابتٍ رَأَى فيما يَرى النَّائمُ أنَّه سَجدَ على جَبْهةِ

النَّبيِّ ﷺ فأخبرَهُ، فاضطَجَعَ له وقَال: «صَدِّقْ رؤْياكَ»، فسَجدَ على جبهتِهِ.

«عن أبي بَكْرَة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذاتَ يومٍ: مَن رأى منكم رؤيا؟ فقال رجلٌ: أنا رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزلَ من السماءِ فوُزِنتَ أنتَ وأبو بكر فرجحتَ أنت بأبي بكر، ووزِنَ أبو بكر وعمُر فرجَح أبو بكر، ووزن عُمَرُ وعثمانُ فرجَح عمر، ثم رُفِعَ الميزانُ، فرأيتُ الكراهيةَ في وجهِ رسولِ الله ﷺ»، وإنما ظهرتِ الكراهةُ في وجهه ﷺ لِمَّا عرفَ من تأويلِ رَفْعِ الميزانِ انحطاطَ رتبةِ الأمرِ، وظهورَ الفِتَنِ بعد خلافة عمر ﷺ؛ لأن استقرارَ الإسلام في حياته وبعد وفاته إلى زمان عثمانَ ﷺ لم تظهرْ الفِتَنُ والاختلافُ بين الصحابة، ومعنى ترجيح كلٍّ واحدٍ من الآخر في الميزان أنَّ الراجِحَ أفضلُ من المَرْجُوح، وإنَّما لم يُوزَنْ عثمانُ وعليٌّ ﷺ؛ لأنَّ خِلافَةَ عليٍّ ـ كرم الله وجهه ـ تكونُ على اختلاف الصحابة فِرقَتين: فرقةٌ معه وفِرقةٌ مع معاوية، فلا تكونُ خلافتهُ مستقِرَّةً مُتَّفَقاً عليها.

«ورويَ أن خُزَيمة بن ثابتٍ رأى فيما يَرى النائمُ أنه سَجدَ على جبهةِ النبيِّ ﷺ، فأخبرَه فاضطجعَ له وقال: صَدِّقْ رؤياك، فسجدَ على جبهته»، وإنما أمرَه بالسجود على جبهتِهِ لأنَّ فيها تعظيماً للنبي ﷺ كالسجودِ نحوَ الكعبةِ لتعظيمِها، وتعظيُمه ﷺ أفضلُ القُرَب، وفيه تشريفٌ لذلك الساجدِ بوصولِ جبهتهِ إلى جبهةِ النبيِّ ﷺ.

□□□

(٢٣)

كِتَابُ الأَدَبِ

(٢٣)
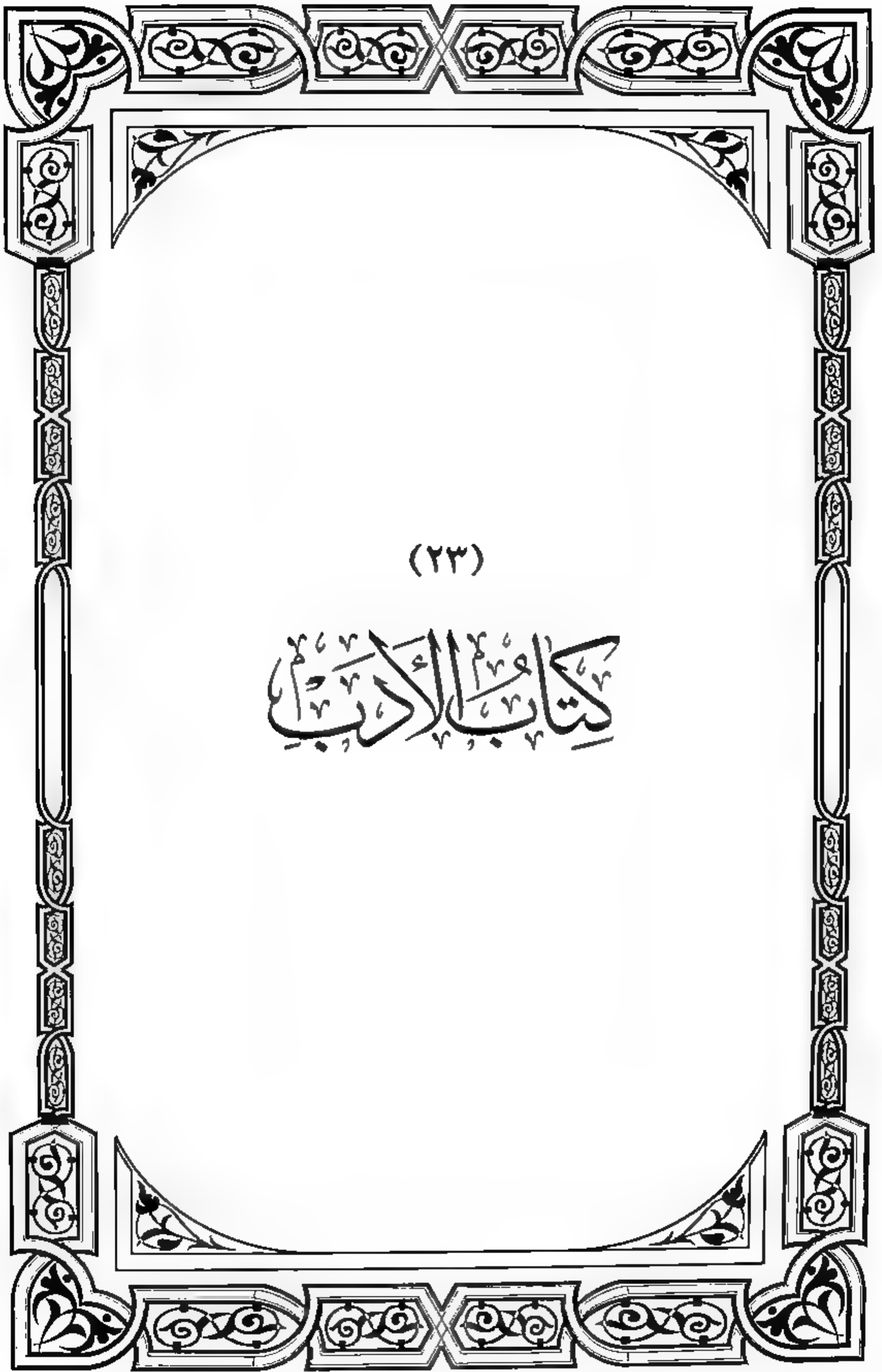
كِتَابُ الأَدَبِ

(كتاب الأدب)

١ ـ باب
السَّلامِ

(باب السلام)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٥٧٨ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «خَلَقَ الله آدمَ على صُورتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِراعاً، فلمَّا خلقَه قالَ: اذهبْ فَسَلِّمْ على أولئكَ النَّفَرِ، وهم نفرٌ مِن الملائكةِ جُلوسٌ، فاستمِعْ ما يُحيُّونَكَ فإنَّها تحيَّتُكَ وتحيةُ ذُرِّيَّتِكَ، فذهبَ فقالَ: السَّلامُ عليكم، فقالوا: السلامُ عليكَ ورحمةُ الله»، قَال: فزادُوهُ: «وَرَحْمَةُ الله»، قَال: «فَكُلُّ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ على صُورَةِ آدمَ، وطولُهُ سِتُّونَ ذراعاً، فَلَمْ يَزَلْ الخَلْقُ ينقُصُ بعدَهُ حتَّى الآن».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: خَلَقَ الله آدمَ على صورته»، قيل الضميرُ فيه لآدمَ: لأن ذريتَه خُلِقُوا على سبعةِ أَطْوَار؛ لأنهم كانوا في مبدأ الفطرة نُطْفَةً، ثم عَلَقةً، ثم مُضْغَةً، ثم صارُوا صُوَراً

أَجِنَّةً إلى تمام مُدَّةِ الحَمْل، فيُوْلَدُون أطفالاً، وينشؤون صغاراً إلى أن يكبروا، فيتمُّ طولِ أجسامهم، وهذا بخلافِ آدمَ، فإنَّ خَلْقَه لم يكن على هذه، بل أَوَّلَ ما تناولته الخِلْقَة وُجِدَ خَلْقاً تاماً.

«طولُه سِتُّون ذراعاً»، وقيل: الضميرُ عائدٌ إلى الله تعالى لمَا في رواية أخرى: (خُلِقَ آدمُ على صورة الرَّحمن)، والأَوْلَى أن يحالَ المرادُ منه إلى عِلْمِ الله تعالى كما هو مذهبُ السَّلَف، أو يقال: إن الإضافةَ فيها إلى الله تعالى إضافةُ تكريمٍ وتشريفٍ كخلقه تعالى إياه على صورةٍ لا يشاكِلُها صورةٌ أخرى كَمَالاً وجَمَالاً، ويحتمل أن يكونَ المرادُ من الصورةِ الصفةُ.

«فلما خَلَقَه قال: اذهبْ فسلِّمْ على أولئك النَّفَر»؛ أي: الجماعة.

«وهم نفرٌ من الملائكة جلوسٌ»، جمع جالس.

«فاستمِعْ ما يُحيُّونك»؛ أي: احفَظْ تحيتَهم بك.

«فإنها تحيتُك وتحيةُ ذُرِّيتِكَ فذهبَ فقال: السلامُ عليكم، فقالوا: السلامُ عليكَ ورحمةُ الله، قال»؛ أي: الراوي: «فزادُوه ورحمةُ الله»، وهذا يدلُّ على جوازِ الزيادة.

قال بعضٌ: يقولُ في الجوابِ أيضاً: السلامُ عليكَ لردِّ الملائكةِ على آدمَ كذلك، والأكثرُ على أنه يقول: وعليكَ السلامُ بتقديم الخطاب، وأما قولهُم ذلك، فليس جواباً لسلامه بل هو تحيَّةٌ له منهم على طريقةِ التعليمِ له.

«قال: فكلُّ مَن يَدْخُلِ الجنةَ على صورةِ آدَم وطولُه ستون ذراعاً، فلم يزلِ الخُلْقُ ينقُصُ بعدَه»؛ أي: طولهُم بعدَ آدم.

«حتى الآنَ»، بالنصب: ظرفٌ؛ يعني: حتى وصلَ النقصانُ إلى الوقتِ الذي ذَكرُ النبيُّ ﷺ فيه الحديثَ، قيلَ: هذا مقدَّمٌ في الترتيب على قوله: (وكلُّ مَن يدخلُ الجنة).

* * *

٣٥٧٩ ـ عن عبدِالله بن عمرٍو رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ: أيُّ الإسْلامِ خيرٌ؟ قَال: «تُطعِمُ الطَّعامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَن لَمْ تعرِفْ».

«عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلامِ»؛ أي: خِصالُه المتصِلَةُ بحقوقِ الآدَمِيين «خير؟ قال: تُطْعِمُ الطعام، وتقرأُ السَّلاَم على مَن عرفْتَ ومَن لم تَعْرِف»، ولعلَّ تخصيصَه ﷺ بالخَصْلَتين لِعِلْمِهِ بمناسبتهما بحالِ السائلِ، ولذلك أسنَدَهما إليه بلفظِ الخِطَاب.

* * *

٣٥٨٠ ـ وقَال: «لِلْمُؤْمنِ على المُؤْمنِ سِتُّ خِصَالٍ: يَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، ويَشهدُهُ إِذَا مَاتَ، ويُجيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، ويُسَلِّمُ عليه إِذَا لَقِيَه، ويُشمِّتُه إِذَا عَطَسَ، وينصَحُ لَهُ إِذَا غابَ أو شَهِدَ».

«وعن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم: للمؤمِنِ على المؤمنِ سِتُّ خِصالٍ: يعودُه إذا مَرِضَ، ويشهدُه إذا مات، ويجيبُه إذا دَعاه، ويسلِّمُ عليه إذا لَقِيَه، ويشمِّتُه إذا عَطَس»، تشميتُ العاطِسِ ـ بالشين المعجمة ـ دعاءٌ له بالخير، وكلُّ داعٍ بالخير فهو مُشَمِّت.

قيل: معناه: أبعدَكَ الله عن الشَّماتة، وجنَّبكَ عما يُشْمَتُ به عليك، وبالسين المهملة أيضاً، قيل: وهي الأصلُ؛ لأنه من السَّمْتِ بمعنى القَصْد والهُدَى، وقيل: بمعنى الهيئة الحَسَنة؛ أي: جعلكَ الله على سَمْتٍ حَسَن.

«ويَنْصَحُ له إذا غابَ أو شَهِدَ»؛ أي: يراعِي حقَّه بالقَوْل المعروفِ وكَفِّ الأذَى، وقيل: يريدُ له الخيرَ ويرشِدُه إليه.

* * *

٣٥٨١ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «لا تدخُلونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤمِنوا،

ولا تُؤمِنونَ حتَّى تحابُّوا، أَوَلا أدُلُّكم على شَيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تحابَبْتُم؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَينَكم».

«**وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ لا تدخلونَ الجنةَ حتى تؤمنوا**»، فإنَّ الإيمانَ شرطٌ لدخولِها.

«**ولا تؤمنون**»؛ أي: لا يكمُلُ إيمانكُم ولا يصلُحُ حالُكم في الإيمان.

«**حتى تحابُّوا**»؛ أي: يُحِبُّ كلٌّ مِنْكم صاحبَه، ثم عرضَ لهم بما يَدُلُّ على شيءٍ يُوْجِبُ فعله التحابَّ رأفةً على أمته فقال:

«**أَوَلا أَدُلُّكم على شيءٍ إذا فَعَلْتَموه تحابيتم: أَفْشُوا السلامَ**»؛ أي: أظهِرُوه وانشُروه «**بينكم**»؛ فإنَّ السلامَ أولُ أسبابِ التآلفِ، ومفتاحُ استجلابِ المودَّة، وفي إفشائه تمكُّنُ أُلْفةِ المسلمين بعضِهم لبعضٍ، وإظهارُ شعارِهم المميزِ لهم عن غيرهم من أهلِ الملل.

* * *

٣٥٨٢ ـ وقال: «يُسلِّم الرَّاكِبُ على المَاشِيْ، والمَاشِي على القَاعِدِ، والقَليلُ على الكَثيرِ».

«**وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ على الماشي، والماشي على القاعد**»: إزالةً للخَوْف، أو لأنَّ ذلك أَقْرَبُ إلى التواضع.

«**والقليلُ على الكَثِير**»؛ رعايةً للأدب؛ لأن التعظيمَ من القليل إلى الكثير.

* * *

٣٥٨٣ ـ وقال: «يُسلِّمُ الصَّغِيرُ على الكَبيرِ، والمَارُّ على القَاعِدِ، والقَلِيلُ على الكَثِيرِ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: يسلِّمُ الصغيرُ على الكَبير»؛ للتواضع والتعظيم.

«والمارُّ على القاعد، والقليلُ على الكثير».

* * *

٣٥٨٤ ـ وقال أَنَسٌ: إنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ على غِلْمَانٍ فَسَلَّم عَلَيْهِم.

«وقال أنسٌ: إنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ على غِلمانٍ فسلَّم عليهم» للتواضع.

* * *

٣٥٨٥ ـ وقال رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَبدَؤوا اليَهُودَ والنَّصَارَى بالسَّلامِ، فإذا لَقِيتُمْ أحدَهُم في طَرِيقٍ فاضطرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ».

«وعن ابن عمَر قال: قال رسولُ الله ﷺ: لا تبدَؤُوا اليهودَ والنَّصَارَى بالسلام»؛ لأن الابتداءَ بالسلام إعزازٌ للمسلَّم عليه، وهؤلاءِ المَخْذُولون لا يجوزُ إعزازُهم.

«فإذا لقيتُم أحدَهم في طريقٍ فاضطرُّوه إلى أَضْيَقِهِ»؛ أي: مُروه ليعدِلَ عن وسطِ الطريق إلى أحدِ طَرَفَيه.

* * *

٣٥٨٦ ـ وقال: «إذا سلَّم عليكُم اليَهُودُ فإنَّما يقولُ أَحَدُهُم: السَّامُ عَلَيْكَ، فقُلْ: عَلَيْكَ».

«وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: إذا سلَّم عليكم اليهودُ فإنما يقول أحدُهم: السَّامُ عليكَ»، والسَّامُ الموتُ.

«فقل: عليك».

* * *

٣٥٨٧ ـ وقال: «إذا سَلَّمَ عَلَيْكم أَهْلُ الكِتابِ فقولُوا: وعليكُم».

«وعن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: إذا سَلَّم عليكم أهلُ الكتابِ فقولُوا: وعليكُم»، قال الخَطَّابي: هكذا يرويه عامةُ المحدِّثين، وكان ابن عُيينَة يَروي بحذف الواو، وهو الصواب؛ ليصيرَ قولهُم بعينهِ مردوداً عليهم، وبالواو يقع التَّشْريك معهم في قولهم، حتى قال بعضٌ: لو سَلَّم مُسْلِم على مثلهِ أُجيبَ بالواو المشترِكة.

* * *

٣٥٨٨ ـ وعن عَائِشَةَ رَضِـيَ الله عنها قالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهوُدِ على النَّبيِّ ﷺ فقالوا: السَّامُ عَلَيْكُم، فقلتُ: بَلْ عَلَيْكُم السَّـامُ واللَّعْنَةُ، فقـال: «يا عَائِشَةُ! إنّ الله رَفِيْقٌ يُحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كُلِّه»، قُلْتُ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قال: «قَدْ قُلتُ: وعليكم».

وفي رواية قال: «مَهْلاً، يا عَائِشَـةُ! عَلَيْكِ بالرِّفقِ، وإياكِ والعُنفَ والفُحْشَ، فإنَّ الله لا يُحبُّ الفُحْشَ والتَّفحُّشَ».

وفي رِوَايَةٍ: «لا تكوني فاحِشَةً»، قالت: أَوَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قالَ: «رَدَدتُ عَلَيْهِم فيُستَجَابُ لِي فِيْهِم، ولا يُستَجابُ لَهُمْ فِيَّ».

«وعن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: استأذنَ رَهْطٌ من اليهودِ على النبيِّ ﷺ فقالوا السَّام عليكَ، فقلت: بل عليكم السَّامُ واللَّعْنَةُ، فقال: يا عائشةُ! إنَّ الله رفيقٌ»؛ أي: رحيمٌ، وهو من الرِّفق ضد العُنْف.

«يحبُّ الرِّفْقَ في الأمرِ كلِّه، قلت: أولم تسمَع ما قالوا؟ قال: قد قلتُ: وعليكُم، وفي رواية: قال: مَهْلاً»، منصوبٌ على المصدر؛ إذاً: ارفُقِي رِفْقاً.

«يا عائشة! عليكَ بالرِّفْقِ، وإياكِ والعنف والفحشَ»، وهو في الأصلِ كلُّ

ما يشتدُّ قبحُه من الذنوب، والمرادُ به هنا التعدِّي بزيادةِ القُبحِ في القولِ والجواب.

«فإنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ والتَّفَحُّشَ»، وهو التكلُّفُ في التلفُّظِ بالفُحْشِ، قال ﷺ لعائشة ذلك لمكان قولِها واللَّعْنَة.

«وفي رواية: لا تَكُوني فاحشةً»؛ أي: متكلِّمَةً بكلامٍ قبيحٍ.

«قالت: أولم تسمَع ما قالوا؟ قال: رددتُ عليهم فيستجابُ لي فيهم، ولا يُستجابُ لهم فيَّ».

* * *

٣٥٨٩ ـ عن أُسَامَةَ بن زيدٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بمجلِسٍ فِيْهِ أَخْلاَطٌ مِن المُسْلِمِينَ والمُشرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ واليَهودِ، فَسَلَّم عليهم.

«عن أسامَة بن زيدٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بمجلسٍ فيه أَخْلاَطٌ»، بفتح الهمزة: جمعُ خِلْط؛ وهو ما يُخْلَط.

«من المُسْلِمين والمشركين عَبَدَةِ الأوثان»، عطف بيان مِن (المشركين) أو بدل.

«واليهودِ، فسلَّم عليهم»، وهذا يدلُّ على جواز السلامِ على الكُفَّار إذا كان بينهم مُسْلِمٌ بنية السلامِ على المُسْلِم.

* * *

٣٥٩٠ ـ عن أبي سَعِيْدٍ الخُدرِيِّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إيَّاكُم والجُلُوسَ في الطُّرقَاتِ»، فَقَالُوا: يا رسولَ الله! ما لَنَا مِنْ مَجَالِسِنا بُدٌ، نتَحدَّثُ فيها، قالَ: «فإذا أَبَيْتُم إلاَّ المَجْلِسَ فأعطُوا الطَّرِيْقَ حقَّهُ»، قالوا: وما حَقُّ الطَّرِيْقِ يا رسولَ الله؟

قالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وكَفُّ الأَذَى، ورَدُّ السَّلاَمِ، والأَمرُ بالمَعْرُوْفِ، والنَّهيُ عن المُنكرِ».

ورَوَى أبو هُرَيْرَةَ ﷺ في هذه القِصَّة: «وإرْشَادُ السَّبيلِ».

ورَوَاهُ عُمَرُ ﷺ، وفيه: «وتُغيثُوا المَلهُوفَ، وتَهدُوا الضَّالَّ».

«عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ، عن النبيِّ ﷺ قال: إياكم والجلوسَ بالطُّرقاتِ»: الباء بمعنى (في)؛ يعني: احذروا عن الجلوسِ في الطرقات.

«فقالوا: يا رسولَ الله! مالنا من مجالسنا بُدٌّ»؛ أي: لا بُدٌّ لنا من الجلوس في الطرقات «نتحدَّثُ فيها، قال: فإذا أبيتُم إلا المَجْلِسَ»؛ أي: فإنْ لم تتركوا المَجْلِسَ في الطرقات وجَلَسْتُم فيها.

«فأعْطُوا الطريقَ حقَّه؟ قالوا: وما حقُّ الطريقِ يا رسول الله؟ قال: غَضُّ البَصَر» عن النظر إلى المُحَرَّمات.

«وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المُنْكَر».

«وروى أبو هريرةَ في هذه القصة: وإرشادُ السَّبيل، ورواه عمر، وفيه»؛ أي: في مَرْوِيِّ عُمَرَ: «وتُغِيثُوا المَلْهُوفَ»؛ أي: تُعِينُوا المتحيرَ المَظْلُوم في أمره.

«وتَهْدُوا الضَّالَّ».

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٥٩١ - عن عليٍّ ﷺ قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «للمُسْلِمِ على المُسْلِمِ سِتٌّ بالمَعْرُوفِ: يُسلِّمُ عَلَيْهِ إذا لَقِيَهُ، ويُجِيْبُهُ إذا دَعَاهُ، ويُشَمِّتُهُ إذا عَطَسَ، ويَعُودُهُ إذا مَرِضَ، ويَتْبَعُ جِنَازَتَهُ إذا مَاتَ، ويُحِبُّ لهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

«من الحسان»:

«عن عليٍّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: للمسلمِ على المسلمِ سِتٌّ» خصالٍ «بالمعروف»، متعلِّق بالجار الذي قبله.

«يُسَلِّمُ عليه إذا لقيَه، ويجيبُه إذا دعاه ويشمِّتُه إذا عطسَ، ويعودُه إذا مَرِضَ، ويَتْبَعُ جِنَازَتَه إذا مات، ويُحِبُّ له ما يُحِبُّ لنَفْسِه».

* * *

٣٥٩٢ - وعن عِمْرَانَ بن حُصيْنٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: السَّلامُ عَلَيْكُم، فردَّ عليه ثُمَّ جَلَسَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «عشرٌ»، ثُمَّ جاءَ آخَرُ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُم ورَحْمَةُ الله، فردَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقال: «عِشْرُون»، ثُمَّ جاء آخرُ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ الله وبَرَكَاتُه، فردَّ عَلَيْه فَجَلَسَ، فَقَال: «ثلاثون».

«عن عمرانَ بن حُصَين: أن رَجُلاً جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: السلامُ عليكُم، فردَّ عليه، ثم جلسَ فقال النبي ﷺ: عَشْرٌ»؛ أي: وجبَ له عشرُ حَسَنات.

«ثم جاءَ آخرُ فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله، فردَّ عليه فجلَسَ فقال: عشرون»؛ أي: عشرون حسنات، «ثم جاء آخرُ فقال: السلام عليكم رحمةُ الله وبركاته، فردَّ عليه، فجلس، فقال: ثلاثون»؛ أي: ثلاثون حسنات، بكل لفظ عَشْر.

* * *

٣٥٩٣ - ورُوِيَ عن مُعاذِ بن أَنَسٍ ﷺ، عن أبيهِ، عن النَّبيِّ ﷺ بمعناهُ وزَادَ: ثم أَتَى آخرُ فَقَال: السَّلامُ عَلَيْكُم ورَحْمَةُ الله وبَرَكَاتُه ومَغْفِرَتُه، فقال:

«أَربعونَ، هكذا تكونُ الفَضائِلُ».

«ورويَ عن سهلِ بن مُعاذِ بن أنسٍ، عن أبيه، عن النبي ﷺ بمعناه»؛ أي: رُوِيَ الحديثُ المذكورُ بمعناه لا بلفظِه المذكورِ.

«وزاد: ثم أتَى آخرُ فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه ومغفرتُه، فقال: أربعون»؛ أي: أربعون حَسَنَاتٍ.

«هكذا تكونُ الفضائلُ»؛ يعني: تزيدُ الفضائِلُ والمَثُوباتُ بكلِّ لفظٍ يريدُه المسلم.

* * *

٣٥٩٤ ـ عَنْ أَبـي أُمَامَة ﷺ قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بالله مَنْ بَدَأَ بالسَّلامِ».

«عن أبي أُمامةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: إنَّ أَوْلَى الناسِ بالله»؛ أي: أقربُهم إليه «مَنْ بدأَ بالسَّلاَمِ».

* * *

٣٥٩٥ ـ عَنْ أَبـيْ جُرَيٍّ الهُجَيْمِيِّ ﷺ قَال: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يا رسولَ الله! فقال: «لا تقُلْ عليكَ السَّلامُ؛ فإنَّ عليكَ السَّلامُ، تحيَّةُ الموتى».

«عن أبي جُرَيٍّ»، بضمِّ الجيم وفتح الدال المهملة وتشديد الياء.

«الهُجَيْمي»، بضم الهاء وفتح الجيم ثم السكون وكسر الميم والياء المشددة.

«أنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلتُ: عليك السـلامُ يا رسـول الله فقال:

لا تَقُلْ، عليك السلامُ، عليك السلامُ تحيةُ الموتى»، لم يرِدْ به أنَّ هذا تحيتُهم لا غير، بل يريدُ به أن هذا مخصوصٌ بهم لمَا رُوِيَ: أنه ﷺ يسلِّم عليهم: «السلامُ عليكم ديارَ قومٍ مؤمنين»، وقيل: أراد بالموتى أهلَ الجاهلية.

* * *

٣٥٩٦ ـ وعَنْ جَرِيرٍ ﷺ: أنَّ النَّبي ﷺ مرَّ على نِسْوةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ.

«عن جريرٍ: أن النبيَّ ﷺ مرَّ على نسوةٍ فسلَّم عليهنّ»، هذا مختصٌّ بالنبي ﷺ لأمنهِ عن الوقوعِ في الفِتْنَة، وأما غيرُه فيَكْرَه أن يسلِّمَ الرجلُ على المرأةِ الأجنبيةِ، أو العكسِ إلا أن تكونَ عجوزةً بعيدةً عن مَظِنَّة الفِتْنة.

قيل: وكثيرٌ من العلماء لم يَكْرَهُوا تسليمَ كلٌّ من الرجلِ والمرأةِ الأجنبيةِ على الآخر.

* * *

٣٥٩٧ ـ وعَنْ عَليٍّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ، رفَعَه: «يُجزِئُ عن الجَمَاعةِ إذا مرُّوا أنْ يُسلِّم أحَدُهُم، ويُجزِئُ عن الجُلوْسِ أنْ يَرُدَّ أَحَدُهم».

«عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ رفعَه قال: يُجْزِئُ»؛ أي: يَكْفِي «عن الجماعة إذا مَرُّوا أن يُسَلِّمَ أحدُهم، ويُجْزِئُ عن الجُلُوس» ـ جمع جالس ـ «أنْ يُردَّ أحدُهم».

* * *

٣٥٩٨ ـ عَنْ عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عن أَبيهِ عن جدِّهِ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَن تَشبَّه بِغَيْرِنَا، لا تَشبَّهوا باليَهُودِ ولا بالنَّصَارَى، فإنَّ تسليمَ اليَهُودِ الإشارةُ بالأَصَابعِ، وتَسْلِيْمَ النَّصارَى الإشارةُ بالأكُفِّ»، ضعيف.

«عن عمرو بن شُعَيبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ليسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بغيرِنا، لا تَشَبَّهوا»، بحذف إحدى التائين.

«باليهودِ ولا بالنَّصارَى في الإشارة بالكفِّ أو الأُصْبُع عند التسليم، فإنَّ تسليمَ اليهودِ الإشارةُ بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالكَفِّ»، ضعيف.

* * *

٣٥٩٩ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَن النَّبـيِّ ﷺ قال: «إذا لَقِيَ أَحَدُكُم أَخَاهُ فلْيُسلِّمْ عليه، فإنْ حَالَتْ بَيْنَهُما شَجَرَةٌ أو جِدَارٌ أو حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَه فلْيُسلِّمْ عَلَيْهِ».

«وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: إذا لَقِيَ أحدُكم أخاه فلْيُسَلِّمْ عليه، فإنْ حالتْ بينهما» بعد أن يُسلِّمَ عليه.

«شجرةٌ أو جِدارٌ أو صَخْرَةٌ، ثم لَقِيه» ثانياً «فلْيُسَلِّم عليه ثانياً».

* * *

٣٦٠٠ ـ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إذا دَخلْتُم بَيْتاً فَسلِّمُوا عَلَى أَهْلِه، وإِذَا خَرَجْتُم فأَوْدِعُوا أَهْلَهُ بالسَّلاَمِ»، مُرسل.

«عن قَتادةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: إذا دخلْتُم بيتاً فسلِّمُوا على أهلِهِ»، فإنْ لم يكنْ في البيتِ أحدٌ يُستحبُّ أن يقول: السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين.

«وإن خرجْتُم فأَوْدِعُوا أهلَه بالسلام»، وجوبُ سلامِ الوَدَاع مستحَبٌّ.

«مرسل».

* * *

٣٦٠١ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: «يا بنيَّ! إذا دَخَلْتَ على

أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يكونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وعلى أَهْلِ بَيْتِكَ».

«عن أنسٍ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: يا بنيَّ!»، بصيغة التصغير.

«إذا دخلتَ على أهلِكَ فسَلِّم، يكونُ بركةً عليك وعلى أهلِ بَيْتِك».

* * *

٣٦٠٢ - ويُرْوَى عَنْ جَابِرٍ ﷺ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «السَّلامُ قَبْلَ الكَلامِ»، وهذا مُنكر.

«ويُروَى عن جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: السلامُ قبلَ الكَلاَمِ»؛ يعني إذا أتى رجلٌ إلى رجلٍ فلْيُسَلِّمْ عليه قبلَ أن يتكلَّم معه بكلام.

«وهذا مُنْكَر»، مدارُه على عَنْبَسَةَ بن عبد الرحمن، وهو ضعيفٌ جداً، ثم إنه يَروي عن محمدِ بن زاذان وهو منكَرُ الحديث، وهذا مِن جُمَلةِ ما زعمَ المؤلِّفُ أنه أعرضَ عنه ولم يُعْرِضْ عنه، قيل: يحتملُ أن يكونَ الإلحاقُ في «المصابيح» من غيرِ المؤلِّف.

* * *

٣٦٠٣ - عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ أنَّه قَالَ: كُنَّا في الجَاهِلِيَّةِ نقولُ: أَنْعَمَ الله بِكَ عَيْناً، وأَنْعِمْ صَبَاحاً، فلمَّا كانَ الإسْلاَمُ نُهِينَا عَنْ ذَلِكَ.

«عن عمران بن حُصَين أنه قال: كُنَّا في الجاهليةِ نقولُ: أنعمَ الله بك عيناً»، والباء في (بك) زائدةٌ للاكتفاء بالهمزة في التعدية؛ بمعنى: أقرَّ الله عينَك بما تحبُّه من النعمة، ويجوزُ أن يكونَ مِن: أنعمَ الرجلُ: إذا دخلَ في النعيم، فالباء حينئذ للتعدية، و(عينا) نصب على التمييز، قيل: عن (الكاف) في (بك)، والصوابُ عن التشبُّه.

«وأنعم بك صباحاً»، من النعومة، نَعِمَ تعومةً إذا صار ناعِماً ليناً؛ أي:

طابَ عيشُك في الصباح.

«فلمّا كان الإسلامُ نُهينا عن ذلك».

* * *

٣٦٠٤ ـ ورُوِيَ: أنَّ رَجُلاً قال لِرَسُولِ الله ﷺ: إنَّ أَبِـيْ يُقرِئُكَ السَّلامَ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ وعَلَى أَبِـيْكَ السَّلامُ».

«وروي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنَّ أبي يُقْرِئُك السلامَ، فقال: وعليكَ وعلى أبيك السَّلاَمُ»، يُفْهَم من هذا أنَّ مَن جاء بالتحيةِ مِنْ شخصٍ ينبغي للمُجِيبِ أن يَرُدَّ التحيةَ على الجائي بها ومَرسِلِها.

* * *

٣٦٠٥ ـ عَن ابن العَلاَءِ الحَضْرَمِيِّ: أنَّ العَلاَءَ الحَضْرَمِيَّ كَانَ عَـــامِلَ النَّبيِّ ﷺ، وكان إذا كَتَبَ إلَيْهِ بَدَأَ بنفْسِهِ.

«عن ابن العلاء الحضرمي: أنَّ العلاءَ الحضرميَّ كان عاملَ رسولِ الله ﷺ، فكان إذا كتبَ إليه»؛ أي: إلى الرسول ﷺ.

«بدأ بنفسِه»، بأن كتبَ هذا من العلاءِ الحَضْرَميِّ إلى رسولِ الله ﷺ.

* * *

٣٦٠٦ ـ ورُوِيَ عَنْ جَابـرٍ ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إذا كَتَبَ أَحَدُكُم كِتاباً فَلْيُتَرِّبْهُ، فإنَّه أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ»، هذا مُنكَر.

«ورويَ عن جابرٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: إذا كتبَ أحدُكم كتاباً فَلْيُتَرِّبْه»، والتَّتْرِيبُ: ذَرُّ الترابِ على المكتوب، وقيل: المرادُ المبالغةُ في التواضُعِ في الخطاب.

«فإنه أَنْجَحُ»؛ أي: أَيْسَرُ «للحاجة، هذا مُنْكَر».

* * *

٣٦٠٧ ـ عَنْ زَيْدِ بن ثَابِتٍ ﷺ قَال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وبَيْنَ يَدَيْهِ كَاتِبٌ، فَسَمِعْتُه يَقُولُ: «ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ، فإنَّه أَذْكَرُ لِلْمُمْلِي»، ضعيف.

«عن زيد بن ثابتٍ أنه قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وبين يديه كاتبٌ، فسمعتُه يقول: ضعِ القلمَ على أُذنيكَ فإنه أَذْكَرُ للحال»؛ أي: العاقبةُ، يعني أنه أسرَعُ تَذَكُّراً فيما يُرادُ من إنشاءِ العبارة في المعنى المُقْصُود.

وفي نسخة: «فإنه أَذْكَرُ للمُمْلِي»، وذلك لاجتماع خاطِرِه، وأَمْنِهِ من أنْ يكتُبَ شيئاً بغيرِ إملائهِ، وأمَّا لو كان القلمُ على وجهِ الكاغِد فإنه يُشَوِّشُ ذِهْنَه، ولا يَأْمَنُ مِن أن يكتبَ شيئاً ليس من إملائه.

* * *

٣٦٠٨ ـ عن زيدِ بن ثَابتٍ ﷺ أنَّه قَال: أَمَرني رسولُ الله ﷺ أنْ أَتعلَّمَ السُّرْيانِيَّةَ ـ ويُرْوَى: ـ أنَّه أَمَرنِي أنْ أَتعَلَّمَ كِتَابَ يَهُودَ وقال: «إنِّي ما آمَنُ يَهُودَ على كِتَابٍ»، قال: فَمَا مرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حتَّى تعلَّمْتُ، فَكَان إذا كَتَبَ إلى يَهُودَ كَتَبْتُ، وإذا كتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُم».

«عن زيدِ بن ثابتٍ أنه قال: أمرَني رسولُ الله ﷺ أن أتعلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ، ويُرْوَى أنه أَمَرني أن أتعلَّمَ كتابَ اليهودِ، وقال: إني ما آمنُ يهودَ على كتابٍ»؛ يعني: لا آمن إن أمرتُ يهودياً بأن يكتبَ عني إلى قومٍ من بني إسرائيل، أو يقرأَ كتاباً يأتيني منهم أن يزيدَ، أو ينقصَ.

«قال»؛ أي: زيدُ بن ثابت.

«فما مرَّ بي نِصْفُ شهرٍ حتى تعلَّمْتُ، وكان إذا كتبَ»؛ أي: أرادَ النبيُّ ﷺ أن يكتبَ «إلى يهودَ كتبتُ»؛ أي: أنا أكتبُ.

«وإذا اكتبوا إليه قرأتُ له كتابهَم».

* * *

٣٦٠٩ - عَنْ أَبـي هُرَيْرةَ ﷺ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا انْتَهَى أَحَدُكم إلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسلِّمْ، فإنْ بَدا لَهُ أنْ يَجْلِسَ فَلْيجلِسْ، ثُمَّ إذا قَامَ فليُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ».

«عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: إذا انتهى أحدُكم إلى مجلِسٍ فليُسَلِّمْ، فإنْ بدا له أن يَجلِسَ فلْيَجْلِسْ، ثم إذا قامَ فلْيُسَلِّمْ، فليست الأُولى»؛ أي: التسليمةُ الأُولى «بأحقَّ من الآخرة»؛ أي: من التسليمة الآخرة، بل كِلْتاهما حقٌّ وسُنَّة.

* * *

٣٦١٠ - وقال: «لاَ خيرَ في جُلُوسٍ في الطُّرُقَاتِ إلا لِمَن هَدَى السَّبيْلَ، وَرَدَّ التَّحيةَ، وغَضَّ البَصَرَ، وأَعَانَ على الحَمُولَةِ».

«وقال: لا خيرَ في جلوسٍ في الطرقات إلا لمن هَدَى السبيلَ، وردَّ التحيةَ، وغَضَّ البَصَر، وأعانَ على الحَمُولة»؛ بفتح الحاء المهملة: الدابة، وبضمها: ما يُحمَلُ عليها، جمع حِمْل بالكسر، أرادَ إعانةَ مَن يرفعَ حمِلَه على ظهرِ دابَّة، أو ظهرِه، أو رأسِه، ونحو ذلك.

* * *

٢ - باب
الاسْتِئْذَانِ

(باب الاستئذان)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦١١ - عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدريِّ ﷺ أنَّه قال: أَتَانَا أبو مُوْسَى، قال: إنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِليَّ أَنْ آتِيَهُ، فأَتيتُ بابَه، فسَلَّمْتُ ثَلاثاً فَلَمْ يَرُدَّ عليَّ فَرَجعْتُ، فقال: ما مَنَعَكَ أنْ تأْتِيَنا؟ فَقُلْتُ: إنِّي أَتيتُ، فسَلَّمْتُ على بابِكَ ثَلاَثاً فلَمْ تَرُدُّوا عليَّ فَرَجَعتُ، وقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُم ثَلاَثاً فلم يُؤْذَنْ له فلْيرجعْ»، فقَالَ عُمرُ: أَقِمْ عَلَيْهِ البيِّنَةَ، قال أبو سَعيْدٍ: فقُمتُ مَعَه فَذَهَبْتُ إلى عُمرَ فشهِدْتُ.

«من الصحاح»:

«عن أبي سعيدٍ الخُدْري ﷺ أنه قال: أتانا أبو موسى فقال: إنَّ عمَر أرسلَ إليَّ أنْ آتِيَه فأتيتُ بابَه، فسلَّمْتُ ثلاثاً، فلم يَرُدُّوا عليَّ، فرجعت، فقال: ما منعَك أن تأتِيَنا، فقلتُ: إني أتيتُ فسلَّمْتُ على بابك ثلاثاً فلم تَرُدُّوا عليَّ، فرجَعْتُ، وقد قال رسولُ الله ﷺ إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثاً فلم يؤذَنْ له فليرجِعْ، فقال عمر: أقِمْ عليه البيِّنَة»؛ أي: على الحديث الذي رويتَه عنه ﷺ أَمْرَه بذلك ليزدادَ أمرُ الحديث الذي رواه وضوحاً عنده.

«قال أبو سعيد: فقمتُ معه»؛ أي: مع أبي موسى.

«فذهبتُ إلى عمَر فشهدتُ».

* * *

٣٦١٢ - وقال عبدُالله بن مَسْعُودٍ ﷺ: قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: «إِذْنُكَ عليَّ أنْ

تَرْفَعَ الحِجَابَ وأَنْ تَسْمَعَ سِوَادِي حتى أَنْهَاكَ».

«قال عبدُالله بن مسعود: قال لي النبيُّ ﷺ: إذْنُكَ عليَّ أن ترفَعَ الحِجابَ»؛ أي: المقصودُ من الاستئذان رفعُ الحجاب.

«وأن تسمَع سِوادِي»: ـ بكسر السين ـ؛ أي: سِرِّي وكلامي الخَفِيَّ، فقد آذنْتُك أن تدخُلَ عليَّ بلا استئذان.

«حتى أنهاك» وأمنعَك من الدخول إن كان عندي مَن يحتجِبُ منك، وهذا دليلٌ على تشريفِ ابن مسعودٍ وانبساطِه إلى رسول الله ﷺ.

* * *

٣٦١٣ ـ وقال جَابِرٌ: أَتيْتُ النَّبيَّ ﷺ في دَيْنٍ كَانَ عَلى أَبِيْ، فدَقَقْتُ البَابَ فقال: «مَنْ ذَا؟» فقُلْتُ: أنَا، فَقَالَ: «أَنَا، أَنَا!»، كأنَّه كَرِهَها.

«وقال جابر: أتيتُ النبيَّ ﷺ في دَيْنٍ كان على أبي، فدَقَقْتُ البابَ فقال: مَن ذا؟ فقلت: أنا، فقال: أنا، أنا، كأنه»؛ أي: كأنَّ النبي ﷺ «كَرِهَها»؛ أي: كلمة (أنا) يحتملُ أنَّ كراهتَه لتركه الاستئذانَ بالسَّلام، أو لأنَّ قولَه: (مَن ذا) استكشافٌ للإبهام، وقوله: (أنا) لم يُزِلْ به الإشكالَ والإبْهامَ؛ لأنه بيانٌ عند المشاهدةِ لا عندَ المغايَبَةِ، فكانَ وجْهُ الجوابِ أن يقولَ: أنا جابرٌ؛ ليقعَ التعريفُ، ويحتملُ أن يكونَ وجهُ كراهتِهِ ﷺ أنَّ هذا اللفظَ يُشْعِرُ بالإخبارِ عن نفسِه على وجهِ التعظيمِ، وهو لا يَليقُ في حَضْرَةِ النبيِّ ﷺ.

* * *

٣٦١٤ ـ وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فوجَدَ لَبناً في قَدَحٍ فقالَ: «أَبَا هِرٍّ! الْحَقْ بِأَهْلِ الصُّفَّةِ فادْعُهُم إليَّ»، فأَتَيتُهُم فدَعَوتُهُم فأَقْبَلُوا، فاستَأْذَنُوا فأُذِنَ لَهُم فَدَخَلُوا.

«وقال أبو هريرةَ: دخلتُ مع رسولِ الله ﷺ فوجدَ لبناً في قَدَحٍ، فقال: أبا هِرٍّ!»؛ أي: يا أبا هريرة! بحذف حرف النداء.

«الحَقْ بأهلِ الصُّفَّة فادعُهم إليَّ، فأتيتُهم فدعوتهُم فأقبَلُوا فاستأذنُوا، فأَذِنَ لهم فدَخَلُوا»، والتوفيقُ بين هذا وبين قولهِ ﷺ في «الحسان»: «إذا دُعِيَ أحدُكم فجاء مع الرسول فإنَّ ذلك إذنٌ له» أنَّ أهل الصُّفَّة جاؤوا بعدَ الدَّاعِي فاحتاجُوا إلى إذنٍ جديد.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٦١٥ - قَالَ أَنَسٌ: أَتَى رَسُولُ الله ﷺ على سَعْدِ بن عُبَادةَ فقَال: «السَّلاَمُ عَلَيْكُم ورَحْمَةُ الله»، فَقَال سَعْدٌ: وعَلَيْكُمُ السَّلامُ ورَحْمَةُ الله، ولَم يُسْمِعِ النبيَّ ﷺ، حتى سَلَّمَ ثَلاَثاً وردَّ عليه سَعْدٌ ثَلاَثاً، ولَمْ يُسْمِعْه، فَرَجَعَ النَّبيُّ ﷺ فاتَّبعَهُ سعدٌ.

«من الحسان»:

«قال أنسٌ ﷺ: أتى رسولُ الله ﷺ على سَعْدِ بن عُبَادة فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله»، وهذا يدلُّ على أن الاستئذان يكون بالسلام.

«فقال سعدٌ: وعليك السلامُ ورحمةُ الله، ولم يُسْمِعِ النبيَّ ﷺ»، من الإسماع؛ أي: لم يُسْمِعْه ﷺ سعدٌ ردَّ السلام، وإنما لم يُسْمِعْه ليسلِّمَ النبيُّ ﷺ مرةً أُخرى ليزدادَ إليه وإلى أهل بيتهِ بركةُ سَلامِه.

«حتى يسلِّمَ ثلاثاً، وردَّ عليه سعدٌ ثلاثاً ولم يُسْمِعْه، فرجَعَ النبيُّ ﷺ فاتَّبعَه سعدٌ» واعتذر إليه بذلك.

* * *

٣٦١٦ ـ وعن كَلَدَة بن حَنْبَلٍ: أَنَّ صَفْوانَ بن أُمَيَّةَ بَعَثَ بِلَبن وجَدَايةٍ وضَغَابيسَ إلى النَّبيِّ ﷺ، والنَّبيُّ ﷺ بِأَعْلَى الوَادِي، قال: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ولَمْ أُسَلِّم ولَمْ أَسْتأْذِنْ، فقالَ النَّبي ﷺ: «ارجِعْ فقُلْ: السَّلامُ عَلَيْكُم، أَأَدْخلُ؟».

«عن كَلَدَةَ بن حنبلٍ أنَّ صفوانَ بن أميةَ بعثَ بلَبن وجَدَايةٍ»، بفتح الجيم وكسرها: من أولادِ الظِّباءِ ما بلغَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أو سبعةً، بمنزلة الجَدْيِ مِن المَعْز.

«وَضَغابيسَ»: جمع ضَغْبُوس بفتح الضاد وسكون الغين المعجمتين؛ وهو صغيرُ القِثَّاء.

«إلى النبيِّ ﷺ بأعْلَى الوادي، قال: فدخلتُ عليه ولم أسلِّمْ ولم أستأذِنْ، فقال النبيُّ: ارجِعْ فقل: السلامُ عليكم، أأدخل؟»، وهذا يدلُّ على أن السنةَ تقديمُ السلامِ على الاستئذان.

فإن قيلَ: قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] معناه: حتى تستأذِنُوا يدلُّ على تقديمِ الاستئذان.

أُجيبَ: بأنَّ في الآيةِ تقديماً وتأخيراً، والفائدةُ في تقديم الاهتمامِ بالاستئذان عندَ الدخولِ، فإنه أهمُّ من السلام حتى لا يجوزَ لك أن تدخلَ بغير استئذان، ويجوزُ لك تركُ السلام.

وقيل: إنْ وقعَ بصرُه على إنسانٍ قدَّمَ السَّلاَمَ وإلا قَدَّمَ الاستئذان.

* * *

٣٦١٧ ـ ورُوِيَ عن أَبـِيْ هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَجَاءَ مَعَ الرَّسُولِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذْنٌ».

وفي رِوَايةٍ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «رَسُولُ الرَّجُلِ إلى الرَّجُلِ إِذْنُه».

«ورويَ عن أبي هريرَة أنَّ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالَ: إذا

دُعِيَ أحدُكم فجاءَ مع الرسول»؛ أي: معَ الرسولِ الذي أرسلَه المُرْسِلُ.

«فإنَّ ذلك إذْنٌ، وفي رواية: قال رسولُ الله ﷺ: رسولُ الرجل إلى الرَّجُلِ إذنُه».

* * *

٣٦١٨ - عن عَبْدِالله بن بُسْرٍ ﷺ قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قومٍ لَمْ يَسْتَقْبِـلِ البَابَ مِنْ تِلقَاءِ وَجْهِهِ، ولَكِنْ مِن رُكْنِهِ الأيمنِ أو الأَيْسَرِ فيقول: «السَّلامُ عليكم، السَّلام عليكم»، وذلك أنَّ الدُّوْرَ يَوْمَئذٍ لَمْ تكُنْ عَلَيْها سُتُورٌ.

«عن عبدالله بن بُسْرٍ أنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أتى بابَ قومٍ لم يستقبـلِ الباب من تِلْقَاءِ وَجْهِه»؛ أي: مقابلة وجهه؛ لئلاَّ يقعَ بصرُه على داخلِ البيت.

«ولكن من ركنه»؛ أي: من جانبه «الأيمن أو الأيسر، فيقول: السلام عليكم السلام عليكم، وذلك أن الدُّور لم يكن يومئذ عليها ستور»: جمع ستر.

* * *

٣ - باب
المصافحةِ والمعانَقَةِ

(باب المصافحة والمعانقة)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦١٩ - عَن قَتادَة قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ ﷺ: أَكَانت المُصافَحَةُ في أَصْحَابِ النَّبي ﷺ؟ قَالَ: نعَم.

«من الصِّحاح»:

«عن قتادة ﷺ أنه قال: قلت لأنس: أكانت المصـــافحة في أصحاب

النبي ﷺ؟ قال: نعم» وهذا يدل على جواز المصافحة عند التلقِّي.

قال النووي: ما اعتاده الناس من المصافحة بعد صلاة الصبح والعصر لا أصل له في الشرع، ولكن لا بأس به.

* * *

٣٦٢٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَتَى أَتَى خِبَاءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أَثَمَّ لُكَعُ؟» ـ يَعْنِي حَسَناً ـ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حتَّى اعتَنَقَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما صَاحِبَه.

«عن أبي هريرة أنه قال: خرجت مع النبي ﷺ حتى أتى جناب فاطمة» بفتح الجيم؛ أي: فِناءَ دارها.

«فقال: أثَمَّ لكع؟» بضم اللام وفتح الكاف، وهو الصغير قَدْراً أو جثةً، والثاني هو المراد هنا.

«يعني: حسناً، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه»: وهذا يدل على جواز المعانقة.

* * *

٣٦٢١ ـ وقَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: ذَهَبْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ عَامَ الفَتْحِ فقال: «مَرْحَباً بأُمِّ هَانِئٍ».

«وقالت أم هانئ: ذهبت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح فقال: مرحباً بأم هانئ» يدل على أن الترحيب سنَّة للقادم.

* * *

٣٦٢٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قبَّلَ رَسُولُ الله ﷺ الحَسَنَ بن عليٍّ

وعِنْدَه الأَقْرَعُ بن حَابسٍ، فَقَال الأقْرَعُ: إن لِيْ عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قبَّلتُ مِنْهُم أَحَداً، فَنظَرَ إليْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لا يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ».

«وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي ﷺ وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً! فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: من لا يَرحم لا يُرحم» كلاهما بالجزم، يدلُّ على جواز تقبيل الولد رحمةً وشفقة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٦٢٣ ـ عَنِ البَـرَاءِ بن عَـازِبٍ ﷺ أنَّه قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «ما مِنْ مُسْلِمَيْن يَلْتَقِيَانِ فيتَصَافحَانِ إلاَّ غُفِرَ لَهُما قبلَ أن يتفرَّقَا».

وفي رِوَايَةٍ: «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ، فتَصَافَحَا وحَمِدَا الله واسْتَغفَراه، غُفِرَ لَهُمَا».

«من الحسان»:

«عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» وفي رواية: (أنزل الله تعالى عليهما مئة رحمة، تسعون منها للذي بدأ بالمصافحة وعشرٌ للذي صوفح).

«وفي رواية: إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه»؛ أي: طلبا الغفران من الله تعالى.

«غفر لهما».

* * *

٣٦٢٤ ـ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَال: قَالَ رَجُلٌ: يا رسولَ الله! الرَّجُلُ مِنّا يَلْقَى أَخَاهُ أو صَدِيقَهُ، أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: «لا»، قَالَ: أَفَيلْتَزِمُه ويُقَبـله؟ قَالَ: «لا»، قال: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِه ويُصَافِحُهُ؟ قال: «نعم».

«عن أنس ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله! الرجل منا يَلْقَى أخاه، أو صديقه، أينحني له» والانحناء إمالة الرأس والظهر تواضعاً ورحمة.

«قال: لا، قال أفيلتزمه»؛ أي: أفيعانقه «ويقبله، قال: لا» استَدَل بهذا مَن كره المعانقة والتقبيل، قيل: المكروه ما كان على وجه التملُّق والتعظيم في الحضر، وأما المأذون فيه فعند التوديع، والقدومِ من السفر، وطولِ العهد بالصاحب، وشدة الحب في الله تعالى، مع أمن النفس، ومَن قبَّل فلا يقبل الفم بل اليد والجبهة والرأس، وقيل: لا يكره التقبيل لزهدٍ وعلم وكبر سنٍّ.

«قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم».

* * *

٣٦٢٥ ـ عَنْ أَبـيْ أُمَامَةَ ﷺ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «تَمَامُ عِيادَةِ المَرِيْضِ أنْ يَضَعَ أحدُكُم يَدَه على جبهَتِهِ، أَو عَلَى يَدِهِ، فَيَسْأَلَهُ: كيفَ هو؟ وتَمَامُ تَحِيَّاتِكُمْ بينَكم المُصَافَحَةُ»، ضعيف.

«عن أبي أمامة: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده فيسأله: كيف هو؟ وتمام تحياتكم بينكم المصافحة»: «ضعيف».

* * *

٣٦٢٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِـيَ الله عَنْهَا قَالَت: قَدِمَ زَيْدُ بن حَارِثَةَ ﷺ المَدِيْنَةَ ورَسُولُ الله ﷺ في بَيْتي، فأَتَاهُ فقَرَعَ البَابَ، فقامَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ عُرْياناً يَجُرُّ

ثَوْبَه، واللهِ مَا رَأَيْتُه عُرْياناً قَبْلَهُ ولا بَعْدَه، فاعْتَنَقَه وقبَّلَه.

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسول الله ﷺ عرياناً يجر ثوبه» يريد به أنه ﷺ كان ساتراً ما بين سرَّته وركبته، ولكن سقط رداؤه عن عاتقه فكان ما فوق سرته عرياناً.

«والله ما رأيته قبله ولا بعده» لعلها أرادت: عرياناً استقبل رجلاً واعتنقه، فاختصرت الكلام لدلالة الحال، إذ من الممتنع عادةً أنها لا تراه عرياناً قبل ذلك مع طول الصحبة وكثرة الاجتماع في لحاف واحد.

«فاعتنقه وقبله».

* * *

٣٦٢٧ ـ وسُئِلَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَافِحُكُم إذا لَقِيتُمُوهُ؟ قال: مَا لَقِيتُه قَطُّ إلاَّ صَافَحَني، وبَعَثَ إليَّ ذاتَ يومٍ ولَم أَكُنْ في أَهْلِي، فلمَّا جِئْتُ أُخْبِرْتُ، فأَتَيْتُه وهُوَ عَلَى سَرِيرٍ فالتَزَمَني، فكَانَتْ تِلْكَ أَجْوَدَ وأَجْوَدَ.

«وسئل أبو ذر: هل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصافحكم إذا لقيتموه؟ قال ما لقيته قط إلا صافحني، وبعث إلي ذات يوم ولم أكن في أهلي، فلما جئت أُخبرت فأتيته وهو على سرير» قد يعبر بالسرير عن الملك والنعمة، فالسرير هنا يجوز أن يكون ملك النبوة ونعمتها، وقيل: هو سريرٌ من جريد النخل يتخذه كلُّ أحد من أهل المدينة وأهل مصر للنوم فيه توقِّياً عن الهوام.

«فالتزمني»؛ أي: اعتنقني.

«وكانت تلك»؛ أي: تلك الالتزامة «أجود» من المصافحة «وأجود».

«ضعيف».

* * *

٣٦٢٨ ـ عَنْ مُصْعَبِ بن سَعْدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ بن أَبي جَهْلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يومَ جِئْتُهُ: «مَرْحَباً بالرَّاكِبِ المُهَاجِرِ».

«عن مصعب بن سعد، عن عكرمة بن أبي جهل، قال: قال رسول الله ﷺ يوم جئته: مرحباً بالراكب المهاجر».

* * *

٣٦٢٩ ـ عَنْ أُسَيْدِ بن حُضَيْرٍ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ قال: بَيْنَما هُوَ يُحَدِّثُ القَومَ وكَانَ فيْهِ مُزاحٌ، بَيْنَما يُضْحِكُهم فَطَعَنَهُ النَّبيُّ ﷺ في خَاصِرَتِه بِعُودٍ، فَقَال: أَصْبِرْني، فَقَال: «اصْطَبِر»، قَالَ: إنَّ عَلَيْكَ قَمِيْصاً ولَيْسَ عليَّ قَمِيْصٌ، فَرَفَعَ النَّبيُّ ﷺ عَنْ قَمِيصِهِ، فاحْتَضَنَهُ وجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ، قال: إنَّما أَرَدْتُ هَذَا يا رَسُولَ الله!.

«عن أسيد بن حضير» بصيغة التصغير فيهما: «رجلٌ من الأنصار» المراد بالرجل على ما في «جامع الأصول» غيرُ أسيد بن حضير، فـ (رجل) يرفع ابتداءً نكرة مخصوصة خبره: «قال».

وعلى ما في «شرح السنة»: أنه أسيد، فـ (رجل) مرفوعٌ[1] بدلاً من (أسيد)، و(قال) قولُ الراوي هو عبد الرحمن [بن أبي ليلى]، وتنزيل الحديث على هذه الرواية أسهل وأبعد من التكلف من تلك الرواية.

---

(١) كذا ذكر، والصواب: «مجرور».

«بينما هو»؛ أي: أسيد «يحدث القوم، وكان فيه مزاح» هذه الجملة جملة حالية من ضمير (يحدث)، و(المزاح) بالضم: الاسم، وبالكسر: مصدر مازَحَ.

«بينا يضحكهم» ظرف لقوله: «فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعودٍ، فقال: أصبرني» بفتح الهمزة؛ أي: أَقْدِني من القود.

«قال: اصْطَبِـر»؛ أي: استقِدِ.

«قال: إن عليك قميصاً وليس عليَّ قميص، فرفع النبي ﷺ عن قميصه» عدَّاه بـ (عن) لتضمُّنه معنى كشف؛ أي: كشف عمَّا ستره قميصُه فرفعه عنه.

«فاحتضنه»؛ أي: اعتنقه وأخذه في حضنه، وهو ما دون الإبط إلى الكشح.

«وجعل يقبل كشحه» وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع الأقصر من أضلاع الجنب.

«قال: إنما أردتُ هذا يا رسول الله».

* * *

٣٦٣٠ ـ وعن البَيَاضِـيِّ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تلَقَّى جَعْفَرَ بن أَبِـي طَالِبٍ فالتَزَمَه وقبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ».

«عن عبدالله بن جابر البياضي قال: إنَّ النبي ﷺ تلقَّى»؛ أي: استقبل.

«جعفر بن أبي طالب» حين قدومه من السفر.

«فالتزمه»؛ أي: اعتنقه «وقبَّل ما بين عينيه».

* * *

٣٦٣١ ـ وعَنْ جَعْفرِ بن أَبِـي طَالِبٍ ﷺ في قِصَّةِ رُجوعِه مِنْ أَرْضِ الحَبَشَةِ قَال: فخرجْنَا حتَّى أَتَيْنا المَدِينةَ، فَتَلقَّانِي رَسُولُ الله ﷺ فاعتَنَقَني ثُمَّ

قَالَ: «ما أَدْرِي أَنا بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَفْرحُ، أَمْ بِقُدُومِ جَعفَرٍ؟»، ووَافقَ ذلكَ فتحَ خَيبَرَ.

«وعن جعفر بن أبي طالب في قصة رجوعه من أرض الحبشة قال: فخرجنا حتى أتينا المدينة، فتلقاني رسول الله ﷺ فاعتنقني، ثم قال: ما أدري أنا بفتح خيبر أفرحُ أم بقدوم جعفر، ووافق ذلك»؛ أي: قدومه «فتح خيبر».

* * *

٣٦٣٢ ـ وقَال زَارعٌ ـ وكَانَ في وَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ ـ فَجعَلْنا نتَبَادَرُ مِن رَوَاحِلِنا فنُقَبـلُ يَدَ رَسُولِ الله ﷺ ورِجْلَهُ.

«وقال: زارع وكان في وفد عبد القيس: فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبـل يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورجله».

* * *

٣٦٣٣ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رَضيَ الله عَنْها أنَّها قَالَت: مَا رَأَيْتُ أَحداً كَانَ أَشْبَهَ سَمْتاً وهَدْياً ودَلاًّ ـ وفي رِوَايةٍ ـ حَدِيْثاً وكَلاماً بِرَسُوْلِ الله ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ، كَانَتْ إِذَا دَخلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِليْهَا فأَخذَ بِيَدِهَا فقبَّلَهَا وأَجْلَسَهَا في مَجلِسِه، وكَانَ إِذَا دَخلَ عَلَيْها قَامَتْ إِليْهِ فأَخذَتْ بِيَدِه فَقبَّلَتْهَا وأَجْلَسَتْهُ في مجلِسِها.

«وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً» وهو عبارةٌ عن الهيئة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار وحسن السيرة.

«وهدياً»؛ أي: سيرة وطريقة في أفعاله.

«ودَلاًّ» وهو الهيئة في الصورة والقيام والقعود.

وقيل: الإشارة بالسمت إلى ما يُرى على الإنسان من الخشوع والتواضع،

وبالهدي إلى ما يتحلى به من السكينة والوقار، وبالدلّ: إلى لين الخلق وحسن الحديث.

«وفي رواية: حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه قام إليها»؛ أي: النبي ﷺ إلى فاطمة تعظيماً لله تعالى، فإنه ﷺ عرف قَدْرَها عند الله تعالى.

«فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها».

* * *

٣٦٣٤ ـ ودَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ على عَائِشَةَ وهي مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أصابَتْها حُمَّى فَقَال: كَيْفَ أَنْتِ يا بنيَّة؟ وقبَّلَ خدَّهَا.

«ودخل أبو بكر على عائشة وهي مضطجعة قد أصابها حمى» بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة.

«فقال: كيف أنت يا بنية؟ وقبّل خدها».

* * *

٣٦٣٥ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أُتِيَ بِصَبِيٍّ فَقَبَّلَهُ فَقَال: «أَمَا إنَّهم مَبْخَلَةٌ مَجْبنةٌ مَحْزَنَةٌ، وإنَّهم لَمِنْ رَيْحَانِ الله تَعالَى».

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن النبي ﷺ، أتي بصبي فقبله فقال: أَمَا» بفتح الهمزة وتخفيف الميم: للتنبيه.

«إنهم»؛ أي: الأولاد.

«مبخلة» بفتح الميم وسكون الباء الموحدة؛ أي: يحمل أبويه على البخل اتّقاءً على ماله.

«مَجْبنةٌ» بفتح الميم وسكون الجيم وفتح الباء الموحدة قبل النون المفتوحة؛ أي: يَحمل على الجبن، وهو الخوف في الحرب من القتل فيضيع ولده بعده.

«وإنهم لمن ريحان الله تعالى»؛ أي: مِن رزقه تعالى، ومنه قولهم: سبحان الله وريحانه؛ أي: أسبحه وأسترزقه، والريحان: المشموم، وأطلق عليهم الريحان لأنهم يُشمُّون ويقبَّلون.

* * *

٤ - باب

القِيَام

(باب القيام)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٣٦ - عَنْ أَبـي سَعْيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لمَّا نَزَلَتْ بنو قُرَيْظَةَ على حُكْمِ سعدٍ بَعَثَ إليهِ رَسُولُ الله ﷺ وكَانَ قَرِيْباً مِنْهُ، فَجَاءَ على حِمَارٍ فَلَمَّا دنَا مِنَ المَسْجِدِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ للأنْصَارِ: «قُومُوا إلى سَيـدِكُم».

«من الصحاح»:

«عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بعث رسول الله ﷺ إلى سعد وكان قريباً منه»؛ أي: كان سعدٌ نازلاً في موضع قريب من النبي ﷺ.

«فجاء على حمار، فلما دنا»؛ أي: قَرُبَ **«من المسجد»**؛ أي: المصلى.

«قال رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للأنصار: قوموا إلى

سيدكم»؛ أي: إلى أفضلكم رجلاً، قيل: المراد به القيام للتوقير والتعظيم؛ لاقترانه بلفظ: (سيدكم)، فيدل على أن التعظيم بالقيام جائز لمن يستحق الإكرام كالعلماء والصلحاء.

يؤيده ما روي أنه ﷺ قام لعكرمة بن أبي جهل عند قدومه عليه، وكذلك لعدي بن حاتم، فالقيام لا يتعدى عن الترخيص فيه بحسب ما يقتضيه الحال، وذلك لأن عدياً كان سيدَ بني طيئ، فقصد بذلك استجلابَ قلبه، وكذلك عكرمة كان من رؤساء قريش.

* * *

٣٦٣٧ ـ وعَنْ ابن عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لا يُقيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مجلِسِه ثُمَّ يَجْلِسُ فِيْهِ، ولَكنْ تَفَسَّحُوا وتَوَسَّعُوا».

«**عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: لا يُقِيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه، ثم يجلس فيه**» وهذا يعمُّ المساجد وغيرها.

«**ولكن: تفسحوا**»؛ أي: ليقل: تفسَّحوا «**أو توسعوا**»؛ أي: ليقرب بعضهم من بعض ليتسع المجلس، قال الله تعالى: ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾[المجادلة: ١١].

قال النووي: أصحابنا استثنوا من هذا الحكم ما أُلف من المسجد موضعاً للتدريس أو الإفتاء، فهو أحق به، فإذا قعد فيه غيره فله أن يقيمه.

* * *

٣٦٣٨ ـ وعَنْ أَبـي هُريْرَةَ ﷺ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ».

«**عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: من قام من مجلسه**»؛ يعني: من

كان جالساً في مجلس فقام منه ليتوضأ أو ليقضيَ شغلاً يسيراً سواءٌ ترك في موضعه خُمرةً ونحوها.

«ثم رجع إليه فهو أحق به» فإذا وَجد فيه قاعداً فله أن يُقيمه؛ لأنه لم يَبْطُل اختصاصُه به.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٦٣٩ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قال: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِم مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا، لِمَا يَعْلَمُوْنَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ. صحيح.

«من الحسان»:

«عن أنس أنه قال: لم يكن شخص أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لِمَا علموا من كراهته ذلك» القيام، إنما كره ﷺ أن يقام له للتواضع.

«صحيح».

* * *

٣٦٤٠ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِياماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ».

«وعن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: مَن سرَّه أن يتمثل له الرجال»؛ أي: أن يقوموا له.

«قياماً» وهو جالس.

«فليتبوأ مقعده من النار» لفظه الأمر ومعناه الخبر، وهذا الوعيد فيمن

سلك فيه طريق المتكبرين؛ لقرينةِ السرور للمثول، وأما إذا لم يطلب ذلك وقاموا من تلقاء أنفسهم طلباً للثواب والتواضع فلا بأس به؛ لما ثبت: أن مغيرة ابن شعبة قام على رأس النبي ﷺ وبيده سيف يوم الحديبية، وكان يزجر مَن يَصْدُر عنه سوءُ الأدب عند النبي ﷺ ممن جاء بالرسالة من مكة.

* * *

٣٦٤١ ـ عَنْ أَبِـي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مُتَوَكِّئاً عَلَى عَصَاهُ، فقُمْنَا له، فَقَالَ: «لا تَقُومُوا كَمَا تَقُوْمُ الأَعَاجِمُ يُعظِّمُ بَعْضُهُم بَعْضاً».

«**عن أبي أمامة أنه قال: خرج رسول الله ﷺ متوكئاً**»؛ أي: متكئاً.

«**على عصى**» لمرض كان به.

«**فقمنا له فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظِّم بعضُهم بعضاً**» لماله ومنصبه، وإنما ينبغي التعظيم للعلم والصلاح.

* * *

٣٦٤٢ ـ عَنْ سَعِيْدِ بن أَبِـي الحَسَنِ قَالَ: جَاءَنَا أَبُو بَكْرَةَ فِيْ شَهادَةٍ، فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِن مجلِسهِ فأَبَى أنْ يَجْلِسَ فَيْهِ وقَالَ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ ذَا، ونَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَمْسَحَ الرَّجُلُ يَدَهُ بِثَوبِ مَنْ لَمْ يَكْسُهُ.

«**عن سعيد بن أبي الحسن أنه قال: جاءنا أبو بكرة في شهادة**»؛ أي: لأداء شهادة كانت عنده.

«**فقام له رجل من مجلسه فأبى**» أبو بكرة «**أن يجلس فيه**»؛ أي: في ذلك المجلس.

«**وقال: إن النبي ﷺ نهى عن ذا**»؛ أي: عن أن يُقيم أحد أحداً ويجلس مجلسه.

«ونهى النبي ﷺ أن يمسح الرجل يده» إذا كانت ملوَّثة بطعام مثلاً.

«بثوبِ مَن لم يكسه»؛ أي: لم يلبسه، فيُعلم منه أنه إذا مسح يده بثوبِ مَن أكساه كغلامه وخادمه جاز، وقيل: هو نهيٌ عن التصرف في مال الغير والتحكُّم على من ليس له عليه ولاية، وقيل: معناه نهي عن أن يمنَّ الرجل على مَن لم يُحسن إليه.

* * *

٣٦٤٣ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا جَلَسَ وجَلَسْنَا حَوْلَه، فَقَامَ فَأَرَادَ الرُّجُوْعَ نَزَعَ نعلَهُ أَوْ بَعْضَ مَا يَكُوْنُ عَلَيْهِ، فَيَعْرِفُ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ فَيَثْبُتُونَ».

«عن أبي الدرداء أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس وجلسنا حوله، فقام فأراد الرجوع نزع نعليه أو بعضَ ما يكون عليه، فيعرف ذلك أصحابه»؛ أي: يعرفون أنه يريد الرجوع إليهم «فيثبُتون» مكانهم ولا يتفرقون عنه.

* * *

٣٦٤٤ ـ عَنْ عَبْدِالله بن عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «لا يَحِلُّ لرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْن اثْنَيْنِ إلاّ بِإذْنِهِمَا».

«عن عبدالله بن عمرو ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين» بأن يجلس بينهما.

«إلا بإذنهما» لأنه قد يكون بينهما محبةٌ وجريانُ سرٍّ فيشُقُّ عليهما التفرُّق.

* * *

٣٦٤٥ ـ وعَنْ عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيْه، عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ

قَالَ: «لاَ تَجلِسْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إلاَّ بِإذْنِهِمَا».

«عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: لا تجلس بين رجلين إلا بإذنهما».

* * *

٥ ـ باب

الجُلوسِ والنَّومِ والمَشْيِ

(باب الجلوس والنوم والمشي)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٤٦ ـ عَنْ ابن عُمَرَ ﵄ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ مُحتَبِياً بِيَدِهِ».

«من الصحاح»:

«عن ابن عمر ﵄ أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بفناء الكعبة» وهو الموضع المتَّسع المحاذي لباب الدار، وقيل: ما امتد من جوانب البيت.

«محتبياً بيديه»؛ أي: جالساً بحيث تكون ركبتاه منصوبتين وبطن قدميه على الأرض، ويداه موضوعتين على ساقيه، والمراد به سنِّيَّةُ الاحتباء في الجلوس.

* * *

٣٦٤٧ ـ عَنْ عَبَّادِ بن تميم، عَنْ عمِّهِ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ في المَسْجِدِ، مُسْتَلْقِياً واضِعاً إحْدَى قَدَمَيْهِ عَلَى الأُخرَى.

«وعن عَبَّاد بن تميم، عن عمه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المسجد مستلقياً»؛ أي: مضطجعاً على الظهر.

«واضعاً إحدى قدميه على الأخرى».

* * *

٣٦٤٨ ـ وعَنْ جَابـرٍ ﷺ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَرْفَعَ الرَّجُلُ إِحْدَى رِجْلَيْه عَلَى الأُخْرَى، وهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ.

«وعن جابر ﷺ أنه قال: نهى رسول الله أن يرفع الرجل إحدى رجليه على الأخرى وهو مستلق على ظهره».

* * *

٣٦٤٩ ـ وعَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَسْتَلْقِيَنَّ أَحَدُكُم ثُمَّ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى».

«وعنه أن النبي ﷺ قال: لا يستلقينَّ أحدكم ثم يضعَ إحدى رجليه على الأخرى» وجه التوفيق بين النهي وفِعْلِ النبي ﷺ: أن النهي لخوفِ انكشاف العورة خصوصاً مع ضيق الإزار، مع أن الغالب عليهم ذلك، فأما إذا كان الإزار واسعاً، أو كان الشخص متسروِلاً، فلا بأس به إن لم يكن للتكبُّر.

* * *

٣٦٥٠ ـ عَنْ أَبـيْ هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِيْ بُرْدَيْنِ وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُه، خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

«عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:

بينما رجل يتبختر في بُردين»؛ أي: يفتخر ويتكبَّر في لبس بردين.

«وقد أعجبته نفسه خُسِفَ» على صيغة المجهول.

«به» قائم مقام الفاعل.

«الأرضَ» بالنصب.

«فهو يتجلجل فيها»؛ أي: يغوص[1] ويذهب في الأرض من حين خسف «إلى يوم القيامة».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٦٥١ ـ عَنْ جَابِرِ بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ مُتَّكِئاً عَلَى وِسَادَةٍ عَلَى يَسَارِهِ.

«من الحسان»:

«عن جابر بن سمرة ﷺ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ متكئاً على وسادة على يساره» وهذا يدل على سنِّيَّة الاتكاء ووضعِ الوسادة على الجانب الأيسر.

* * *

٣٦٥٢ ـ وعَنْ أَبـِيْ سَعْيدٍ الخُدرِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُوْلُ الله ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي المَجْلِسِ احْتَبَى بِيَدَيْهِ.

«عن أبي سعيد الخدري أنه قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه» تقدَّم بيانُ سنِّيَّة الاحتباء بهما.

* * *

---

(١) في «ت»: «يغوض بالضاد المعجمة».

٣٦٥٣ ـ وعَنْ قَيْلَةَ بنتِ مَخْرَمَةَ: أَنَّها رَأَتْ رَسُولَ الله ﷺ في المَسْجِدِ وهُوَ قَاعِدٌ القُرْفُصَاءَ، قَالَت: فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ المتَخَشِّعَ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ.

«عن قيلة بنت مخرمة: أنها رأت رسول الله ﷺ في المسجد وهو قاعد القرفصاء» بضم القاف وسكون الراء المهملة وضم الفاء، والفتحُ أفصح، يمدُّ ويقصر، قيل: هو أن يجلس على إليتيه ويلصق بطنه فخذيه ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، وقيل: أن يجلس على ركبتيه متكئاً ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه، وهو جلسة الأعراب.

«قالت: فلما رأيت النبي ﷺ المتخشع في الجلسة» بمعنى الخاشع والمتواضع، مفعولٌ ثان لـ (رأيت)، وهو أخصُّ من الخاشع؛ لأنه يدل على زيادة الخشوع.

«أُرعدت» على بناء المجهول؛ أي: أخذتني الرعدة.

«من الفَرَق» بفتحتين؛ أي: من الخوف والفزع، وهذا غاية المهابة؛ لأنه أمر سماوي لا يتصنع، فقال: عليك السكينةُ يا مسكينة.

* * *

٣٦٥٤ ـ وعَنْ جَابرِ بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الفَجْرَ، تَرَبَّع في مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ.

«عن جابر بن سمرة ﷺ أنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه»؛ أي: جلس مربعاً.

«حتى تطلع الشمس حسناء» فعلاء، حالٌ من (الشمس)؛ أي: حتى ترتفع كاملة.

قال التورِبِشْتي: هو خطأ والصواب: (حسناً) مصدراً؛ أي: طلوعاً حسناً، أو حالاً؛ أي: نقيةً بيضاء زائلةً عنها الصفرة المتخيَّلة دونها على الأفق.

* * *

٣٦٥٥ ـ عَنْ أَبِيْ قَتَادَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَرَّسَ بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمن، وإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِراعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ.

«**عن أبي قتادة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبي ﷺ كان إذا عرَّس بليل**»: والتعريس: نزول المسافر بالليل للاستراحة، وهنا بمعنى نام فيها.

«**اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصبح نصب ذراعيه ووضع رأسه على كفه**» كيلا يطول نومه فتفوت صلاة الصبح عن وقتها.

* * *

٣٦٥٦ ـ عَنْ بَعْضِ آلِ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّه قَالَ: كَانَ فِرَاشُ رَسُوْلِ الله ﷺ نَحْواً مِمَّا يُوضَعُ في قَبْرِهِ، وكَانَ المَسْجِدُ عِنْدَ رَأْسِهِ.

«**عن بعض آل أم سلمة أنه قال: كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نحواً مما يوضع في قبره**»؛ أي: كان ما يستفرشه للنوم قريباً [مما] وضع في قبره؛ يعني: كان شيئاً خفيفاً.

«**وكان المسجد**»؛ أي: مصلاه «**عند رأسه**».

* * *

٣٦٥٧ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرةَ ﷺ قَالَ: رَأَى رَسُوْلُ الله ﷺ رَجُلاً مُضطجِعاً عَلَى بَطْنِه فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ لا يُحِبُّهَا الله».

«عن أبي هريرة ﷺ أنه [قال]: رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلاً مضطجعاً على بطنه فقال: إن هذه ضجعة» بالكسر للنوع.

«لا يحبها الله تعالى» لأن وضع الصدر والوجه اللذان من أشرف الأعضاء على الأرض إذلالٌ في غير السجود.

* * *

٣٦٥٨ ـ وعَنْ يَعِيْشَ بن طِخْفَةَ بن قَيسٍ الغِفَارِيِّ، عَنْ أَبِيْهِ، وكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ مِنَ السَّحَر عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحرِّكُنِيْ بِرِجْلِهِ فَقَالَ: «إنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ يُبغِضُهَا الله»، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُوْلُ الله ﷺ.

«عن يعيش بن طخفة» ـ بكسر الطاء المهملة وسكون الخاء المعجمة وبالفاء المفتوحة ـ «ابن قيس الغفاري عن أبيه، وكان»؛ أي: أبوه «من أصحاب الصفة، قال: بينما أنا مضطجع من السَّحَر» وهو ـ بفتحتين ـ وجع الرئة.

«على بطني، إذا رجل يحركني برجله وقال: إن هذه ضجعةٌ يبغضها الله تعالى، فنظرت فإذا هو رسول الله ﷺ».

* * *

٣٦٥٩ ـ عَنْ عَلِيِّ بن شَيْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ عَلَيْهِ حِجَابٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ».

«عن علي بن شيبان قال: قال رسول الله ﷺ: من بات على ظهر بيت ليس عليه حجًى[1]» يروى بكسر الحاء المهملة وفتحها، والمراد منه: الستر والحجاب،

---

(١) في «ت»: «حجاب»، وهي رواية.

ومَن كَسَرَ الحاء شبَّهه بالحِجَى الذي بمعنى العقل، وذلك أن العقل يمنع الإنسان من التعرض للهلاك، فكذلك الستر على السطح يمنع عوراته عن عيون الناس والتردِّي، ومَن فتح الحاء ذهب إلى الطَّرف، وأحجاءُ الشيء نواحيه.

«**فقد برئت منه الذمة**»؛ أي: لم يبق بيننا وبينه عهدٌ وذمة بالحفظ والعصمة، وقيل: معناه: فقد تصدى للهلاك وإزالة العصمة عن نفسه، وصار كالمهدَر الذي لا دية له، فلعله ينقلب من نومه فيسقط ويموت مُهْدَراً.

* * *

٣٦٦٠ - عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: نَهَى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَنْ يَنَامَ الرَّجلُ عَلَى سَطْحٍ لَيْسَ بِمْحجُوْبٍ عَلَيْهِ.

«**عن جابر ﷺ أنه قال: نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه**» والحجر: المنع؛ يعني: ليس حوله جدار.

* * *

٣٦٦١ - عَنْ عَبْدِالله بن عَمْرٍو ﷺ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُفرِّق بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بإذنِهِمَا».

«**عن عبدالله بن عمرو - رضي الله تعالى عنهما -: أن رسول الله ﷺ قال: لا يحلُّ لأحد أن يفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما**».

* * *

٣٦٦٢ - عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: مَلْعُوْنٌ عَلَى لِسَانِ مُحمَّدٍ ﷺ مَن قَعَد وَسْطَ الحَلْقَةِ.

«عن حذيفة أنه قال: ملعون على لسان محمد من قعد وسط الحلقة» وهو أن يأتي حلقةً فيتخطى الرقاب ويقعد وسطها، ولا يقعد حيث ينتهي به المجلس، أو يقعد وسطها حائلاً بين وجوه المتحلقين فيحجب بعضهم عن بعض.

وقيل: المراد به الماجن المقيم نفسَه وسطها للسخرية والضحكة، وإنما لُعن لأنهم يلعنونه ويذمونه، وإنما قيَّد بلسان محمد قيل: لجواز أن يكون ملعوناً عند الله تعالى، والظاهر أنه أراد به شدة الوعيد؛ لأن اللعن على لسان النبي ﷺ أعظم.

* * *

٣٦٦٤ ـ وعَنْ أَبـيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «خيرُ المَجَالِسِ أَوْسَعُهَا».

«عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: خير المجالس أوسعها».

* * *

٣٦٦٣ ـ عَنْ جَابـرِ بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَسُوْلُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ جُلوْسٌ فقال: «مَالِيْ أَرَاكُم عِزِيْنَ؟».

«عن جابر بن سمرة أنه قال: جاء رسولُ الله ﷺ وأصحابه جلوس، فقال: ما لي أراكم عزين؟»؛ أي: متفرِّقين لا يجمعكم مجلس واحد، والمفرد: عِزَة، وهي الفِرقة المجتمعة من الناس، وأصلها: عزوة، حُذفت الواو وجُمعت جمعَ السلامة على غير القياس؛ يعني: لمَ جلستم متفرِّقين؟ وهلا جلستم متحلِّقين جمع؛ أي: اجلسوا في الحلقة أو في الصف، أمرهم بذلك

كيلا يدبر بعضُهم بعضاً.

* * *

٣٦٦٥ ـ وعَنْ أَبـي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ في الفَيْءِ فَقَلَصَ عَنْهُ، فَصَارَ بَعْضُهُ في الشَّمْسِ فَلْيَقُمْ، فإِنَّه مَجْلِسُ الشَّيطَانِ»، ويُروَى مَرْفُوعاً.

«عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: إذا كان أحدكم في الفيء»؛ أي: في الظل.

«فقَلَصَ»؛ أي: ارتفع الفيء «عنه فصار بعضه في الشمس» وبعضه في الفيء.

«فليقم» من ذلك الموضع؛ لأنه مضرٌّ بالمزاج؛ لاختلاف حال البدن لمَا يحلُّ به من المؤثِّرَيْنِ المتضادَّيْنِ.

«فإنه»؛ أي: ذلك المجلس.

«مجلس الشيطان» أضافه إلى الشيطان؛ لأنه الباعث عليه والآمر به ليصيبه السوء.

وقد روي هذا الحديث موقوفاً على أبي هريرة، «ويروى مرفوعاً» إلى النبي ﷺ، وهو الظاهر؛ لأن الصحابي لا يُقْدِم على التحدث بالأمور الغيبية من تلقاء نفسه.

* * *

٣٦٦٦ ـ وعَنْ عليٍّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُوْلُ الله ﷺ إذَا مَشَى تَكَفَّأَ تكَفُّؤاً كأَنَّما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ.

ويُرْوَى: كَانَ إذَا مَشَى تَقَلَّعَ.

«وعن علي ﷺ أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفَّأ»؛ أي: تمايل إلى قدَّام.

«تكفأً كأنما ينحط»؛ أي: ينزل.

«من صبب»؛ أي: موضع منحدر، سمي به لأن المشي ينصبُّ عنه.

«ويروى: كان إذا مشى تقلَّع»؛ أي: يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً بقوة كأهل الجلادة، لا كمن يمشي اختيالاً وتكبراً.

* * *

٣٦٦٧ ـ وعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَسْـرَعَ فِيْ مَشْـيـهِ مِنْ رَسُوْلِ الله ﷺ، كَأَنَّما الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إنَّا لَنُجْهِدُ أنفُسَنَا وَإِنَّه لَغيرُ مُكْتَرِثٍ.

«عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: ما رأيت أحداً أسرع في مَشيهِ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد»؛ أي: لنُتْعِبُ.

«أنفسنا» بالمشي، يقال: جهدتُ الدابة وأجهدتُها: إذا حملت عليها في السير فوق طاقتها.

«وإنه لغير مكترث»؛ أي: غير مبالٍ بمشينا وغير مسرعٍ بحيث يلحقه مشقةٌ.

* * *

٣٦٦٨ ـ عَنْ أَبِـيْ أُسَيْدٍ الأَنْصَارِي ﷺ: أَنَّه سَمِعَ رَسُوْلَ الله ﷺ يَقُوْلُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ المَسجِدِ، فاختَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّساءِ في الطَّرِيْقِ، فَقَالَ للنساءِ: «استَأْخِرْنَ، فإنَّه لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحقُقْنَ الطَّرِيْقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيْقِ»، فَكَانَتْ المَرْأَةُ تَلْصَقُ بالجِدارِ حَتَّى إنَّ ثَوْبَها لَيَعْلَقُ بالجِدَارِ.

«عن أبي أسيد» بفتح الهمزة والضم «الأنصاري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال للنساء: استأخرن»؛ أي: ابعدن عن وسط الطريق إلى جانبه، استأخر وتأخَّر بمعنًى.

«فإنه ليس لكنَّ أن تَحْقُقْنَ الطريق»؛ أي: تمشين في حاقِّها وهو وسطُها.

«عليكن بحافات الطريق» جمع حافة، بتخفيف الفاء، وهي الناحية والطرف.

«فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار».

* * *

٣٦٦٩ ـ وعَنِ ابن عُمَرَ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يَمْشِيَ ـ يَعْنِي: الرَّجُلَ ـ بَيْنَ المَرْأَتَيْنِ.

«عن ابن عمر ﷺ: أن النبي ﷺ نهى أن يمشي ـ يعني الرجل ـ بين المرأتين».

* * *

٣٦٧٠ ـ عَنْ جَابـرِ بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبيَّ ﷺ جلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِيْ.

«عن جابر بن سمرة ﷺ أنه قال: كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي»؛ أي: في المجلس، ولا يقصد المنصب.

* * *

٦ ـ باب
العُطَاسِ والتَّثَاؤُبِ

(باب العطاس والتثاؤب)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٧١ ـ عَنْ أَبـيْ هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ

وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم وَحَمِدَ الله كَانَ حَقاً عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ سَمِعَه أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فإِنَّما هُوَ مِنَ الشَّيطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فإِنَّ أَحَدَكُم إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيطَانُ».

وفي رِوَايةٍ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذا قَالَ: هَا، ضَحِكَ الشَّيطانُ».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله يحب العطاس»؛ يعني سببه، وهو انفتاح المسامِّ وخفةُ الدماغ، إذ به تندفع الأبخرة المنخنقة فيُعين صاحبَه على الطاعة.

«ويكره التثاؤب»؛ يعني: سببه، وهو ثقل البدن وكثرةُ الغذاء وميلُه إلى الكسل، فيمنع صاحبه عن الطاعة، فالمحبةُ والكراهية تنصرف إلى الأسباب الجالبة لهما.

«فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم» وفيه إشارة إلى أن التسمية فرضُ عينٍ، وإليه ذهب بعضٌ، والأكثرون على أنه فرض كفاية كرد السلام.

وقال الشافعي: إنه سنة، وحمل الحديث على الندب كما في قوله ﷺ: «حقٌّ على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام».

«سمعه»؛ أي: سمع تحميده، وفيه إشعار بأن العاطس إذا لم يجهر بالتحميد ولم يُسمع من عنده لا يستحقُّ التشميت.

«أن يقول: يرحمك الله، فأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان» وإنما أضيف إليه لأنه هو الذي يزيـن للنفس شهوتها.

«فإذا تثاءب أحدكم فليردَّه ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه

الشيطان» فرحاً بذلك.

«وفي رواية: فإن أحدكم إذا قال: ها» حكاية صوت المتثاءب؛ يعني: إذا بالغ في التثاؤب وفتح فاه وخرج منه هذا الصوت **«ضحك الشيطان»** لأنه يكون من غلبة النوم وامتلاءِ المعدة، وذلك مما يُفرح الشيطان.

* * *

٣٦٧٢ ـ وقال: «إذا عَطَسَ أحدُكُم فلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، وليقُلْ لَهُ أَخُوْهُ أَوْ صَاحِبُه: يَرْحَمُكَ الله، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيْكُم الله وَيُصْلِحُ بالَكَم».

«وعنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله» عدَّه الشارع نعمةً فسنَّ عقيبه الحمد لله.

«وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله» وإنما شُرِع الترحُّم من جانب المشمِّت؛ لأنه كان من أهل الرحمة حيث عظَّم ربَّه بالحمد على نعمته وعرف قَدْرَها.

«فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل»؛ أي: العاطس في جوابه: **«يهديكم الله ويصلح بالكم»**؛ أي: حالكم؛ لأنه إذا دعا له بالرحمة شُرِع في حقه دعاء الخير له تأليفاً للقلوب، ولفظُ العموم خرج على الغالب؛ لأن العاطس قلَّما يخلو عند عطاسه عن أصحابه، أو هو إشارة إلى تعظيمه واحترامه في الدعاء، أو إلى أمة محمد كلهم.

* * *

٣٦٧٣ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا ولَمْ يُشَمِّتِ الآخرَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله! شَمَّتَّ هَذَا ولَمْ

تُشَمِّتْنِي، قَالَ: إِنَّ هَذَا حَمِدَ الله، وَلَمْ تَحْمَدِ الله».

«وعن أنس ﷺ أنه قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمَّت»؛ أي: النبي ﷺ «أحدهما»؛ أي: قال: يرحمك الله، وهو بالشين المعجمة على ما قاله أبو عبيد، وبالسين المهملة على ما اختار ثعلب.

«ولم يشمت الآخر، فقال الرجل: يا رسول الله! شمتَّ هذا ولم تشمتني؟ فقال»؛ أي: النبي ﷺ: «إن هذا حمد الله تعالى ولم تحمد الله تعالى».

* * *

٣٦٧٤ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَحَمِدَ الله فَشَمِّتُوهُ، وإِنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلاَ تُشَمِّتُوهُ».

«عن أبي موسى ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله يقول: إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، وإن لم يحمد الله فلا تشمتوه» وهذا يدل على أنه لا يستحق التشميت إذا لم يحمد الله.

* * *

٣٦٧٥ ـ عَنْ سَلَمَةَ بن الأَكْوَع ﷺ: أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَه فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمُكَ الله»، ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى فَقَالَ: «الرَّجُلُ مَزْكُومٌ».

ويُروَى أَنَّه قَالَ فِي الثَّالِثة: «إِنَّه مَزْكُومٌ».

«عن سلمة بن الأكوع أنه سمع النبي ﷺ وعطس رجل عنده فقال له: يرحمك الله، ثم عطس أخرى فقال»؛ أي: النبي ﷺ: «الرجل مزكوم»؛ أي: أصابه زكام.

«ويروى أنه قال في الثالثة: إنه مزكوم».

* * *

٣٦٧٦ ـ وعَنْ أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فليُمْسِك بِيَدِهِ عَلَى فِمَهِ، فَإِنَّ الشَّيطَانَ يَدخُلُ».

«عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فإن الشيطان يدخل»؛ أي: يجد سبيلاً إليه بالتثقيل.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٦٧٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ، أَوْ بثوبِهِ، وغَضَّ بِهَا صَوْتَه. صحيح.

«من الحسان»:

«عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا عطس غطى»؛ أي: ستر «وجهه بيده أو بثوبه» كيلا يترشَّش من لعابه أو مخاطه إلى أحد.

«وغض بها»؛ أي: نقص بيده؛ يعني: بوضعها على فمه.

«صوته» كيلا يرتفع، قال الله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[لقمان: ١٩].

قيل: هذا نوع من الأدب بين يدي الجلساء؛ لأنه لا يأمن مما يكرهه الناس من فضلات الدماغ.

«صحيح».

* * *

٣٦٧٨ ـ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وليَقُلِ الَّذِي يَرُدُّ عَلَيْهِ: يَرْحَمُكَ الله، وليَقُلْ هُوَ: يَهْدِيْكُمُ الله وَيُصلِحُ بَالَكُمْ».

«عن أبي أيوب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله على كل حال، وليقل الذي يردُّ عليه: يرحمك الله، وليقل هو: يهديكم الله ويصلح بالكم».

* * *

٣٦٧٩ ـ عَنْ أَبِي موسـى ﷺ، أنَّه قـالَ: كَانَ اليَهُوْدُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُم: يَرْحَمُكُمُ الله، فَيَقُولُ: «يَهْدِيكُمُ الله وَيُصلِحُ بالَكُمْ».

«عن أبي موسى ﷺ أنه قال: كان اليهود يتعاطسون»؛ أي: يطلبون العطسة من أنفسهم «عند النبي ﷺ يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله، فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم» الفاء بمعنى أو، لعل هؤلاء اليهود هم الذين عرفوه حق معرفته لكنْ منعهم عن الإسلام إما التقليد، وإما حبُّ الرئاسة، وعرفوا أن ذلك مذمومٌ، فيتحرَّوا طلب أن يهديهم الله تعالى ويزيل عنهم ذلك ببركة دعائه ﷺ.

* * *

٣٦٨٠ ـ عَنْ هِلاَلِ بن يَسَافٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ سَالِمِ بن عُبَيْدٍ، فَعَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ سَالِمٌ: عَلَيْكَ وعَلَى أُمِّكَ، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ وَجَدَ في نفْسِه، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَقُلْ إلاَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، عَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ فقَالَ: السَّلامُ عَلَيكُم، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «عَلَيْكَ وعَلَى أُمِّكَ، إذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فليَقُل: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، ولْيَقُلْ لَهُ مَن يَرُدُّ عَلَيْهِ: يَرْحَمُكَ الله،

وليَقُلْ: يَغْفِرُ اللهُ لِيْ ولَكُم».

«عن هلال بن يساف أنه قال: كنا مع سالم بن عبيد فعطس رجل من القوم فقال: السلام عليكم» ظن العاطس أنه يجوز أن يقول ذلك بدل: الحمد لله.

«فقال سالم: عليك وعلى أمك» نبه بهذا على حماقتهما حيث سرى فيه من صفاتها فافتقر إلى الدعاء لهما بالسلامة من الآفات، وقيل: إنما قاله زجراً على ترك قول: الحمد لله.

«فكأنَّ الرجل وجد في نفسه»؛ أي: الكراهة والاستخجال والحزن والغضب لما قاله سالم.

«فقال أما» ـ بالتخفيف ـ «إني لم أقل إلا ما قال النبي ﷺ، عطس رجل عند النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فقال النبي ﷺ: عليك وعلى أمك، إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، وليقل له من يردُّ عليه: يرحمك الله، وليقل هو: يغفر الله لي ولكم».

* * *

٣٦٨١ ـ عَنْ عَمْرِو بن إسْحَاقَ بن أَبـيْ طلْحةَ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ أَبـيْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «شَمِّتِ العَاطِسَ ثَلاَثاً، فَإِنْ زَادَ فَإِنْ شِئْتَ فَشَمِّتْهُ وإِنْ شِئْتَ فَلاَ»، غريب.

«عن عمر بن إسحاق بن أبي طلحة، عن أمه، عن أبيها ﷺ أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: شمِّت العاطس ثلاثاً، فإن زاد فإن شئت فشمته وإن شئت فلا».

«غريب».

* * *

٣٦٨٢ ـ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «شَمِّتْ أَخَاكَ ثَلاَثاً فَمَا زَادَ فَهُوَ زُكَامٌ»، وَوَقَفَهُ بَعْضُهُم.

«**عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: شمِّت أخاك ثلاثاً فما زاد فهو زكام**».

«**ووقفه بعضهم**» على أبي هريرة ﷺ؛ أي: هو من كلامه لا من كلام الرسول ﷺ.

* * *

٧ ـ بابٌ

الضَّحِكِ

(باب الضحك)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٨٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِـيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجمِعاً ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّما كَانَ يَتَبَسَّمُ.

«**من الصحاح**»:

«**عن عائشة أنها قالت: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً**»؛ أي: مستجمعاً لضحكه في حال ضحكه؛ يعني: لم أره يضحك تاماً مقبلاً بكلِّه على الضحك وضاحكاً بجميع فيه.

«**حتى أرى منه لَهَواته**» بفتح اللام والهاء: جمع لُهاة بالضم، وهي لحمة مشرفة على الحلق في أقصى الفم.

«**إنما كان يتبسَّم**».

* * *

٣٦٨٤ ـ عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ: مَا حَجَبَني النَّبِيُّ ﷺ مُذْ أَسْلَمْتُ ولاَ رَآنِي إلاَّ تَبَسَّمَ.

«وعن جرير أنه قال: ما حجبني النبي ﷺ»؛ أي: ما منعني من الدخول عليه.

«منذ أسلمت»؛ يعني: ما جئت إليه إلا أذن لي في الدخول عليه.

«ولا رآني إلا تبسم» لمكارم أخلاقه.

* * *

٣٦٨٥ ـ عَنْ جَابِرِ بن سَمُرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَقُومُ مِنْ مُصَلاَّهُ الذِي يَصلِّي فيْهِ الصُّبحَ حَتَّى تطلُعَ الشَّمسُ، فإذَا طَلَعَتِ الشَّمسُ قَامَ، وكَانُوا يَتحدَّثُونَ فَيأخُذُونَ في أمرِ الجَاهِلِيَّةِ فيضحَكُونَ ويتبسَّمُ.

ويروى: يَتَنَاشَدُوْنَ الشِّعرَ.

«عن جابر بن سمرة أنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاَّه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم، ويروى: ويتناشدون»؛ أي: يقرؤون «الشعر» وهي جائزة إذا لم يكن فيها من المناهي شيء.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٦٨٦ ـ عَنْ عَبْدِالله بن الحَارِثِ بن جَزْءٍ ﷺ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِن رَسُولِ الله ﷺ».

«من الحسان»:

«عن عبدالله بن الحارث بن جَزْء ﷺ» ـ بفتح الجيم وسكون الزاي

بعدهما همزة ـ «أنه قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ».

* * *

٨ ـ باب

الأَسَامِي

(باب الأسامي)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٨٧ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ في السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا القَاسِمِ! فالْتفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَال: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَمُّوا بِاسمي، ولا تَكَنَّوْا بِكُنَيَتي».

«من الصحاح»:

«عن أنس ﷺ أنه قال: كان النبي ﷺ في السوق فقال رجل: يا أبا القاسم!» وكانت كنية ابنه: أبا القاسم.

«فالتفت إليه النبي ﷺ، فقال»؛ أي: الرجل: «إنما دعوت هذا»؛ يعني ابنه.

«فقال»؛ أي: النبي ﷺ:

«سمُّوا باسمي ولا تَكَنَّوا بكنيتي» قال الشافعي: لا يجوز لأحد أن يكني ابنه أبا القاسم سواءٌ كان اسمه محمداً أو لا، وجوَّز جمع التكني إذا لم يكن الاسم محمداً أو أحمد.

* * *

٣٦٨٨ ـ عَنْ جَابِرٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَمُّوا باسْمِي، ولا تَكْتَنُوا

بكُنيتي، فإنِّي إنما جُعِلْتُ قَاسِماً أَقْسِمُ بَيْنَكُم».

«وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: سموا باسمي ولا تكنُّوا بكنيتي فإني إنما جُعلت قاسماً»؛ أي: كُنيت بأبي القاسم لأني «أَقْسِم بينكم»؛ أي: البشارة للصالح والإنذار للطالح، وكان يتولَّى القسمة من قِبَلِ الله تعالى في العلم الذي يُوْحَى إليه، وإنزال الناس منازلهم في الفضيلة، وإعطائه المالَ إياهم على قَدْر غناهم وحَسَبِ حاجتهم، ولما لم يكن أحد يشاركه في هذا المعنى منع أن يكتني به غيره بهذا المعنى.

* * *

٣٦٨٩ ـ عَنْ ابن عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُم إلَى الله: عَبْدُالله وعَبْدُ الرَّحْمَنِ».

«عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبد الرحمن» وإنما صار هذان الاسمان أحبَّ إليه تعالى؛ لأن أحدهما إضافةٌ إلى أعلى أسماء الله الذي خصَّ التوحيد به في كلمة الشهادة، والآخر إضافة إلى اسمه الرحمن الدال على كمال رحمته العامة بكلِّ خليقته.

* * *

٣٦٩٠ ـ وقَالَ: «لا تُسَمِّيَنَّ غُلاَمَكَ يَسَاراً، ولاَ رَباحاً، ولاَ نجِيْحاً، ولاَ أَفْلحَ، فإنَّكَ تقولُ: أَثَمَّ هُوَ؟ فلا يَكُونُ، فيَقُولُ: لا».

وفي رِوَايَةٍ: «لاَ تُسَمِّ غُلامَكَ رَبَاحاً، ولاَ يَسَاراً، ولاَ أفلحَ، ولاَ نَافِعاً».

«عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تُسمِّيَنَّ غلامك يساراً» وهو من اليسر ضد العسر.

«ولا رباحاً» ـ بفتح الراء ـ من الربح.

«ولا نجيحاً» من النجح وهو الظفر.

«ولا أفلح» من الفلاح وهو الفوز؛ لأن الناس يقصدون بهذه الأسماء التفاؤل بحسن ألفاظها ومعانيها، وربما انقلب ما قصدوه إلى الضد.

«فإنك تقول أثمَّ هو؟» الهمزة فيه للاستفهام، و(ثَمَّ) ـ بفتح الثاء المثلثة ـ إشارة إلى مكان.

«فلا يكون»؛ أي: لا يوجد ذلك المسؤول عنه في ذلك المكان.

«فيقول: لا» فلا يحسن هذا في التفاؤل.

«وفي رواية: لا تسم غلامك رباحاً ولا أفلح ولا نافعاً».

* * *

٣٦٩١ ـ وعَنْ جابـرٍ ﷺ أنَّه قَالَ: أَرَادَ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يَنهَى عَنْ أنْ يُسَمَّى: بيَعْلَى، وبـبَرَكَةَ، وبـأَفْلَحَ، وبـيَسارٍ، وبنافِعٍ، وبنحْوِ ذَلِكَ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ سَكَتَ بَعْدُ عَنْهَا، ثُمَّ قُبِـضَ ﷺ ولَمْ يَنْهَ عَنْ ذَلِكَ.

«وعن جابر ﷺ أنه قال أراد النبي ﷺ أن ينهى عن أن يسمى بـ: يَعلى» مضارع علا في الشرف.

«وببركة وبأفلح وبيسار وبنافع وبنحو ذلك، ثم رأيته سكت عنها بعدُ، ثم قُبض ولم ينه عن ذلك» لعله نهاه في الابتداء، ثم سكت عن ذلك لمَا رأى من تعوُّد القوم بهذه الأسماء فسحةً لهم، أو خاف عليهم داخل الطيرة.

* * *

٣٦٩٢ ـ وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَخْنَى الأَسْمَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ الله رَجُلٌ تَسمَّى: مَلِكَ الأَمْلاَكِ».

«وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أخنى الأسماء»؛ أي: أقبحها وأكثرها مذلَّةً «يوم القيامة عند الله رجل»؛ أي اسم رجل «تسمَّى» ـ بفتح التاء وتشديد الميم ـ «ملك الأملاك» وكذا ما في معناه.

* * *

٣٦٩٣ ـ وقَالَ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى الله يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ رَجُلٌ كَانَ يُسمَّى: مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لاَ مَلِكَ إلاَّ الله».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: أغيظ رجل على الله» أفعل تفضيل من الغيظ، مجاز عن عقوبته للمسمَّى بهذا الاسم؛ أي: أشد أصحاب هذه الأسماء عقوبةً عند الله «يوم القيامة وأخبثه رجلٌ تسمَّى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله» استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية، فبيَّن أن المالك الحقيقي ليس إلا هو، ومالكيةُ غيره مستعارةٌ، فمَن تسمى بهذا الاسم نازع الله في رداء كبريائه واستنكف أن يكون عبداً لله، فيكون له الخزي.

* * *

٣٦٩٤ ـ وَعَنْ زَيْنَبَ بنتِ أَبِي سَلَمَة قَالَتْ: سُمِّيتُ: بَرَّة، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكم، الله أَعْلَمُ بِأَهْلِ البرِّ مِنْكُم، سَمُّوهَا: زَيْنَبَ».

«عن زينب بنت أبي سلمة» زوجة النبي ﷺ.

«قالت: سُمِّيتُ» على بناء المجهول للمتكلم؛ أي: كان اسمي «برة، فقال رسول الله ﷺ: لا تزكوا أنفسكم» تزكية الرجل نفسَه ثناؤه عليها.

«الله أعلم بأهل البر منكم» وهو اسمٌ لكلِّ فعلٍ مَرْضي.

«سموها زينب» وفيه دلالةٌ على استحباب تغيير الاسم الذي فيه التمدُّح.

* * *

٣٦٩٥ ـ عَنِ ابن عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَتْ جُوَيرِيَةُ اسْمُهَا: بَرَّةُ، فَحَوَّلَ رَسُوْلُ الله ﷺ اسْمَهَا: جُوَيرِيَةَ، وكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقالَ: خَرَجَ مِنْ عِنْدِ بَرَّةَ.

«عن ابن عباس أنه قال: كانت جويرية اسمها برة» زوجة النبي ﷺ.

«فحوَّل رسول الله ﷺ اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال: خرج من عند برة» فإن ذلك لا يحسن في التفاؤل.

* * *

٣٦٩٦ ـ وعَنِ ابن عُمَرَ ﷺ: أَنَّ بنتاً لِعُمَرَ يُقَالُ لَهَا: عَاصِيةُ، فَسَمَّاهَا رَسُولُ الله ﷺ: جَمِيْلة.

«عن ابن عمر: أن بنتاً كانت لعمر يقال لها: عاصية، فسماها رسول الله جميلة» وفيه دليل على جواز تغيير الاسم المكروه إلى اسم حسن.

* * *

٣٦٩٧ ـ وعَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ قَالَ: أُتِيَ بالمُنْذِرِ بن أَبِيْ أُسَيْدٍ إلى النَّبيِّ ﷺ حِيْنَ وُلِدَ، فَوَضَعَهُ على فَخِذِه فَقَالَ: «مَا اسْمُه؟» قَالَ: فُلانٌ، قَالَ: «لكِنْ أَسْمِهِ: المُنْذِرَ».

«عن سهل بن سعد أنه قال: أتي بالمنذر بن [أبي] أسيد إلى النبي ﷺ حين ولد، فوضعه على فخذه فقال: ما اسمه؟ قالوا: فلان، قال: ليكن اسمه المنذر».

* * *

٣٦٩٨ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ يَقُوْلَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِيْ، وأَمَتِي؛ كُلُّكُم عَبِيْدُالله، وكلُّ نِسَائِكُم إِمَاءُ الله، وَلَكنْ لِيَقُلْ: غُلاَمِي، وجَارِيَتي، وفَتَايَ،

وفَتَاتِي، ولاَ يَقُلِ العَبْدُ: رَبِّي، ولَكِنْ لِيَقُل: سَيِّدِي».

ويُروَى: «لِيَقُلْ: سَيِّدِي، ومَوْلاَيَ».

ويُروَى: «لاَ يَقُلْ العَبْدُ لِسَيِّدِه: مَوْلاَيَ؛ فإنَّ مَوْلاَكُم الله».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيدالله وكلُّ نساءكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي» قيل: إنما كره ذلك إذا قال على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه، وإلا فقد جاء القرآن به، قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾[النور: ٣٢].

«ولا يقل العبد: ربي» وذلك لأن الإنسان مربوبٌ متعبَّدٌ بإخلاص التوحيد، فكره المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك.

«ولكن ليقل: سيدي» لأن مرجع السادة إلى معنى الرئاسة له وحسنِ التدبير لأمره.

«ويروى: ليقل: سيدي ومولاي، ويروى: ولا يقل العبد لسيده: مولاي، فإن مولاكم الله».

* * *

٣٦٩٩ ـ وَقَالَ: «لاَ تَقُوْلُوا: الكَرْمُ؛ فإنَّ الكَرمَ قَلْبُ المُؤْمِنِ».

ويُروَى: «لاَ تَقُولُوا: الكَرْمُ، ولَكِنْ قُولُوا: العِنَبُ، والحَبَلَةُ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقولوا: الكَرْم، فإن الكَرْمَ قلب المؤمن» لطيبه وزكائه؛ لأنه معدن التقوى والإيمان.

«ويروى: لا تقولوا: الكرم، ولكن قولوا: العنب والحَبَلة» بفتحتين، أصله شجرة العنب، أو قضيبها، سمي الحبلة العنب إطلاقاً لاسم الشجر على ثمره، وسبب النهي أن العرب كانوا يسمون العنب وشجرته كرماً؛ لأن الخمر

المتخذ منه يحمل شاربها على الكرم، فكره النبي ﷺ هذه التسمية؛ لئلا يتذكروا به الخمر ويدعوهم حسنُ الاسم إلى شربها.

* * *

٣٧٠٠ ـ وَقَالَ: «لاَ تُسَمُّوا العِنَبَ: الكَرْمَ، ولاَ تَقُولُوا: خَيْبَةَ الدَّهرِ؛ فإنَّ الله هُوَ الدَّهرُ».

«**وعنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تُسموا العنب الكرم، ولا تقولوا: خيبة الدهر**» والخيبة: الحرمان، كانت العرب إذا أصابتهم مصيبة أو نالهم حرمانٌ في سفر أو حرب قالوا: يا خيبة الدهر، يريدون: يا دهر صرتَ خائباً ـ على طريق الدعاء عليه ـ كما صيَّرتني كذلك، يريدون سبَّه فنهاهم عنه.

«**فإن الله هو الدهر**»؛ أي: مقلِّبه والمتصرِّف فيه على حذف المضاف.

* * *

٣٧٠١ ـ وقال: «لايَسُبُّ أَحَدُكُم الدَّهرَ؛ فإنَّ الله هُوَ الدَّهرُ».

«**وعنه قال: قال رسول الله: لا يسب أحدكم الدهر فإن الله هو الدهر**».

* * *

٣٧٠٢ ـ وقَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: يُؤْذِيْنِي ابن آدمَ، يَسُبُّ الدَّهرَ، وأَنَا الدَّهرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقلِّبُ اللَّيلَ والنَّهارَ».

«**وعنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسبُّ الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلِّب الليل والنهار**» تقدَّم البيان فيه في (كتاب الإيمان).

* * *

٣٧٠٣ ـ وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ يقُولَنَّ أَحَدُكُم: خَبُثَتْ نَفْسِي، ولَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي».

«وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي» يقال: (خبُثت) بضم الباء، و(لقَست) بفتح القاف بمعنى: غَثَى قلبي، وإنما كره ﷺ لفظ (خبثت) لئلا يضيف المؤمن الخباثة إلى نفسه التي هي صفة الكفار، قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾[النور: ٢٦].

وأما قوله ﷺ: «فأصبح خبيث النفس كسلان» فواردٌ مورد الوعيد في حق من ثبَّطه الشيطان عن قيام الليل.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٧١٧ ـ عَنِ المِقْدامِ بن شُرَيحٍ، عَنْ أَبيْهِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبيْهِ هَانِئٍ: أنَّه وَفَدَ إلَى رَسُولِ الله ﷺ مَعَ قَوْمِهِ، سَمِعَهُم يُكَنُّونَه بِأَبـي الحَكَم، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الله هُوَ الحَكَمُ، وإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فَقَالَ: كَانَ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا في شَيءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُم فَرَضِـيَ الفَرِيْقَانِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذا! فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟» قَالَ: شُرَيْحٌ، ومُسْلِمٌ، وعَبْدُالله، قَالَ: «فمَنْ أَكْبرُهُم؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ: أَبُو شُرَيحٍ».

«من الحسان»:

«عن المقدام بن شريح، عن أبيه شريح، عن أبيه هانئ قال: إنه وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكتونه» الضمير المنصوب فيه إلى هانئ.

«بأبي الحكم، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله تعالى

هو الحكم» وهو الحاكم الذي إذا حكم لا يردُّ حكمه.

«وإليه الحكم» وذلك لا يليق بغيره تعالى.

«فقال»؛ أي: هانئ: «كان قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي به الفريقان، فقال النبي ﷺ: ما أحسن هذا!»؛ أي: الحكم بين الناس، (ما) للتعجب.

«فما لك من الولد؟ قال: شريح ومسلم وعبدالله، قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح، قال: أنت أبو شريح» قصد به تسميته بذلك، والحديث يدل على أن الأولى أن يُكنى الرجل والمرأة بأكبر بنيهما، فإن لم يكن ابنهما فبأكبر بناتهما.

* * *

٣٧١٨ ـ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: لَقِيْتُ عُمَرَ ﷺ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مَسْرُوقُ بن الأَجْدَعِ، قَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يَقُوْلُ: «الأَجْدَعُ شَيْطَانٌ».

«وعن مسروق أنه قال: لقيت عمر فقال: من أنت؟ قلت: مسروق بن الأجدع، قال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأجدع شيطان».

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٧٠٤ ـ عَنْ أَبِيْ الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «تُدْعَونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُم وأَسْمَاءِ آبَائِكُم، فَأَحْسِنُوا أَسَمَاءكُم».

«عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: تُدعون يوم القيامة بأسمائكم

وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم».

* * *

٣٧٠٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يَجْمَعَ أَحَدٌ بَيْنَ اسْمِهِ وكُنيتَهِ ويُسَمِّى: مُحَمَّداً أَبَا القَاسِم.

«وعن أبي هريرة ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام نهى أن يجمع أحدٌ بين اسمه وكنيته ويسمِّي محمداً أبا القاسم» لوقوع اللبس إذا نودي الغير بحضرته، فيكون مقيَّداً بحياته.

* * *

٣٧٠٦ ـ وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِذَا سَمَّيْتُم باسْمِي فَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي»، غريب.

وفي رِوايَةٍ: «مَنْ تَسَمَّى باسْمِي فَلاَ يَكتَنِ بِكُنْيَتِي، وَمَنْ اكتَنَى بِكُنيَتِي فَلاَ يَتَسَمَّ باسِمْي».

«وعن جابر: أن النبي ﷺ قال: إذا سميتم باسمي فلا تكتنوا بكنيتي».

«غريب».

«وفي رواية: من تسمى باسمي فلا يَكْتَنِ بكنيتي، ومن اكتنى بكنيتي فلا يتسمَّ باسمي» وهذا يدل على أن الإفراد جائز فإنه أقلُّ كراهة من الجمع؛ لأن في الإفراد يمكن رفع اللبس بخلاف الجمع فإنه لا يمكن الرفع فيه إلا بكلفة؛ لكثرة الاشتراك سواءٌ في زمنه ﷺ أو بعده.

* * *

٣٧١٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ: قَالَتْ امرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي وَلَدْتُ غُلاَماً

فَسَمَّيْتُهُ: مُحمَّداً وكنَّيْتُهُ: أَبَا القاسِمِ، فذُكِرَ لِيْ أَنَّكَ تَكْرَهُ ذَلِكَ، قَالَ: «مَا الَّذِي أَحَلَّ اسْمِي وَحَرَّمَ كُنْيَتِي؟»، أَوْ: «مَا الَّذِي حَرَّمَ كُنيتَي وأَحَلَّ اسْمِي؟»، غريب.

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: قالت امرأة: يا رسول الله! إني ولدت غلاماً فسميته محمداً وكنيته أبا القاسم، فذُكر لي أنك تكره ذلك؟ قال: ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي، أو: ما الذي حرم كنيتي وأحل اسمي» وهذه شك من الراوي؛ يعني: لا فرق بين التسمية باسمي والتكنية بكنيتي بل كلاهما جائز، وهذا منسوخ عند مَن لم يجوِّز الجمع بينهما.

* * *

٣٧٠٧ ـ عَنْ مُحَمَّدِ بن الحَنَفِيَّةِ، عَنْ عليٍّ ﷺ أنَّه قَالَ: يَا رَسُوْلَ الله! أَرَأَيْتَ إنْ وُلِدَ لِيْ بَعْدَكَ وَلَدٌ، أُسَمِّيهِ: مُحمَّداً وأُكَنِّيهِ بكُنيتِكَ؟ قَالَ: «نَعَم»، وكانَتْ رُخْصَةً لِيْ.

«عن محمد بن الحنفية عن علي أنه قال: يا رسول الله! أرأيت»؛ أي: أخبرني.

«إن ولد لي بعدك ولد أسميه محمداً وأكنيه بكنيتك؟ قال: نعم، وكانت رخصة لي» علم منه أن النهي مقصورٌ على زمانه ﷺ، فيجوز الجمع بينهما بعده لرفع الالتباس، وبه قال مالك.

* * *

٣٧٠٨ ـ وَقَالَ أَنَسٌ ﷺ: كَنَّانِي رَسُولُ الله ﷺ أَبَا حَمْزَةَ ببقْلَةٍ كُنْتُ أَجتَنِيْها. صحيح.

«وقال أنس ﷺ: كناني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبا حمزة ببقلة كنت أجتنيها»؛ أي: أقلعها؛ يعني: كنت أقلع حمزة، وهو بقلة حِرِّيفة،

وقيل: في طعمها حموضة، فكناني أبا حمزة.

«صحيح».

* * *

٣٧٠٩ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِـيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُغيـرُ الاسْمَ القَبِيْحَ.

«عن عائشة أنها قالت: إن النبي ﷺ كان يغيـر الاسم القبيح».

* * *

٣٧١٠ ـ ورُوِيَ: أَنَّ رَجُلاً يُقالُ لَهُ: أَصْـرَمُ، قَـالَ لَهُ رَسُـولُ الله ﷺ: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: أَصْرمُ، قَالَ: «بَلْ أَنْتَ: زُرْعَةُ».

«وروى أسامة بن أخدري أن رجلاً يقال له: أصرم» من الصَّرْم وهو القطع، وذلك غير مستحسن في التفاؤل.

«قال له رسول الله ﷺ: ما اسمك؟ قال: أصرم، قال» كراهة لهذا الاسم: «بل أنت زُرعة» بضم الزاي وسكون الراء المهملة: فُعْلة من الزرع، وهي قطعة منه، والزرع مستحسنٌ فلهذا غيَّر أصرم إليه.

* * *

٣٧١١ ـ ورُوِيَ: أنَّه ﷺ غيَّرَ اسْمَ: العَاص، وعَزِيْز، وعَتَلَةَ، وشيطان، والحَكَمِ، وغُرَابِ، وحُبَابِ، وشِهابِ.

«وروي أنه ﷺ غيَّر اسم العاص» كراهةً لمعنى العصيان؛ لأن شعار المؤمن الطاعة والاستسلام.

«وعزيز» لأنه من أسماء الله تعالى، والعبد موصوفٌ بالذل والخشوع والاستكانة.

«وغَتَلة» بالفتحات؛ لأن معناه: الغلظة والشدة، ومن صفة المؤمن اللين والسهولة وخَفْضُ الجناح.

«وشيطان» لأن اشتقاقه من الشطن، وهو البعد من الخير، وهو اسم المارد والخبيث من الجن والإنس.

«والحكم» لما قلنا: إنه هو الحاكم الذي إذا حكم لا يردُّ حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى.

«وغراب» لأن معناه البعد.

«وحُبَاب» بضم الحاء المهملة؛ لأنه نوعٌ من الحيات، وقيل: هو اسم شيطان.

«وشهاب» بكسر الشين؛ لأنه شعلة نار ساطعة؛ أي: مرتفعة، والنار عقاب الله، ولأنه يُرجم به الشيطان.

* * *

٣٧١٢ ـ وعَنْ أَبي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي: زعموا: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ!».

«**عن أبي مسعود الأنصاري** ﷺ **قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في زعموا**»؛ أي: في حق لفظ (زعموا)، والزعم: الادعاء، والمراد به: التكلُّمُ بكلام سمعه من غيره ولم يعلم صحته؛ لأن استعمالها[1]

(١) في «غ»: «لاستعمالها» بدل «لأن استعمالها».

غالباً في حديثٍ لا سند له ولا تثبت فيه بل تحُكى على الألسن.

«بئس مطيةُ الرجل»؛ أي: مركوبُه، والمخصوص بالذم محذوفٌ للعلم به، شبَّه ﷺ ما يقدِّمه الرجل أمام كلامه توصُّلاً به إلى حاجته من قول: (زعموا) بالمطية المتوصَّل بها إلى المقصد، فأمر ﷺ بالتثبُّت في المحكي والاحتياط في المروي، فلا يروي حديثاً إلا عن ثقة، فقد روي أنه ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع».

* * *

٣٧١٣ ـ وعَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقَوْلُوا: مَا شَاءَ الله وشَاءَ فُلاَنٌ، وَقُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ».

«عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: لا تقولوا ما شاء الله» فيه حذف؛ أي: فهو كائن، أو: كان ونحوه.

«وشاء فلان» بالعطف عليه؛ لأنه يلزم منه الاشتراكُ والتسويةُ بين الله وبين العباد في المشيئة؛ لأن الواو للجمع والاشتراك.

«وقولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» لأن (ثم) للتراخي.

* * *

٣٧١٤ ـ ويُروَى: «لاَ تَقُوْلُوا: مَا شَاءَ الله وشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَقُوْلُوا: مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ»، منقطع.

«ويروى: لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، وقولوا: ما شاء الله وحده»، «منقطع».

* * *

٣٧١٥ ـ وَقَالَ: «وَلاَ تَقُولُوا للمُنَافِقِ: سيـدٌ، فَإِنَّه إِنْ يَكُ سَيـداً فَقَدْ أَسْخَطْتُم ربَّكُم».

«عن بريدة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقولوا للمنافق سيدنا، فإنه إن يك سيداً»؛ أي: صاحبَ عبيدٍ وإماءٍ وأموال.

«فقد أسخطتم»؛ أي: أغضبتم «ربكم» لأنكم عظَّمتم مَن لا يستحقُّ التعظيم، وإن لم يكن كذلك فقد كذبتم.

* * *

٩ ـ باب

البَيانِ والشِّعرِ

(باب البيان والشعر)

و(البيان): إظهار المقصود بأفصح لفظ وأبلغه، وأصله: الكشف والظهور.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٧١٩ ـ عَنِ ابن عُمرَ ﷺ قَال: قَدِمَ رَجُلانِ مِنَ المَشْرِقِ فخطَبا فعَجِبَ النَّاسُ لِبيَانِهِما، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْراً».

«من الصحاح»:

«عن ابن عمر قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا» ببلاغة ومحسنات ألفاظ.

«فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن من البيان لسحراً»: يعني: إن بعض البيان بمثابة السحر في ميلان القلوب أو في العجز عن الإتيان بمثله، وهذا النوعُ ممدوحٌ إذا صُرف إلى الحق، ومذمومٌ إذا

صرف إلى الباطل.

* * *

٣٧٢٠ ـ وقَالَ: «إنَّ مِنَ الشِّعرِ حِكْمَةً».

«وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن من الشعر لحكمة»؛ أي: كلاماً نافعاً يمنع عن الجهل والسفه، وهو ما نَظَمه الشعراء من المواعظ والأمثال المنتفع بها الناسُ، والثناءِ على الله ورسوله، والنصيحةِ للمسلمين، وما أشبه ذلك، وهذا النوع من الشعر محمودٌ وممدوحٌ، والشعر المذمومُ ما فيه كلام قبيح.

* * *

٣٧٢١ ـ وقَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلاثاً.

«وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ألا هلك المتنطعون» وهم المتعمِّقون في الكلام الغالُون في خوضهم فيما لا يعنيهم منه، وقيل: المتكلِّفون في الفصاحة، وقيل: أراد بهم المصوِّتين من قعر حلوقهم والمردِّدين لكلامهم في أفواههم رعونةً في القول وفصاحة.

«قالها»؛ أي: هذه الكلمة.

«ثلاثاً» تهويلاً لشأن هذا الأمر وتحريضاً على التيقُّظ لمَا فيه من الغائلة العظيمة.

* * *

٣٧٢٢ ـ وقَالَ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلا الله باطِلٌ»

«عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق كلمة»؛ أي: كلام.

«قالها الشاعر كلمة لبيد بن ربيعة: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»؛ أي: فانٍ في حد ذاته، وهو الممكن، و(خلا) بمعنى سِوى، وإنما كان هذا القولُ أصدق لأن النقل والعقل شاهدان عليه.

روي: أن لبيداً لما أنشد هذا المِصرَاع قال ﷺ له: «صدقت»، ولمَّا قال: وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ، قال ﷺ: «كذبتَ فإن نعيم الجنة لا يزول».

* * *

٣٧٢٣ ـ وعَن عَمرِو بن الشَّرِيدِ، عَنْ أبيهِ، قال: رَدِفْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَوْماً فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِن شِعْرِ أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلتِ شَيءٌ؟» قُلتُ: نعَم، قَال: «هِيْهِ»، فأَنشدْتُه بَيْتاً، فَقَال: «هيهِ»، ثُمَّ أنشدْتُهُ بيتاً، فَقَالَ: «هِيْهِ»، حتى أَنشدتُه مئةَ بيْتٍ.

«وعن عمرو بن الشريد، عن أبيه أنه قال: ردفتُ رسول الله ﷺ يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم، قال: هيه» بمعنى إيهِ ـ بكسر الهمزة ـ هو اسم فعل معناه الأمر؛ أي: تكلَّم، وقد تنوَّن فتحاً وكسراً للتنكير نحو: إيهٍ وإيهاً؛ أي: حدِّث حديثاً.

«فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً فقال: هيه، حتى أنشدته مئة بيت».

وأمية ثقفيٌّ من شعراء الجاهلية، وكان مترهِّباً وحريصاً على استعلام أخبار النبي ﷺ مصدِّقاً لخروجه، راجياً كونَه من قومه ثقيف، فلما أُخبر أنه من قريش أيس منه ومنعه الحسدُ عن الإيمان به، ولم يلبث أن مات.

يروى أنه قال عند وفاته:

إنْ تغفــر اللهــم فــاغفر جمــاً ... وأيُّ عبــــدٍ لــــك لا ألمّـــا

وقال:

وكــلُّ عــيشٍ وإن تطــاول دهــراً ... صــائرٌ مــدةً إلــى أنْ يــزولا

ليتنــي كنــت قبــل مــا بــدا لــي ... فــي قــلال الجبــال أرعــى الوعــولا

ولذلك قال ﷺ في بعض طرق الحديث: «أسلم شعرُه وكفر قلبُه».

وقال ﷺ لأخته لمَّا قدمت عليه بعد فتح الطائف: «كان مَثَلُ أخيك كمَثَلِ الذي أعطاه الله آياتٍ فانسلخ منها فكان من الغاوين»، وهذا يدل على استحباب قراءة الشعر إذا كان فيه حكمةٌ وموعظة.

* * *

٣٧٢٤ ـ وعَنْ جُنْدَبٍ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ في بَعْضِ المَشَاهِدِ وقَدْ دَمِيَتْ إِصبَعُه فَقَال:

«هَــلْ أنــتِ إلاّ إِصْــبَعٌ دَمِيــتِ ... وفــي سَبِيْــلِ الله مــا لَقِيــتِ»

«**وعن جندب بن سفيان البجلي: أن النبي ﷺ كان في بعض المشاهد**»؛ أي: الغزوات.

«**وقد دميت إصبعه**» والواو للحال.

«**فقال هل أنت إلا إصبع دميت**» بكسر التاء: خطابٌ للإصبع؛ أي: جُرِحت.

«**وفي سبيل الله ما لقيت**»؛ أي: الذي لقيته في سبيل الله لا في سبيل غيره، والحبيب إذا لقي في سبيل حبيبه سوءاً لا يشتكي منه، لم يقصد ﷺ بتكلُّمه بهذا

وأشباهه الشعر، ولكن خرج من غاية فصاحته على نظم الشعر من غير قصده إياه.

* * *

٣٧٢٥ ـ وعَنِ البَراءِ بن عَازِبٍ ﷺ قَال: قال رسولُ الله ﷺ يومَ قُرَيْظَةَ لِحَسَّانَ بن ثابتٍ: «اهْجُ المُشْرِكِينَ، فإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ».

«**وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت: اهجُ المشركين**»؛ أي: اذكر عيوبهم وقلةَ عقولهم في عبادة الأصنام.

«**فإن جبريل معك**».

* * *

٣٧٢٦ ـ وكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يقُولُ لِحَسَّانَ: «أَجِبْ عنِّي، اللهمَّ! أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ».

«**وكان رسـول الله ﷺ يقول لحسـان: أجب عني**»؛ أي: اهجُهم فإني لا أُحسن الشعر حتى أهجوهم.

«**اللهم أيده**»؛ أي: قوِّه، يعني حسان.

«**بروح القدس**»؛ أي: بجبريل، سمي به لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب، و(القُدُس) بمعنى المقدَّس وهو الله، فإضافة الروح للتشريف، أو (القدس) صفة للروح وإنما أضيف إليه تنبيهاً على زيادة الاختصاص، وتأييدُه إمداده بالجواب وإلهامه بالصواب.

* * *

٣٧٢٧ ـ وعَنْ عَائِشةَ رَضـيَ الله عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشاً، فإنَّه أَشَدُّ عَلَيْهِم مِن رَشْقِ النَّبلِ».

وقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقولُ لِحَسَّانَ: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يَزالُ يُؤَيِّـدُكَ ما نافَحْتَ عَنِ الله ورَسُولِه».

وقالتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقولُ: «هَجاهُم حَسَّانُ فَشَفَى واشْتَفَى».

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: اهجوا قريشاً، فإنه»؛ أي: الهجو «أشدُّ عليهم من رشق النبل» بفتح الراء وسكون الشين؛ أي: من رمي السهم.

«وقالت: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك» يجوز أن يكون هذا دعاءً أو إخباراً.

«ما نافحت»؛ أي: خاصمت.

«عن الله»؛ أي: مدةَ دفعك عن عباد الله.

«ورسوله» وتقويتهم على المشركين.

روي عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يضع لحسان منبراً فيقوم عليه يهجو من كان يهجو رسول الله.

«وقالت: سمعت رسول الله يقول: هجاهم حسان فشفى»؛ أي: غيره من المؤمنين؛ يعني: وجدوا بذلك شفاءً لما في قلوبهم من الغيظ.

«واستشفى» هو بنفسه.

* * *

٣٧٢٨ ـ عَنِ البَراءِ قَال: كانَ رَسُولُ الله ﷺ ينقُلُ التُّرابَ يومَ الخَنْدقِ حتَّى اغبَرَّ بطْنُهُ ويَقُولُ:

«والله لَـــوْلا الله مــــا اهتَــــدَيْنَا ولا تَــــــصَدَّقْنَا ولا صَــــــلَّيْنَا

فــــأَنْزِلَنْ سَــكِيَنَةً عَلَيْنَــا وَثَبِّــتِ الأَقْــدَامَ إِنْ لاَقَيْنَــا

إِنَّ الأُلَــى قَــدْ بَغَــوْا عَلَيْنَــا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَــــةً أَبَيْنَــــا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَه: أَبَيْنا، أَبَيْنا».

«عن البراء أنه قال: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق»: وهو يوم اتفق قبائل العرب على محاربة النبي ﷺ، فاجتمعوا وجاؤوا حتى نزلوا حول المدينة، فقيل للنبي ﷺ: طريق دفعهم أن يحفر حولها خندقاً كيلا يقدروا أن يتجاوزوا الخندق فإنهم أكثر من أن نقدر على مقاومتهم، فاشتغل ﷺ هو وأصحابه بحفر الخندق.

«حتى اغبر بطنه»؛ أي: صار ذا غبار.

«ويقول: والله لولا الله»؛ أي: لولا هدايةُ الله، أو فضلُه علينا بأن هدانا إلى الإسلام.

«ما اهتدينا» مصداقه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ٤٣].

«ولا تصدَّقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا»؛ أي: وقاراً وأمناً من العدو.

«وثبت الأقدام»؛ أي: أقدامنا على محاربة العدو.

«إن لاقينا»؛ أي: العدو.

«وإن القريش قد بغوا علينا»؛ أي: ظلمونا بإخراجنا من مكة.

«إذا أرادوا فتنة» أراد بها الرد إلى الكفر.

«أبينا»؛ أي: امتنعنا.

«يرفع»؛ أي: النبي ﷺ «بها صوته» ويكرر: «أبينا أبينا».

* * *

٣٧٢٩ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَال: جَعَلَ المُهاجِرُونَ والأَنْصَارُ يَحْفِرُون الخَنْدَقَ وينقُلُونَ التُّرابَ وهُمْ يَقُولُونَ:

نَحْـــنُ الَّـــذِينَ بـــايَعُوا مُحَمَّـــداً
عَلـــى الجِهَـــادِ مـــا بَقِيْنـــا أَبَـــدَاً

ويَقُولُ النَّبيُّ ﷺ وهوَ يُجيْبُهُم:

«اللهُـــمَّ! لا عَـــيْشَ إلا عَـــيْشُ الآخِـــرهْ
فـــاغْفِرْ للأَنْـــصَارِ والمُهـــاجِره»

«عن أنس ﷺ أنه قال: جعل المهاجرون والأنصار»؛ أي: شرعوا «يحفرون الخندق وينقلون التراب وهم يقولون: نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً، ويقول النبي ﷺ وهو يجيبهم: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة» التاء فيها للجمع، يريد المهاجرين.

* * *

٣٧٣٠ ـ وقَال رَسُول الله ﷺ: «لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحاً يَرِيْهِ خَيْرٌ مِن أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْراً».

«عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لأَنْ يمتلئ جوف رجل قيحاً حتى يَرِيَه» الضمير للجوف، معناه: يفسد رئته، من قولهم: وَرَى القيحُ جوفَه؛ أي: أكله.

«خير من أن يمتلئ شعراً» والمراد به: كلُّ شعر شاغل عن ذكر الله والعلم.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٧٣١ ـ عَنْ كَعْبِ بن مَالكٍ ﷺ: أنَّه قَال للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ الله تعالى قَدْ أَنْزَلَ في الشِّعرِ مَا أَنْزَلَ، فَقَال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ المُؤْمنَ يُجاهِدُ بسيفِه ولِسانِه، والذي نفسي بيدِه، لَكَأَنَّما ترمُونَهم بِهِ نَضْحُ النَّبلِ».

«من الحسان»:

«عن كعب بن مالك أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل» وهو ذم الشعراء بقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[الشعراء: ٢٢٤]، فهل يجوز لنا أن نقول الشعر في هجو الكفار؟.

«فقال النبي ﷺ: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه» تنبيهاً على أن هذا ليس من الغواية بل هو مجاهدةٌ في سبيل الله.

«والذي نفسي بيده لكأنَّ ما ترمونهم به»؛ أي: بالشعر واللسان.

«نضحُ النبل»؛ أي: نضحاً مثل نضح النبل؛ أي: رمياً مثل رمي السهم؛ يعني: تأثيره في نفوسهم كتأثير السهام بل أشد.

* * *

٣٧٣٢ ـ عن أَبي أُمامَةَ ﷺ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الحَيَاءُ والعِيُّ شُعبَتانِ مِن الإِيْمانِ، والبَذاءُ والبَيَانُ شُعبَتانِ مِن النِّفَاقِ».

«عن أبي أمامة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: الحياء والعِيُّ» بكسر العين المهملة هو التحيُّر في الكلام والعجزُ، والمراد هنا: السكوت عما فيه إثم من الكلام.

«شعبتان من الإيمان» وذلك لمناسبتهما له في منعهما من المعاصي والاجتراء على الله بِعَثْرةِ اللسان وتبيعة القول كما يمنع الإيمان من ذلك.

«والبذاء» بفتح الباء: هو الفحش من القول.

«والبيان» أراد به ما فيه إثم من الفصاحة، كهجو أحد، أو مدحه[1] بما لا يليق بالبشر.

«شعبتان من النفاق» يريد أن منشأهما النفاق.

* * *

٣٧٣٣ ـ عَنْ أَبِي ثَعلبَةَ الخُشَنِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: «إنَّ أَحَبَّكم إليَّ وأَقْرَبَكم مِنِّي يَوْمَ القِيَامةِ أحاسِنُكُم أَخلاَقاً، وإنَّ أَبْغضَكُم إليَّ وأَبْعَدكم مِنِّي مَسَاوِئُكم أخلاَقاً، الثَّرثَارُونَ المُتشدِّقُونَ المُتَفَيْهِقُونَ».

«عن أبي ثعلبة الخشني: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إن أحبكم إلي وأقربكم مني يوم القيامة أحاسنكم» ـ جمع الأحسن ـ «أخلاقاً».

«وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مساوئكم» ـ بفتح الميم: جمع السوء، وهو ضد الحسن ـ «أخلاقاً».

«الثرثارون» وهم الذين يكثرون الكلام تكلُّفاً وخروجاً عن الحق.

«المتشدقون»؛ أي: المتمحّصون، وقيل: المستهزئون بالناس.

«المتفيهقون»؛ أي: المتوسعون في الكلام، وفي هذا شيء من التكبُّر والرعونة.

* * *

٣٧٣٤ ـ عَنْ سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يخرُجَ قَوْمٌ يأكُلُونَ بألسِنَتِهِم كمَا تأكُلُ البَقَرُ بِأَلسِنَتِها».

---

(١) في «ت»: «أو ذمه».

«عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها»؛ يعني: كما أن البقر تأكل الحشيش من كل نوع ولا تميـز بين النافع والضار، فكذلك هؤلاء لا يبالون بما يقولون من كلامهم.

وقيل: إن البقرة كما لا تهتدي إلى الكلأ، ولا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها، فكذلك هؤلاء لا يهتدون إلى المآكل إلا بذلك، لا يميزون بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام، سمَّاعون للكذب أكَّالون للسحت، فوقع ضربُ المثل بالبقر عن هذين المعنيين.

* * *

٣٧٣٥ ـ عَنْ عَبدِالله بن عَمرٍو: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: «إنَّ الله يُبغِضُ البَليغَ مِن الرِّجالِ، الَّذي يَتخَلَّلُ بلِسَانِهِ كَمَا تَتخَلَّلُ البَاقِرَةُ بِلِسانِها»، غريب.

«عن عبدالله بن عمرو: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إن الله تعالى يبغض البليغ»؛ أي: الفصيح، وهو المبالغ في الكلام.

«من الرجال الذي يتخلَّل»؛ أي: يأكل **«بلسانه»**؛ يعني يدير اللسان حول الأسنان في التكلم تفاصحاً.

«كما تتخلل الباقرة» بمعنى البقرة.

«بلسانها» ومعناه كمعنى الحديث الأول، فالمرضيُّ من الكلام أن يكون قَدْرَ الحاجة غيرَ زائد عليها، يوافق ظاهرُه باطنَه.

«غريب».

* * *

٣٧٣٦ ـ عَنْ أنسٍ ﷺ قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسرِيَ بي بِقَومٍ تُقْرَضُ شِفاهُهم بمقارِيضَ مِنَ النَّارِ، فَقُلْتُ: يا جبريلُ! مَن هَؤُلاءِ؟ قَال:

هَؤُلاءِ خُطباءُ أُمَّتِكَ الَّذينَ يقولونَ ما لا يعلَمونَ»، غريب.

«عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مررتُ ليلةَ أسري بي» بناء (ليلة) على الفتح؛ لإضافتها إلى الجملة.

«بقوم تقرض»؛ أي: تقطع.

«شفاههم» بكسر الشين: جمع شَفة بالفتح.

«بمقاريض»: جمع مقراض.

«من النار، فقلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك»؛ أي: علماؤهم.

«الذين يقولون ما لا يعلمون».

«غريب».

* * *

٣٧٣٧ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَن تَعَلَّم صَرْفَ الكَلامِ ليَسبيَ به قُلوبَ الرِّجَالِ ـ أَوِ: النَّاس ـ لَمْ يقبلِ الله مِنْهُ يومَ القِيامةِ صَرْفاً ولا عَدْلاً».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من تعلَّم صرف الكلام» يريد به فضله وزيادته؛ يعني: مَن تعلَّم الفصاحة وأنواعَ البلاغة من الشعر وغيره من العلوم لا لله تعالى بل «ليسبي به قلوب الرجال أو الناس»؛ أي: ليجعل قلوبهم إليه مائلةً.

«لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً»؛ أي: حيلةً، أو توبة، أو فريضة.

«ولا عدلاً»؛ أي: فداء، أو نافلةً، أو قُربةً.

* * *

٣٧٣٨ ـ عَنْ عَمرِو بن العَاصِ: أنَّه قَال يَوْماً ـ وقَامَ رَجُلٌ فأكثرَ القَولَ ـ قَالَ عمرٌو: لو قَصَدَ في قولِهِ لَكَانَ خَيْراً لهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَقَدْ رَأَيتُ ـ أو: أُمِرتُ ـ أنْ أتجوَّزَ في القَولِ، فإنَّ الجَوازَ هُوَ خيرٌ».

«عن عمرو بن العاص أنه قال يوماً»؛ أي: قولاً.

«وقام رجل فأكثر القول، قال عمرو: لو قصد في قوله» والقصد في القول هو ما بين الإفراط والتفريط قِصَراً وطولاً.

«لكان خيراً له، سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: لقد رأيت» بمعنى علمت.

«أو أمرت أن أتجوَّز»؛ أي: أقتصر.

«في القول، فإن الجواز»؛ أي: الاقتصار فيه «هو خير».

* * *

٣٧٣٩ ـ عن صَخْرِ بن عبدِالله بن بُرَيْدَةَ، عَنْ أبيْهِ، عَنْ جَدِّه ؓ، قَال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «إنَّ مِن البَيانِ سِحْراً، وإنَّ مِن العِلْمِ جَهْلاً، وإنَّ مِن الشِّعرِ حُكْماً، وإنَّ مِنَ القَولِ عِيَالاً».

«عن صخر بن عبدالله بن بريدة، عن أبيه، عن جده أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: إن من البيان لسحراً وإن من العلم جهلاً»؛ يعني: قد يكون من العلوم ما يكون كالجهل بل الجهلُ خيرٌ منه؛ لكونه عِلْماً مذموماً، وقيل: معناه: إن بعضاً من العلوم لا يُحتاج إليه كعلوم القدماء، فالاشتغال به يمنعه عن تعلُّم ما يحتاج إليه في دينه فيكون جهلاً.

«وإن من الشعر حكماً» قيل: المراد به الحكمة، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم: ١٢]؛ أي: الحكمة، وقوله تعالى: ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾[الشعراء: ٢١]؛ أي: حكمة، وأصل الحكمة المنع.

«وإن من القول عيالاً» بكسر العين؛ أي: وبالاً وثقلاً؛ يعني: قد يكون من أقوال الرجل ما يكون عليه منه إثم؛ لكونه من مناهي الشرع.

* * *

١٠ - باب

حِفْظِ اللِّسانِ والغِيْبةِ والشَّتمِ

(باب حفظ اللسان من الغيبة[1] والشتم)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٧٤٠ - قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَن كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خَيْراً، أو لِيَسْكُتْ».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»؛ يعني: إن تكلَّمَ فليتكلَّمْ بما له ثواب وإلا فليسكت؛ لأن السكوت خيرٌ من كلام فيه إثم.

* * *

٣٧٤١ - وقَال ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ ومَا بينَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ».

«وعن سهل قال: قال رسول الله ﷺ: من يضمن لي»؛ أي: يكفل بمحافظة «مابين لحييه» وهو الفم من أكل الحرام وقبح الكلام.

«وما بين رجليه» وهو الفرج من الزنا.

---

(١) في «غ»: «والغيبة».

«أضمن له الجنة» كونه ﷺ مكفولاً له باعتبارِ أنه طالبٌ لهذه المحافظة، ونفعُها عائد إليه؛ لأنه ﷺ هو الهادي، واهتداء المولى المدلول نافع له.

* * *

٣٧٤٢ ـ وَقَال ﷺ: «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن رِضْوانِ الله لا يُلْقي لَهَا بَالاً يَرْفعُهُ الله بِها دَرَجَاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكلَّمُ بالكَلِمةِ مِن سَخَطِ الله لا يُلْقِي لَهَا بالاً يَهوي بِهَا في جَهَنَم».

ويُروى: «يَهْوِي بِهَا في النَّارِ أَبْعدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد» اللام فيه للجنس.

«ليتكلم بالكلمة»؛ أي: بالكلام.

«من رضوان الله»؛ أي: حالَ كونها مما يَرضَى الله بها.

«لا يلقي لها بالاً» بضم ياء المضارعة وكسر القاف؛ أي: لا يُحضر لها قلبه ولا يلتفت عاقبتها، حالٌ من ضمير (يتكلم).

«يرفعه الله بها درجات» هذا استئناف جواب عمن قال: ماذا يستحق المتكلِّم بها؟.

«وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها»؛ أي: يسقط بتلك الكلمة «في جهنم»؛ والمعنى: إنه ليتكلم بكلمة الحق يظنها قليلة وهي عند الله جليلةٌ، فيحصل له بها رضوانه، وقد يتكلم بسوء ولا يعلم أنها كذلك وهو عند الله ذنبٌ عظيم، فيحصل له السخط من الله تعالى، وفيه حث على التدبُّر والتفكُّر عند المتكلم.

«ويروى: يهوي بها في النار أبعد» صفته مصدر محذوف؛ أي: هوى أبعدَ.

«**ما بين المشرق والمغرب**»، (ما) موصولة والظرفُ صلته؛ يعني: أبعد قعراً من البعد الذي بين المشرق والمغرب.

* * *

٣٧٤٣ ـ وقَالَ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وقِتَالُه كُفْرٌ».

«**وعن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ **سِباب**» بكسر السين؛ أي: شتم «**المسلم فسوق**»؛ لأن شتمه بغير حق حرام.

«**وقتاله**»؛ أي: مجادلته ومحاربته بالباطل «**كفر**» والحديث محمول على التغليظ والتهديد.

* * *

٣٧٤٤ ـ وقَالَ ﷺ: **«أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: كَافِرٌ، فَقَد باءَ بِهَا أَحَدُهُمَا».**

«**وعن ابن عمر** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أيما رجل قال لأخيه كافر فقد باء بها**»؛ أي: رجع بتلك الكلمة «**أحدهما**»، وفي بعض النسخ: (به)، أي: بالكفر، وهو أولى.

وإنما رجع بالكفر أحدهما؛ لأنه إما أن يَصْدُقَ عليه أو يكذب، فإن صدق فهو كافر، وإن كذب عاد الكفر إليه لتكفيره أخاه المسلم بسبب ذنبٍ صدر عنه[١] واعتقد فيه كونه كافراً بذلك، قيل: هذا فيمن كفَّر مسلماً بلا تأويل، وأما المتأوِّل فخارجٌ عنه.

* * *

---

(١) في «غ»: «منه».

٣٧٤٥ ـ وقَالَ ﷺ: «لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بالفُسُوقِ، ولا يَرْمِيْهِ بالكُفْرِ، إلاَّ ارتَدَّتْ عَلَيْه إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كذَلَك».

«وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدَّت عليه»؛ أي: على الرجل الرامي؛ يعني: رجعت تلك الكلمة إلى قائلها «إن لم يكن صاحبه كذلك».

* * *

٣٧٤٦ ـ وقَالَ ﷺ: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بالكفْرِ، أو قَالَ: عَدُواً للهِ، ولَيْسَ كَذَلك، إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: من دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار»؛ أي: رجع ذلك «عليه».

* * *

٣٧٤٧ ـ وقَالَ: «المُسْتَبَّانِ مَا قَالا، فعلى البَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رســول الله ﷺ: المستبَّان»؛ أي: اللذان سبَّ كلٌّ منهما الآخر؛ أي: شتمه.

«ما قالا»؛ أي: إثم ما قالا من السباب «فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم»؛ أي: لم يتجاوز المسبوبُ في السبِّ عن حدِّه، فإذا تجاوز لا يكون الإثم على البادئ فقط بل يكون الآخرَ آثماً أيضاً باعتدائه.

* * *

٣٧٤٨ ـ وقَالَ: «لاَ ينبَغِي لِصدِّيقٍ أنْ يَكُونَ لعَّاناً».

«وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا ينبغي لصِدِّيقٍ أن يكون لعَّاناً» وهو الذي يكثر اللعن على لسانه.

* * *

٣٧٤٩ ـ وقَالَ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لاَ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ ولاَ شُفَعَاءَ يومَ القِيَامةِ».

«وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن اللعانين لا يكونون شهداء»؛ أي: على الأمم السالفة بأنَّ رسلهم بلَّغوا الرسالة إليهم، فيحرمون من هذه الرتبة الشريفة المختصة بهذه الأمة.

«ولا شفعاء»؛ أي: لا يكونون أيضاً شفعاء في إخوانهم العاصين.

«يوم القيامة» قيل: في ذكر اللعانين بصيغة التكثير إشارةٌ إلى أن هذا الذمَّ إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمن يصدر منه مرة أو مرتين.

* * *

٣٧٥٠ ـ وقَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُم».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قال الرجل: هلك الناس»؛ أي: استوجبوا النار بسوء أعمالهم.

«فهو أهلكَهم» بفتح الكاف فعلاً ماضياً؛ أي: أوقعَهم في الهلاك لأنه حملهم على ترك الطاعات والتلبُّس بالمعاصي يأساً منهم، أو هو الذي أوجب لهم الهلاك لا الله تعالى.

ويروى بالضم أفعلَ تفضيلٍ؛ أي: هو أشدُّهم هلاكاً وأسوؤهم حالاً؛ لأنه يُولع بعيبهم ويذهب بنفسه عجباً.

قيل: لو قاله تحزُّناً عليهم لمَا يرى فيهم من أمر دينهم فلا بأس به.

* * *

٣٧٥١ ـ وقَالَ: «تَجِدُوْنَ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامةِ ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذي يأتِي هَؤُلاءِ بِوَجهٍ وهَؤُلاءِ بوجهٍ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» هذا إذا لم يكن للإصلاح، فلو كان لأجله جاز.

* * *

٣٧٥٢ ـ وقال ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجُنَّةَ قَتَّاتٌ».

ويروى: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ».

«وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة قتّات» بفتح القاف وتشديد التاء الأولى؛ أي: نمّام، والنميمة: نقلُ الكلام على وجه الإفساد.

«ويروى: لا يدخل الجنة نمام» فرّق بعضٌ بينهما: بأن النمام هو الذي يتحدث مع القوم فينم، والقتات هو الذي يتسمَّع على القوم وهم لا يعلمون ثم يَنُمُّ.

* * *

٣٧٥٣ ـ وقَالَ ﷺ: «عَلَيْكُم بالصِّدْقِ، فإنَّ الصِّدْقَ يَهدِي إِلَى البِـرِّ، وإِنَّ البـرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقاً، وإِيَّاكُمْ والكَذِبَ، فإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويتحَرَّى الكَذِبَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً».

وفي رِوَايَةٍ: «إِنَّ الصِّدقَ بِرٌّ، وإِنَّ البـرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإِنَّ الكَذِبَ فُجُورٌ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ».

«وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بالصدق»؛ أي: الزموا الصدقَ، وهو الإخبار على وفاقِ ما في الواقع.

«فإن الصدق يهدي»؛ أي: يوصل صاحبه.

«إلى البر» وهو اكتساب الحسنات والاجتنابُ عن السيئات.

«وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يَصْدُقُ ويتحرى الصدق»؛ أي: يجتهد في طلب الصدق.

«حتى يكتب عند الله صدِّيقاً» بكسر الصاد وتشديد الدال للمبالغة.

«وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وان الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله تعالى كذاباً».

«وفي رواية: إن الصدق بر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب فجورٌ، وإن الفجور يهدي إلى النار».

* * *

٣٧٥٤ ـ وقَالَ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، ويَقُولُ خَيْراً، ويَنْمِي خَيْراً».

«وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: قال رسول الله ﷺ: ليس الكذاب» فيه نفي المبالغة في الكذب.

«الذي يصلح بين الناس»؛ يعني: مَن كذب ليصلح بين الناس لم يكن عليه إثم ذلك الكذب، بل يثبت له أجرٌ.

«ويقول خيراً وينمي»؛ أي: يبلِّغ «خيراً» ويقال: نَمَى يَنْمِي نَمياً: إذا بلَّغ أحداً حديثَ أحد على وجه الاصلاح وطلبِ الخير، بأن يقول مثلاً للإصلاح بين

زيد وعمرو: يسلِّم عليك زيدٌ، ويمدحك، ويقول: أنا أحبه، وكذلك يجيء إلى زيد ويبلِّغه من عمرو السلامَ مثل ذلك.

* * *

٣٧٥٥ ـ وقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُم المَدَّاحينَ فاحْثُوا في وُجُوهِهِمُ التُّرابَ».

«عن مقداد بن الأسود قال: **قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم المداحين**» وهم الذين اتخذوا مدح الناس عادةً وبضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتنونه.

«**فاحثوا في وجوههم التراب**» كنى به عن الحرمان؛ أي: فلا تعطوهم شيئاً.

وقيل: يؤخذ التراب ويُحثى؛ أي: يرمي به في وجه المادح عملاً بالظاهر.

وقيل: معناه الأمر بدفع المال إليهم، إذ المال شيء حقير كالتراب؛ أي: أعطوهم إياه واقطعوا به ألسنتهم؛ لئلا يهجوكم ويذمُّوكم.

أما إذا مدح رجلاً على فعلٍ حسن ترغيباً له على أمثاله وحثاً للناس على الاقتداء به في أشباهه، فغير مدَّاح.

* * *

٣٧٥٦ ـ وعَنْ أَبـي بَكْرَةَ ﷺ قَال: أَثْنى رَجُلٌ على رَجُلٍ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ فَقَال: «وَيْلَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيْكَ ـ ثَلاثاً ـ مَن كَانَ مِنْكُم مَادِحاً لا مَحالَةَ فلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلاناً واللهُ حَسِيْبُه، إنْ كَانَ يَرَى أنَّه كَذَلِكَ، ولاَ يُزَكِّي على اللهِ أَحَداً».

«وعن أبي بكرة ﷺ أنه قال: **أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ، فقال: ويلك قطعت عنق أخيك! ثلاثاً**» إنما كره ذلك لئلا يغترَّ المقولُ له فيستشعر

الكبر والعجب، وذلك خيانةٌ عليه، فيصير كأنه قطع عنقه فأهلكه.

«من كان منكم مادحاً لا محالة» بالفتح؛ أي: في حالة لا بدَّ من مدحه.

«فليقل: أحسب فلاناً» كذا وكذا، وهو من الحسبان بمعنى الظن.

«والله حسيبه»؛ أي: مُجازيه على أعماله، وهو العالم بحقيقة حاله.

«إن كان يرى»؛ أي: يظن.

«أنه كذلك»؛ أي: الممدوح كما مدحه.

«ولا يزكي» عطف على (يرى)، وهو الصواب؛ أي: وكان لا يزكي.

«على الله أحداً»؛ أي: لا يقطع بتقوى أحد ولا بزكاته عند الله، فإن ذلك غيبٌ عنا، عدَّاه بـ (على) لتضمنه معنى الغلبة؛ لأن مَن جزم على تزكية أحد عند الله فكأنه غَلَبَ عليه في معرفته.

* * *

٣٧٥٧ ـ عن أَبي هُريْـرَةَ ﷺ: أنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُوْنَ مَا الغِيْبَةُ؟» قَالُوا: الله ورَسَولهُ أَعلَمُ، قَال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بما يَكْرَهُ»، قِيْل: أَفَرَأَيْتَ إنْ كَانَ في أَخِيْ مَا أَقُولُ؟ قَال: إنْ كَانَ فيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغتبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

ويُرْوَى: «إذَا قُلْتَ لِأَخيْكَ مَا فيهِ فَقَد اغْتَبْتَهُ، وإذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أتدرون ما الغيبة؟»؛ أي: أتدرون جواب هذا السؤال؟.

«قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره»؛ يعني: الغيبة أن تصف أخاك حال كونه غائباً بوصفٍ يكرهه إذا سمعه.

«**قيل: أفرأيت**»؛ أي: أخبرني يا رسول الله «**إن كان في أخي ما أقول؟**»؛ أي: إن كان أخي موصوفاً بما وصفتُه هل يكون غيبة؟.

«**قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه**»؛ أي: قلت فيه بهتاناً؛ أي: كذباً عظيماً، والبهتان هو الباطل الذي يُتحيَّر من بطلانه وشدة فكره.

«**ويروى: إذا قلت لأخيك ما فيه فقد اغتبته، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهتّه**».

* * *

٣٧٥٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها: أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ على النَّبيِّ ﷺ فَقَال: «ائْذَنُوا لَهُ، فبِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ هُوَ»، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبيُّ ﷺ في وَجْهِهِ، وانْبَسَطَ إليْه، فلمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَت عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا: يَا رَسُولَ الله! قُلْتَ لهُ: كَذا وكَذا، ثُمَّ تَطلَّقتَ في وجْهِهِ، وانبَسَطْتَ إليه! فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشاً؟ إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلةً يَومَ القِيامَةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتقاءَ شَرِّه».

ويُرْوَى: «اتِّقاءَ فُحْشِهِ».

«**وعن عائشة ﵂ أن رجلاً**» قيل: هو عيينة بن حصن.

«**استأذن على النبي ﷺ**»؛ أي: طلب الإذن في الدخول عليه.

«**فقال: ائذنوا له فبئس أخو العشيرة**» هو؛ أي: بئس هو في قومه، وهذا تعريف له بسوء الفعل وخبث النفس، وكذلك يدل على جواز ذكر مساوئ الخبيث ليُحترز منه ويُتوقَّى شره.

«**فلما جلس تطلَّق رسول الله ﷺ**»؛ أي: أظهر الطلاقة والبشاشة «**في**

وجهه وانبسط إليه»؛ يعني جعله قريباً من نفسه وتبسم في وجهه.

«فلما انطلق الرجل»؛ أي: ذهب «قالت عائشة: يا رسول الله! قلت له كذا وكذا، ثم تطلَّقت في وجهه وانبسطت إليه؟! فقال رسول الله: متى عاهدتني»؛ أي: وجدتني «فحاشاً؟» أصل الفحش: زيادة الشيء على مقداره، وهذا إنكارٌ على عائشة قولها: إنك خالفت بين الغيبة والحضور.

«إن شر الناس» استئنافٌ كالتعليل لقوله: (متى عاهدتني فحاشاً).

«عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه الناس»؛ أي: تركوا التعرُّض له «اتقاء شره» كيلا يؤذيه بلسانه، وفيه رخصةُ التواضع لدفع الضرر.

«ويروى: اتقاء فحشه» وهو مجاوزة الحد قولاً وفعلاً، قيل: ذلك الرجل ظهر كما وصفه النبي ﷺ، ارتدَّ بعده مع المرتدين وجيء به أسيراً إلى أبي بكر ﷺ.

* * *

٣٧٥٩ ـ عَنْ أَبي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلاَّ المُجاهِرِينَ، فإنَّ مِن المُجَاهَرةِ: أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصبحُ وقد سَتَرَهُ الله فَيَقُولَ: يَا فُلانُ! عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذا وكَذا، وقد بَاتَ يسْتُرُه رَبُّه، ويُصْبحُ يكشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله: كلَّ أمتي معافًى» مفعول من عافاه الله، قيل: أي: أعطاه العافية وهي السلامة من المكروه.

«إلا المجاهرون» مستثنى من (معافى)؛ لأنه في معنى النفي؛ أي: كل أمتي لا ذنب عليهم إلا المجاهرون بالمعاصي.

«وإن من المجانة»: يقال: مَجَنَ يَمجنُ مُجوناً ومَجَانة فهو ماجِنٌ؛ أي: لم يبال بما صنع ولا بما قيل له من غيبته ومذمَّتِه، ونسبتِه إلى فاحشة.

«أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان! عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»؛ يعني: مَن أظهر ذنبه بين الناس فهو الذي لا يبالي بأن يغتابه الناس ويذمونه، وهذا غير مرضيٍّ عند الله وعند الناس.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٧٦٠ ـ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن تَرَكَ الكَذِبَ وهُوَ بَاطِلٌ بنيَ لَهُ في رَبَضِ الجَنَّةِ، ومَن تَرَكَ المِراءَ وهُوَ مُحِقٌّ بنيَ لَهُ في وَسَطِ الجَنَّةِ، ومَن حَسَّنَ خُلُقَه بنيَ لَهُ في أَعْلاَهَا».

«من الحسان»:

«عن أبي أمامة وأنس قالا: قال رسول الله ﷺ: من ترك الكذب وهو باطل» جملة اعتراضيةٌ إخبارٌ عن الواقع؛ أي: الكذبُ باطلٌ في الواقع، أو حاليةٌ؛ أي: وحالُ ذلك أنه باطلٌ لا مصلحة فيه أصلاً، قيد به لأنه إن لم يكن باطلاً بأنْ كان لإصلاح ذات البين فالإتيانُ به يوجب الأجر فلا يستحبُّ تركه.

«بني له في ربض الجنة»، و(الربض) بالضم: وسط الشيء، وبالتحريك: نواحيه؛ أي: حوالي الجنة من داخلها لا من خارجها.

«ومن ترك المراء»؛ أي: الجدال.

«وهو مُحِقٌّ»؛ أي: والحالُ أن التارك محق؛ أي: صادقٌ في تكلُّمه بالحق.

«بني له في وسط الجنة» نيلُه وسطَها بترك المراء مع أنه محقٌّ؛ لتركه كسر قلب مَن يجادله، ورفعة نفسه وإظهار فضله.

«ومَن حَسُنَ خلقُه بني له في أعلاها».

«غريب».

* * *

٣٧٦١ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَدْرُوْنَ مَا أكثرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ تَقْوَى الله وحُسنُ الخُلُقِ، أَتَدْرُوْنَ مَا أكثرُ مَا يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ الأَجْوَفانِ: الفَمُ والفَرْجُ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة» (ما) الأولى استفهامية والثانية موصولة أو موصوفة؛ أي: أيُّ شيء أكثرُ إدخالاً للناس الجنة؛ يعني: أتدرون جواب هذا القول؟.

«تقوى الله وحسن الخلق أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار؟ الأجوفان الفم والفرج» فإنهما يوقعان الناس في الإثم؛ لأن الرجل ربما لا يقنع بقليل من الحلال ويطلب الكثير من الحرام، وكذلك الفرج، فيدخل بسببه النار.

* * *

٣٧٦٢ ـ وقَالَ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن الخَيْر مَا يَعْلمُ مَبْلَغَها، يَكْتُبُ الله لَهُ بِهَا رِضْوانَه إلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مبلَغَها، يَكْتُبُ الله بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَه إلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ».

«عن بلال بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل ليتكلَّم بالكلمة من الخير ما يعلم مبلغها»؛ أي: قَدْرَ تلك الكلمة عند الله؛ إذ ربما يظن أنها يسيرةٌ وهي عند الله عظيمة.

«يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه» بالإضافة؛ أي: إلى يوم القيامة.

«وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها، يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه».

* * *

٣٧٦٣ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَيْلٌ لِمَنْ يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضحِكَ بِهِ القَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ له».

«وعن معاوية بن حَيْدَةَ القشيري قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ويل له» والويل: الهلاك، وقيل: وادٍ في جهنم، وهذا يدل على أن من يحدِّث فيَصْدُق في المزاح فيضحك منه الحاضرون فلا بأس به.

* * *

٣٧٦٤ ـ وقَالَ: «إنَّ العَبْدَ لَيَقُولُ الكَلِمَةَ لاَ يَقُولُها إلاَّ لِيُضحِكَ بِهَا النَّاسَ يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ، وإنَّه لَيَزِلُّ عَنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَزِلُّ عَنْ قدمِهِ».

«وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا لِيُضْحِك بها الناس يهوي بها»؛ أي: يسقط بسبب تلك الكلمة الكاذبة إلى جهنم سقوطاً «أبعدَ مما بين السماء والأرض».

وقيل: معناه: يبعد بها عن الخير والرحمة بعداً أبعد مما بينهما.

«وإنه ليزل»؛ أي: يسقط «عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه» يريد أن صدور الكذب عن لسانه أضرُّ عليه من سقوطه عن رجله على وجهه.

* * *

٣٧٦٥ ـ وقَالَ: «كَفَى بالْمَرءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ».

«وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» تقدم بيانه في (باب الاعتصام بالكتاب والسنة).

* * *

٣٧٦٦ ـ وقَالَ: «مَن صَمَتَ نَجَا».

«عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صمت»؛ أي: سكت عن الشر «نجا»؛ أي: خلص من عذاب الدارين.

* * *

٣٧٦٧ ـ وقَالَ عُقْبَةُ بن عَامِر: لَقِيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «امِلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، ولْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيْئَتِكَ».

«وقال عقبة بن عامر: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: ما النجاة؟ فقال: املك» بكسر الهمزة: أَمْرٌ مِنْ مَلَكَ يملك؛ أي: احفظ «عليك لسانك»؛ أي: ولا تتكلم إلا بما يكون لك لا عليك.

«وليسعك بيتك»؛ أي: اسكن في بيتك ولا تخرج منه إلا للضرورة، ولا تضجر من الجلوس في مسكنك والاشتغالِ بشأنك، ودَعْ ما لا يعنيك ومخالطةَ من يشغلك عن دينك.

«وابك على خطيئتك» أمر من الندم والتوبة.

وهذا أسلوب الحكيم؛ لأنه سأل عن النجاة فأجاب ﷺ بسببها.

* * *

٣٧٦٨ ـ عَنْ أَبي سَعِيْدٍ رَفَعَهُ، قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابن آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ فتَقولُ: اتَّقِ الله فيْنَا، فإنَّما نَحْنُ بِكَ، فإنْ استَقَمْتَ استَقَمْنا،

وإنْ اعْوَجَجْتَ اعْوجَجْنَا».

«عن أبي سعيد الخدري ﷺ يرفعه قال: إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان»؛ أي: تَذِلُّ وتخضع، والتكفير هو أن يطأطئ رأسه وينحني قريباً من الركوع عند تعظيم صاحبه.

«فتقول»؛ أي: الأعضاء للِّسان: «اتق الله فينا»؛ أي: في حفظ حقوقنا.

«فإنما نحن بك»؛ أي: نستقيم بك ونعوجُّ بك.

«فإن استقمت استقمنا وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا».

* * *

٣٧٦٩ - وقَالَ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسْلام المرءِ تَرْكُه مَا لا يَعْنيهِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مِن حُسْن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه»؛ أي: لا يهمُّه؛ يعني: إسلامُ الرجل إنما يَحسُنُ ويكمُلُ إذا ترك من الأقوال والأفعال ما لا ضرورة فيه ولا منفعةَ له منه.

* * *

٣٧٧٠ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَال: تُوفِّيَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَال رَجُلٌ: أبشِرْ بالجنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوَلا تَدْرِي، فلعَلَّه تكلَّمَ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، أو بَخِلَ بِمِا لا يُنقِصُهُ».

«عن أنس ﷺ أن قال: توفِّي رجل من الصحابة، فقال رجل: أبشر بالجنة»؛ أي: افرح بحصول الجنة لك بأن صحبت النبيَّ ﷺ.

«فقال رسول الله ﷺ: أوَلا تدري» يروى بفتح الواو عاطفةً على مقدَّر؛ أي: أتقول هكذا ولا تدري ما تقول؟ أو للحال؛ أي: والحال أنك لا تدري،

ويروى بسكونها عاطفةً على مقدَّر أيضاً؛ أي: أتدري أنه من أهلها أو لا تدري؟ أي: بأيِّ شيء علمت ذلك؟.

«**فلعله تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه**» من التكلُّم بكلام الخير والتأديب والتعليم وغير ذلك، فإن ذلك لا ينقص شيئاً من لسانه، وقيل: معناه: بخل بالزكاة التي لا تنقص المال، فالضمير المنصوب عائد إلى الرجل والمرفوع إلى (ما)، أو هو عام في جميع ما لا ينقص بالبذل من المال والمسائل العلمية التي لا يحتاج الناس إليها.

* * *

٣٧٧١ ـ عَنْ سُفيَانَ بن عَبْدِالله الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلتُ: يا رسولَ الله! مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ وقَالَ: «هذا»، صحيح.

«**عن سفيان بن عبدالله الثقفي أنه قال: قلت: يا رسول الله! ما أخوف**» (ما) استفهامية مبتدأ خبره (أخوف)، وهو أفعل التفضيل للمفعول.

«**ما تخاف**» (ما) هذه موصولة، والعائد محذوفٌ تقديره: أيُّ شيء أخوفُ أشياء تخاف منها «**عليَّ؟ قال: فأخذ بلسان نفسه وقال: هذا**» إشارة إلى لسانه؛ يعني: أكثر خوفي عليك منه.

«**صحيح**».

* * *

٣٧٧٢ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا كَذَبَ العَبْدُ تَبَاعَدَ عَنْهُ المَلَكُ مِيْلاً مِن نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ».

«**عن ابن عمر ﵄ أنه قال: قال النبي ﷺ: إذا كذب العبد تباعَدَ عنه الملك**» لعله الحفظة.

«**ميلاً**» وهو ثلث الفرسخ، أو قطعة من الأرض، أو مدُّ البصر.

«من نتن ما جاء به» من الكذب الذي تكلم به.

* * *

٣٧٧٣ ـ وقَالَ: «كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحدِّثَ أَخَاكَ حَدِيْثاً، هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ».

«عن سفيان بن أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: كبرت خيانة» نصبٌ على التميز، و(كبرت) مسند إلى (أن تحدِّث)، والتأنيث على تأويل الخصلة أو الفعلة، وقيل: تقديره: كبرت الخيانةُ خيانةً.

«أن تحدِّث أخاك حديثاً هو لك به مصدِّق وأنت به كاذب»؛ يعني: هذا الفعل خيانةٌ عظيمة عند الله.

* * *

٣٧٧٤ ـ وقَالَ: «مَن كَانَ ذا وَجْهَينِ في الدُّنيا، كَانَ لَهُ يَومَ القِيامةِ لِسَانَانِ مِن نَارٍ».

«عن عمار بن ياسر ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من كان ذا وجهين في الدنيا» المراد به مَن يرى نفسه عند شخص أنه من جملة محبيه وناصحيه وهو يحدِّثُ بمساوئه في غيبته.

«كان له يومَ القيامة لسانان من نار».

* * *

٣٧٧٥ ـ وقَالَ: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، ولا باللَّعَّانِ، ولا الفَاحِشِ، ولا البَذِيء»، غريب.

«وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ليس المؤمن

بالطعان»؛ أي: ليس المؤمن الكاملُ طعاناً، طَعَنَ عليه يطعنُ فتحاً وضماً؛ أي: عابه، ومنه الطعن في النسب.

«ولا باللعان» واللعن منهيٌّ عنه أن يلعن رجلاً بعينه مواجهةً براً كان أو فاجراً؛ لأن عليه توقيرَ البر ورَحْمَ الفاجر بالاستغفار له، وأما لعنُ الكافر والفاجر على العموم فغير منهي عنه.

«ولا الفاحش» وهو الذي يشتم الناس.

«ولا البذيء»: وهو الذي لا حياء له.

«غريب».

* * *

٣٧٧٦ ـ وقَالَ: «لا يَكُونُ المُؤْمِنُ لَعَّاناً».

وفي رِوَايةٍ: «لا يَنْبَغِي للمُؤْمنِ أنْ يَكُونَ لعَّاناً».

«وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يكون المؤمن لعاناً»؛ أي: ليس من صفة المؤمن الكامل أن يلعن أحداً.

«وفي رواية: لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعاناً».

* * *

٣٧٧٧ ـ وقَالَ: «لا تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ الله، ولا بِغَضَبِ الله، ولا بِجَهَنَّم».

وفي رِوَايَةٍ: «ولا بالنَّارِ».

«وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تلاعنوا» بحذف إحدى التائين للتخفيف، وفي بعض: (لا تلعنوا).

«بلعنة الله»؛ أي: لا تقولوا لمسلم: عليك لعنة الله.

«ولا بغضب الله» بأن تقولوا: عليك غضب الله.

«ولا بجهنم» بأن تقولوا: لك جهنم.

«وفي رواية: ولا بالنار» بأن تقولوا: أدخلك الله النار، وما أشبه ذلك.

* * *

٣٧٧٨ ـ وقَالَ: «إنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً صَعِدَتْ اللَّعنةُ إلى السَّماءِ، فتُغلَقُ أبْوَابُ السَّماءِ دُوْنَها، ثُمَّ تَهْبِطُ إلى الأَرضِ فَتُغْلَقُ أبوابُها دونَها، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمْيَناً وشِمَالاً فإذا لَمْ تَجِدْ مَساغاً رَجَعَتْ إلى الَّذي لُعِنَ، فإنْ كَانَ لِذَلكَ أَهَلاً، وإلاَّ رَجَعَتْ إلى قائِلِها».

«وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً» صعود اللعنة وهبوطها وضربُها يميناً وشمالاً تجوُّزٌ وتصوير أن فعله هذا كالضالّ المتردِّد الذي لا يجد سبيلاً.

«فإذا لم يجد مساغاً» بفتح الميم؛ أي: مدخلاً وطريقاً، ساغ الشراب في الحلق يسوغ؛ أي: دخل سهلاً.

«دخلت»؛ أي اللعنة «إلى الذي لُعِنَ» على صيغة المجهول.

«إن كان لذلك» اللعن «أهلاً، وإلا»؛ أي: وإن لم يكن لذلك أهلاً بأن كان مظلوماً «رجعت إلى قائلها».

* * *

٣٧٧٩ ـ عَنِ ابن عبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِداءَهُ فلَعَنَها، فَقَال النَّبيُّ ﷺ: «لا تَلْعَنْها فإنَّها مَأْمُورَةٌ، وإنَّه مَنْ لَعَنَ شَيْئاً لَيْسَ لهُ بأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعنةُ عَلَيهِ».

«عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً نازعته الريح بردائه»؛ أي: جاذبته.

«فلعنها، فقال رسول الله ﷺ: لا تلعنها فإنها مأمورةٌ، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه».

* * *

٣٧٨٠ ـ وقَالَ: «لا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابي عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً فإنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إلَيْكُمْ وأَنَا سَلِيمُ الصَّدرِ».

«وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يبلِّغني أحدٌ من أصحابي عن أحد شيئاً» بأن شتم أحداً، أو آذاه، أو فيه خصلة سوء، كيلا أغضب عليه.

«فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» ليس فيه غضب ولا حقد لأحد، وهذا تعليم للأمة.

* * *

٣٧٨١ ـ وعن عَائِشَةَ رَضِـيَ الله عَنْها قَالَتْ: قلتُ للنَّبيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِن صَفِيَّةَ كَذَا وكَذَا، تَعْنِي: قَصِيْرةً، فَقَال: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا البَحْرُ لَمَزَجَتْهُ»، صحيح.

«وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، تعني»؛ أي: تريد «قصيرة».

«فقال: لقد قلت كلمة لو مُزج بها البحر»؛ أي: بالكلمة التي اغتبت بها أختك المؤمنة.

«لمزجته»؛ أي: لغلبته بالمزج، وصار البحر مغلوباً بها، وهو مبالغةٌ في عظم تلك الكلمة؛ يعني: إن هذه الكلمة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن

حاله مع كثرته من غاية قبحها.

* * *

٣٧٨٢ ـ وقَالَ: «مَا كَانَ الفُحْشُ في شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ، ومَا كَانَ الحَيَاءُ في شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ».

«وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما كان الفحش في شيء إلا شانه»؛ أي: عابه.

«وما كان الحياء في شيء إلا زانه»؛ أي: زيَّنه.

* * *

٣٧٨٣ ـ وقَالَ: «مَن عيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يعمَلَهُ»، منقطع.

«وعن خالد بن معدان، عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: من عيَّر أخاه»؛ أي: عابه ولامه «بذنب» قد تاب عنه «لم يمت حتى يعمله».

«منقطع».

* * *

٣٧٨٤ ـ وقَالَ: «لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخيكَ، فَيَرْحَمُهُ الله ويَبْتَلِيْكَ»، غريب.

«وعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: لا تظهر الشماتة لأخيك»؛ أي: لا تفرح بذنبٍ صدر من عدوك، أو بنكبةٍ وردت إليه، فلعلك تقع في مثل ذلك.

«فيرحمه» في بعض: (فيعافيه) «الله ويبتليك».

«غريب».

* * *

٣٧٨٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضيَ الله عَنْها قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ أَحَداً وأَنَّ لِيْ كَذا وكَذا»، صَحِيْح.

«عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: ما أحب أني حكيت أحداً»؛ أي: فعلت مثل فعله، يقال: حكاه؛ أي: شابهه، وأكثر ما تستعمل المحاكاة في القبيح، وقيل: معناه: ما أحبُّ أن أتحدث بعيب أحد.

«وأن لي» ـ الواو للحال ـ «كذا وكذا» من الدنيا بسبب ذلك الحديث.

«صحيح».

* * *

٣٧٨٦ ـ عَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ عَقلَها، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ فصَلَّى خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ، فلَمَّا سَلَّم أَتَى راحِلَتَهُ فأَطْلَقَها، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ نَادَى: اللهمَّ! ارْحَمْني ومُحَمَّداً، ولا تُشْرِكْ في رَحْمَتِنا أَحداً، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَتَقُولُونَ: هُوَ أَضَلُّ أَمْ بَعِيْرُهُ؟ أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى مَا قَالَ؟! قَالُوا: بَلَى».

«عن جندب: أنه جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها، ثم دخل المسجد فصلى خلف رسول الله ﷺ، فلما سلَّم أتى راحلته فأطلقها» من وثاقها، والإطلاقُ ضدُّ القيد.

«ثم ركب، ثم نادى: اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً، فقال رسول الله: أتقولون»؛ أي: أتظنون «هو أضل»؛ أي: أجهلُ أو أَهْلَكُ «أم بعيره، ألم تسمعوا إلى ما قال؟ قالوا: بلى».

* * *

١١ - باب

الوَعْدِ

(باب الوعد)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٧٨٧ - عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ الله ﷺ، وجَاءَ أَبا بَكْرٍ مَالٌ مِنْ قِبَلِ العَلاءِ بن الحَضْرَميِّ، فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِنْ كَانَ لهُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ دَيْنٌ أَوْ كَانَتْ لَهُ قِبلَهُ عِدَةٌ فَلْيَأْتِنا، قَالَ جَابرٌ ﷺ: فَقُلْتُ: وَعَدَني رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُعْطِيَني هَكَذَا وهَكَذَا وهَكَذَا، فَبَسَطَ يَدَيْهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ، قَالَ جَابرُ ﷺ: فَحَثا لِي حَثْيَةً فَعَدَدْتُها فإِذَا هي خَمْسُ مئةٍ، قَالَ: خُذْ مِثْلَيْها.

«من الصحاح»:

«عن جابر ﷺ أنه قال: لما مات رسول الله ﷺ وجاء أبا بكر مالٌ من قبل العلاء بن الحضرمي»؛ أي: من عنده أو جهته، وهو كان عاملَ رسول الله ﷺ.

«قال أبو بكر: مَن كان له على رسول الله ﷺ دينٌ، أو كانت له قِبلَه عِدَةٌ»؛ أي: وعد.

«فليأتنا» وكان أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ يقضي دينه ويفي بما وعد أحداً أن يعطيه شيئاً.

«قال جابر: فقلت: وعدني رسول الله ﷺ أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، فبسط يديه ثلاث مرات، قال جابر: فحثا لي حثيةً»؛ أي: ملأ كفيه دراهم وصبها في ذيلي.

«فعددتها فإذا هي خمسمئة فقال: خذ مثليها» والحديث يدلُّ على استحباب

قضاء دين الميت وإنجازِ وعده لمن يخلفه بعده، أجنبياً كان أو وارثاً.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٧٨٨ ـ عَنْ أَبـي جُحَيْفَةَ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَبْيَضَ قَدْ شَابَ، وكَانَ الحَسَنُ بن عَلِيٍّ ﷺ يُشْبِـهُهُ، وأَمَرَ لَنَا بثلاثةَ عَشَرَ قَلُوْصاً، فذَهَبنا نَقْبِـضُها فَأَتَانا مَوْتُهُ، فَلَمّا قَامَ أبو بَكْرٍ قَالَ: مَنْ كانَتْ لهُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ عِدَةٌ فَلْيَجِئْ، فَقُمْتُ إلَيْهِ فأَخْبَرْتُهُ، فَأَمَرَ لَنَا بِهَا.

«من الحسان»:

«عن أبي جحيفة أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبيض»؛ أي: وقع في لحيته بياض.

«قد شاب، وكان الحسن بن علي يشبهه» جملة معترضة.

«وأمر له»؛ أي: لأبي جحيفة.

«بثلاثة عشر قلوصاً» بفتح القاف: الناقة الشابة.

«فذهبنا نقبضها فأتانا موته»؛ أي: خبر موت النبي ﷺ.

«فلما قام أبو بكر قال: من كان له عند رسول الله عِدَةٌ فليجِيءْ، فقمت إليه»؛ أي: توجَّهت إليه.

«فأخبرته فأمر لنا بها»؛ أي: أبو بكر بالقلوص.

* * *

٣٧٨٩ ـ عَنْ عَبدِالله بن أَبـي الحَسْمَاءِ أَنَّهُ قَالَ: بايَعْتُ النَّبيَّ ﷺ قبْلَ أَنْ

يُبْعَثَ، وبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتيَهُ بهَا في مَكَانِهِ فَنَسِيتُ، فذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاثٍ، فإِذَا هُوَ في مَكَانِهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَاهُنا مُنْذُ ثَلاثٍ أَنْتَظِرُكَ».

«عن عبدالله بن أبي الحمساء أنه قال: بايعتُ النبي ﷺ»؛ أي: اشتريت منه شيئاً.

«قبل أن يُبعث» للرسالة.

«وبقيت له بقية» من ثمن ذلك المبيع.

«فوعدته أن آتيه بها»؛ أي: بتلك البقية.

«في مكانه»؛ أي: في موضعه المعيَّن.

«فنسيت»؛ أي: ذلك الوعد.

«فذكرت بعد ثلاث»؛ أي: ثلاث ليال، فجئت ذلك المكان «فإذا هو في مكانه»؛ أي: النبي ﷺ ينتظرني بذلك المكان وفاءً بما وعد من لزوم المكان حتى أجيئه بما بقي من الثمن.

«فقال: لقد شققت علي»؛ أي: أوصلت المشقة إلي.

«أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك» وهذا يرشد إلى استحباب تصديق الوعد والوفاء بالقول.

* * *

٣٧٩٠ ـ عَنْ زَيْدِ بن أَرْقَمَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا وَعَدَ الرَّجُلُ أَخَاهُ، ومِنْ نِيَّتِهِ أنْ يَفيَ، فَلَمْ يَفِ وَلَمْ يَجيءْ للمِيعادِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ».

«عن زيد بن أرقم ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: إذا وعد الرجل أخاه ومن

نيته أن يفي فلم يف ولم يجيء للميعاد» لاعتراضه مانعٌ يمنعه عن الوفاء بما وعد.

«فلا إثم عليه» وهذا يدل على أن النية الصالحة يثاب الرجل عليها وإن تخلَّف المَنْوِيُّ عنها.

* * *

٣٧٩١ ـ عَنْ عَبْدِالله بن عَامِرٍ قَالَ: دَعَتْني أُمِّي يَوْماً ورَسُولُ الله ﷺ قاعِدٌ في بَيْتِنا فقالَتْ: تَعَالَ أُعْطِيْكَ، فقالَ لَهَا رَسُوْلُ الله ﷺ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيْهِ شَيْئاً كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ».

«عن عبدالله بن عامر أنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: أما» بالتخفيف «إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت»؛ أي: هذه الكلمة «عليك كذبة» بكسر الكاف ثم السكون، وبفتحها مع كسر الذال، والتاءُ للوحدة، وهذا يدل على استحباب إنجاز العِدَة مع مَن كانت.

* * *

١٢ ـ باب
المُزَاحِ

(باب المزاح)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٧٩٢ ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخالِطُنَا حتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ! ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»، كَانَ لَهُ نُغَيرٌ يَلْعَبُ بهِ فَمَاتَ.

وهو ـ بالضم ـ مصدر مزحته، ـ وبالكسر ـ مصدر مازحته.

«من الصحاح»:

«قال أنس ﷺ: **إن كان النبي ﷺ**»، (إن) هنا مخففةٌ من المثقَّلة؛ أي: إنه ﷺ «**ليخالطنا**»؛ أي: يجالسنا ويمزح بنا.

«**حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير! ما فعل النغير؟**» تصغير نُغُر، وهو فرخ العصفور، وقيل: طائر كالعصفور أحمر المنقار واحدتُها نغرة.

«**كان له نغير يلعب به**»؛ أي: يتلهَّى بحبسه وإمساكه.

«**فمات**» وهذا يدلُّ على إباحة طير المدينة، وأنه لا بأس بإعطاء الصبي الطير ليلعب به بلا تعذيبه، وعلى إباحة السجع وتصغير الأسماء، والممازحة ما لم يكن إثماً، وجوازِ تكنِّي الصبي.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٧٩٣ ـ عَنْ أَبـِيْ هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! إِنَّكَ تُداعِبنا. قال: «إِنِّي لاَ أَقُوْلُ إِلاَّ حَقَّاً».

«من الحسان»:

«**عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا**»؛ أي: تمازحنا، والدعابة: المزاح.

«**قال: إني لا أقول إلا حقاً**».

* * *

٣٧٩٤ ـ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً استَحْمَلَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إنِّي

حَامِلُكَ على وَلَدِ نَاقةٍ»، فَقَالَ: مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وهَلْ تَلِدُ الإِبـلَ إِلاَّ النُّوقُ؟».

«وعن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ»؛ أي: طلب منه ﷺ أن يحمله على دابة.

«فقال: إني حاملك على ولد ناقة، فقال»؛ أي: الرجل: «ما أصنع بولد الناقة؟» زعماً منه أنه ﷺ يريد فصيلاً لا يطيق حمله.

«فقال النبي» ﷺ في جوابه: «وهل تلد الإبل إلا النوق»؛ يعني: جميع الإبل تلد النوق، جمع ناقة؛ يعني: أريد به ولداً كبيراً يطيق حملك، وهذا من جملة مزاحه ﷺ.

* * *

٣٧٩٥ ـ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يا ذَا الأُذُنَيْنِ!».

«وعن أنس رضي الله عنه قال له: يا ذا الأذنين» قيل: هذا كناية عن مدحه بذكائه وحسنِ استماعه مع كونه خارجاً مخرج انبساطه منه ﷺ ومزاح معه.

* * *

٣٧٩٦ ـ ورُوِيَ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لِعَجوزٍ: «إِنَّ الجنَّةَ لا يَدْخُلُهَا العُجُزُ»، فَوَلَّتْ تَبْكِي. قَالَ: «أَخْبِـرُوها أَنَّها لا تَدْخُلُها وهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾».

«وروي: أنه ﷺ قال لعجوز: إن الجنة لا يدخلها العُجُز» بضمتين: جمع عجوز.

«فولَّت»؛ أي: أعرضت العجوز «تبكي، قال: أخبروها أنها لا تدخلها

وهي عجوز»؛ أي: في حال كونها عجوزاً، بل يصيرها الله شابةً بكراً، وكذلك جميع الإنسان يكونون على سنِّ مَن له ثلاثون سنة.

«إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾»؛ أي: خلقنا وصيرنا النساء يوم القيامة شواباً ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾».

* * *

٣٧٩٧ ـ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً مِنَ البَادِيَةِ اسْمُهُ: زاهِرُ بن حَرَامٍ كان يَهدِي للنَّبيِّ ﷺ مِنَ البَادِيَةِ فيُجَهِّزُهُ رَسُولُ الله ﷺ إذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ زاهراً بادِيَتُنا، ونَحْنُ حَاضِروُهُ»، وكَانَ النَّبي ﷺ يُحِبُّهُ، وكَانَ دَميماً، فَأَتَى النَّبيُّ ﷺ يَوْماً وهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لا يُبْصِرُهُ، فقال: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟ فالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبيَّ ﷺ، فَجَعَلَ لا يَأْلُو مَا أَلْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وجَعَلَ النَّبيُّ ﷺ يَقولُ: «مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ؟»، فقالَ: يا رسولَ الله! إذاً والله تَجِدُني كَاسِداً، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَكِنْ عِنْدَ الله لَسْتَ بِكَاسِدٍ».

«عن أنس ﷺ: أن رجلاً من أهل البادية اسمه زاهر بن حرام كان يهدي للنبي ﷺ من البادية»؛ أي: يهدي له متاع البادية من الرياحين والأدوية.

«فيجهزه رسول الله ﷺ»؛ أي: يهيئ له ﷺ أسباباً من أمتعة البلد.

«إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: إن زاهراً باديتنا»؛ أي: من أهل باديتنا [يزوِّدنا] من أمتعة البادية بما نريد، وقيل: معناه صديقنا من البادية.

«ونحن حاضروه»؛ أي: نهيئ له ما يريد من أمتعة البلد، أو معناه: نحن صديقه من الحضر.

«وكان النبي ﷺ يحبه، وكان دميماً»؛ أي: كريه اللقاء.

«فأتى النبيُّ ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه»؛ أي: أخذ من حضنه.

«من خلفه وهو لا يبصره، فقال»؛ أي: زاهر: «أرسِلْني»؛ أي: اتركني «مَن هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل»؛ أي: طفق زاهر «لا يألو ما ألزق ظهره»، (ما) مصدرية، وقيل: زائدة؛ أي: لا يقصِّر في إلصاق ظهره «بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله! إذاً والله تجدني كاسداً، فقال النبي ﷺ: لكن عند الله تعالى لست بكاسد».

* * *

٣٧٩٨ - عَنْ عَوفِ بن مالِكٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ وهُوَ في قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَسَلَّمتُ فَرَدَّ عَلَيَّ وقَالَ: «ادخُلْ»، فَقُلْتُ: أَكُلِّي يا رسولَ الله؟ قالَ: «كُلُّكَ»، فَدَخَلْتُ قِيْل: إِنَّمَا قَالَ: أَدْخُلُ كُلِّي؟ مِنْ صِغَرِ القُبَّةِ.

«عن عوف بن مالك الأشجعي أنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فسلمت فردَّ علي فقال: ادخل، فقلت: أكلِّي يا رسول الله؟ قال: كلك، فدخلت» قيل: إنما قال: أدخل كلي، من صغر القبة.

* * *

٣٧٩٩ - عَنِ النُّعْمَانِ بن بشيرٍ أَنَّهُ قَالَ: اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكرٍ ﷺ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا عالِياً، فَلَمَّا دَخَلَ تناوَلَها لِيَلْطِمَهَا، وقَالَ: لاَ أَراكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ على رَسُولِ الله ﷺ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبو بَكْرٍ مُغْضَباً، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ حِيْنَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: «كَيْفَ رأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ؟»، قَالَتْ: فمكَثَ أَبُو بكْرٍ أَيَّاماً، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَجَعَا، فَقَالَ لَهُما: أَدْخِلاَنِي في سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي في حَرْبِكُمَا، فَقَالَ

النَّبيُّ ﷺ: قَدْ فَعَلْنَا، قد فَعَلْنا».

«عن النعمان بن بشير أنه قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً، فلما دخل تناولها»؛ أي: أخذها «ليلطمها»؛ أي: ليضربها.

«وقال: لا أراك» همزة الاستفهام مقدَّرة على سبيل الإنكار.

«ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ؟ فجعل النبي ﷺ»؛ أي: طفق.

«يحجزه»؛ أي: يمنع أبا بكر عن ضربها.

«وخرج أبو بكر مغضباً» ـ بفتح الضاد ـ أغضبه رفع صوتها.

«فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني أنقذتك من الرجل»؛ يعني: خلصتك من أبيك.

«قال: فمكث أبو بكر أياماً، ثم استأذن فدخل فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سِلْمِكما»؛ أي: صُلْحكما «كما أدخلتماني في حربكما» والمراد به رفع صوت عائشة للنبي ﷺ.

«فقال النبي ﷺ: قد فعلنا قد فعلنا»؛ أي: أدخلناك في صلحنا.

* * *

٣٨٠٠ ـ عَنِ ابن عبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لا تُمَارِ أَخَاكَ، ولا تُمازِحْهُ، ولا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ».

«عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: لا تُمار»؛ أي: لا تخاصم «أخاك ولا تمازحه» بما يتأذى منه.

«ولا تَعِدْه موعداً فتُخْلِفَه».

«غريب».

* * *

١٣ - باب
المُفاخرةِ والعصبيَّةِ

(باب المفاخرة والعصبية)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٨٠١ - عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قالَ: «أكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَتْقاهُمْ»، قالوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ الله، ابن نَبِيِّ الله، ابن نَبِيِّ الله، ابن خَلِيلِ الله»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُوني؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قالَ: «فَخِيارُكُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُم في الإِسْلامِ إذا فَقُهُوا».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله» سمي كريماً لأنه اجتمع له شرف النبوة والعلم وكرم الأخلاق والعدل ورئاسة الدنيا والدين.

«ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب»؛ أي: أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها «تسألوني؟ قالوا: نعم، قال: فخياركم في الجاهلية» بالمآثرة والشرف «خياركم في الإسلام إذا فقهوا» بضم القاف؛ أي: علموا آداب الشريعة وأحكام الإسلام، ومن لم يُسلم فقد هدم شرفه وضيَّعه.

* * *

٣٨٠٢ - وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الكَريمُ، ابن الكَريمِ، ابن الكَريْمِ، ابن

الكَرِيمِ: يُوسُفُ بن يَعْقُوبَ بن إِسْحَاقَ بن إِبْرَاهِيمَ صلَّى الله عليْهِم».

«وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»، (الكريم) اسم جامع لكل ما يحمد به، فإنه مع الشرف والفضائل المذكورة ابن ثلاثة أنبياء مرسلين، فأيُّ رجل أكرمُ من هذا؟.

* * *

٣٨٠٣ ـ عَنِ البَرَاءِ بن عَازِبٍ: أَنَّه قَالَ في يَوْمِ حُنَيْنٍ: كَانَ أبو سُفْيانَ بن الحَارِثِ آخِذاً بِعِنَانِ بَغْلَتِهِ ـ يَعْنِي: بَغْلَةَ رَسُولِ الله ﷺ ـ فلمَّا غَشِيَهُ المُشْرِكونَ نَزَلَ فَجَعَلَ يَقُولُ:

«أَنَـــا النَّبِـــيُّ لا كَـــذِبْ   أَنَـــا ابْـــنُ عَبْـــدِ المُطَّلِـــبْ»

قَالَ: فَمَا رُئِيَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَشَدُّ مِنْهُ.

«عن البراء بن عازب أنه قال: في يوم حنين كان أبو سفيان بن الحارث آخذاً بعنان بغلته ـ يعني: بغلة رسول الله ﷺ ـ فلما غشيه المشركون»؛ أي: غلبوه وأتوه من كل جانب «نزل» ﷺ عن بغلته.

«فجعل يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» قيل: انتسب ﷺ إلى عبد المطلب للتعريف دون المفاخَرة، وذلك أن عبدالله كان قد رأى في المنام أن شجرة عظيمة خرجت من صلبه وانتشرت، وبلغت أغصانُها في المغرب والمشرق، وارتفعت فروعها إلى السماء، فقص الرؤيا على المعبرين فعبروها بأنه نبي آخر الزمان يخرج من صلبك، وكانت هذه القصة مشهورةً فيما بين العرب، فأشار ﷺ بهذا إلى أنه هو الولد الذي رآه في المنام، وهذا وأمثاله مقولٌ على سبيل الشكر والتحدُّث بالنعمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

فَحَدِّثْ﴾، فاللام في (أنا النبي) حينئذ للعهد.

وقيل: انتسابه للمفاخرة، والافتخارُ المنهيُّ ما كان في غير جهاد الكفار، وقد رخَّص الخيلاء في الحرب مع نهيه عنها في غيرها.

«قال»؛ أي: الراوي: **«فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه»**؛ أي: أقوى وأشجع من النبي ﷺ.

* * *

٣٨٠٤ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يا خَيْرَ البَرِيَّةِ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ذاكَ إبراهِيمُ».

«وعن أنس ﷺ أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرية! فقال رسول الله ﷺ: ذاك إبراهيم عليه السلام» يحمل على أنه ﷺ قاله على جهة التواضع؛ ليوافق الأحاديث الدالة على فضله ﷺ على سائر البشر، أو يحمل على أن إبراهيم كان يُدْعَى بهذا النعت حتى صار عَلَماً له كالخليل، فيكون معنى (خير البرية) على هذا في إبراهيم راجعاً إلى مَن خُلق دون مَن لم يُخلق بعد.

* * *

٣٨٠٥ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تُطْرُوني كما أَطْرَتْ النَّصَارَى ابن مَرْيَمَ، فإنَّما أنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُالله ورَسُولُهُ».

«وعن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُطروني»؛ أي: لا تُجاوِزوا عن الحد في مدحي.

«كما أطرت النصارى ابن مريم»؛ أي: كما بالغوا في مدحه حتى ضلُّوا وجعلوه ولداً لله وإلهاً، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

«فإنما أنا عبده فقولوا» في حقي: «عبدالله ورسولُه».

* * *

٣٨٠٦ ـ عَنْ عِياضِ بن حِمارِ المُجاشِعيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَواضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، ولا يَبْغِي أَحَدٌ على أَحَدٍ».

«عن عياض بن حمار» المجاشعي «أن النبي ﷺ قال: إن الله ﷻ أوحى إليَّ أن تواضعوا»، (أن) هذه مفسِّرة، والتواضعُ تفاعُلٌ من الضَّعَة وهي الذلُّ والهوان.

«حتى لا يفخر أحد على أحد» والفخر ادعاءُ العظم والكبر والشرف.

«ولا يبغي»؛ أي: لا يظلم «أحد على أحد».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٨٠٧ ـ عَنْ أَبـي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبائِهِمْ الَّذينَ مَاتُوا، إِنَّما هُمْ فَحْمٌ مِنْ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى الله من الجُعَلِ الَّذي يُدَهْدِهُ الخُرْءَ بِأَنْفِهِ، إنَّ الله قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبـِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وفَخْرَهَا بِالآباءِ، إِنَّما هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بنو آدمَ، وآدَمُ مِنْ تُرابٍ».

«من الحسان»:

«عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونُنَّ»؛ أي: القوم.

«أهون على الله»؛ أي: أذلَّ.

«من الجعل» بضم الجيم وفتح العين: هي الدُّوَيبَّة السوداء.

«الذي يدهده الخرء»؛ أي: يدحرج العَذِرة والرَّوث.

«بأنفه» شبَّه ﷺ المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعل، وآباءَهم المُفْتخَرَ بهم بالعذرة، ونفسَ افتخارهم بهم بالدهدهة بالأنف، و(أو) في (ليكونن) لأحد الأمرين من الانتهاء عن الافتخار بآبائهم ومن كونهم أذلَّ عند الله من الجعل الموصوف، والتخيير ثابتٌ في وصفهم بأيهما أريد، وجاز جَعْلُ (أو) بمعنى (إلا) الاستثنائية، والمعنى: لينتهين الأقوام المذكورون، وإلا؛ أي: وإن لم ينتهوا عن الافتخار بالآباء فوالله ليكونن كذا.

«إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية» بضم العين وكسرها وفتح الباء ثم الياء المشددة؛ أي: فخرَها وتكبُّرها.

«وفخرها بالآباء، إنما هو»؛ أي: المفتخر المتكبر بالآباء «مؤمن تقي» فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، «أو فاجر شقي» فهو ذليل عند الله، والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفيٌّ بكل حال.

«الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب»؛ أي: خُلق منه فلا يليق بمن أصلُه التراب أن يفتخر.

* * *

٣٨١٦ - وعن مُطَرِّفٍ قَالَ: انطَلَقْتُ في وَفْدِ بني عَامِرٍ إلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْنَا: أنتَ سَيدنُا، فَقَال: «السَّيدُ الله»، فَقُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وأَعْظَمُنَا طَوْلاً، فَقَال: «قُولُوا قَوْلَكُم، أَوْ بَعْضَ قَولِكُمْ، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشَّيْطَان».

«وعن مطرف بن عبدالله [بن] الشخير أنه قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا»، سلك القوم فيه على عادتهم في الخطاب مع رؤسائهم، فكرهه ﷺ لأنه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبي ﷺ

والرسول، فإنها المنزلة التي لا منزلة وراءها لأحد من البشر، وحوَّل الأمر فيه إلى الحقيقة.

«فقال: السيد هو الله»؛ أي: الذي يملك أمور الخلق ويسوسهم هو الله تعالى، وأما العبد فسيادته قاصرة، قيل: إنما منعهم أن يدعوه سيداً مع أنه ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم»؛ لأنهم قوم حديثُ[ـوا] عهد بالإسلام، فحسبوا أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا.

«فقلت: أنت أفضلنا فضلاً وأعظمنا طَوْلاً»؛ أي: عطاء.

«فقال: قولوا قولكم»؛ أي: قولوا مجموع ما قلتم من قولكم: (أفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً).

«أو بعض قولكم» بأن تقتصروا على إحدى الكلمتين من غير حاجة إلى المبالغة بهما.

أو معناه: قولوا قولَ أهل ملَّتكم، فخاطبوني بما يخاطبونني: بالنبي والرسول، ودعوا التكلُّف في الثناء.

«ولا يَسْتجرينَّكم الشيطان»؛ أي: لا يتَّخذنكم جَرِيَّه؛ أي: وكيله، وهو من الجريِّ: الوكيل؛ لأنه يجري مجرى موكِّله، يريد: تكلموا بما حضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان تنطقون عنه في الإضلال والكفر والبدع، أو من الجرأة ـ بالهمزة ـ وهو الشجاعة، فالمعنى: لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلُّم بما لا يجوز.

* * *

٣٨٠٨ ـ عَنِ الحَسَنِ بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الحَسَبُ المَالُ، والكَرَمُ التَّقْوَى».

«عن الحسن بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: الحسب» بفتح الحاء والسين المهملتين، وهو ما يفتخر به الرجل من خصال حميدة توجد فيه وفي آبائه؛ يعني: الشيء الذي يكون الرجل به عظيمَ القَدْر عند الناس:

«المال، والكرم» وهو ضد اللوم؛ يعني: الشيء الذي يكون الرجل به عظيم القَدْر عند الله: «التقوى»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] والافتخار بالآباء ليس بشيء منهما.

* * *

٣٨٠٩ - وعَنْ أُبَيِّ بن كَعْبٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزاءِ الجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيْهِ ولا تَكْنُوا».

«وعن أبي بن كعب أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن تعزَّى»؛ أي: انتسب «بعزاء الجاهلية»؛ أي: بنسبها؛ يعني: مَن افتخر بآبائه وقبائله الكفارِ على العادة الأولى.

«فأَعِضُّوه بِهَنِ أبيه»؛ أي: قولوا له: اعضض بأير أبيك.

«ولا تكنوا» عن الأير بالهنِ؛ تنكيلاً له عما تباهى به، والعضُّ: أخذ الشيء بالأسنان.

قال [أبو] عبيد الهروي: الهنُ: القبيح من الفعل والقول؛ يعني: قولوا له: اذكر قبائح آبائك من عبادة الأصنام والزنا وشرب الخمر وغيرها، ويجوز أن يكون معناه: عُدُّوا أنتم يا مسلمون قبائح آبائه ولا تكنوا؛ أي: لا تذكروا قبائح آبائه بطريق الكناية بل بالمجاهرة والتصريح، فلعله يستحي من الافتخار بآبائه.

* * *

٣٨١٠ ـ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن أَبي عُقْبَةَ، عَنْ أَبـي عُقْبَةَ ﷺ، وكَانَ مَوْلَى مِنْ أَهْلِ فَارِسٍ، قَالَ: شَهِدْتُ معَ رَسُولِ الله ﷺ أُحُداً، فَضَرَبْتُ رَجُلاً مِنَ المُشْرِكينَ، فَقُلْتُ: خُذْها مِنِّي وأَنا الغُلامُ الفَارِسيُّ، فَالْتَفَتَ إلَيَّ فقالَ: «هَلاَّ قُلْتَ: خُذْها مِنِّي وأَنا الغُلامُ الأَنْصارِيُّ؟».

«عن عبد الرحمن بن أبي عقبة، عن أبي عقبة وكان مولًى»؛ أي: معتقاً «من أهل فارس أنه قال: شهدت»؛ أي: حضرت «مع رسول الله ﷺ أُحداً، فضربتُ رجلاً من المشركين فقلت: خذها»؛ أي: الضربة أو الطعنة مني.

«وأنا الغلام الفارسي، فالتفت»؛ أي: الرسول ﷺ «إليَّ فقال: هلاَّ قلت: خذها مني وأنا الغلام الأنصاري»؛ أي: هلاَّ افتخرت بشرف النسبة؛ يعني: إذا افتخرت عند الضراب فانتسب إلى الأنصار الذين هاجرتُ إليهم ونصروني، وكان عادة المحاربين إذا خرج واحد منهم للمبارزة أن يخبره باسمه وقبيلته إظهاراً لشجاعته، وكان أهل فارس في ذلك الزمان كفاراً، فكره ﷺ الانتسابَ إليهم لذلك وأمره بالانتساب إلى الأنصار.

* * *

٣٨١١ ـ عنِ ابن مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَال: «مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ فَهُوَ كَالبَعيرِ الَّذي تردَّى، فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنَبِـهِ».

«عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي تردَّى»؛ أي: سقط في البئر وهلك.

«فهو يُنزع بذنبه» شبَّه القوم بالبعير الهالك؛ لأن من كان على غير الحق فهو هالكٌ، وشبَّه ناصرهم بذَنَب هذا البعير الهالك؛ لأنه يُنزع بذَنَبه منها فلا يقدر على خلاصه وإن جهد كل الجهد بنزعه إياه بالذَّنَب، فكما أن نزعه بذَنَبه

لا يخلِّصه من الهلكة، فكذلك الناصر على غير الحق وقع في الإثم والهلاك.

* * *

٣٨١٢ ـ عَنْ واثِلَةَ بن الأَسْقَع قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله! مَا العَصَبِيَّةُ؟ قال: «أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ على الظُّلْمِ».

«**وعن واثلة بن الأسقع أنه قال: قلت: يا رسول الله! ما العصبية؟**»؛ أي: التعصب.

«**قال: أن تُعين قومك على الظلم**».

* * *

٣٨١٣ ـ وعَنْ سُراقَةَ بن مالِكِ بن جُعْشُم قَالَ: خَطَبنا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «خَيْرُكُمْ المُدافِعُ عَنْ عَشِيرَتِهِ مَا لَمْ يَأْثَمْ».

«**عن سراقة بن مالك بن جُعْشُم أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: خيركم المدافع**»؛ أي: مَن يدفع الظلم «**عن عشيرته**»؛ أي: عن أقاربه.

«**ما لم يأثم**»؛ أي: ما لم يظلم؛ يعني: لو قدر في دفعه عنهم بكلام لم يَجز له الضربُ، ولو قدر بالضرب لم يجز له بالقتل.

* * *

٣٨١٤ ـ عَنْ جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، ولَيْسَ مِنّا مَنْ قاتَلَ عَصَبِيَّةً، ولَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ».

«**عن جبير بن مطعم: أن رسول الله ﷺ قال: ليس منا من دعا إلى عصبية**»؛ أي: إلى معاونة ظالم.

«**وليس منا من قاتل عصبيةً**»؛ أي: بالباطل.

«وليس منا من مات على عصبية»؛ أي: على الباطل.

* * *

٣٨١٥ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ».

«عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: حبك الشيء يُعمي»؛ أي: يجعلك أعمى عن رؤية معايبه بحيث لا تبصر فيه عيباً.

«ويصم»؛ أي: يجعلك أصمَّ عن سماع قبائحه بحيث لا تسمع منه كلاماً قبيحاً لاستيلاء سلطان المحبة على فؤادك، وعينُ المحبِّ عمياءُ وأذنُه صمَّاءُ.

* * *

١٤ ـ باب
البرِّ والصِّلَةِ

(باب البر والصلة)

يريد بالصلة: صلة الرحم وغيرها، والبر أعم منها.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٨١٧ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أبوكَ».

ويُروَى: مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أَدْناكَ أدناكَ».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رجل: يا رسول الله! من أحقُّ بحسن

صحابتي؟»؛ أي: مَن الأَوْلى بأن أُحسنَ إليه وأَحفظَ حقوقه.

«قال: أمك، قال: ثم مَن؟ قال: أمك، قال: ثم مَن؟ قال: أمك، قال: ثم مَن؟ قال أبوك».

ويروى: من أبرُّ؟ قال: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك فأدناك»؛ أي: أقرباءك.

* * *

٣٨١٩ - وقَالَ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ»، قِيْلَ: مَنْ يا رسولَ الله! قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ والِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدَهُما أَوْ كِلَيْهِما، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: رغم أنفه» معناه: لصق بالرَّغام وهو ترابٌ مختلطٌ بالرمل، والمراد منه الذل، إخبارٌ أو دعاءٌ عليه.

«رغم أنفه، رغم أنفه، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدُهما» بالرفع فاعلٌ للظرف وهو: (عند)، «أو كلاهما» عطف عليه، وفي بعض النسخ بالنصب، فيكون بدلاً عن (والديه)، خص حال الكبر لأنه أحوجُ الأوقات إلى الخدمة والإحسان إليهما.

«ثم لم يدخل الجنة»؛ يعني: بسبب عقوقهما والتقصيرِ في حقوقهما.

* * *

٣٨٢٠ - وعَنْ أَسْمَاءَ بنتِ أَبـي بَكْرٍ أَنَّها قَالَت: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهيَ مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله! إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وهيَ راغِبَةٌ، أَفَأَصِلُها؟ قالَ: «نعَمْ، صِلِيْهَا».

«عن أسماء بنت أبي بكر ﵄ أنها قالت: قدمتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد قريش، فقلت: يا رسول الله! إن أمي قدمت علي وهي راغبة»؛ أي: في صلتي وطامعةٌ لعطائي، وقيل: راغبة في الإسلام، ويروى: (راغمة) بالميم، قيل: هو الصواب؛ أي: ذليلة محتاجة إلى عطائي، أو غاضبة لإسلامي وهجرتي.

«أفأَصِلُها؟»؛ أي: أعطيها شيئاً.

«قال: نعم صليها»؛ أي: أعطيها، وفيه دليل بوجوب نفقة الأب والأم الكافرين على الولد المسلم، وأن الإحسان إلى الكفار جائز.

* * *

٣٨٢٠/ م - وعَنْ عَمْرِو بن العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ آلَ أَبي فُلانٍ لَيْسوا لي بأَوْلِياءَ، إنَّما وَليـيَ الله وصَالِحُ المُؤْمِنينَ، ولكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّها بـبَلالِها».

«عن عمرو بن العاص أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن آل أبي فلان» قيل: هذه الكناية من بعض الرواة خوفاً من الفتنة، والمكنيُّ عنه هو أبو سفيان، وقيل: هو الحكم بن العاص.

«ليسوا لي بأولياء»؛ أي: لا أوالي أحداً بالقرابة ولا أحبه.

«إنما وليـيَ الله وصالح المؤمنين» قيل: المراد بهم الأنبياء، وقيل: أبو بكر وعمر ﵄، وقيل: علي كرم الله وجهه.

«ولكن لهم رحم أبلُّها ببلالها»، (البـلال) بكسر الباء: كل ما يُبل به الحلق من الماء واللبن، والمراد به هنا: ما يوصَل به الرَّحِمُ من الإحسان؛ أي: أصِلُ تلك الرحم بصلتها والإحسان إليهم.

* * *

٣٨٢١ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُم عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، وَوَأْدَ البناتِ، ومَنْعاً وَهَاتِ، وكَرِهَ لَكُم قِيلَ وقَالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ».

«عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات»؛ أي: عصيانها، خصَّ الأم لأن لعقوقها مزيةً في القبح.

«ووأد البنات»؛ أي: دفنهن أحياء.

«ومنع» يروى على بناء الماضي وعلى المصدر، «وهات» اسم فعل بمعنى أعطني؛ عبَّر بهما عن البخل والمسألة، وقيل: منع الواجب من الحقوق وأخذ ما لا يحلُّ من أموال الناس.

«وكره لكم قيل وقال»؛ أي: نهى عن فضول ما يتحدث به المجالسون من قولهم: قيل كذا وقال كذا، وقيل: المراد بهما النهي عن القول بما لا يصح ولا تُعلم حقيقته، وقيل: أراد النهي عن كثرة الكلام مبتدئاً ومجيباً؛ لأن كثرته تُورث قساوة القلب.

«وكثرة السؤال»؛ أي: من العلماء فيما لا حاجة فيه للمعاندة والمعارضة، أو هي مسألة الناس أموالَهم، أو السؤالُ عن أمورهم وكثرةُ البحث عنها.

«وإضاعة المال»؛ أي: إنفاقه في غير طاعة الله، وإيتاؤه صاحبَه وهو سفيه حقيقٌ بالحجر، وقيل: التبذير والإسراف وإن كان في حلالٍ مباحٍ، كمجاوزة الحد في النفقة والملبس والمفرش وتمويه الأواني والسقوف.

* * *

٣٨٢٢ ـ وقَالَ: «مِنَ الكَبائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ والِدَيْهِ»، قالوا: يا رسولَ الله! وهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ والِدَيْهِ؟ قال: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

«وعن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من الكبائر شتم

الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» فإن عقوق الوالدين من الكبائر، وارتكابُ ما يفضي إلى سب أحدهما مما يقرُب إلى العقوق، قيل: إنما يكون هذا من العقوق إذا كان المسابة بالزنا والكفر أو البهتان.

* * *

٣٨٢٣ ـ وقَالَ: «إنَّ مِنْ أَبَرِّ البـرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبيهِ، بَعْدَ أَنْ يُوَلِّي الأَبُ».

«وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه» بضم الواو بمعنى المودة.

«بعد أن توفي»، في بعض: (بعد أن يولي)؛ أي: غاب، أعم من أن يكون بموتٍ أو سفر، وفيه إشارةٌ إلى تأكيد حق الأب.

* * *

٣٨٢٤ ـ وقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، ويُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

«وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له»؛ أي: يؤخَّر.

«في أثره» وهو ما بقي من رسم الشيء، والمراد هنا: ما بقي من العمر والأجل.

«فليصل رحمه» ويجوز أن يكون المعنى: إن الله يبقي أثر واصل الرحم مدة طويلة في الدنيا، وأنه لا يضمحل سريعاً.

* * *

٣٨٢٥ ـ وقَالَ: «خَلَقَ الله الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قامَتْ الرَّحِمُ فأَخَذَتْ بِحِقْوَي الرَّحمَنِ، فقالَ: مَهْ؟ قَالَتْ: هَذَا مَقامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، يَا رَبِّ! قَالَ: فَذَاكَ لَكِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله الخلق»؛ أي: قدَّر المخلوقات في علمه السابق على ما هم عليه وقت وجودهم.

«فلما فرغ منه»؛ أي: قضاه وأتمه؛ لأن الفراغ الحقيقي بعد الشغل، وهو على الله ممتنع.

«قامت الرحم فأخذت بحقوِي الرحمن» والأصل في الحقو ـ بالفتح ـ: معقد الإزار، ثم سمي به الإزار للمجاورة، قيل: المراد به كبرياء الله وعظمته، وهذا تمثيل واستعارة؛ يعني: التجأت الرحم وعاذت بعزة الله وعظمته من أن يقطع أحد الرحم.

«فقال: مه» بطريق الزجر للرحم؛ أي: اكْفُفي وامتنعي عن هذا الالتجاء، ويجوز أن يكون استفهاماً فقلبت الألف هاءً؛ يعني: ما لك؟ بأيِّ سبب عذت بي؟ فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الاستعلام.

«قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة» (هذا) صفةُ محذوفٍ؛ أي: مقامي هذا مقامُ المستعيذ بك من قطيعتي.

«قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك»؛ أي: أفعل ما قلتُ مِن وصلي مَن وصلك وقطعي مَن قطعك.

* * *

٣٨٢٧ ـ وقَالَ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ، تَقولُ: مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ الله، ومَنْ قَطَعَني قَطَعَه الله».

«وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: الرحم معلقة بالعرش»؛ أي: متمسكةٌ به تتعوَّذ بالله مِن قَطْع الرحم، وهذا من باب التمثيل أيضاً، وفيه تنبيهٌ على منزلتها عند الله حيث جعل الرحم متشبثةً بالعرش الذي هو أعظم خلق الله تعالى.

«تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله تعالى»؛ أي: قطع عنه كمال عنايته، وهذا إخبارٌ أو دعاء.

* * *

٣٨٢٦ ـ وقَالَ: «الرَّحِمُ شجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، قالَ الله تَعَالَى: مَنْ وَصَلكِ وَصَلْتُهُ، ومَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: الرحم شجنة» بضم الشين المعجمة وكسرها: عروقُ شجرٍ متداخلةٌ.

«من الرحمن»؛ يعني حروف الرحم موجودة في اسم الرحمن ومتداخلةٌ فيه كتداخل العروق؛ لكونهما من أصل واحد وهو الرحمة.

«فقال الله تعالى: من وصلك وصلْته»؛ أي: بالرحمة.

«ومن قطعك قطعته»؛ يعني: أعرضت عنه.

* * *

٣٨٢٨ ـ وقَالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قاطِعُ رَحِمٍ».

«وعن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة قاطع»؛

أي: قاطع الرحم، وهذا محمولٌ على من اعتقد حِلَّ القطيعة.

* * *

٣٨٢٩ - وقَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بالمُكَافِئِ، ولَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها».

«وعن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ليس الواصل» اللام فيه لتعريف الجنس؛ يعني: ليس حقيقةُ الواصل ومَن يعتدُّ به وصله.

«بالمكافئ »؛ أي: الذي إذا أنعم عليه صاحبه يجازيه بمثل ما فعله.

«ولكن الواصل»؛ أي: الذي يعتدُّ وصله.

«هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها»؛ يعني: يصل قريبه الذي يقطع عنه.

* * *

٣٨٣٠ - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِيْ قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيقْطَعُوني، وأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ويُسِيؤُونَ إِلَيَّ، وأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فقالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتُ فَكَأَنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ، ولا يَزالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِك».

«وعن أبي هريرة ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابة»؛ أي: ذوي قرابة.

«أصلهم ويقطعوني، وأُحسن إليهم ويسيئون إلي، وأَحْلُم عنهم» بضم اللام من الحلم وهو الأناة.

«فيجهلون علي»: أن يسبون.

«فقال: لئن كنت كما قلت»؛ أي: إن كان مقولك ذلك كما قلت.

«فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ» (تُسِف) من باب الإفعال من السفوف، و(المَل) بفتح الميم، وهو الرماد الحار، معناه: كأنما تطعمهم المَلَّ، شبَّه النبي ﷺ ما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد من الألم.

وقيل: معناه: إنك بالإحسان إليهم تُخزيهم وتحقرهم في أنفسهم، فصاروا كمن سفَّ المل.

وقيل: معناه: إحسانك إليهم كالمل تحرق أحشاءهم.

«ولا يزال معك من الله ظهير عليهم»؛ أي: معينٌ دافع عنك أذاهم.

«ما دمت على ذلك»؛ أي: على الإحسان إليهم.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٨٣١ ـ عَنْ ثَوبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَرُدُّ القَدَرَ إلاَّ الدُّعاءُ، ولا يَزِيدُ في العُمُرِ إلاَّ البِرُّ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُهُ».

«من الحسان»:

«عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: لا يردُّ القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر» قيل: المراد من (القَدَر): الأمر الذي لولا الدعاءُ لكان مقدَّراً، ومن (العمر): العمر الذي لولا البر لكان قصيراً، وهذا من القضاء المعلَّق، فيكون الدعاء والبر سببين من أسباب ذلك وهما مقدَّران كتقدير حسن الأعمال وسيئها اللذين هما من أسباب السعادة والشقاوة مع أنهما مقدَّران أيضاً.

«وإن الرجل ليحرم الرزق»؛ أي: يصير محروماً من الرزق.

«بالذنب يصيبه»؛ أي: بشؤم اكتسابه ذنباً، وقيل: معناه: الذنب إذا فكَّر في عاقبته كدَّر في صفاء الرزق فكأنه حُرِمَه بسبب ذنبه، وإلا فالكفار أكثر رزقاً،

والفسّاقُ تراهم أكثر أموالاً وصحةً من الصُّلحاء.

وقيل: هذا الحديث خاص ببعض الناس، فإن الله تعالى إذا أراد أن يدخل مسلماً مذنباً الجنة بلا عذاب يَلْحقُه بذنبه في الآخرة عاقبه بذنبه في الدنيا بأن يصيبه عقيب ذنبٍ ارتكبه مثلاً من فقر، أو مرض، أو ضيق قلب، أو غير ذلك، ثم يلهمه أن هذا بشؤم ذلك الذنب ليُتيبه ويتوبَ عليه.

* * *

٣٨٣٢ ـ وقَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فيها قِراءَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هذا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بن النُّعمَانِ، كذلِكُمُ البِـرُّ، كَذلِكُمُ البِـرُّ ـ، وكَانَ أَبرَّ النَّاسِ بأُمِّهِ ـ».

«وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان كذلكم البر كذلكم البر» المشار إليه ما سبق، والمخاطبون الصحابة؛ يعني: مثلُ تلك الدرجةِ تُنال بسبب البر.

«وكان»؛ أي: حارثة **«أبرَّ الناس بأمه»** وهذا من كلام الراوي.

* * *

٣٨٣٣ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رِضا الرَّبِّ في رِضَا الوَالِدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوَالِدِ».

«وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد»؛ يعني إذا رضي الوالد من الولد رضي الرب عنه، وكذلك السخط، وهكذا رضا الوالدة.

* * *

٣٨٣٤ ـ عَنْ أَبِـيْ الدَّرْداءَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَحَافِظْ عَلَى البَابِ أَوْ ضَيـعْ».

«عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة»؛ أي: خير أبوابها وأفضلُها؛ يعني أن للجنة أبواباً وأحسنُها دخولاً أوسطُها، وأن سبب دخول ذلك الباب الأوسط هو محافظة حقوق الوالدين ورضاهم عنه.

«فإن شئت فحافظ على الباب أو ضيـعْ».

* * *

٣٨٣٥ ـ وعَنْ بَهْزِ بن حَكِيْمٍ، عنْ أَبـيْه، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلتُ: يا رَسُولَ الله! مَنْ أَبَرُّ؟ قالَ: «أُمَّكَ»، قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «أُمَّكَ»، قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمَّكَ، قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «أَباكَ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فالأَقْرَبَ».

«عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله! مَن أَبَرُّ؟» على صيغة المتكلم.

«قال: أمك، قلت: ثم من؟ قال: أمك، قلت: ثم من؟ قال: أمك، قلت: ثم من؟ قال: أباك، ثم الأقرب فالأقرب».

* * *

٣٨٣٦ ـ عن عبدِ الرَّحمنِ بن عَوْفٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قالَ الله تباركَ وتعالى: أنا الله، وأنا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وشَقَقْتُ لها من اسمي، وَمَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعها بَتَتُّهُ».

«عن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: أنا الله وأنا الرحمن خلقتُ الرحم وشققتُ لها من اسمي»؛ يعني:

الرحم مشتقةٌ من الرحمن.

«فمن وصلها وصلْتُه، ومن قطعها بَتَتُّه»؛ أي: قطعته من رحمتي.

* * *

٣٨٣٧ ـ وعن عبدِالله بن أبي أَوْفَى ﷺ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ على قَوْمٍ فيهِمْ قاطِعُ رَحِمٍ».

«عن عبدالله بن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع الرحم» والمراد بهم هم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه ذلك، أو المراد بالرحمة المطر؛ أي: يحبس المطر عنهم بشؤم قاطع الرحم.

* * *

٣٨٣٨ ـ وقال ﷺ: «ما مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصاحِبِـهِ العُقوبَةَ في الدُّنْيا مَعَ ما يَدَّخِرُ لهُ في الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وقَطيعَةِ الرَّحِمِ».

«وعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما من ذنب أحرى»؛ أي: أجدر وأقرب.

«أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة»؛ أي: من العقوبة.

«من البغي» متعلق بـ (أحرى)؛ أي: من الظلم والتكبر «وقطيعة الرحم».

* * *

٣٨٣٩ ـ وقال: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنَّانٌ، ولا عاقٌّ، ولا مُدْمِنُ خَمْرٍ».

«عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة منَّان»: قيل:

هو قاطع الرحم، من المن: القطع؛ يعني: لا يدخلها مع الفائزين، أو لا يدخلها حتى يعاقب بما اجترحه من الإثم، وقيل: هو الذي يمن على الناس بما يعطيهم.

«ولا عاق»؛ أي: الذي يعصي والديه.

«ولا مدمن خمر»؛ أي: الذي يداوم على شرب الخمر.

* * *

٣٨٤٠ ـ وقال: «تَعَلَّمُوا من أَنْسابِكُمْ ما تَصِلُونَ بِهِ أَرْحامَكُمْ، فإنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ في الأَهْلِ، مَثْراةٌ في المالِ، مَنْسَأَةٌ في الأَثَرِ»، غريب.

«**وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**»؛ يعني: تعلَّموا من أسماء آبائكم وأجدادكم وأعمامكم وأخوالكم وجميع أقاربكم لتعرفوا أقاربكم؛ ليمكنكم صلة الرحم، فإن معنى الصلة التقرُّبُ إليهم والشفقةُ عليهم.

«**فإن صلة الرحم محبة في الأهل**»؛ أي: سببٌ لها.

«**ومثراة في المال**»؛ أي: سببٌ لكثرة المال.

«**ومنسأة في الأثر**»؛ أي: سبب لتأخير الأجل وطول العمر.

«**غريب**».

* * *

٣٨٤١ ـ عن ابن عُمَرَ ﷺ: أنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبـيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله! إنِّي أَصَبْتُ ذَنباً عَظيماً، فهل لي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قالَ: «هل لكَ مِنْ أُمٍّ»؟ قالَ: لا، قالَ: «وهَلْ لكَ مِنْ خالَةٍ»؟ قالَ: نعَمْ، قالَ: «فَبرَّها».

«عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني أصبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ قال: هل لك من أم؟ قال: لا، قال: وهل لك من خالة؟ قال: نعم، قال: فبرَّها» بفتح الباء بصيغة الأمر، من (بَرِرْتُه) بالكسر: إذا أحسنت إليه.

لعل ذلك الذنب من الصغائر عَلِمَ النبي ﷺ أن صلة الرحم تكون كفارةً له، فوصْفُه بكونه عظيماً على ظنه، فلا ينبغي للمؤمن أن يحتقر الذنب لأنه عصيان الباري تعالى، وإن كان من الكبائر كان مخصوصاً بذلك الرجل.

* * *

٣٨٤٢ ـ عن أبي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قال: بينا نحنُ عندَ رسولِ الله ﷺ إذ جاءَه رَجُلٌ مِن بني سَلَمَةَ فقالَ: يا رسولَ الله! هل بقيَ مِن برِّ أَبَوَيَّ شيءٌ أَبَرُّهُما بهِ بعدَ مَوْتِهِما؟ قال: «نعم، الصَّلاةُ عليهما، والاستِغْفارُ لهما، وإنفاذُ عَهْدِهِما مِن بَعدِهِما، وصِلَةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صَديقِهِما».

«عن أبي أسيد الساعدي أنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله! هل بقي من أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما»؛ أي: الدعاء لهما.

«والاستغفار لهما، وإنفاذُ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصل إلا بهما»؛ يعني صلة الأقارب التي تتعلق بالأب والأم؛ يعني: الإحسان إلى أقاربهما.

«وإكرام صديقهما».

* * *

٣٨٤٣ ـ عن أبي الطُّفَيْلِ ﷺ قال: «رأيتُ النَّبـيَّ ﷺ يَقْسِمُ لَحْماً بالجِعِرَّانةِ، إذ أَقبلَتِ امرأةٌ حتى دَنَتْ إلى النَّبـيِّ ﷺ، فَبَسَطَ لها رِداءَهُ فجلسَتْ عليهِ، فقلتُ: مَن هي؟ فقالوا: هذه أُمُّهُ التي أَرْضَعَتْهُ».

«عن أبي الطفيل قال: رأيت النبي ﷺ يقسم لحماً بالجِعْرانة»: اسم موضع.

«إذ أقبلت امرأة حتى دنت»؛ أي: قربت «إلى النبي ﷺ، فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: مَن هي؟ فقالوا: هذه أمُّه التي أرضعته».

* * *

١٥ ـ باب

الشَّفَقَةِ والرَّحْمَةِ على الخَلْقِ

(باب الشفقة والرحمة على الخلق)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٨٤٤ ـ عن جَريرِ بن عبدِالله ﷺ قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَرْحَمُ الله مَن لا يَرْحَمُ النَّاسَ».

«من الصحاح»:

«عن جرير بن عبدالله ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: لا يرحـم الله من لا يرحم الناس» يكون نفي الرحمة عنه مؤوَّلاً بأن [لا] يكون مع الفائزين السابقين.

* * *

٣٨٤٥ ـ عن عائِشَةَ رضيَ الله عنها قالت: جاءَ أعرابيٌّ إلى النَّبـيِّ ﷺ

فقال: أَتُقَبِّـلونَ الصِّبيانَ؟ فما نُقَبِّـلهُم، فقال النَّبـيُّ ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ لكَ أنْ نَزَعَ اللهُ مِن قَلْبِـكَ الرَّحْمَةَ؟».

«وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال»؛ أي: الأعرابي للنبي ﷺ وأصحابه: «أتقبـلون الصبيان»؛ أي: أتقبـلون أنتم صبيانكم.

«فما نقبلهم»، (ما) نافية.

«فقال النبي ﷺ: أوَأَمْلِكُ لك» ـ بفتح الواو ـ «أن نزع الله»، (أن) هذه مصدرية؛ أي: لا أملك نزْعَ الله؛ أي: دَفْعَ نزعه «من قلبك الرحمة»، أو لا أقدر أن أضع في قلبك ما نزعه الله منه من الرحمة. أو شرطية؛ أي: إن نزعها من قلبك لا أملك لك دفعه ومنعه.

* * *

٣٨٤٦ ـ وعن عائِشَةَ قالت: جاءتني امرَأَةٌ مَعَها ابنتانِ تَسألُني، فلم تَجِدْ عندي غيرَ تمرةٍ واحدةٍ، فأعطيتُها، فقَسَمَتْها بينَ ابنتَيْها، ثُمَّ خَرَجَتْ، فدخلَ النبيُّ ﷺ وحدَّثتُه، فقال: «مَن يَلي مِن هذه البناتِ شيئاً فأَحْسَنَ إليهِنَّ كُنَّ له سِتْراً مِن النَّارِ».

«وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم خرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته، فقال: مَن بُلِيَ» البلاء: الامتحان.

«مِن هذه البنات بشيء»، (من) هذه بيانيةٌ [وهي] مع مجرورها حالٌ عن (شيء).

«فأحسن إليهن» قيل: بتزويجهن بالأكفاء، والأوجهُ أن يعم الإحسان.

«كنَّ له ستراً من النار» لأن احتياجهن إلى الإحسان كان أكثر حالَ الصغر والكبر، فمن سترهن بالإحسان يجازَى بالستر من النيران.

* * *

٣٨٤٧ ـ وعن أنسٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن عالَ جارِيَتَيْنِ حتَّى تَبْلُغا جاءَ يومَ القيامةِ أنا وهو هكذا»، وضَمَّ أصابِعَهُ.

«**وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من عال جاريتين**»؛ يعني: مَن ربَّى صغيرتين وقام برعاية مصالحهما من قوتٍ وكسوةٍ وغيرهما.

«**حتى تبلغا**»؛ أي: تصيرا بالغتين.

«**جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا**»؛ أي: جاء مصاحباً لي.

«**وضم**»؛ أي: النبي ﷺ «**أصابعه**» مشيراً إلى قُرب ذلك الرجل منه، وهذا من كلام الراوي.

* * *

٣٨٤٨ ـ وقال: «السَّاعي على الأَرْمَلَةِ والمِسْكينِ كالسَّاعي في سبيلِ الله»، وأحسِبُه قالَ: «كالقائِمِ لا يَفْتُرُ، وكالصَّائمِ لا يُفطِرُ».

«**وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الساعي على الأرملة**» وهي بفتح الميم: مَن لا زوج لها، غنيةً كانت أو فقيرة، تزوَّجت قبل ذلك أم لا.

«**والمسكين**» أراد بالساعي الكاسب لتحصيل مؤونتها.

«**كالساعي في سبيل الله**»؛ يعني يكون ثوابه كثواب الغازي.

«**وأحسبه**»؛ أي: قال الراوي: أظنه؛ أي: النبي ﷺ «**قال: كالقائم**»؛ أي: في العبادة.

«لا يَفْتُر»؛ أي: لا يضعف عنها.

«وكالصائم لا يفطر».

* * *

٣٨٤٩ ـ وقال: «أنا وكافِلُ اليَتيمِ، لهُ ولغَيرِهِ، في الجَنَّةِ هكذا»، وأشارَ بالسَّبَّابَةِ والوُسْطَى، وفرَّجَ بينَهما شيئاً.

«وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أنا وكافل اليتيم»؛ أي: القائم بأمره المربي له سواءٌ كان اليتيم «له»؛ أي: لذلك الكافل كابن ابنه وإن سفل، أو ابن أخيه.

«أو لغيره» من الأجنبي.

«في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً».

* * *

٣٨٥٠ ـ وقال: «تَرَى المُؤْمنينَ في تَراحُمِهِم وتَوادِّهم وتَعاطُفِهِم كمثَلِ الجَسَدِ، إذا اشتكَى عُضْواً تداعَى لهُ سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى».

«وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم وتعاطُفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً»؛ أي: تألَّم من جهة عضو.

«تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» التداعي: أن يدعو بعضهم بعضاً ليتفقوا على فعل شيء؛ يعني: كما أن عند تألُّم بعض أعضاء الجسد يسري ذلك إلى كلِّه، فكذا المؤمنون كلُّهم كنفسٍ واحدة إذا أصاب واحداً منهم مصيبةٌ ينبغي أن يغتم بها جميعهم ويهتموا[1] بإزالتها عنه.

* * *

(١) في «غ»: «ويهموا».

٣٨٥١ ـ وقال: «المؤمنونَ كرجلٍ واحدٍ إن اشتكَى عينُه اشتكَى كلُّه، وإنْ اشتكَى رأسُه اشتكَى كلُّه».

«**وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمنون كرجلٍ واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله**».

* * *

٣٨٥٢ ـ وعن أبي مُوسى، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «المُؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضاً»، ثُمَّ شَبَّكَ بينَ أصابعِه.

«**وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان**» وهو الحائط.

«**يشد بعضه بعضاً**»؛ يعني: المؤمن لا يتقوَّى في أمر دينه ودنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البناء يَقْوَى ببعضه.

«**ثم شبك بين أصابعه**»؛ أي: أدخل أصابع إحدى اليدين بين أصابع اليد الأخرى.

* * *

٣٨٥٣ ـ وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه كانَ إذا أتاهُ السَّائِلُ أو صاحِبُ الحاجَةِ قال: «إشفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، ويقضي الله على لسانِ رسولِهِ ما شاءَ».

«**وعنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال: اشفعوا له**»؛ أي: لصاحب الحاجة إليَّ وإلى غيري إن كان مضطراً.

«**فلتؤجروا**»؛ يعني: يحصل لكم بتلك الشـفاعة أجرٌ قُبلت شـفاعتكم أو لا.

«ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء» يريد به نفسَه؛ أي: إن قضيت حاجةَ مَن شفعتُم له فهو بتقدير الله، وإن لم أقضـها فهو بتقدير الله.

* * *

٣٨٥٤ ـ وقال: «اُنصُرْ أخاكَ ظالماً أو مَظْلوماً»، فقال رَجُلٌ: يا رسولَ الله! أَنصُرُه مَظْلوماً، فيكفَ أنصُرُه ظالِماً؟ قال: «تمنعُه مِن الظُّلمِ، فذلك نَصْرُكَ إيَّاهُ».

«وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله! أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تمنعه من الظلم، فذلك»؛ أي: منعُك أخاك من أن يظلم أحداً.

«نصرُك إياه» لأنه قد دفعته عن الإثم الذي هو سببُ دخول النار فكأنك دفعت النار عنه، وأيُّ نصرةٍ أكملُ من دفع النار عن أخيك.

* * *

٣٨٥٥ ـ وقال: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظلِمُه ولا يُسلِمُه، ومَن كانَ في حاجَةِ أخيهِ كانَ الله في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فرَّجَ الله عنه كُرْبةً مِن كُرُباتِ الآخِرَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَه الله يَوْمَ القِيامَةِ».

«عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم أخو المسلم»؛ أي: في الدين.

«لا يظلمه ولا يُسلمه»؛ أي: لا يخذله عن النصرة ولا يتركه في أيدي الأعداء بل يخلصه عن أيديهم، والنفي هنا بمعنى النهي.

«ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً

فرج الله تعالى عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

* * *

٣٨٥٦ ـ وقال: «المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُه، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُه، التَّقْوَى هاهنا»، ويُشيرُ إلى صَدْرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ، «بِحَسبِ امرِئٍ مِن الشَّرِّ أَنْ يحقِرَ أخاهُ المُسْلِمِ، كلُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرَامٌ، دمُه، ومالُه، وعِرْضُه».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا» هذه الجملة مبتدأ وخبر.

«ويشير»؛ أي: النبي ﷺ بقوله: (هاهنا).

«إلى صدره ثلاث مرات»؛ يعني: التقوى محلُّه القلب، فيكون أمراً مخفياً فلا ينبغي للمسلم أن يحقر شأن أخيه المسلم بأن يحكم بعدم التقوى، أو المعنى: مَن كان في قلبه شيء من التقوى فلا يَحْقِرْ مسلماً لأن المتقي لا يحقرُ مسلماً.

«بحسب امرئ من الشر» الباء زائدة و(حسب) مبتدأ في موضع الرفع.

«أن يحقر أخاه المسلم» فاعلٌ ناب مناب الخبر؛ أي: يكفي المرءَ من الشر تحقيرُه مسلماً؛ يعني: لو لم يكن له شرٌّ سوى تحقيرِه مسلماً لكفاه في استدخاله النار.

«كل المسلم على المسلم حرام دمُه ومالُه وعرضُه».

* * *

٣٨٥٧ ـ وقالَ: «أَهْلُ الجَنَّةِ ثلاثةٌ: ذو سُلْطانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ

رحيمٌ رقيقُ القَلْبِ لكلِّ ذي قُربَى ومُسْلِمٍ، وعَفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عيالٍ، وأهلُ النَّارِ خَمْسةٌ: الضَّعيفُ الذي لا زَبْرَ لهُ، الذينَ هم فيكم تَبَعٌ، لا يَبْغُونَ أهلاً ولا مالاً، والخائِنُ الذي لا يَخْفَى له طَمَعٌ وإنْ دَقَّ إلا خانَهُ، ورَجُلٌ لا يُصْبِحُ ولا يُمسي إلا وهو يُخادِعُكَ عن أهلِكَ ومالِكَ»، وذكرَ البُخْلَ والكذِبَ، «والشِّنْظيرُ الفَحَّاشُ».

«وعن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان»؛ أي: ذو حُكْم وسلطنة، «مقسطٌ»؛ أي: عادل، «متصدقٌ»؛ أي: محسنٌ إلى الناس، «موفَّق» وهو مَن هيئ له أسبابُ الخير وفُتح له أبواب البر.

«ورجل رحيم رقيق القلب»؛ أي: في قلبه رقة وشفقة ورحمة «لكل ذي قربى».

«ومسلم عفيف»؛ أي: صالح، «متعفف»؛ أي: مانعٌ نفسَه عما لا يحلُّ ولا يليق.

«ذو عِيال» ولا يحمله حبُّ العيال على تحصيل المال الحرام.

ويحتمل أن يكون أشار بالعفيف إلى ما في نفسه من القوة المانعة عن الفواحش، وبالمتعفِّف إلى إبراز ذلك بالفعل وإظهار العفة عن نفسه.

«وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له»؛ أي: لا تماسُك له عند مجيء الشهوات، فلا يرتدع عن فاحشةٍ ولا يتورَّع عن حرام، و(الذي) بمعنى الذين ولذا أُبدل منه.

«الذين هم فيكم تبع» قيل: هم أهل البطالات لا همم لهم في عمل الآخرة.

«لا يبغون»؛ أي: لا يطلبون.

«أهلاً» فأعرضوا عن التزوُّج وارتكبوا الفواحش.

«**ولا مالاً**»؛ أي: لا يطلبون مالاً بكسبٍ حلالٍ إذ لا رغبة لهم في عمل الدنيا.

وقيل: هم الذين يدورون حول الأمراء ويخدمونهم لا يبالون من أيِّ وجه يأكلون ويلبسون، أَمِنَ الحلال أم من الحرام؟ ليس لهم همةٌ إلى أهلٍ ولا إلى مالٍ، بل قَصَروا أنفسَهم على المأكل والمشرب، ومن هذا القبيل أيضاً الجماعة الجوالقية ونحوهم.

«**والخائن الذي لا يَخْفَى له طمعٌ**»؛ أي: لا يخفى طمعُه في شيء ما «**وإن دق**»؛ أي: قلَّ، «**إلا خانه**»؛ أي: إلا سعى فيه حتى يجده فيخونه، أو معناه: لا يتطلع إلى موضع خيانة إلا خان ما طمع فيه وإن كان المطموعُ فيه شيئاً يسيراً، وهذا هو الثاني من الخمسة.

«**ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك**»؛ أي: لا يفارق مخادعته إياك «**عن أهلك ومالك**» صباحَه ومساءه؛ أي: يخادعُك في أكثر أحواله، وهذا هو الثالث منها.

«**وذكر**»؛ أي: قال الراوي: ذكر النبي ﷺ في الخمسة: «**البخل والكذب**»؛ أي: البخيل والكذاب، فأقام المصدر مُقامَ اسم الفاعل؛ لأن المذموم هو المصدر لا مَن يقوم به، وهذا هو الرابع منها.

«**والشنظير**» بكسر الشين والظاء المعجمتين يتخللهما السكون: هو السيئ الخلق.

«**الفحاش**» نعتٌ له؛ أي: هو مع سوء خلقه فحَّاشٌ في كلامه، وهذا هو الخامس منها.

* * *

٣٨٥٨ ـ وقـــالَ: «والذي نَفْســـي بيدِه، لا يؤمنُ عبدٌ حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنَفْسِه».

«وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد»؛ أي: لا يكمُل إيمانه «حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

* * *

٣٨٥٩ ـ وقالَ: «والله لا يُؤْمِنُ، والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ»، قيلَ: مَن، يا رسولَ الله؟ قال: «الذي لا يَأْمَنُ جارُه بَوائِقَه».

«وعن أبي شريح قال: قال رسول الله ﷺ: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جارُه بوائقه»؛ أي: غوائلَه وشرورَه، جمع بائقة وهي الداهية.

* * *

٣٨٦٠ ـ وقالَ: «لا يَدخُلُ الجَنَّةَ مَن لا يَأْمَنُ جارُه بَوائِقَه».

«وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

* * *

٣٨٦١ ـ وقالَ: «ما زالَ جِبْريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظَنَنْتُ أنه سيُوَرِّثُه».

«وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: ما زال جبريل يوصيني بالجار»؛ أي: يأمرني بحفظ حق الجار والإحسانِ إليه ودفعِ الضرر عنه.

«حتى ظننتُ أنه سيورِّثُه»؛ أي: سيحكم بميراث أحد الجارين من الآخر.

* * *

٣٨٦٢ ـ وقالَ: «إذا كُنْتم ثلاثةً فلا يَتَنَاجَى اثنانِ دونَ الآخرِ حتى يختلِطُوا بالنَّاسِ مِن أجْلِ أنْ يُحْزِنَه».

«**عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كنتم**»؛ أي: في المصاحبة «**ثلاثة فلا يتناجى اثنان**»؛ أي: لا يتكلمان بالسر.

«**دون الآخر**» لأنه ربما يتوهَّم أن نجواهما لأجلِ قَصْدِهما له بشرٍّ.

«**حتى يختلطوا بالناس**» وهذا يؤذِنُ بأن النهي خاصٌّ بموضعٍ لا يأمنُ الشخص فيه صاحبه على نفسه.

«**من أجل أن يَحْزُنَه**»؛ أي: لا يحـــزنه، مفعول له، وضمـــير الفاعل للمتناجي وضمير المفعول للآخر، قيِّد بالثلاثة لأنهم إذا كانوا أربعة فتناجى اثنان فلا بأس به.

* * *

٣٨٦٣ ـ وعن تَميمٍ الدَّارِيِّ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصيحَةُ»، ثلاثاً، قلنا: يا رسولَ الله! لِمَن؟ قال: «للهِ، ولِكِتابه، ولرَسُولِه، ولأئِمَّةِ المُسلِمينَ، وعامَّتِهم».

«**وعن تميم الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال: الدِّين**»؛ أي: عماد الدين، أو أفضل أعماله «**النصيحة**» وهي إرادة الخير للمنصوح له بقولٍ أو فعل، وأصل النصح الخلوص.

«**ثلاثاً**»؛ أي: ذكرها ثلاث مرات.

«قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال لله» والنصيحة لله تعالى الإيمانُ به وإخلاصُ العمل فيما أَمر به.

«ولكتابه» نصيحته الاعتقادُ بأنه كلام الله والعملُ بمحكمه التسليمُ بمتشابهه.

«ولرسوله» نصيحته تصديقه بكلّ ما عُلم مجيئه، وإحياءُ طريقته، وفي الحقيقة هذه النصائح راجعة إلى العبد.

«ولأئمة المسلمين» نصيحتهم إطاعتهم في المعروف وتنبيههم عند الغفلة.

«وعامتهم» نصيحة عامة المسلمين دفعُ المضارِّ عنهم وجلبُ المنافع إليهم بقَدْر الوسع.

* * *

٣٨٦٤ - وعن جَريرٍ قال: «بايعتُ رسولَ الله ﷺ على إقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والنُّصْحِ لكُلِّ مُسْلِمٍ».

«وعن جرير أنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصحِ لكل مسلم».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٨٦٥ - عن أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: سَمِعْتُ أبا القاسمِ الصَّادقَ المصدوقَ ﷺ يقولُ: «لا تُنزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِن شَقيٍّ».

«من الحسان»:

«عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: سمعت أبا القاسم»؛ يعني الرسول.

«الصادق»؛ أي: في أقواله وأفعاله.

«المصدوق»؛ أي: المشهور بصدقه في كلامه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ـ٤].

«يقول: لا تُنزع الرحمة إلا من شقي»؛ يعني: مَن ليس في قلبه شفقةٌ ورحمة فهو شقي.

* * *

٣٨٦٦ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهم الرَّحمنُ، اِرحَمُوا مَن في الأرضِ يَرْحَمْكم مَن في السماءِ».

«وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»؛ أي: مَنْ ملكُه وقدرته في السماء، وهو الله، أو المراد به الملائكة، وذلك حفظُهم عن الأعداء وسائر المؤذيات بأمره تعالى، واستغفارهم للراحمين في الأرض.

* * *

٣٨٦٧ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «ليسَ منا مَن لم يَرْحَمْ صَغيرَنا، ويُوَقِّرْ كبيرَنا، ويَأْمُرْ بالمَعْروفِ، ويَنْهَ عن المُنْكَرِ»، غريب.

«وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ليس منا»؛ أي: من متابعينا في هذا الفعل.

«من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر»، «غريب».

* * *

٣٨٦٨ ـ وقال: «ما أكرمَ شابٌ شَيْخاً مِن أجلِ سِنِّهِ إلا قَيَّضَ الله لهُ عندَ سِنِّهِ مَن يُكْرِمُهِ».

«وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما أكرم شابٌ شيخاً من أجل سنه إلا قيض الله»؛ أي: قدَّر، أو وكَّل، أو سبَّب، أو سلَّط.

«له عند سنه»؛ أي: عند كبر سنه.

«من يكرمه» وفيه إشعارٌ ببلوغ ذلك الشاب سنَّ ذلك الشيخ المكرم.

* * *

٣٨٦٩ ـ وقالَ: «إنَّ مِن إجْلالِ الله إكرامَ ذي الشَّيبةِ المُسْلِم، وحاملِ القُرْآنِ غيرِ الغالي فيهِ والجافي عنه، وإكرامَ ذي السُّلْطانِ المُقْسِطِ».

«وقال: إن من إجلال الله»؛ أي: من تعظيمه، والمصدر مضافٌ إلى الفاعل، أو إلى المفعول.

«إكرامَ ذي الشيبة المسلم وحاملِ القرآن غيرِ الغالي فيه»؛ أي: المجاوِزِ فيه عن الحد لفظاً ومعنى، أو الخائنِ فيه بتحريفه أو في معناه بتأويله بباطل.

«والجافي عنه»؛ أي: المتباعد عنه، المُعْرِضِ عن تلاوته والعمل به.

«وإكرام ذي السلطان المُقْسِط».

* * *

٣٨٧٠ ـ وقالَ: «خيرُ بيتٍ في المُسلِمينَ بيتٌ فيهِ يتيمٌ يُحسَنُ إليه، وشرُّ بيتٍ في المُسْلِمينَ بيتٌ فيهِ يتيمٌ يُسَاءُ إليهِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: خير بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحْسَنُ إليه، وشر بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يساء إليه»؛ أي:

يؤذى بالباطل، فإنَّ ضربه للتأديب وتعليم القرآن جائز.

* * *

٣٨٧١ ـ وقال: «مَن مَسَحَ رأْسَ يتيمٍ لم يَمْسَحْهُ إلا للهِ، كانَ لهُ بِكُلِّ شَعْرةٍ تَمُرُّ عليها يدُه حَسَنَاتٌ، ومَن أَحْسَنَ إلى يتيمةٍ أو يَتِيمٍ عندَهُ كنتُ أنا وهوَ في الجَنَّةِ كهاتينِ، وقَرَنَ بينَ أُصْبُعَيْهِ»، غريب.

«وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من مسح رأس يتيم»؛ أي: مسح يده على رأسه للتلطف به والرحمة إليه، أو ادَّهن رأسه، أو ستر رأسه.

«لم يمسحه إلا لله، كان له بكلِّ شعرة تمر عليها يدُه حسناتٍ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين، وقرن بين أصبعيه»، «غريب».

* * *

٣٨٧٢ ـ وقال: «مَن آوَى يتيماً إلى طَعامِه وشَرابِهِ أوجَبَ الله لهُ الجَنَّةَ البتَّةَ، إلا أنْ يَعْمَلَ ذنباً لا يُغفَرُ، ومَن عالَ ثلاثَ بناتٍ أو مِثْلَهن مِن الأَخَواتِ، فأَدَّبَهُنَّ وَرَحِمَهُنَّ حتى يُغنِيَهُنَّ الله، أَوْجَبَ الله له الجَنَّةَ»، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ الله! أو اثنتَينِ؟ قال: «أو اثنتينِ»، حتى لو قالُوا: أو واحدةً، لقالَ: واحِدَةً، «ومَن أَذْهَبَ الله كريمتَيْهِ وجبَتْ له الجنةُ»، فقيلَ: يا رسولَ الله! وما كريمَتاهُ؟ قال: «عيناهُ».

«عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من آوى يتيماً إلى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر»، والذنب غيرُ المغفور: الشرك، قيل: ومظالمُ الخَلْق.

«ومن عال ثلاث بنات»؛ أي: ربَّاهن وقام برعاية مصالحهن.

«أو مثلهن من الأخوات، فأدَّبهن ورحمهن حتى يُغنيهن الله، أوجب الله له الجنة، فقال رجل: يا رسول الله! أو اثنتين؟ قال: أو اثنتين ـ حتى لو قالوا: أو واحدة؟ لقال: أو واحدة ـ ومَن أذهب الله كريمتيه وجبت له الجنة، قيل: يا رسول الله! وما كريمتاه؟ قال: عيناه».

* * *

٣٨٧٣ ـ عن جابرِ بن سَمُرَةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ ولدَهُ خيرٌ مِن أنْ يتصدَّقَ بصاعٍ»، غريب.

«وعن جابر بن سمرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: لأَن يؤدِّبُ الرجلُ ولده خيرٌ له من أن يتصدق بصاع»، «غريب».

* * *

٣٨٧٤ ـ ورُوِيَ: «ما نَحَلَ الوالِدُ وَلَدَهُ مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أدبٍ حَسَنٍ»، مرسل.

«ويروى: ما نَحَل الوالد»؛ أي: ما أعطى «ولده من نحل»؛ أي: عطية «أفضل من أدب حسن»، «مرسل».

* * *

٣٨٧٥ ـ عن عَوْفِ بن مالكٍ الأَشْجَعيِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أنا وامرَأةٌ سَفْعَاءُ الخَدَّيْنِ كهاتينِ يومَ القيامةِ ـ وأَوْمَأَ الرَّاوِي بالسَّبابةِ والوُسْطى ـ امرأةٌ آمَتْ مِن زَوْجِها ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، حَبَسَتْ نفسَها على يتامَاهَا حتى بانُوا أو مَاتُوا».

«عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: قال [رسول الله ﷺ]: أنا وامرأة سفعاء الخدين»؛ أي: متغيرة الخدين من غاية الجهد والمشقة وترك الزينة والترفُّه إقامةً على ولدها بعد وفاة زوجها.

«كهاتين يوم القيامة. وأومأ الراوي»؛ أي: أشار «بالسبابة والوسطى».

«امرأةٌ»: عطف بيان لـ (امرأة سفعاء)، أو بدلٌ منها، أو خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: هي امرأة.

«آمَتْ»؛ أي: صارت أيماً «من زوجها ذاتُ منصبٍ وجمال حبست نفسها على يتاماها»؛ أي: تركت التزوُّج بزوج آخر واشتغلت بتعهد أطفالها.

«حتى بانوا»؛ أي: انقطعوا عنها بالكبر والبلوغ، واستقلوا بالقوة والعقل والرشد بحيث يقدر كلٌّ منهم بالقيام بأمور نفسه، فإن الولد ما لم يكبر فهو ملتزقٌ بأمه غيرُ بائن عنها، أو معناه: انتشروا، أو ظهروا.

«أو ماتوا».

* * *

٣٨٧٦ ـ وعن ابن عبَّاسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن كانت لهُ أُنثَى فلم يَئِدْها، ولم يُهِنْها، ولم يُؤْثِرْ ولدَه عَلَيها ـ يعني الذُّكورَ ـ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ».

«وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من كان له أنثى فلم يئدها»؛ أي: فلم يدفنها حية كما هو عادة الجاهلية فراراً من العار أو الفقر.

«ولم يُهنها»؛ أي: لم يُذِلَّها.

«ولم يُؤْثِر»؛ أي: لم يختر.

«ولده عليها، يعني الذكور» على الأنثى.

«أدخله الله الجنة».

* * *

٣٨٧٧ ـ عن أنسٍ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَن اغتيبَ عندَه أخوهُ المُسْلِمُ وهوَ يقدِرُ على نَصْرِه فنَصَرَهُ نصرَهُ الله في الدُّنْيا والآخِرَةِ، فإنْ لم يَنْصُرْه وهو يَقْدِرُ على نَصْرِه أدركَه الله بهِ في الدُّنيا والآخِرةِ».

«وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من اغتيب» على بناء المجهول من الغيبة.

«عنده أخوه المسلم وهو يقدر على نصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة، فإن لم ينصره وهو يقدر على نصره أدرك الله به»؛ أي: انتقم منه بسبب ترك النصرة «في الدنيا والآخرة».

* * *

٣٨٧٨ ـ وقال: «مَن ذَبَّ عَن لَحْمِ أخيهِ بالمغيبَةِ كانَ حَقّاً على الله أنْ يُعتِقَه مِن النَّارِ».

«وعن أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: من ذبَّ عن لحم أخيه بالمغيبة»؛ أي: دفع مغتاباً عن غيبة أخيه المسلم.

«كان حقاً على الله أن يعتقه من النار».

* * *

٣٨٧٩ ـ وعن أبي الدَّرْداءِ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما مِن مُسْلِمٍ يَرُدُّ عن عِرْضِ أخيهِ، إلاَّ كان حَقّاً على الله أنْ يَرُدَّ عنهُ نارَ جَهَنَّمَ يومَ القيامةِ، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾».

«عن أبي الدرداء أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم يردُّ [عن] عرض أخيه»؛ أي: يمنع عن غيبة مسلم.

«إلا كان حقاً على الله أن يردَّ عنه نار جهنم يوم القيامة، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧]».

* * *

٣٨٨٠ ـ عن جابرٍ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «ما مِن امرِئٍ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امرأً مسلماً في موضعٍ تُنْتَهَك فيه حُرْمَتُهُ، ويُنتَقَصُ فيه مِن عِرْضِـهِ، إلا خَذَلَهُ الله تعالى في مَوْطِنٍ يُحِبُّ فيهِ نُصْرَتَهُ، وما من امرِئٍ مُسْلِم ينصُرُ مُسلِماً في مَوْضِـعٍ يُنتَقَصُ مِن عِرْضِـهِ، ويُنتَهكُ فيه مِن حُرْمَتِهِ إلا نصَره الله في مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَه».

«عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلماً»؛ أي: يترك نصره ولا يمنع من اغتيابه.

«في موضع يُنتهك فيه حرمته» وانتهاكُها تناولُها بما لا يَحلُّ.

«ويُنتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله تعالى في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته».

* * *

٣٨٨١ ـ وقال: «مَن رَأَى عَوْرَةً فستَرها كانَ كمَن أحيا مَوْؤُدَةً».

«وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: من رأى عــــورة» وهي ما يكره الإنسان ظهوره؛ أي: من رأى عيباً، أو أمراً قبيحاً في مسلم.

«فسترها كان كمن أحيا موؤدة»؛ أي: المدفونة حية بأن أخرجها من القبر كيلا تموت، وجه التشبيه: أن من اطُّلع على عيبه وقبيحه قد يختار الموت على اطِّلاع الغير عليه لما يلحقه من الخجالة؛ فإذا ستر عليه فقد دفع عنه تلك الخجالة التي هي عنده بمثابة الموت فكأنه أحياه.

«صحيح».

* * *

٣٨٨٦ ـ عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحَدكم مِرْآةُ أخيهِ، فإنْ رَأى به أذَى فَلْيُمِطْ عنه»، ضعيف.

وفي رِوايةٍ: «المُؤمِنُ مِرْآةُ المُؤمِنِ، والمُؤمِن أخو المؤمنِ، يَكُفُّ عنهُ ضَيْعتَهُ، ويَحُوطُه مِن وَرائِهِ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليُمِطْ»؛ أي: فليُبْعِد ذلك الأذى «عنه» وليشتغل بإصلاح حاله بأيِّ طريق أمكنه، وليعلم نفسه كنفسه.

«ضعيف».

«وفي رواية: المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكفُّ»؛ أي: يمنع «عنه ضيعته»؛ أي: تَلَفه وخسرانه؛ أي: ليدفع عنه ما فيه عليه ضرر.

وقيل: ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه من حرفة أو تجارة أو غلة، والمعنى: يجمع عليه معيشته ويضمها إليه.

«ويحوطه»؛ أي: يحفظه «من ورائه»؛ أي: في غيبته نَفْساً ومالاً وعِرْضاً بأن لا يسكت إذا اغتيب عنده.

* * *

٣٨٨٢ ـ وقال: «مَنْ حَمَى مُؤْمِناً مِن مُنافِقٍ بعثَ الله لهُ مَلَكاً يحمي لَحْمَهُ يومَ القِيامةِ مِن نارِ جَهَنَّمَ، ومَن رمَى مُسْلِماً بشَيءٍ يُريدُ شَيْنَه بهِ حَبَسَه الله على جِسْرِ جَهَنَّمَ حتى يخرُجَ ممَّا قالَ».

«وعن معاذ وأنس رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً»؛ أي: قذفه «بشيء يريد شَيْنَه به حبسه الله على جسر جهنم»؛ أي: على الصراط.

«حتى يخرج مما قال»؛ أي: حتى ينقَّى من ذنبه ذلك بإرضاء خصمه، أو بتعذيبه بقَدْر ذنبه.

* * *

٣٨٨٣ ـ عن عائِشَةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أنزِلُوا النَّاسَ مَنازِلَهم».

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن النبي ﷺ قال: أنزلوا الناس منازلهم»؛ أي: أكرموا كل شخص على حسب فضله وقَدْرِ عمله، ولا يجوز للإمام أن يسوِّي بين الخادم ومخدومه ولا بين سيد القوم وقومه.

٣٨٨٤ ـ وقالَ: «المَجالسُ بالأمانةِ إلا ثلاثةَ مَجالسٍ: سَفْكُ دمٍ حَرامٍ، أو فَرْجٌ حَرامٌ، أو اقتِطَاعُ مالٍ بغيرِ حَقٍّ».

«قال: المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق».

* * *

٣٨٨٥ ـ وقال: «إنَّ مِن أَعظَمِ الأمانةِ عندَ الله يومَ القيامةِ: الرَّجُلَ يُفضي إلى امرأَتِه وتُفضي إليهِ ثُمَّ يَنشُرُ سِرَّها».

«وقال: إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها».

* * *

٣٨٨٧ ـ عن عبدِالله بن عَمْرٍو قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُ الأصحابِ عندَ الله خيرُهم لصاحبِـهِ، وخيرُ الجيرانِ عندَ الله خيرُهم لجارِهِ»، غريب.

«عن عبدالله بن عمرو ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

«غريب».

* * *

٣٨٨٨ ـ عن ابن مَسْـعودٍ قـــال: قـــال رَجُلٌ للنَّبـيِّ ﷺ: كيفَ لي أنْ أَعْلَمَ إذا أحسنتُ أو إذا أسَأتُ؟ فقالَ النَّبـيُّ ﷺ: «إذا سَمِعتَ جيرانَك يقولونَ: قد أحسَنْتَ؛ فقد أحسَنْتَ، وإذا سَمِعتَهم يقولونَ: قد أسأتَ؛ فقد أَسَأْتَ».

«عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رجل للنبي ﷺ: كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟»؛ أي: كيف أعلم أني محسن أو مسيء؟.

«فقال النبي ﷺ: إذا ســمعت جيرانك يقولون: قد أحـــسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت» قيل: أراد بهذا أن المحسن مَن سَلِمَ الناسُ من يده ولسانه، والمسيء عكسه.

* * *

١٦ - باب

الحُبَّ في الله والبُغْضِ في الله

«بـــاب الحـــــب في الله»؛ أي: لأجل الله (ومن الله)؛ أي: الحبُّ بين الله والعبد.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٨٨٩ - قالَ رسولُ الله ﷺ: «الأَرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختَلفَ».

«**من الصحاح**»:

«**عن أبي هريرة وعائشة** ﷺ **قالا: قال رسول الله** ﷺ**: الأرواح جنود مجنَّدة**»؛ أي: جموعٌ مجموعة.

«**فما تعارف منها**»؛ أي: من الأرواح، والتعارف جريانُ المعرفة بين اثنين فصاعداً.

«**ائتلف**»؛ أي: اجتمع في الدنيا.

«**وما تناكر منها**» والتناكر ضد التعارف.

«**اختلف**» قيل: هي إخبارٌ عن مبدأ كون الأرواح وتقدُّمها على الأجساد؛ أي: خُلقت في أول خلقها على قسمين من ائتلافٍ واختلاف؛ كالجنود المجموعة إذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابُلِ الأرواح: ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة والائتلافِ والاختلاف في مبدأ الخلقة، فتآلُفُ الأجساد في الدنيا وتخالُفُها على حسب ما خُلقت الأرواح عليه في عالم الملكوت، ولذا ترى الخيـر يميل إلى الأخيار، والشريرَ يميل إلى الأشرار.

وفي الحديث دليل على أن الأرواح ليست بأعراضٍ، وأنها قد كانت

موجودة قبل الأجساد.

* * *

٣٨٩٠ ـ وقالَ: «إنَّ الله إذا أحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فقال: إنِّي أُحِبُّ فلاناً فأَحِبَّهُ»، قالَ: «فيُحِبُّه جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيقولُ: إنَّ الله يُحِبُّ فلاناً فأَحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، ثم يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ، وإذا أبغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فيقول: إنِّي أُبغِضُ فُلاناً فأَبْغِضْهُ»، قال: «فيُبْغِضُه جبريلُ، ثُمَّ ينادِي في أهلِ السَّماءِ: إن الله يُبغِضُ فلاناً فأبغِضُوه»، قال: «فيُبغِضُونَه، ثُمَّ تُوضَعُ لهُ البَغْضاءُ في الأَرْضِ».

«وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل» محبتُه يحتمل أن تكون ثناؤه ودعاؤه له، وأن تكون الميل له والاشتياق إلى لقائه.

«ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» وهو المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه؛ أي: توضع [له] المحبة في قلوب الناس.

«وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض».

* * *

٣٨٩١ ـ وقالَ: «إنَّ الله يقولُ يومَ القِيامةِ: أينَ المُتَحابُّونَ بجلالي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهم في ظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟»؛ أي: بسبب عظمتي؛ يعني: الذين يكون التحابُّ بينهم لأجل رضائي لا للأغراض الدنيوية.

«اليوم» ظرف لمتعلق (أين).

«أظلهم في ظلي»؛ أي: أريحهم من حرارة الموقف راحةَ مَن استظلَّ.

«يوم لا ظل إلا ظلي» بدل من (اليوم).

* * *

٣٨٩٢ - عن أبي هُرَيْرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ: «أنَّ رَجُلاً زارَ أخاً له في قَرْيةٍ أُخرَى، فأَرصدَ الله لهُ على مَدْرَجتِهِ مَلَكاً قال: أينَ تريدُ؟ قال: أريدُ أخاً لي في هذه القَرْيةِ، قال: هل لكَ عليهِ مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: لا، غيرَ أنِّي أَحْبَبْتُه في الله، قال: فإنِّي رسولُ الله إليكَ بأنَّ الله قد أحبَّكَ كما أحببْتَهُ فيه».

«وعنه عن النبي ﷺ: أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى»؛ يعني: أراد زيارة أخيه، وهو أعم من أن يكون أخاً حقيقةً أو مجازاً.

«فأرصد الله على مدرجته»؛ أي: أعدَّ وهيأ على طريقته.

«ملكاً، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة» قيل: (نعمة) مبتدأ و(من) زائدة و(لك) خبره و(عليه) متعلق بحالٍ محذوف؛ أي: هل لك نعمةٌ داعيةٌ إلى زيارته.

«تربُّها؟»؛ أي: تحفظها وتستزيدها بالقيام على شكرها.

«قال: لا، غير أني أحببته في الله» بنصب (غير) استثناءً؛ أي: ليس لي داعية إلى زيارته إلا محبتي إياه في طلب رضا الله.

«قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

* * *

٣٨٩٣ ـ وعن ابن مَسْعودٍ: أنه قال: جاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! كيفَ تقولُ في رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً ولم يَلْحَقْ بهم؟ فقال: «المَرْءُ معَ مَنْ أَحَبَّ».

«عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟»؛ أي: بالصحبة، أو بالعمل؛ يعني: لم يصاحبهم، أو لم يعمل بمثل ما عملوا، وقيل: لم يرهم.

«قال: المرء مع مَن أحبَّ».

* * *

٣٨٩٤ ـ عن أنسٍ: أنَّ رَجُلاً قال: يا رسولَ الله! متَى السَّاعةُ؟ قال: «ويلَكَ، وما أعدَدْتَ لها؟» قال: ما أعْدَدْتُ لها إلا أنِّي أُحِبُّ الله ورسولَهُ، قال: «أنتَ معَ مَنْ أحبَبْتَ».

«وعن أنس ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله! متى الساعة؟» كان سؤاله عن وقت قيام الساعة إما على سبيل التعنُّت له ﷺ والتكذيبِ بها، وإما على سبيل التصديق بها والشفق منها.

«قال» امتحاناً له: «ويلك ما أعددت لها؟»، (ما) هذه استفهامية.

«قال: ما أعددت لها»، (ما) هذه نافية.

«إلا أني أحب الله ورسوله» فلما علم ﷺ أنه يسأل تصديقاً بها «قال: أنت مع من أحببت» قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء فرحهم به.

* * *

٣٨٩٥ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الجليسِ الصَّالحِ والسُّوءِ، كحَامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فحامِلُ المِسْكِ إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتَاعَ منه، وإمَّا أنْ تَجِدَ منهُ رِيحاً طيبةً، ونافخُ الكِيرِ إمَّا أنْ يَحْرِقَ ثيابَكَ، وإمَّا أنْ تجدَ منه رِيحاً خَبيثةً».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك»؛ أي: يعطيك، من الإحذاء: الإعطاء.

«وإما أن تبتاع»؛ أي: تشتري «منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخُ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٨٩٦ ـ عن مُعاذِ بن جَبَلٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «قالَ الله تعالى: وَجَبَتْ مَحبَّتي للمُتحابينَ فِيَّ، والمُتَجَالِسينَ فِيَّ، والمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، والمُتَباذِلينَ فِيَّ».

وفي رِوايةٍ قال: «يقولُ الله تعالى: المُتَحابُّون في جلالي لهم منابرُ مِن نورٍ، يغبِطُهم النَّبيُّونَ والشُّهداءُ».

«من الحسان»:

«عن معاذ بن جبل أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ وللمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ»؛ أي: الذين يزور بعضُهم بعضاً لأجلي.

«والمتباذلين فيَّ»؛ أي: الذين يبذلون في رضائي.

«وفي رواية: قال: يقول الله تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»؛ أي: يتمنون مثل حالهم من غير إرادةِ زوالها عنهم، قيل: المراد بيان فضلهم وعلوِّ شأنهم لا إثباتُ الغبطة لهم على حالهم، ولا يلزم أن يكون للمغبوط مرتبةٌ أعلى من مرتبة النبيين والشهداء، ويحتمل أن يقصد إثباتها لأن كل ما يتعاطاه الإنسان من علم أو عمل يكون لفاعله عنده تعالى منزلةٌ لا يشاركه فيها غيره، وإن كان للغير ما هو أرفع فيغبطه ويتمنى أن يكون له مثلُ ذلك مضموماً إلى حاله.

* * *

٣٨٩٧ - عن أبي مالكٍ الأَشْعرِيِّ قال: كنتُ عندَ النَّبـيِّ ﷺ إذ قالَ: «إنَّ للهِ عِباداً لَيْسُوا بأنبياءَ ولا شُهَداءَ، يغبـطُهم النَّبِيُّونَ والشُّهداءُ بقُرْبـهم ومَقعَدِهم مِن الله يومَ القِيامةِ»، فقال أَعْرابيٌّ: حدِّثْنَا يا رسولَ الله! مَن هُم؟ فقال: «هُم عِبادٌ مِن عِبادِ الله مِن بُلدانٍ شَتَّى وقبائلَ شتَّى، لم يَكنْ بينَهم أَرْحامٌ يَتَواصَلُون بها، ولا دُنيا يتباذَلُون بها، يتحابُّون برُوحِ الله، يَجْعَلُ الله وُجوهَهُم نوراً، وتُجْعَلُ لهم منابـرُ مِن نورٍ قُدَّامَ عَرْشِ الرَّحمنِ، يَفْزَعُ النَّاسُ ولا يَفْزَعُون، ويخافُ النَّاسُ ولا يخافُونَ».

«عن أبي مالك الأشعري أنه قال: كنت عند النبي ﷺ إذ قال: إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم»؛ أي: بسبب قربهم.

«ومقعدهم من الله يوم القيامة، فقال أعرابي: حدثنا من هم يا رسول الله؟ فقال: هم عباد من عباد الله من بلدان»: جمع بلد، **«شتى»**؛ أي: متفرقة، **«وقبائل»**: جمع قبيلة، **«شتى، لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها، يتحابُّون برُوح الله»** بضم الراء: ما يَحيى به الخلقُ ويكون حياة

لهم، وقيل: القرآن الذي به حياة القلوب، قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[المجادلة: ٢٢] أي: بالقرآن، فالمعنى: أن السبب الداعي إلى تحابهم الوحيُ المنزل الهادي إلى سواء السبيل. وقيل: المعنى: يتحابون بداعية الإسلام ومتابعة القرآن فيما حثهم عليه من موالاة المسلمين ومصادقتهم.

«يجعل الله وجوههم نوراً، وتجعل لهم منابر من نور قدَّام عرش الرحمن» وهذا عبارةٌ عن قرب المنزلة من الله تعالى.

«يفزع»؛ أي: يخاف **«الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون»** والفرق بين الفزع والخوف: أن الفزع أشد أنواع الخوف، وقيل: الفزع خوفٌ مع جبن، والخوف غمٌّ يلحق الإنسان بسبب أمر مكروه سيقع.

* * *

٣٨٩٨ ـ عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رَسولُ الله ﷺ لأبي ذرٍّ: «يا أبا ذرًّا أيُّ عُرَا الإيمانِ أَوْثَقُ؟» قال: الله ورَسولهُ أعْلَمُ! قال: «المُوالاةُ في الله، والحُبُّ في الله، والبُغْضُ في الله».

«وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: يا أبا ذر! أيُّ عرى الإيمان»: جمع عروة، وهي ما يتمسك به، والمراد بها الأركان؛ أي: أيُّ أركانه **«أوثق؟»**؛ أي: أَحْكَم.

«قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاة»؛ أي: الحبُّ من الطرفين **«في الله، والحب في الله والبغض في الله»**.

* * *

٣٨٩٩ ـ عن أبي هُريرةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إذا عادَ المُسْلِمُ أخاهُ، أو زارَه،

قال الله تبارك وتعالى: طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ، وتَبَوأتَ مِن الجَنَّةِ منزِلاً»، غريب.

«وعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: إذا عاد المسلم أخاه»؛ أي: في المرض.

«أو زاره»؛ أي: في الصحة.

«قال الله تعالى: طبت»؛ أي: حصل لك طيبُ المعاش[1] في الآخرة.

«وطاب ممشاك»؛ أي: صار مشيك سببَ طيبِ عيشك فيها.

«وتبوَّأت»؛ أي: هيَّأت «من الجنة منزلاً» غريب.

* * *

٣٩٠٠ ـ عن المِقْدامِ بن مَعْدِ يكرِبَ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «إذا أحبَّ الرَّجُلُ أخَاهُ فليُخْبـرهُ أنه يُحِبُّه».

«عن المقدام بن معدي كرب ﷺ عن النبي ﷺ قال: إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه» وذلك ليعلم أنه يرشده وينصحه بصوابٍ، وإن كان عدوَّه أزال العداوة.

* * *

٣٩٠١ ـ عن أنسٍ قال: مرَّ رَجُلٌ بالنَّبـيِّ ﷺ وعندَه ناسٌ، فقالَ رَجُلٌ مِمَّن عندَه: إنِّي لأُحِبُّ هذا للهِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قال: لا، قالَ: «قُمْ إليه فأَعْلِمْهُ»، فقامَ إليه فأَعْلَمَه فقالَ: أحبَّكَ الذي أَحْببتَني له، قال: ثُمَّ رَجَعَ، فسألَهُ النبيُّ ﷺ فأخبَرَه بما قالَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «أنتَ مَع مَن أحببْتَ، ولكَ ما احتَسَبْتَ».

---

(١) في «غ»: «العيش».

وفي رِوايةٍ: «المَرْءُ معَ مَن أحبَّ، ولهُ ما اكتَسَبَ».

«وعن أنس ﷺ أنه قال: مر رجل بالنبي ﷺ وعنده أناس، فقال رجل ممن عنده: إني لأحب هذا لله، فقال النبي ﷺ: أَعْلَمْتَه؟» بالاستفهام.

«قال: لا، قال: قم إليه فأَعْلِمْه، فقام إليه فأعلمه، فقال: أحبّك الذي أحببتني له» يريد به الله، وهذا على طريق الدعاء له.

«قال»؛ أي: الراوي: «ثم رجع»؛ أي: ذلك الرجل.

«فسأله النبي ﷺ، فأخبره بما قال، فقال النبي ﷺ، أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت»؛ أي: ما أعددت به من أجر أو حسنة.

«وفي رواية: المرء مع من أحب وله ما اكتسب».

* * *

٣٩٠٢ ـ عن أبي سـعيدٍ: أنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «لا تُصاحِبْ إلا مُؤْمِناً، ولا يأكُلْ طَعامَكَ إلا تَقِيٌّ».

«عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تصاحب إلا مؤمناً» يجوز أن يراد به المؤمن الخالص الذي يقابله الفاسق، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾[السجدة: ١٨].

«ولا يأكل طعامك إلا تقي» قال الخطابي: هذا في طعام الدعوة دون طعام الحاجة والصدقة، قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان: ٨]، ومعلوم أن أَسراهم كفارٌ.

وإنما حذَّر عن صحبة غير التقي وزَجَر عن مؤاكلته لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب.

* * *

٣٩٠٣ ـ عن أبي هُرَيرةَ قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «المَرْءُ على دينِ خليلِه، فلْيَنظرْ أحدُكم مَن يُخَالِلْ» غريب.

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: المرء على دين خليله»؛ أي: صديقه، والخلة: الصداقة والمحبة.

«فلينظر أحدكم مَن يخالل» وضمير المفعول محذوف؛ أي: يخالله؛ يعني: إن اتخذ صالحاً خليلاً يكون هو صالحاً، وإن اتخذ فاسقاً يكون هو فاسقاً.

«غريب».

* * *

٣٩٠٤ ـ عن يزيدَ بن نعَامَةَ أنه قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «إذا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فلْيَسألْهُ عن اسمِه واسمِ أبيهِ ومِمَن هوَ، فإنَّه أَوْصَلُ للمَوَدَّةِ».

«عن يزيد بن نعَامةَ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا آخى الرجل الرجل»؛ أي: اتخذه أخاً.

«فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو»؛ يعني: من أيِّ قبيلة؛ أي: من أيِّ قريةٍ وبلد هو.

«فإنه»؛ أي: السؤال عن ذلك، «أوصلُ»؛ أي: أكثر وصلة، «للمودة» بينهما.

* * *

١٧ ـ باب

ما يُنهَى من التَّهاجُرِ والتَّقاطُعِ واتباعِ العَوْراتِ

«باب ما ينهى من التهاجُر والتقاطع»، الهجر: ضد الوصل، والتهاجُرُ

أخصُّ من التقاطع، **(واتباع العورات)**: جمع عورة، وهي ما في الرجل من عيبٍ وخلل.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٠٥ ـ قالَ رَسولُ الله ﷺ: «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثِ ليالٍ، يلتقيانِ فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا، وخَيْرُهما الذي يبدَأُ بالسَّلامِ».

* * *

«**من الصحاح**»:

«عن أبي هريرة وأبي أيوب رضي الله عنهما قالا: **قال رسول الله ﷺ: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان**» جملة استئنافية بيانٌ لكيفية الهجران.

«**فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» هذه الجملة عطف على الاستئنافية من حيث المعنى؛ لمَا يفهم منها أن ذلك الفعل ليس بخير، ويجوز أن تكون الأولى حالاً من فاعل (يهجر) ومفعولِه معاً، فالثانية معطوفة على قوله: (لا يحل).

أما إباحة الهجرة في الثلاث فمفهومٌ من الحديث عند مَن يقول بمفهوم المخالفة، وإنما عُفي عنها في الثلاث؛ لأن الآدمي مجبولٌ على سوء الخلق والغضب.

قيل: هذا إذا كان الهجر لأمر دنيوي، وأما إذا كان لتقبيح المعصية فالزيادةُ على الثلاث مشروعةٌ، كما هجر ﷺ الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، وأمر الناس بهجرانهم خمسين يوماً.

* * *

٣٩٠٦ ـ وقالَ: «إيَّاكم والظَّنَّ! فإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَحَاسَدُوا، ولا تَبَاغضوا، ولا تَدَابروا، وكونوا عبادَ الله إخْواناً».

ويُرْوَى: «ولا تَنَافَسُوا».

«وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم والظنَّ»؛ أي: احذروا من أن تظنوا بأحدٍ ظنَّ سوء، قيل: المراد به ما يستقر عليه صاحبه دون ما يخطر في قلبه.

«فإن الظن أكذب الحديث»؛ أي: حديث النفس؛ لأنه يكون بإلقاء الشياطين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحجرات: ١٢] قيل: الظن الذي هو إثم أن يظن فيتكلم به.

«ولا تحسسوا» بالحاء المهملة؛ أي: لا تطلبوا التطلُّع على خير أحد، «ولا تجسسوا» بالجيم؛ أي: لا تطلبوا التطلُّع على شر أحد، وكلاهما منهيٌّ؛ لأنه لو اطَّلعت على خير أحد ربما يحصل لك حسدٌ بأن لا يكون فيك ذلك الخير، وإن اطَّلعت على شره تَعيبُه وتفضحه.

قيل: (التجسُّس) بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور بتلطُّفٍ.

وقيل: بالجيم تطلُّب البحث عن العورات، وبالحاء الاستماع؛ يعني استراق السمع.

وقيل: بالحاء: التعرُّف بالحواس، وبالجيم: تعرُّف الأمر، من الجَسِّ وهو اللمس.

«وعن أنس[1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تناجشوا» قيل: المراد به

(١) كذا ورد في بعض الروايات من حديث أنس، وورد في الصحيحين ضمن حديث أبي هريرة السابق.

تطلُّب الترفُّع والعلوِّ على الناس، وقيل: أن يُغرِيَ بعضٌ بعضاً على الشر، وقيل: هو الزيادة في الثمن بغير رغبة في السلعة ليخدع المشتري بالترغيب.

«ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا» وقيل: أي: لا تولُّوا ظهركم على أخيكم ولا تُعرضوا عنه.

«وكونوا عباد الله إخواناً» خبر ثان لـ (كان).

«ويروى: ولا تنافسوا»؛ أي: لا تحاسدوا ولا تنازعوا.

* * *

٣٩٠٧ ـ وقالَ: «تُفتَحُ أبوابُ الجَنَّةِ يومَ الاثنينِ ويومَ الخَميسِ، فيُغفَرُ لكلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بالله شيئاً، إلا رَجُلاً كانَتْ بينَهُ وبينَ أخيهِ شَحْناءُ، فيقالُ: أَنْظِروا هذَينِ حتَّى يَصْطَلِحا».

«وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء»؛ أي: العداوة والبغض.

«فيقال: أنظروا» أمرٌ من الإنظار والإمهال؛ أي: أمِهلوا في مغفرة «هذين حتى يصطلحا».

* * *

٣٩٠٨ ـ وقالَ: «تُعرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ في كلِّ جُمُعَةٍ مرَّتينِ، يومَ الاثنينِ ويومَ الخَميسِ، فيُغفَرُ لكُلِّ عبدٍ مؤمنٍ، إلا عَبْداً بينَه وبينَ أخيهِ شَحْناءُ، فيقال: اُترُكُوا هذَينِ حتَّى يَفيئَا».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: تُعرض أعمال الناس في

كل جمعة»؛ أي: في كل أسبوع.

«مرتين» بيَّن ذلك بقوله: «يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً» ـ بالنصب ـ استثناء من كلام موجب، كذا في «كتاب مسلم» وهو الظاهر، وفي بعض النسخ بالرفع على أنه صفة لـ (كل عبد مؤمن)؛ لأن محله الرفع.

«بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين حتى يفيئا»؛ أي: يرجعا عما [هما] عليه من العداوة والغضب إلى الصلح.

* * *

٣٩٠٩ ـ وقالَ: «إنَّ الشَّيطانَ قد أَيِسَ أنْ يَعبُدَه المُصَلُّونَ في جَزيرةِ العَرَبِ، ولكنْ في التَّحريشِ بينَهم».

«وعن جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش»؛ أي: في الإغراء «بينهم»: تقدم بيانه في (باب الكبائر).

* * *

٣٩١٠ ـ وعن أُمِّ كلثومَ بنتِ عُقبةَ بن أبي مُعَيطٍ قالت: سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «ليسَ الكذَّابُ الذي يُصلِحُ بينَ الناسِ ويقولُ خيراً ويَنْمِي خيراً»، قالت: ولَمْ أَسمَعْهُ ـ تَعني النَّبيَّ ﷺ ـ يُرَخِّصُ في شَيءٍ مِمَّا يقولُ النَّاسُ كَذِباً، إلا في ثلاثٍ: «الحَرْبُ، والإصلاحُ بينَ النَّاسِ، وحَديثُ الرَّجُلِ امرأتَه وحَديثُ المَرْأةِ زَوْجَها».

«عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: ليس الكذَّاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيراً ويَنمي خيراً» تقدم بيانه في (باب حفظ اللسان).

«قالت: ولم أسمعه ـ تعني النبي ﷺ ـ يرخص في شيء مما يقول الناس كذباً إلا في ثلاث: الحرب» والكذب في الحرب مثل أن يقول: في جيش المسلمين كثرةٌ، وقد أتاهم مدد[1] كثير، أو يقول: انظر إلى خلفك فإن فلاناً قد أتاك من خلفك ليضربك.

«والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته» مثل أن يقول: لا أجد أحبَّ إليَّ منك.

«وحديث المرأة زوجها» مثل ذلك.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩١١ ـ عن أسماءَ بنتِ يزيدَ قالت: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «لا يَحِلُّ الكَذِبُ إلا في ثلاثٍ: كَذِبُ الرَّجُلِ امرأتَه ليُرضيَها، والكذِبُ في الحَرْبِ، والكذِبُ ليُصلِحَ بينَ النَّاسِ».

«من الحسان»:

«عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: لا يحل الكذب إلا في ثلاث: كذب الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس».

* * *

٣٩١٢ ـ عن عائِشَةَ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يكونُ

---

(١) في «غ»: «ملأ».

لِمُسْلِمٍ أَنْ يهجُرَ مُسْلِماً فوقَ ثلاثةٍ، فإذا لَقِيَهُ سَلَّمَ عليهِ ثلاثَ مَرَّاتٍ، كلُّ ذلكَ لا يَرُدُّ عليهِ فقد باءَ بإثمِهِ».

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ قال: لا يكون لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاثة، فإذا لقيه سلَّم عليه» بدلٌ من (لقيه)، أو حال من فاعله.

«ثلاثَ مرار كلَّ ذلك» ظرف لقوله: «لا يرد عليه» أو صفة لـ (مرار) والعائد محذوف[1]؛ أي: لا يردُّ فيها؛ أي: في المرار.

«فقد باء»؛ أي: رجع «بإثمه» جواب (إذا)؛ يعني: خرج المسلِّم عن إثم الهجران، ورجع الإثم إلى الهاجر الذي لم يردَّ السلام.

* * *

٣٩١٣ ـ وعن أبي هريرة: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يحِلُّ لِمُسلِمٍ أنْ يهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ، فمَن هَجَرَ فوقَ ثلاثٍ فماتَ دَخَلَ النَّارَ».

«وعن أبي هريرة ـ رضي لله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاثٍ فمات دخل النار»؛ أي: استوجب دخولها بالإثم، فالواقع فيه كالواقع فيها.

* * *

٣٩١٤ ـ عن أبي خِراشٍ السُّلَمِيِّ: سَمِعَ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ هَجَرَ أخاهُ سَنَةً فهوَ كسَفْكِ دمِهِ».

---

(١) أي: (كلُّ) بالرفع مبتدأ خبره (لا يرد)، والجملة صفة (ثلاث مرات)، والعائد محذوف. انظر «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٢٣٨).

«عن أبي خراش السُّلَمي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»؛ أي: الهاجر سنةً كالقاتل، وقيل: هو كالقاتل حرمةً إلا أن يكونا سواءً في قَدْر الإثم.

* * *

٣٩١٥ ـ عن أبي هُرَيرة قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «لا يَحِلُّ لمؤمنٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ، فإنْ مَرَّتْ بهِ ثلاثةٌ فَلْيَلْقَهُ فليُسَلِّمْ عليهِ، فإنْ رَدَّ عليهِ السَّلامَ فقد اشتركَا في الأَجْرِ، وإنْ لم يَرُدَّ عليهِ فقد باءَ بالإثمِ، وخَرَجَ المُسَلِّمُ مِن الهِجْرَةِ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاثٍ، فإن مرت به ثلاث فليَلْقه فليسلِّم عليه، فإن ردَّ عليه فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يردَّ عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلِّم من الهجر».

٣٩١٦ ـ عن أبي الدَّرْداءِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَلاَ أُخبِـرُكم بأفضلَ مِن دَرَجةِ الصِّيامِ والصَّدَقةِ والصَّلاةِ؟» قال: قُلنا: بلى، قال: «إصْلاحُ ذاتِ البَيْنِ، وإفْسادُ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ»، صحيح.

«عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة» قيل: المراد بهذه المذكورات نوافلُها دون فرائضها.

«قلنا: بلى، قال إصلاح ذات البين» أراد بذات البين: الخصال المفضية إلى البين من المهاجرة والمخاصمة بين اثنين بحيث يحصل بينهما الفُرقة.

«وإفساد ذات البين» ـ ويروى: (وفساد) ـ مبتدأ خبره «هي الحالقة»؛ أي: المهلكة للدين المستأصِلةُ للثواب استئصالَ الموسى.

«صحيح».

* * *

٣٩١٧ ـ وقالَ: «دَبَّ إليكُم داءُ الأممِ قبلَكم: الحَسَدُ والبغضاءُ، هي الحالِقَةُ، لا أقولُ: تحلِقُ الشَّعرَ، ولكنْ تحلِقُ الدِّينَ».

«وعن الزبير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: دبَّ»؛ أي: سرى «إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء» بيان للداء وبدلٌ منه، سمِّيا داءً لأنهما داء القلب.

«هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» لأنها تمنع الإنسان من فعل الخيرات والحضور في الصلاة والمحبة الكاملة في الله؛ لأن الممتلئ صدرُه حسداً أو بغضاً لا تكمل محبته ولا يجد حلاوة الطاعة في قلبه ولا يرضى بقضاء الله تعالى.

* * *

٣٩١٨ ـ عن أبي هُرَيرةَ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «إيَّاكُم والحَسَدَ! فإنَّ الحَسَدَ يأكلُ الحَسَناتِ كما تأكلُ النَّارُ الحَطَبَ».

«وعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات»؛ أي: يمحوها.

«كما تأكل النار الحطب» يؤوَّل هذا بأن الحسد يفضي بصاحبه إلى وقوعه في عِرض المحسود وغيبته وسبه وثلبه، وربما أدى ذلك إلى تلف ماله، وكلُّ هذه مظالمُ يذهب في عوضها الحسنات كما جاء في حديث: «المفلس الذي يأتي يوم القيامة وقد ضَرب هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته» إلى آخر الحديث.

أو المراد: الحسنات التي يشغلُه الحسد عن الاشتغال بها، أو بأن الحاسد غيرُ راضٍ بحكم الله فربما غلب عليه الحسدُ والحقد والعداوة إلى أن تفوَّه

بكفرٍ مُبْطلٍ للحسنات.

* * *

٣٩١٩ ـ وعن أبي هُرَيرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إيَّاكُم وسوءَ ذاتَ البَيْنِ! فإنَّها الحالِقَةُ».

«وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة».

* * *

٣٩٢٠ ـ عن أبي صِرْمَةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَن ضَارَّ ضارَّ الله بهِ، ومَن شاقَّ شَقَّ الله عليهِ».

«وعن أبي صرمة: أن النبي ﷺ قال: من ضارَّ»؛ أي: أوصل ضرراً إلى أحد.

«ضارَّ الله به»؛ أي: أوصل الضرر إليه.

«ومن شاقَّ شاقَّ الله عليه» والضرر والمشقة متقاربان، لكن الضرر يستعمل في إتلاف المال، والمشقة في إيصال الأذية إلى البدن بتكليف عملٍ شاق.

«غريب».

* * *

٣٩٢١ ـ عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَلْعونٌ مَن ضَارَّ مُؤْمناً أو مَكَرَ بهِ».

«عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

ملعون من ضارَّ مؤمناً أو مكر به»، «غريب».

* * *

٣٩٢٢ ـ عن ابن عُمَرَ قال: صَعِدَ رسولُ الله ﷺ المِنْبَرَ فنادَى بصَوتٍ رفيعٍ فقال: «يا مَعْشرَ مَن أَسْلَمَ بلِسانِه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبِه! لا تُؤْذُوا المُسلمينَ ولا تُعَيروهم، ولا تَتَبعُوا عَوْراتِهم، فإنَّه مَن يَتَّبعْ عَوْرَةَ أخيهِ المُسلمِ يتَّبعِ الله عَوْرتَه، ومَن يتبعِ الله عورتَهُ يفضَحْهُ ولو في جَوْفِ رَحْلِهِ».

«**وعن ابن عمر وأبي برزة ﷺ أنهما قالا: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان**»؛ أي: لم يصل.

«**إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم**»؛ أي: لا تعيبوهم.

«**ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يَتَّبعْ عورة أخيه المسلم**» تقدم معنى العورة في أول الباب.

«**يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**»؛ أي: ولو كان مخفياً في وسط منزله عن الناس.

فإن قلت: ما النكتة في ذكر أخيه، فإن الكلام مع المنافقين وهم ليسوا بإخوة المسلمين؟.

قلت: معناه: ومن يتبع من المسلمين عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته فكيف بالمنافق؟.

* * *

٣٩٢٣ ـ عن سعيدِ بن زَيدٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ مِن أربَى الرِّبَا الاستِطالةَ في عِرْضِ المُسلِمِ بغيرِ حَقٍّ».

«عن سعيد بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: إن من أربى الربا»؛ أي: من أكثرها وبالاً «الاستطالة في عرض المسلم بغير حق»؛ أي: إطالة اللسان في غيبته أو قذفه أو شتمه؛ يعني: غيبةُ الناس وقذفُهم أشدُّ من أكل الربا؛ لأن نفس المسلم أشرف من ماله.

وفي قوله: (بغير حق) تنبيه على استباحة العرض في بعض الأحوال بحقٍّ، كقوله: صاحب الحق الذي لا يعطي حقه إنه ظالم وإنه متعدٍّ، وكقوله الجارحِ في عِرْضِ الشاهد، وكذا ذكر مساوئ الخاطب.

* * *

٣٩٢٤ ـ وعن أنسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لمَّا عَرَجَ بي ربي مرَرْتُ بقومٍ لهم أَظْفارٌ مِن نُحاسٍ يَخْمِشُونَ وجُوهَهم وصُدورَهم، فقلتُ: مَن هؤلاءِ يا جِبْرِيلُ؟ قال: هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لحومَ النَّاسِ ويَقَعُونَ في أَعْراضهم».

«عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي ربي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون»؛ أي: يجرحون. «وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس»؛ أي: يغتابونهم «ويقعون في أعراضهم».

* * *

٣٩٢٥ ـ وعن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَن حَمَى مُؤْمِناً مِن مُنافِقٍ يعيبُه، بعثَ الله مَلَكاً يَحْمي لَحْمَهُ يومَ القيامةِ مِن نارِ جَهَنَّمَ، ومَن قَفا مُسْلِماً بشيءٍ يريدُ شَيْنَهُ بهِ حَبَسَهُ الله على جِسْرِ جَهَنَّمَ حتى يَخْرُجَ ممَّا قالَ».

«وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: من حمى مؤمناً من منافق بغيبة بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن قفا مسلماً بشيء»؛ أي:

قذفه بما ليس فيه، أو من قَفَوْتُه: إذا تبعتَ أثره؛ يعني: من تجسَّس عن حال مسلم ليقف على عيبه.

«يريد شينه به، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» تقدم بيانه في (حِسان باب الشفقة).

* * *

٣٩٢٧ ـ عن المُستَوْرِدِ بن شدَّادٍ: أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «مَن أَكَلَ برجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً فإنَّ الله يُطعِمُه مِثلَها مِن جَهَنَّمَ، ومَن كُسِيَ ثَوْباً برجُلٍ مُسلِمٍ فإنَّ الله يكسوهُ مثلَه مِن جَهَنَّمَ، ومَن قامَ برجُلٍ مَقامَ سُمعةٍ ورِياءٍ فإنَّ الله يُقيمُهُ مَقامَ سُمْعَةٍ ورِياءٍ يومَ القيامةِ».

«عن المستورد بن شداد: أن رسول الله ﷺ قال: من أكل برجلٍ مسلم»؛ أي: بسبب غيبته.

«أُكلة» وهي بالضم[1]: اللقمة، وبالفتحة: المرة من الأكل؛ يعني: أنه يقع في عرض مسلم أو يتعرض له بالأذية عند مَن يبغضه حتى ينال بذلك ممن يعاديه ويريدُ هوانَه طُعمةً.

«فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومَن كُسي ثوباً برجلٍ مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل» الباء للتعدية؛ أي: من أقام رجلاً «مقام سمعة ورياء»؛ أي: نسبه إلى الصلاح والتقوى وشهره بالزهد في الدنيا، وجعله وسيلة إلى تحصيل غرضٍ نفسي وحطامٍ دنيوي، وعلم الذي شهره به أنه على خلاف ذلك.

«فإن الله تعالى يقوم به»؛ أي: يُقيمُه «يوم القيامة مقام سمعة ورياء»

---

(١) في «غ»: «بالضمة».

فينادى عليه بين الملأ: إنه كان كذاباً قد شهر رجلاً بالصلاح والزهد في الدنيا وهو يعلم أنه كان على خلاف ذلك، ثم يعذبه عذاب الكذابين.

وقيل: الباء للسببية، وهذا أقوى وأنسب، فالمعنى: من قام بسبب رجلٍ - من أمير ونحوه - مقاماً يتظاهر فيه بصلاحٍ وزهد ليسمع به الناس فيعتقدوا فيه، ويجعل ذلك ذريعة إلى مطلب دنيوي من جاه ومال، أقامه الله يوم القيامة مثل مقامه ذلك، ويفضحه بأن ينادَى عليه على رؤوس الأشهاد ويقال: إنه كان مرائياً، ثم يعذب عذاب المرائين.

* * *

٣٩٢٨ - وقال: «حُسْنُ الظَّنِّ مِن حُسْنِ العِبادةِ».

«**وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: حسن الظن من حسن العبادة**»؛ يعني: اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادةٌ.

* * *

٣٩٢٦ - عن عائِشَةَ رضيَ الله عنها قالت: اعتَلَّ بعيرٌ لِصَفِيَّةَ وعندَ زينبَ فَضْلُ ظَهرٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ لزينبَ: «أَعْطيها بَعيراً»، فقالت: أنا أُعطي تلكَ اليهوديةَ! فغضِبَ رسولُ الله ﷺ، فهَجَرَها ذا الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ وبعضَ صَفَرَ.

«**وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: اعتلَّ**»؛ أي: مرض «**بعيرٌ لصفية وعند زينب فضلُ ظهر**»؛ أي: دابةٌ زائدةٌ على قَدْرِ حاجتها.

«**فقال رسول الله ﷺ لزينب: أعطيها بعيراً، فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟ فغضب رسول الله ﷺ فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر**» وهذا يدل على جواز الهجران فوق الثلاث لفعلٍ قبيح.

* * *

١٨ - باب
الحذرِ والتَّأَنِّي في الأُمورِ

«باب الحذر والتأني فِي الأمور»، وهو ضد العجلة.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٢٩ - قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُلْدَغُ المُؤمنُ مِن جُحْرٍ واحدٍ مرَّتينِ».

«من الصحاح»:

«**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا يلدغ المؤمن**» - بصيغة النفي - «**من جحر واحد مرتين**» معناه لا ينبغي للمؤمن الحازم المتيقِّظ أن يخدع مما تَضَرَّرَ به مرة بعد أخرى، قاله ﷺ لمَّا أَسر أبو غزة الشاعر يوم بدر فمنَّ النبي ﷺ وعاهده على أن لا يهجو المؤمنين، فأطلقه ثم رجع إلى الهجو والإيذاء، فلما أُسر يوم أحد طلب المنَّ مرة ثانية، فقال: (لا يلدغ المؤمن) الحديث، وأمر بضرب عنقه.

ويروى بصيغة النهي، معناه: لا يُخدعنَّ المؤمن ولا يُؤتينَّ من ناحية الغفلة فيقع في مكروه وشر؛ أي: لا يُفعلْ به هذا الفعل مرتين.

* * *

٣٩٣٠ - وقال لِأَشَجِّ عبدِ القَيْسِ: «إنَّ فيكَ لخَصْلَتينِ يُحِبُّهما الله: الحِلْمُ والأَناةُ».

«**عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس**» بالإضافة، وكان رئيسَ عبد القيس وهي قبيلة، وفي بعض النسخ بفتح (أشج) على أنه غير منصرِفٍ، فيكون (عبد القيس) بدلاً منه على حذف المضاف؛ أي: رئيس عبد القيس.

«**إن فيك لخلصتين يحبهما الله: الحلم**» وهو بكسر الحاء: تأخير مكافأة

الظالم، والمراد به هنا عدمُ استعجاله وتراخيه حتى ينظر في مصالحه.

«والأناة» على وزن القناة، وهو التثبُّت والوقار، والمراد به جودةُ نظره في العواقب.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩٣١ ـ عن سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعديِّ ﷺ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «الأَناةُ مِن الله، والعَجَلَةُ من الشَّيطانِ»، غريب.

«من الحسان»:

«عن سهل بن سعد الساعدي: أن النبي ﷺ قال: الأناةُ من الله تعالى والعجلةُ من الشيطان»، «غريب».

* * *

٣٩٣٢ ـ عن أبي سعيدٍ قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «لا حليمَ إلا ذو عَثْرةٍ، ولا حَكيمَ إلا ذو تَجربةٍ»، غريب.

«عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: لا حليم إلا ذو عثرة»؛ أي: زلةٍ؛ يعني: لا حليم كاملاً إلا مَن وقع في زلةٍ وحصل منه الخطأ والاستخجال [فعُفي عنه][1] فيَعْرِفُ به رتبةَ العفو، فيحلم به عند عثرة غيره، لأنه عند ذلك يصير ثابت القدم.

«ولا حكيم إلا ذو تجربة»؛ أي: لا حكيم كاملاً إلا مَن جرَّب الأمور وعلم المصالح والمفاسد، فإنه لا يفعل فعلاً إلا عن حكمة، إذ الحكمة: إحكام

---

(١) ما بين معكوفتين من «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٢٥٥).

الشيء وإصلاحه من الخلل.

«غريب».

* * *

٣٩٣٣ - عن أنسٍ: أنَّ رَجُلاً قالَ للنبيِّ ﷺ: أَوْصِني، فقالَ: «خُذِ الأَمرَ بالتَّدبيرِ، فإنْ رأيتَ في عاقبتِه خَيْراً فأَمْضِهِ، وإنْ خِفْتَ غَيّاً فأَمْسِكْ».

«عن أنس: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، فقال: خذ الأمر بالتدبير»؛ أي: التفكُّر في مصالحه ومفاسده، والنظر في عاقبته.

«فإن رأيت في عاقبته خيراً فأمضه»؛ أي: فافعله.

«وإن خفت غياً»؛ أي: ضلالاً وخساراً «فأمسك»؛ أي: فاتركه.

* * *

٣٩٣٤ - عن مُصْعَبِ بن سَعْدٍ، عن أبيهِ - قالَ الأَعْمَشُ: لا أعلَمُه إلا عن النبيِّ ﷺ - قال: «التُّؤَدَةُ في كلِّ شَيءٍ خيرٌ إلا في عَمَلِ الآخِرةِ».

«عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال الأعمش: لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ»؛ يعني: أنه مرفوع إليه ﷺ.

«قال: التؤدة» بضم التاء وفتح الهمزة؛ أي: التأني.

«في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة» قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

* * *

٣٩٣٥ - عن عبدِالله بن سَرْجَسَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «السَّمْتُ الحَسَنُ

والتؤَدَةُ والاقتصادُ، جزءٌ مِن أربعةٍ وعشرينَ جزأً مِن النبوةِ».

«عن عبدالله بن سَرْجِس أن النبي ﷺ قال: السمتُ الحسن»؛ أي: السيرةُ المَرْضيَّةُ وحسنُ الهيئة في الدين.

«والتؤدة والاقتصاد» وهو سلوك القصد؛ أي: الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط في الأمور، والدخول فيها برفق.

«جزء من أربع وعشرين جزءاً من النبوة»؛ يعني: إن هذه الخصال من خصال الأنبياء فاقتدوا بهم فيها.

* * *

٣٩٣٦ ـ وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «إنَّ الهَدْيَ الصَّالحَ، والسَّمْتَ الصَّالحَ، والاقتِصادَ، جُزْءٌ مِن خَمْسةٍ وعِشرينَ جُزْءاً مِن النُّبوَّةِ».

«وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: إن الهديَ الصالح» هديُ الرجل: حاله ومذهبه.

«والسمت الصالح والاقتصاد جزءٌ من خمس وعشرين جزءاً من النبوة» والتقدير بأربع وعشرين في الحديث الأول وبخمس وعشرين في الحديث الثاني مما لا يهتدى إليه إلا بنور النبوة، ومن حق (الأربع) و(الخمس) إلحاقُ تاء التأنيث بهما، ولعل التغيير وقع من بعض الرواة.

* * *

٣٩٣٧ ـ وعن جابرِ بن عبدِالله، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا حَدَّثَ الرَّجلُ بالحديثِ ثُمَّ التفَتَ فَهِيَ أَمَانةٌ».

«وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه

قال: إذا حدَّث الرجلُ بالحديث، ثم التفتَ»؛ أي: غابَ عنك.

«فهي أمانة» ضمير (هي): للحكاية؛ لأن الحديثَ بمعنى الحكاية؛ أي: صار حديثُه عندَك أمانةً في عنقك، يَحرُم عليك إضاعتُها؛ أي: إفشاؤُها.

* * *

٣٩٣٨ ـ عن أبي هُريرةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لأبي الهَيْثَمِ بن التَّيهانِ: «هلْ لكَ خادِمٌ؟» قال: لا، فقالَ: «فإذا أتانَا سَبْيٌ فائتنا»، فأُتِيَ النَّبيُّ ﷺ برَأسَينِ، فأتاهُ أبو الهَيْثمِ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «اخترْ مِنْهُما»، فقالَ: يا نَبيَّ اللهِ! اخترْ لي، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ المُسْتَشارَ مُؤْتَمَنٌ، خُذْ هذا فإنِّي رأيتُه يُصلي، واستَوْصِ بهِ مَعْروفاً».

«وعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال لأبي الهيثم بن التيهان» ـ بكسر التاء وفتحها وتشديد الياء ـ: «هل لك خادم؟ قال: لا، فقال: إذا أتانا سَبْيٌ فائتِنا، فأُتي النبي ﷺ برأسينِ»؛ أي: غلامَينِ.

«فأتاه أبو الهيثم، فقال النبي ﷺ: اخترْ منهما، فقال: يا نبيَّ الله! اخترْ لي، فقال النبي ﷺ: إن المستشار»: اسم مفعول من (استشارَه): إذا طلبَ رأيَه فيما فيه المصلحةُ من الأمور.

«مُؤتَمَن»؛ أي: ينبغي أن يكونَ أميناً، فيجب عليه أن يُخبـرَ المستشيرَ بما هو المصلحةُ.

«خُذْ هذا؛ فإني رأيتُه يصلي، واستَوصِ به معروفاً»؛ أي: اقبَلْ وصيتي فيه بالمعروف، وقيل: معناه: لا تأمرْه إلا بالمعروف وانصَحْ له.

* * *

٣٩٣٩ ـ وقال: «المَجالِسُ بالأَمانةِ إلا ثلاثةَ مَجالسٍ: سَفْكُ دَمٍ حَرامٍ، أو فَرْجٌ حَرامٌ، أو اقتطاعُ مالٍ بغَيرِ حَقٍّ».

«**وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: المجالس بالأمانة**»؛ يعني: ينبغي للمؤمن إذا رأى أهلَ مجلسٍ على مُنكَرٍ ألاَّ يُشيعَ بما رأى منهم.

«**إلا ثلاثةَ مجالس: سفكُ دمٍ حرامٍ**»، بأن قال واحد من أهل ذلك المجلس: إني أريد قتلَ فلان.

«**أو فرجٌ حرامٌ**»، بأن قال: أريد الزِّنا بفلانةَ.

«**أو اقتطاعُ مالٍ بغيرِ حقٍّ**»، بأن قال: أريد أخذَ مالِ فلانٍ؛ فإنه لا يجوز للمستمعين حفظُ هذا السِّر؛ لأنه فسادٌ كبيرٌ، وإخفاؤُه إضرارٌ عظيمٌ.

* * *

٣٩٤٠ ـ وقال: «إنَّ مِن أعظَمِ الأَمانةِ عندَ الله تعالى يومَ القِيامةِ: الرَّجُلُ يُفْضـي إلى امرأَتِهِ وتُفضي إليه ثم يُفشي سِرَّها».

«**وعن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ: إن من أعظم الأمانة**»: بحذف المضاف؛ أي: أعظمِ خيانةِ الأمانةِ.

«**عند الله تعالى يومَ القيامة الرجلَ**»؛ أي: خيانةَ الرجلِ.

«**يُفضـي إلى امرأته**»؛ أي: يصلُ إليها استمتاعاً.

«**وتُفضـي إليه، ثم يُفشِي سرَّها**»: بأن يتكلم ما جرى بينه وبينها قولاً وفعلاً، قيل: تحريم إفشاء هذا السرِّ إذا لم يترتب عليه فائدةٌ، أما إذا ترتَّب بأن تدَّعي عليه العجزَ عن الجِمَاع، أو إعراضَه عنها، أو نحو ذلك فلا كراهةَ في ذِكرِه.

* * *

١٩ - باب

الرفق والحياء وحسن الخلق

«باب الرِّفق»: وهو المداراة ولين الجانب وأخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها، والعنف: ضده، «والحياء وحسن الخُلق».

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٤١ - عن عائِشةَ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ الله رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعطي على الرِّفْقِ ما لا يُعطي على العُنْفِ، وما لا يُعطِي على ما سِواهُ».

«من الصحاح»:

«عن عائشة: أن رسولَ الله ﷺ قال: إن الله رفيق»، معناه: أنه يريد بعباده اليُسر ولا يريد بهم العُسر، فلا يكلِّفهم فوقَ طاقتهم، بل يسامحهم ويَلطُف بهم.

«يحب الرِّفق»؛ أي: أن يرفقَ العبادُ بعضُهم بعضاً، ويتلاطفوا فيما بينهم.

«ويعطي على الرِّفق»؛ أي: يعطي من الثواب في مقابلة الرفق أو من المطالب والأغراض «ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»؛ أي: على ما سوى الرفق من الخِصَال الحسنة، وهذا يدل على أن الرفقَ أقوى الأسباب الحسنة كلِّها وأوثقُها.

* * *

٣٩٤٢ - وقال ﷺ لعائِشَةَ رضي الله عنها: «عليكِ بالرِّفْقِ، وإيَّاكِ والعُنْفَ والفُحْشَ، إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا يُنزَعُ مِن شيءٍ إلا شانَهُ».

«وقال ﷺ لعائشة: عليك بالرِّفق، وإياكِ والعنفَ والفحشَ؛ إن الرِّفقَ

لا يكون في شيء إلا زانَه»؛ أي: زيَّنَه.

«ولا يُنْزَع من شيءٍ إلا شانَه»؛ أي: عابَه.

* * *

٣٩٤٣ ـ وعن جريرٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ».

«وعن جرير، عن النبي ﷺ أنه قال: مَن يُحرَمِ الرفقَ يُحَرمِ الخيرَ»؛ أي: يصير محروماً منه.

* * *

٣٩٤٤ ـ وقال: «إنَّ الحياءَ مِن الإيمانِ».

«وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إن الحياءَ من الإيمان»؛ أي: مِن شُعَبه.

* * *

٣٩٤٥ ـ وقال: «الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ».

ويُروَى: «الحياءُ خيرٌ كلُّه».

«عن عِمران بن حُصين قال: قال رسول الله ﷺ: الحياءُ لا يأتي إلا بخير».

«ويُروى: الحياءُ خيرٌ كلُّه»: وهذا عامٌّ أُريد به الخاصُّ؛ أي: الحياء عن فعل ما لا يرضاه الله تعالى خيرٌ كلُّه.

* * *

٣٩٤٦ ـ وقال: «إنَّ مِمَّا أدركَ النَّاسُ مِن كلامِ النُّبوَّةِ الأولى: إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شئتَ».

«عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن مما أَدركَ الناسُ من كلام النبوة الأولى»؛ أي: مما بقي بين الناس، فأدركوه من كلام الأنبياء، وفي إضافة الكلام إلى النبوة إشعارٌ بأن هذا الكلامَ من نتائج الوحي، وفي التقييد بـ (الأولى) إشارةٌ بأن الحياءَ كان مندوباً إليه في الأولِين، لم يجرِ عليه النسخُ من شرائعهم.

«إذا لم تستحي فاصنعْ ما شئتَ»، قيل: هذا أمرُ تهديدٍ؛ أي: افعلْ ما شئتَ فستُجازَى به، كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾[فصلت: ٤٠]، وفيه إشعارٌ بأن الكافَّ للإنسان عن مواقعة السوء هو الحياءُ، فإذا رفضَه فهو كالمأمور بارتكابِ كلِّ ضلالةٍ وتعاطي كلِّ سيئةٍ، وقيل: لفظُه أمرٌ ومعناه خبرٌ؛ يعني: صنعتَ ما شئتَ، وفيه توبيخٌ له، وقيل: معناه: إذا كنتَ في فعلِك آمناً أن تستحيَ منه لجريك فيه على سَنَنِ الصواب فاصنعْ ما شئتَ.

* * *

٣٩٤٧ ـ عن النَّواسِ بن سَمْعانَ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البِرِّ والإثمِ، فقال: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حاكَ في صَدْرِكَ وكَرِهتَ أنْ يطَّلِعَ عليهِ الناسُ».

«عن النَّوَّاس» ـ بفتح النون وتشديد الواو ـ «ابن سِمْعَان»: بكسر السين المهملة وسكون الميم: «أنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البِرِّ والإثم؟ فقال: البِرُّ حسنُ الخُلق»، ومن ذلك: العفو عن الذنوب، ومدارة الناس، وتحمُّل أذاهم.

«والإثم ما حاك في صدرك»؛ أي: أثَّر قبحُه في قلبك، أو تردَّد فيه ولم تُرِدْ إظهارَه.

«وكرهتَ أنْ يطَّلعَ عليه الناس»؛ لقبحه.

* * *

٣٩٤٨ ـ وقال: «إنَّ مِن أحبكم إليَّ أَحْسنَكم أَخْلاقاً».

«وقال: إن مِن أحبكم إليَّ أحسنَكم أخلاقاً».

* * *

٣٩٤٩ ـ وقال: «إنَّ مِن خِيارِكم أَحْسَنَكم أَخْلاَقاً».

«وعن عبدالله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن من خيارِكم أحسنَكم أخلاقاً»، الخيار: المختار من كل شيء.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩٥٠ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أُعطِيَ حَظَّهُ مِن الرِّفقِ أُعطيَ حَظَّهُ من خيرِ الدُّنيا والآخرةِ، ومَن حُرِمَ حَظَّهُ مِن الرِّفْقِ حُرِمَ حظَّهُ مِن خيرِ الدُّنيا والآخِرَةِ».

«من الحسان»:

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال النبي ﷺ: مَن أُعطِيَ حظَّه من الرفق أُعطِيَ حظَّه من خير الدنيا والآخرة، ومَن حُرِمَ حظَّه من الرفق حُرِمَ حظَّه من خير الدنيا والآخرة».

* * *

٣٩٥١ ـ عن أبي هُريرَةَ قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «الحياءُ مِن الإيمانِ، والإيمانُ في الجَنَّةِ، والبَذَاءُ مِن الجَفاءِ، والجَفاءُ في النَّارِ».

«وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الحياءُ من الإيمان، والإيمانُ»؛ أي: أهلُ الإيمان «في الجنة، والبَذَاء» بفتح الباء: ضد الحياء.

«من الجَفَاء»: وهو خلاف البـر.

«والجفاءُ»؛ أي: أهلُ الجفاء «في النار».

* * *

٣٩٥٢ ـ وعن أُسامَةَ بن شَرِيكٍ قال: قالوا: يا رسولَ الله! ما خيرُ ما أُعْطِيَ الإنسانُ؟ قال: «الخُلُقُ الحَسَنُ».

«عن أسامة بن شَرِيك»: قيل: هو المدفون بتلٍّ من تلال سَهَنْد جبل على ستة فراسخ من تِبريز.

«قال: قالوا: يا رسولَ الله! ما خيرُ ما أُعطِيَ الناسُ؟ قال: الخُلقُ الحَسنُ».

* * *

٣٩٥٣ ـ عن حارِثَةَ بن وَهْبٍ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ الجَوَّاظُ ولا الجَعْظَرِيُّ»، قال: الجَوَّاظُ: الذي جَمَعَ ومَنَعَ، والجَعْظَرِيُّ: الغَليظُ الفَظُّ.

«عن حارثة بن وهب قال: قال ﷺ: لا يدخلُ الجنةَ الجَوَّاظُ» بفتح الجيم والواو المشددة: الجَمُوع المَنُوع، وقيل: الكثير اللحم، المختال في مشيه.

«ولا الجَعْظَرِي» بفتح الجيم وسكون العين وكسر الراء المهملتين وفتح الظاء المعجمة: المتكثِّر بما ليس عنده، وقيل: سيئ الخُلق، وقيل: الدفَّاع المنَّاع.

«قيل: الجَوَّاظ: الغليظُ الفَظُّ»؛ أي: المتكبـر.

* * *

٣٩٥٤ ـ عن أبي الدَّرْداءِ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ أثقلَ شَيءٍ يُوضَعُ في ميزانِ المُؤْمنِ يومَ القِيامةِ خُلُقٌ حَسَنٌ، وإنَّ الله يُبغِضُ الفاحِشَ البَذيءَ»، صحيح.

«وعن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: إن أثقلَ شيءٍ يُوضَعُ في ميزان المؤمن يومَ القيامة خُلقٌ حسنٌ، وإن الله يُبغض الفاحشَ البذيءَ. صحيح».

* * *

٣٩٥٥ ـ وعن عائِشَةَ، عن رَسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ المُؤمِنَ لَيُدرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجَةَ قائمِ اللَّيلِ وصائِمِ النَّهارِ».

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: إن المؤمنَ لَيدركُ بحسنِ خُلقه درجةَ قائم الليل وصائم النهار».

* * *

٣٩٥٦ ـ وعن أبي ذرٍّ قال: قال لي رَسولُ الله ﷺ: «اتَّقِ الله حَيْثُما كنتَ، وأَتْبعِ السَّيئةَ الحَسَنةَ تَمْحُهَا، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ».

«عن أبي ذَرٍّ ﷺ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: اتَّقِ الله حيث ما كنتَ وأَتْبـعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها»، فعُلِمَ منه أن العبدَ لا يستغني في حالٍ من الأحوال عن محوِ آثار السيئات عن قلبه، بمباشرة حسناتٍ تضادُّ آثارُها آثارَ تلك السيئات؛ فسماعُ الملاهي يكفَّر بسماع القرآن ومجالس الذِّكر، وشربُ الخَمر يكفَّر بالتصدُّق بكل شراب حلال، فقِسْ على هذا؛ لأن المرضَ يُعالَج بضدِّه.

«وخالِقِ الناسَ بخُلقٍ حسنٍ»؛ أي: استَعمِلِ الخُلقَ الحسنَ معهم.

* * *

٣٩٥٧ ـ عن عبدِالله بن مَسْعودٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ألا أُخْبـرُكم بِمَن يَحرُمُ على النَّارِ وبِـمَن تَحْرُمُ النَّارُ عليهِ؟ على كلِّ هَيـنٍ لَيـنٍ قريبٍ سَهْلٍ»، غريب.

«عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أُخبركم بمن يَحرُم على النار»؛ أي: لا يُطرَح فيها ولا يَدخلها.

«وبمن تَحرُم النارُ عليه؟»؛ أي: لا تَصِلُ إليه.

«على كل هيـن» من: الهون، وهو السهولة.

«ليـن»؛ أي: حليم، ضد الخشونة، قيل: هما يُطلَقان على الإنسان بالتثقيل والتخفيف، وعلى غيره بالتشديد على الأصل.

وعن ابن الأعرابي: بالتخفيف للمدح، وبالتشديد للذم.

«قريب» من الناس بمجالستهم وملاطفتهم.

«سهل»؛ أي: في قضاء حوائجهم وتمشية أمورهم وإعانتهم.

«غريب».

* * *

٣٩٥٨ ـ عن أبي هريرةَ، عن النَّبـيِّ ﷺ قالَ: «المُؤْمِنُ غِرٌّ كريمٌ، والفاجِرُ خِبٌّ لئيمٌ».

«عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: المؤمنُ غِرٌّ» بكسر الغين المعجمة: الذي لم يجرِّب الأمور.

«كريم، والفاجر خَبٌّ» بفتح الخاء المعجمة: ضد (الغِرِّ)، وهو الخدَّاع، وقد يُكسَر.

«لئيم»، والمعنى: أن المؤمنَ المحمودَ: مَن في طبعه غرارةٌ وقلةُ شرٍّ

وتركُ بحثٍ عنه، وليس ذلك منه جهلاً، بل كرماً وحسنَ خلقٍ، والفاجرُ: مَن كانت عادتُه الدهاءَ والبحثَ عن الشرِّ؛ لا على أنه عقلٌ منه، بل خبثٌ ولؤمٌ.

* * *

٣٩٥٩ ـ وقال: «المُؤمنونَ هَيـنونَ لَيـنونَ، كالجَمَلِ الأَنِفِ، إنْ قِيدَ انقادَ، وإنْ أُنيخَ على صَخْرةٍ استناخَ»، مُرسَلٌ.

«**وعن ابن عمر** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: **المؤمنون هيـنون ليـنون**»: هما جمعا (هيـن) و(ليـن).

«**كالجمل الأَنِف**» بفتح الهمزة وكسر النون، وبالقصر في الصحيح: هو البعير الذي أثرت البُرَةُ في أنفه، فصار أنفُه مجروحاً، ويكون إذ ذاك أشدَّ انقياداً.

يقال: أَنِفَ البعيرُ يَأنَف ـ بالكسر ـ أنِفاً، فهو آنف: إذا اشتكى أنفُه من الخشاش المدخول في عظم أنفه، وهو من خشب، والبُرَة من صُفْرٍ، والكاف مرفوعة محلاً خبراً ثانياً؛ أي: كلُّ واحدٍ منهم كالجمل الأَنِف، أو منصوبة المحل صفة مصدر محذوف؛ أي: ليـناً مثلَ لِين الجمل الأَنِف.

«**إنْ قِيدَ انقادَ، وإن أُنيخَ إلى صخرة استَنَاخَ**»، والمعنى: أن المؤمنَ شديدُ الانقياد للشارع في أوامره ونواهيه، وذكر الصخرةَ في جانب الإناخة؛ لأنها عليها شاقةٌ؛ أي: هو كثيرُ تحمُّل المشاقِّ.

«**مرسل**».

* * *

٣٩٦٠ ـ وعن ابن عمرَ، عن النَّبيِّ ﷺ **قال: «المُسْلِمُ الذي يُخالِطُ النَّاسَ ويَصبـرُ على أذاهُمْ، أَفْضَلُ مِن الذي لا يُخالِطُهم ولا يَصْبـرُ على أذاهُمْ».**

«عن ابن عمر ﷺ قال: المسلم الذي يخالط الناسَ ويصبر على أذاهم أفضلُ من الذي لا يخالطهم، ولا يصبرهم على أذاهم».

* * *

٣٩٦١ ـ وعن سهلِ بن مُعاذٍ، عن أبيه: أَنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «مَن كَظَمَ غَيْظاً وهو يقدِرُ على أنْ يُنْفِذَهُ دعاهُ الله على رُؤوسِ الخَلائقِ يومَ القِيامةِ، حتى يُخَيـرَهُ في أيِّ الحُورِ شاءَ»، غريب.

وفي رِوايةٍ: «مَلأَ الله قلبَه أَمْناً وإيماناً».

وزادَ بعضُهم: «مَن تركَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمالٍ وهو يقدِرُ عليهِ ـ أَحْسِبُه قال: ـ تواضُعاً كساهُ الله حُلَّةَ الكَرامةِ، ومَن تَزَوَّجَ للهِ توَّجَهُ الله تاجَ المُلكِ».

«عن سهل بن معاذ، عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: مَن كظمَ غيظاً»؛ أي: اجتَرعَ غضباً كامناً.

«وهو يَقدِر على أن يُنفِذَه»؛ أي: يُمضيه، من: الإنفاذ، الإمضاء.

«دعاه الله على رؤوس الخلائق يومَ القيامة حتى يخيـرَه في أيِّ الحُورِ شاء. غريب».

«وفي رواية: ملأ قلبَه أمناً وإيماناً، وزاد بعضهم»؛ أي: بعضُ الرواة على الحديث المذكور روايةً عنه ﷺ: «مَن تركَ لبسَ ثوبِ جمالٍ، وهو يَقدِر عليه، أَحسِبه»؛ أي: قال الراوي: أظنُّ النبيَّ ﷺ «قال: تواضعاً» ـ مفعول له لقوله: (ترك) ـ «كَسَاه الله حُلَّةَ الكرامة»؛ أي: زينتها.

«ومَن تزوَّج لله توَّجه الله»؛ أي: أَلبسَه «تاج الملك».

* * *

٢٠ ـ باب

الغضب والكبر

(باب الغضب والكِبْر)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٦٢ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ رَجُلاً قال للنَّبـيِّ ﷺ: أَوْصِني، قال: «لا تَغضَبْ»، فرَدَّدَ مِراراً، قال: «لا تغضَبْ».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرة ﷺ: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصِني، قال: لا تَغضبْ، فردَّد»؛ أي: فردَّد الرجلُ السؤالَ «مراراً، قال: لا تغضبْ»: يحتمل أن يكون الرجلُ المُستوصِي مبتلًى بالقوة الغضبية، وعَرفَ ﷺ ذلك منه بالكشف لأحوال الناس؛ إما بالاطلاع الإلهي، أو بالفِراسة الصادقة، فأجابه بكل مرة بكسر تلك القوة.

* * *

٣٩٦٣ ـ وقال: «ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عندَ الغَضَبِ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ليس الشديدُ»؛ أي: القويُّ.

«بالصُّرَعة»: وهي بضم الصاد وفتح الراء المهملتين للمبالغة؛ أي: يُكثِر الصَّرْعَ، وهو الإسقاط؛ يعني: ليس القويُّ مَن يكون قادراً على إسقاط خصومه.

«إنما الشديدُ الذي يَملِك نفسَه عند الغضب»؛ يعني: إنما القويُّ مَن يَقدِر

على أن يَقهرَ أقوى أعدائه، وهو النَّفْسُ، عند الغضب، حوَّل ﷺ معنى هذا الاسم من أمر الدنيا إلى أمر الدين.

* * *

٣٩٦٤ ـ وقال: «ألا أُخبـرُكم بأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كلُّ ضَعيفٍ مُتضَعَّفٍ، لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّهُ، ألا أُخبـرُكُم بأَهْلِ النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتكْبرٍ».

ويُروَى: «كلُّ جَوَّاظٍ زَنيمٍ مُتكبـرٍ».

«**عن حارثة بن وهب قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كلُّ ضعيفٍ متضعَّف**» بفتح العين؛ أي: مَن يستضعفه الناسُ ويحتقرونه.

ورُوي بكسر العين؛ أي: متواضع، قيل: المراد به: الخاضع لله تعالى.

«**لو أَقسَمَ على الله**»، بأن يقول: بحقِّك يا ربِّ! افعلْ كذا.

«**لأَبرَّه**»؛ أي: لأَمضاه على الصدق، والضمير المفعول للقَسَم الدال عليه (أقسم).

«**ألا أخبركم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ**»: وهو بضم العين والتاء وتشديد اللام ـ الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الفَظُّ الغليظ الذي لا ينقاد ويتجبَّر.

«**جَوَّاظ**[1]» بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة، وهو الذي يجمع ويمنع، وقيل: السَّمين الثقيل من المعاشرة والتنعُّم.

«**مُستكبـر، ويروى: كلُّ جَوَّاظٍ زَنيمٍ**»: وهو المُلحَق في النَّسَب بقومٍ ليس منهم، شُبـه بالزَّنَمَة، وهي شيءٌ يُقطَع من أذن الشاة ويُترك معلقاً بها، وقيل: الفاخر، وقيل: اللئيم.

«**متكبـر**».

---

(١) في هامش «غ»: «جامع المال ومانع الزكاة».

والمراد بالحديث: أن أغلبَ أهل الجنة والنار هذان الفريقان.

* * *

٣٩٦٥ ـ وقال: «لا يدخُلُ النَّارَ أَحَدٌ في قلبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ من خَرْدلٍ مِن إيمانٍ، ولا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ في قلبِهِ مِثْقالُ حبةٍ من خَرْدلٍ مِن كِبْرياءَ».

«وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل النارَ أحدٌ في قلبه مثقالُ حبةٍ من خَردلٍ من إيمانٍ، ولا يدخل الجنةَ أحدٌ في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من كبرياء»، يريد به: كِبْر الكفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]، وبدليل مقابلته بالإيمان، وأراد بالدخول: دخولَ تأبيد، أو أراد: أنه لا يدخل المؤمنُ المتكبر الجنةَ حتى يعذَّب بقَدْر تكبُّره وتجبُّره، أو يُعفَى عنه، أو إذا دخل الجنةَ نُزِعَ ما في قلبه من كِبْرٍ؛ ليدخلَها بلا كِبْر، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[الأعراف: ٤٣].

* * *

٣٩٦٦ ـ وقال: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أحدٌ في قلبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ»، فقالَ رجلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حَسَناً، ونَعْلُهُ حسناً؟ قالَ: إنَّ الله جَميلٌ يُحبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنةَ أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْرٍ»، و(المِثقال) في الأصل: مقدار من الوزن أي شيء كان، من قليل أو كثير، فمعنى (مثقال ذَرَّة): وزنها، والذَّرَّة: واحدة الذَّرِّ، وهو النمل الأحمر الصغير، وقيل: يُراد بها ما يُرى في شعاع الشمس الداخل في الكُوة.

«فقال رجل»، قيل: هو معاذ بن جبل، وقيل: عبدالله بن عمرو بن العاص، وقيل: ربيعة بن عامر.

«إن الرجلَ يحبُّ أن يكونَ ثوبُه حسناً ونعلُه حسناً؟ فقال: إن الله جميلٌ»؛ أي: حسنُ الأفعالِ كاملُ الأوصافِ.

«يحبُّ الجمالَ. الكِبْرُ بَطَرُ الحق»، و(البَطَر): هو الطغيان عند النعمة وطول الغنى: والمراد هنا: أن يجعل ما جعلَه الله حقّاً من توحيده وعبادته باطلاً.

قال الكِسائي: هو أن يتكبَّر عن الحق من أوامر الله ونواهيه.

«وغَمْطُ الناسِ»؛ أي: احتقارُهم وازدراؤهم.

* * *

٣٩٦٧ ـ وقال: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يومَ القِيامَةِ ولا يُزكِّيهم ـ ويُرْوَى: ولا يَنظُرُ إليهم ـ ولهم عَذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّابٌ، وعائِلٌ مُسْتكبِرٌ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله يومَ القيامة»؛ أي: كلامَ الرضا.

«ولا يزكِّيهم»؛ أي: لا يطهِّرهم من دَنَس ذنوبهم.

«ويروى: ولا ينظر إليهم»؛ أي: لا يَلطُف بهم.

«ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ»؛ لأن الزنا إذا كان قبيحاً من الشاب ـ مع كونه معذوراً طبعاً ـ فمِنَ الشيخ المنطفئ شهوتُه يكون أقبحَ.

«ومَلِكٌ كذَّاب»؛ لأن الكذبَ مع كونه محظوراً يكون غالباً لغرضٍ، كجلبِ نفعٍ ودفعِ ضرٍّ، فمِنَ الملكِ القادرِ عليه بدونه يكون أقبحَ.

«وعائل مستكبر»؛ أي: فقير متكبر؛ لأن كِبْرَه ـ مع انعدام سبب فيه من المال أو الجاه ـ يدل على كون طبعه لئيماً، وقيل: العائل: ذو العيال، فتكبُّرُه

عن سؤال الصدقة والزكاة، وعدم قَبوله ما يسدُّ خَلَّته وخَلَّةَ عياله، لم يكن إلا لاستيلاء هذه الرذيلة عليه، بحيث يلحقه وعيالَه الضررُ من تكبُّره.

* * *

٣٩٦٨ ـ وقال: «قالَ الله تعالى: الكِبْرِياءُ رِدائي، والعَظَمةُ إزاري، فمَن نازَعَني واحِداً منهما قَذَفتُهُ في النَّارِ».

«وعن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: الكِبرياء ردائي، والعَظَمةُ إزاري؛ فمَن نازَعَني واحداً منها قذفتُه في النار»: تقدم بيانه في الباب الأول من الكتاب.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩٦٩ ـ عن سَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يزالُ الرَّجُلُ يذهَبُ بنفْسِه حتى يُكتَبَ في الجبَّارِينَ، فيُصيبُهُ ما أصابَهم».

«من الحسان»:

«عن سَلَمة بن الأكوع قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال الرجلُ يَذهب بنفسه». الباء فيه: للتعدية؛ أي: يُعلِي نفسَه ويُبعدها عن الناس في المرتبة ويعتقدها عظيمةَ القَدْر، ويحتمل أن يكون للمصاحبة، فمعناه: يرافق نفسَه في ذهابها إلى الكِبْر ويعزِّزها ويكرِّمها.

«حتى يُكتبَ في الجبَّارين، فيصيبه»؛ أي: الرجلَ **«ما أصابهم»** من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة.

* * *

٣٩٧٠ ـ عن عَمْرِو بن شُعَيبٍ، عن أَبيه، عن جَدِّه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «يُحشَرُ المُتكبـرونَ أمثالَ الذَّرِّ يومَ القيامةِ في صُورة الرِّجالِ، يَغشاهُم الذُّلُّ مِن كلِّ مَكانٍ، يُساقونَ إلى سِجْنٍ في جَهَنَّمٍ يُسَمَّى: بُولَسَ، تَعْلُوهم نارُ الأَنيارِ، يُسْقَوْنَ مِن عُصارةِ أهلِ النَّارِ طِينةَ الخَبَالِ».

«وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: يُحشَر المتكبـرون أمثالَ الذَّرِّ» بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء: جمع ذَرَّة.

«يومَ القيامة في صورة الرجال»، يريد: أن صُوَرَهم صورةُ الإنسان، وجُثَثَهم النملُ الصِّغارُ.

«يغشاهم»؛ أي: يأتيهم.

«الذلُّ من كل مكان»؛ أي: من كل جانب؛ يعني: يكونون على غاية الذل والحقارة، يَطؤُهم أهلُ المَحشر بأرجلهم.

«يُساقون إلى سجنٍ في جهنم يُسمى: بَولَس» بفتح الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام وكسرها: فَوعَل من: الإبلاس، بمعنى: اليأس، ولعل هذا السجنَ يُسمى به ليأسِ داخلِهِ من الخلاص.

«تعلوهم نارُ الأنيار» جمع: نار، ومعنى (نار الأنيار): هو أنه كأن هذه النارَ لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران فعلَ النار بغيرها.

«يُسقَون من عُصَارةِ أهلِ النارِ طينةَ الخَبال» بفتح الخاء المعجمة: اسم عُصَارة أهل النار، وهو ما يَسيل منهم من الصَّديد والقَيح والدم.

* * *

٣٩٧١ ـ عن عَطِيَّةَ بن عُرْوةَ السَّعديِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الغَضَبَ مِن الشَّيطانِ، وإنَّ الشَّيطانَ خُلِقَ مِن النَّارِ، وإنَّما تُطْفَأُ النَّارُ بالماءِ، فإذا

غَضِبَ أحدُكم فليتَوَضَّأْ».

«عن عطية بن عروة السعدي قال: قال رسول الله ﷺ: إن الغضبَ من الشيطان، وإن الشيطانَ خُلِقَ من النار، وإنما تُطفَأُ النارُ بالماء؛ فإذا غضب أحدكم فَلْيتوضَأْ»؛ فإن فيه اشتغالاً مانعاً من البطش، وذِكرُ الله تعالى مُبعِدٌ للشيطان ومُسكِّنٌ لثائرة الغضب ببركة العبادة والذِّكر.

* * *

٣٩٧٢ ـ وعن أبي ذَرٍّ: أنَّ رسولُ الله ﷺ قال: «إذا غَضِبَ أَحَدُكم وهو قائِمٌ فلْيَجْلِسْ، فإنْ ذَهَبَ عنه الغَضَبُ وإلا فَلْيَضْطَجِعْ».

«عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا غضبَ أحدُكم وهو قائم فَلْيجلسْ، فإن ذهب عنه الغضبُ وإلا فَلْيَضطجِعْ»: إنما أَمر الغضبانَ بالقعود والاضطجاع؛ لئلا يحصلَ منه حالَ غضبه ما يَندَم عليه، فإن المضطجعَ أبعدُ من الحركة والبطش من القاعد، وهو من القائم.

* * *

٣٩٧٣ ـ عن أسماءَ بنت عُمَيْس: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «بِئْسَ العَبْدُ عبدٌ تخيَّلَ واختالَ، ونَسِيَ الكبيرَ المُتَعالِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تجبَّرَ واعتدَى، ونسيَ الجَبَّارَ الأَعْلى، بِئْسَ العَبْدُ عبدٌ سَها ولها، ونَسِيَ المَقابِـرَ والبِلَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ عَتا وطَغَى، وَنَسيَ المُبتدَأَ والمُنتهى، بِئْسُ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيا بالدِّينِ، بِئْسَ العَبْدُ عبدٌ يَخْتِلِ الدِّينَ بالشُّبُهاتِ، بِئسَ العَبْدُ عبدٌ طَمَعٌ يقودُهُ، بِئسَ العَبْدُ عبدٌ هَوًى يُضِـلُّه، بِئسَ العَبْدُ عبدٌ رَغَبٌ يُذِلُّه»، غريب.

«عن أسماء بنت عُميس قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: بِئسَ العبدُ عبدٌ تخيَّل»، من: الخُيَلاء، الكِبْر والعُجْب، أو تُخيل له أنه خيرٌ من غيره،

واعتقد نفسَه عظيمةً.

«واختال»؛ أي: تكبَّر وتجبَّر.

«ونسيَ الكبيرَ المتعال»؛ أي: نســـيَ أن الكبرياءَ والتعالي ليس إلا لله تعالى.

«بئسَ العبدُ عبدٌ تجبَّر واعتدى»؛ أي: جاوزَ قَدْرَه بأن يتكبَّر، وأعرضَ عن أوامر الله تعالى.

«ونسيَ الجبارَ الأعلى، بئسَ العبدُ عبدٌ سَهَا»؛ أي: صار غافلاً عن الحق والطاعة، وإلا فسائر الأنبياء والصُّلَحاء قد سَهَوا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥].

«ولَهَا»؛ أي اشتغل باللهو واللعب والهَذَيان.

«ونسيَ المقابرَ والبِـلَى» بكسر الباء وفتح اللام: هو الخُلُوقة، بأن يصيرَ الشخصُ في القبر رميماً رُفاتاً.

«بئسَ العبدُ عبدٌ عتا»؛ أي: تجبَّر وتكبَّر.

«وطَغَى»؛ أي: جاوزَ الحدَّ في الشر.

«ونسيَ المُبتدَأ»؛ أي: ابتداءَ خَلقِه، وهو النُّطفة ثم العَلَقة، فأنعمَ الله عليه فصوَّرَه صورةً حسنةً. ورزقَه من أنواع النِّعَم، فلم يشكر هذه النِّعَمَ.

«والمُنتهى»: وهو القبر والقيامة؛ أي: الذي إليه عَودُه، وهو التراب، وكأن هذا إشارةٌ منه ﷺ إلى التحريض على معرفة المَبدأ والمَعاد، النافعِ يومَ التناد.

«بئسَ العبدُ عبدٌ يَختِل الدنيا بالدِّين»؛ أي: يَخدعُ أهلَ الدنيا بعمل الصُّلَحاء وأهل الديانة؛ ليعتقدوا فيه؛ لينالَ منهم مالاً وجاهاً، من: (خَتَلَ الذئبُ الصيدَ): خدعَه وتخفَّى له، وخَتَلَ الصائدُ مشيَه للصيد قليلاً في خفيةٍ؛ لئلا

يسمعَ حسّاً، شبَّه فعلَ المُظهِرِ دِيناً وورعاً ذريعةً إلى تحصيل الدنيا بختل الذئب والصائد وخدعهما للصيد.

«بئسَ العبدُ عبدٌ يَختِل الدِّينَ بالشُّبهات»؛ أي: يقع في الحرام بالتأويل؛ أي: يجعل الإتيانَ بالشُّبهات أساسَ دِينه، ويَخدع أهلَ المِلَّة بذلك مُظهِراً لهم مهارتَه في الدِّين.

«بئسَ العبدُ عبدٌ طمعٌ»: هو وصفٌ بالمصدر مبالغةً، أو على تقدير: ذو طمع، أو له طمع «يقوده»، وكذا في قوله:

«بئسَ العبدُ عبدٌ هَوًى يُضلُّه»، ولو قُرِئ بالإضافة ـ كما ذُكر في شرحٍ ـ بها لَجازَ واستقامَ بلا تكلُّف.

«بئسَ العبدُ عبدٌ رُغْبٌ»: وهو ـ بضم الراء وسكون الغين المعجمة: الشَّرَهُ والحرصُ على الدنيا، وأصله: سعة الجوف، يقال: جوف رغيب؛ أي: واسع.

«يُذلُّه»، وقيل: الرُّغب: سعة الأمل وطلب الكثير.

ويُروى بفتح الغين بمعنى: الرغبة في الدنيا.

«ضعيف».

* * *

٢١ ـ باب

الظُّلمِ

(باب الظُّلم)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٧٤ ـ عن ابن عُمَرَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «الظُّلْمُ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَةِ».

«من الصحاح»:

«عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: الظُّلمُ ظلماتٌ يوم القيامة» جمع: الظُّلمة، والمراد بها: الشدائد، كما فُسرت بها في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[الأنعام: ٦٣]؛ يعني: الظلمُ سببٌ لشدائد صاحبه، ويجوز أن يُحمَل على ظاهره، فيكون الظلمُ سبباً لبقاء الظالم في الظُّلمة، فلا يهتدي إلى السبيل حين يسعى نورُ المؤمنين بين أيديهم.

* * *

٣٩٧٥ ـ عن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «اتَّقوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ، واتَّقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَن كانَ قبلَكم، حَمَلَهم على أنْ سَفَكُوا دِماءَهم واستَحَلُّوا مَحارِمَهم».

«وعن جابر: أن رسولَ الله ﷺ قال: اتقوا الظلم؛ فإن الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة، واتقوا الشُّحَّ»: وهو منع الواجب، وقيل: هو الحرص الشديد الذي يَحملُه على ارتكاب المَحارم وإتيان الفواحش.

«فإن الشُّحَّ أَهلَكَ مَن كان قبلكم، حملَهم على أن يسفكوا دماءَهم»؛ أي: حرَّضَهم على جمع المال، حتى قتلَ بعضُهم بعضاً لأخذه.

«واستحلُّوا مَحارِمَهم»؛ أي: جعلوا المُحرَّمَ عليهم من وطءِ نسائهم حلالاً.

* * *

٣٩٧٦ ـ وقال: «إنَّ الله لَيُملي للظَّالِمِ حتى إذا أخذَهُ لم يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ الآية».

«وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لَيُمْلِي للظالم»، من: الإملاء، الإمهال والتأخير؛ أي: لَيُمهِلُ ويطوِّل عمرَه حتى يَكثُرَ منه الظلمُ

والفواحشُ، ثم يأخذُه أخذاً شديداً.

«حتى إذا أخذَه لم يُفلِتْه»؛ أي: لم يتركْه، ولم يخلصْ من الله.

«ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾»؛ أي: أهلَ القرى.

«﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ الآية».

وفي الحديث: تسلية للمظلوم، ووعيد للظالم؛ لئلا يغترَّ بإمهاله.

* * *

٣٩٧٧ ـ عن ابن عُمَرَ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بالحِجْرِ قال: «لا تَدخُلوا مَساكِنَ الذينَ ظَلَموا أنفسَهم إلا أنْ تَكُونُوا باكِينَ، أنْ يُصيبَكم مِثْلُ ما أصابَهم»، ثم قَنَّعَ رأسَه، وأَسْرَعَ السَّيْرَ حتى اجتازَ الوادِيَ.

«**عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمَّا مرَّ بالحجْر**» بفتح الحاء المهملة قبل الجيم الساكنة وكسرها: اسمٌ لأرض ثمود قوم صالح عليه السلام «**قال: لا تدخلوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسَهم إلا أن تكونوا باكين؛ أن يصيبَكم**»؛ أي: حذرَ أن يصيبَكم «**ما أصابَهم**»، وكان قولُه ﷺ ذلك عند مسيره إلى تبوك، خَشِيَ ﷺ على أصحابه أن يجتازوا على تلك الديار ساهين، غيرَ متَّعظين بما أصاب أهلَ تلك الديار، وقد أمرَهم الله بالانتباه والاعتبار في مثل تلك المواطن.

قيل: الداخلُ دارَ قومٍ أُهلكوا بخسفٍ أو عذابٍ غيرَ باكٍ شفقةً عليهم أو على نفسه من حلول مِثلِه به = يدلُّ على قساوة القلب وقلة الخشوع، فلا يَأمنَ مَن كان كذا أن يصيبَه ما أصابهم.

وفيه: دليل على أن ديارَ هؤلاء لا تُتخذ وطناً؛ لأنه لا يكون دهرَه كلَّه باكياً.

«ثم قنَّع رأسَه» بتشديد النون: مبالغة من الإقناع؛ أي: أطرقَ ولم يلتفت يميناً وشمالاً؛ لئلا يقعَ نظرُه عليها، أو جعلَ قناعاً على رأسه شبهَ الطَّيلسان.

«وأسرعَ السيرَ حتى اجتاز الوادي»؛ أي: قطعَه وخرجَ من حدِّه.

* * *

٣٩٧٨ ـ عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَن كانَت له مَظْلَمَةٌ لأَخيهِ مِن عِرْضِه أو شيءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ، قبلَ أنْ لا يكونَ دينارٌ ولا دِرْهمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صالحٌ أُخِذَ منهُ بقدرِ مَظْلَمَتِه، وإنْ لم يكنْ له حَسَناتٌ أُخِذَ مِن سَيئاتِ صاحبِهِ فحُمِلَ عليهِ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَن كانت له مَظلِمة» بكسر اللام: اسمُ ما أخذَه الظالم.

«لأخيه»؛ أي: في الدنيا.

«مِن عِرضه»، عِرْضُ الرجل: جانبه الذي يَصُونه من نفسه وحَسَبه، ويَتَحامى أن يُنتقصَ.

«أو شيء»: تعميم بعد التخصيص؛ أي: من شيءٍ آخرَ، كأخذ ماله أو المنع من الانتفاع به.

«فَلْيتحلَّلْه منه»؛ أي: لِيَطلبْ من أخيه حِلَّه.

«اليومَ» أراد به: حياة الدنيا.

«قبلَ أن لا يكونَ دينار ولا درهم»؛ أي: قبلَ يومِ القيامة؛ لأن الدينارَ والدرهمَ لا يوجدان فيه.

«إن كان له عمل صالح»: هذا استئنافُ جوابِ عمَّن قال: فكيف الحالُ إذا لم يكن دينار ولا درهم هناك؟

«أُخذ منه بقَدْر مَظلمته، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه»: يحتمل أن يكون المأخوذُ نفسَ الأعمال، بأن يتجسَّد فيصير كالجوهر، وأن يكون ما أُعدَّ لها من النِّعَم والنِّقَم إطلاقاً للسبب على المسبب، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]؛ لأن الظالمَ في الحقيقة مَجْزِيٌّ بوِزْرِ ظلمِه، وإنما أَخذ من سيئات المظلوم تخفيفاً له وتحقيقاً للعدل.

* * *

٣٩٧٩ ـ عن أبي هُريرةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أتدرونَ ما المُفْلِسُ»؟ قالوا: المُفْلِسُ فينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا متاعَ، فقال: «إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يأتي يومَ القِيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعطَى هذا مِن حَسَناتِه، وهذا مِن حَسَناتِه، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُه قبلَ أنْ يُقضَى ما عليهِ أُخِذَ مِن خطاياهم فطُرِحَتْ عليهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ».

«**عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أتدرون مَنِ المُفلِسُ؟ قالوا: المُفلِس فينا مَن لا درهمَ له ولا متاعَ، فقال: إن المُفلِسَ مِن أمتي**»: هذا بيان لمُفلِس أمته في الحقيقة، وليس باحتراز عن سائر الأمم.

«**مَن يأتي يومَ القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شَتمَ هذا، وقَذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا**»؛ أي: أَراقَ.

«**وضربَ هذا**»؛ يعني: بغير حقٍّ في الجميع.

«**فيُعطَى**» ـ على بناء المجهول ـ «**هذا من حسناته**»؛ أي: المظلومُ بعضَ حسنات الظالم.

«وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليه»؛ أي: من الحقوق.

«أُخذ من خطاياهم»؛ أي: خطايا أصحاب الحقوق.

«فطُرحت عليه، ثم طُرِحَ في النار».

* * *

٣٩٨٠ ـ وقال: «لَتَؤَدُّنَّ الحُقوقَ إلى أَهْلِها يومَ القِيامةِ حتى يُقادَ للشَّاةِ الجَلْحاءِ مِن الشَّاةِ القَرْناءِ».

«وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لَتَؤَدُّنَّ الحقوقَ»: اللام فيه جواب قَسَم مقدَّر، والدال فيه مضمومة، والفعل مسنَد إلى الجماعة الذين خُوطِبُوا به، و(الحقوقَ): مفعوله.

«إلى أهلها يومَ القيامة حتى يُقادَ»؛ أي: يُقتَصَّ.

«للشاة الجَلْحاء»: وهي التي لا قرنَ لها.

«من الشاة القَرناء»: وهي التي لها قرنٌ؛ يعني: لو نَطَحتْ شاةٌ قرناءُ شاةً جلحاءَ في الدنيا؛ فإذا كان يومُ القيامة يُؤخَذ القرنُ من الشاة القرناء ويُعطَى الجلحاء، حتى تقتصَّ لنفسها من الشاة القرناء.

فإن قيل: الشاة غير مكلَّفة، فكيف يُقتصُّ منها؟

قلنا: الله تعالى فعَّال لما يريد: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[الأنبياء: ٢٣]، والغرض منه: إعلامُ العباد بأن الحقوقَ لا تضيع، بل يُقتصُّ حقُّ المظلوم من الظالم.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩٨١ ـ عن حُذَيفة ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تكونوا إمَّعةً؛

تقولونَ: إنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنا، ولكنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكم: إنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أنْ تُحْسِنُوا، وإنْ أساؤُوا فلا تَظْلِموا».

«من الحسان»:

«عن حذيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تكونوا إمَّعَةً» بكسر الهمزة وفتح الميم المشددة: هو الذي يقول لكل أحدٍ: أنا معك؛ لضعف رأيه ويقلد الناس، والفعل منه: تأمَّع واستأمَعَ، والهاء للمبـــالغة، ولا يُستعمل في النساء، ووزنه: (فِعَّلَة)، وليست الهمزة زائدة لعدم (إفْعَلَة) في الصفات، وهي في الأسماء أيضاً قليلةٌ والمراد به هاهنا: الذي يقول: أنا أكون مع الناس كما يكونون معي.

«تقولون: إنْ أَحسنَ الناسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمْنا، ولكن وطِّنُوا» أمر من: التوطين، وهو العزم الجازم على الفعل، وقيل: أي: ثبـتوا «أنفسَكم إنْ أَحسنَ الناسُ أن تُحسِنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا».

* * *

٣٩٨٢ ـ كتبَ مُعاوِيةُ إلى عائِشَةَ رضي الله عنها: أنْ اكْتُبي إليَّ كتاباً تُوصِيني فيهِ ولا تُكْثِري، فكتَبَتْ: ســلامٌ عليكَ، أمَّا بعدُ: فإنِّي ســمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنِ التَمَسَ رِضا الله بسَخَطِ النَّاسِ كفاهُ الله مَؤُونَةَ النَّاسِ، ومَنِ التَمَسَ رِضا النَّاسِ بسَخَطِ الله وَكَلَهُ الله إلى النَّاسِ، والسَّلامُ عليكَ».

«وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى عائشة: أن اكتبي إليَّ كتاباً توصيني فيه ولا تُكْثِري، فكتبت: سلامٌ عليك، أما بعدُ: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: مَنِ التمسَ رضا الله بسخط الناس»؛ أي: مَن طَلبَ رضاه في شيءٍ يسخَطُ الناسُ بسببه عليه.

«كفاه الله مُؤْنَةَ الناس»؛ أي: من الظلم والشرِّ الواصل إليه منهم.

«ومَنِ التمسَ رضا الناس بسخط الله وَكَلَه الله إلى الناس»؛ أي: سلَّطهم عليه، حتى يؤذوه ويظلموا عليه.

«والسلام عليك»، اللام فيه: للعهد.

* * *

٢٢ ـ باب

الأمر بالمعروف

(باب الأمر بالمعروف)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٨٣ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ: «مَن رَأَى مِنكم مُنكَراً فلْيُغيـرْه بيدِهِ، فإنْ لم يستَطِعْ فَبلسانِهِ، فإنْ لم يستطِعْ فبقلبـهِ، وذلكَ أضعفُ الإيمانِ».

«من الصحاح»:

«عن أبي سعيد الخُدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مَن رأى منكم منكراً»: وهو ما ليس فيه رضا الله تعالى من قول أو فعل، والمعروف ضده.

«فَلْيغيـرْه»؛ أي: فَلْيدفَعْ ذلك المنكرَ «بيده، فإن لم يستطع»؛ أي: لم يَقدِر على الدفع باليد؛ لأن فاعلَه أقوى منه.

«فبلسانِه»؛ أي: فَلْيغيـرْه بالقول.

«فإن لم يستطع»؛ أي: على المنع بالقول.

«فبقلبـه»؛ أي: فَلْيَكرهْه بقلبه، بأن يقول: اللهم هذا مُنكَرٌ؛ إذ ليس في

وسعه التغييرُ إلا هذا القَدْر.

«وذلك»؛ أي: كراهتُه بقلبه «أضعفُ الإيمان»؛ أي: أقله ثمرة.

* * *

٣٩٨٤ ـ وقالَ: «مَثَلُ المُدْهِنِ في حُدودِ اللهِ والواقِعِ فيها، مَثَلُ قَوْمٍ استَهمُوا سَفينةً، فصارَ بَعضُهم في أَسْفَلِها، وصارَ بعضُهم في أعلاها، فكانَ الذي في أَسْفَلِها يَمُرُّ بالماءِ على الذينَ في أعلاها فتَأَذَّوا بهِ، فأَخَذَ فَأْساً فجعلَ ينقُرُ أَسْفَلَ السَّفينةِ، فأَتَوْهُ فقالوا: ما لكَ؟ فقالَ: تأذَّيتُم بي، ولا بُدَّ لي مِن الماءِ، فإنْ أَخَذُوا على يَدَيهِ أَنجوْهُ، ونَجَّوا أنفُسَهم، وإنْ تَرَكُوه أَهْلَكُوه، وأَهْلَكُوا أنفسَهم».

«عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَثَلُ المُداهِن في حدود الله»، المداهنة: المساهلة في الأمر: والمداهنة في الشرع: أن يرى منكراً، ويَقدِر على دفعه، ولم يَدفعْه؛ حفظاً لجانب مُرتكِبه أو جانب غيره، أو قلةَ مبالاةٍ في الدين، وقيل: هو الذي يخفيها ولا يتكلم بها؛ لخوفٍ أو طمعٍ.

«والواقع فيها»؛ أي: في الحدود؛ أي: الفاعل للمناهي.

«مَثَلُ قومٍ استهموا سفينةً»؛ أي: اقترعوا سُكْناها بالقُرعة.

«فصار بعضُهم على أسفلها»؛ أي: في الطبقة الأسفل من السفينة.

«وبعضُهم في أعلاها»، وفيه: إشارة إلى استحباب القُرعة إذا تشاجروا على الجلوس في الأسفل والأعلى، وذلك إذا نزلوا بها جملةً، وإذا نزلوا متفرقين فمَن سَبَقَ منهم إلى مكانٍ فهو أحقُّ به من غيره.

«فكان الذي في أسفلها يمرُّ بالماء على الذين في أعلاها»، قيل: كنى بالماء عن البول والغائط المنفصلَين عنه، ليطرحَه في البحر.

«فتأذَّوا به»؛ أي: مَن في الأعلى بمروره عليهم.

«فأخذ»؛ أي: مَن في الأسفل.

«فأساً، فجعل»؛ أي: فطفقَ.

«ينقُر»؛ أي يثقُب.

«أسفلَ السفينة، فأَتَوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذَّيتم بي ولابدَّ لي من الماء»؛ أي: من مطرح الماء.

«فإن أخذوا على يدَيه»؛ أي: منعوه من نقرِ السفينة «أَنْجَوه ونَجَّوا أنفسَهم، وإن تركوه» ولم يمنعوه من النقرِ «أهلكوه وأهلكوا أنفسَهم»؛ لأنه يخرج الماء من البحر إلى السفينة وغرقت السفينة، فكذلك إنْ منعَ الناسُ الفاسقَ عن الفسق نَجَوا ونجا من عذاب الله، وإن تركوه حتى يفعلَ المعاصيَ ولم يقيموا عليه الحدودَ حلَّ بهم العذاب وهلكوا بشؤمه، وقد شبَّه المُداهِنَ في الحدود بمن في أعلى السفينة، والواقعَ فيها بمن في أسلفها، ونَهْيَ الناهي عن مواقعتها بالآخذ باليد ويمنعه عن النقر، وفائدةَ المنع بنجاة الناهي والمَنهيِّ.

* * *

٣٩٨٥ ـ وقال: «يُجاءُ بالرَّجُلِ يومَ القيامةِ فيُلقَى في النَّارِ فتَندلِقُ أَقتابُه في النارِ، فيَطحنُ فيها كطحنِ الحمارِ بِرَحَاهُ، فيَجتَمِعُ أهلُ النَّارِ عليهِ، فيقولونَ: أَيْ فلانُ! ما شأنُكَ؟ أَليسَ كنتَ تأمرُنا بالمَعْروفِ وتنهانا عن المُنْكَرِ؟ قال: كنتُ آمرُكم بالمَعْروفِ ولا آتِيهِ، وأنهاكُم عن المُنْكَرِ وآتِيهِ».

«وعن أسامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يُجاء بالرجل يومَ القيامة، فيُلقى في النار، فَتندلِقُ أقتابُه» جمع: قِتْب ـ بالكسر ثم السكون ـ؛ أي: تخرج أمعاؤه.

«في النار، فيَطحن فيها»؛ أي: فيدور ويتردَّد في أقتابه؛ يعني: يدور

حولَ أقتابه ويضربها برجله.

«كطحنِ الحمار»؛ أي كما يدور الحمار.

«برَحَاه»: وهو الموضع الذي يُربَط، ويمكنه أن يدورَ فيه.

«فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أيْ فلانُ ما شأنُك؟ ألستَ كنتَ تأمرُنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنتُ آمرُكم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩٨٦ - عن حُذَيفَةَ بن اليَمانِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمَعْروفِ ولتَنهَوُنَّ عن المُنْكرِ، أو لَيُوشِكَنَّ الله أنْ يَبْعَثَ عليكم عذاباً مِن عندِه، ثم لَتدْعُنَّهُ فلا يُستَجابُ لكم».

«من الحسان»:

«عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده! لَتَأمُرُنَّ بالمعروف وَلَتَنهوُنَّ عن المنكر، أو لَيُوشكَنَّ الله أن يَبعثَ عليكم عذاباً من عنده»، (أو) هذه: لأحد الأمرين؛ أي: لا يجتمع أمرُكم بالمعروف ونهيُكم عن المنكر مع مقاربة بعث الله عليكم عذاباً، أو بمعنى: إلا؛ أي: إن أمرتُم بالمعروف ونهيتُم عن المنكر نَجَوتُم من العذاب، وإلا والله لَيَقرُب أن يُرسلَ الله عليكم عذاباً.

«ثم لَتَدْعُنَّه فلا يُستجاب لكم»؛ يعني: وبعد مقاربة العذاب لو دعوتُم الله في رفع ذلك العذاب لا يُستجاب لكم.

* * *

٣٩٨٧ ـ عن العُرْسِ بن عَميرَةَ، عن النَّبِـيِّ ﷺ قال: «إذا عُمِلَتْ الخَطيئةُ في الأَرْضِ مَن شهِدَها فكرِهَها كانَ كمَن غابَ عنها، ومَن غابَ عنها فرَضِـيَها كانَ كمَن شَهِدَها».

«**وعن العُرْس**» ـ بضم العين وسكون الراء ـ ابن قيس «**ابن عُميرة** ﷺ، **عن النبي** ﷺ **قال: إذا عُمِلَتِ الخطيئةُ في الأرض؛ مَن شَهِدَها**»؛ أي: حضرَ الخطيئةَ.

«**فكرهَها كان كمَن غاب عنها، ومَن غاب عنها فرضيَها كان كمَن شهدها**».

* * *

٣٩٨٨ ـ عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قال: يا أيُّها النَّاسُ! إنَّكم تَقْرؤونَ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ النَّاسَ إذا رَأَوْا مُنْكَراً فلم يُغَيـرُوه يُوشِكُ أنْ يعُمَّهم الله بعِقابـهِ»، صحيح.

وفي رِوايةٍ: «إذا رَأَوْا الظَّالِمَ فلم يأخذُوا على يَدَيْه أَوْشَكَ...».

وفي رِوايةٍ: «ما مِن قَوْمٍ يُعمَلُ فيهم بالمَعاصي، ثم يَقْدِرُونَ على أنْ يُغَيـروا، ثُمَّ لا يُغيـرون، إلا يُوشِكُ أنْ يَعُمَّهم الله بعقابٍ».

وفي رِوايةٍ: «يُعمَلُ فيهم بالمَعاصي، هُمْ أَكْثَرُ ممَّن يَعْمَلُه...».

«**عن أبي بكر الصدِّيق ﷺ قال: يا أيها الناسُ! إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾**»؛ أي: الزموا حفظَ أنفسكم عن المعاصي.

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾: وإنما لا يضرُّ الرجلَ معاصي غيره إذا عجزَ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

«فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: إن الناسَ إذا رَأَوا منكراً، فلم يغيـروه، يوشك»؛ أي: يَقرُب.

«أن يعمَّهم الله بعقابه. صحيح».

«وفي رواية: إذا رَأَوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه»؛ أي: لم يمنعوه عن الظلم «أوشك...».

«وفي رواية: ما مِن قومٍ يُعمَل فيهم بالمعاصي، ثم يَقدِرون على أن يغيـروا، ثم لا يغيـرون إلا يوشك أن يعمَّهم الله بعقاب».

«وفي رواية: يُعمَل فيهم بالمعاصي هم أكثرُ ممن يعمله»؛ يعني: إذا كان الذين لا يعملون المعاصي أكثرَ من الذين يعملونها فلم يمنعوهم عنها عمَّهم العذابُ.

* * *

٣٩٨٩ ـ عن جريرِ بن عبدِالله البَجَلي، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما مِن قومٍ يكونُ بينَ أظهرِهم رجلٌ يعملُ بالمعاصي، هم أَمْنَعُ منهُ وأَعَزُّ، لا يُغَيـرُونَ عليهِ = إلا أصابَهم الله بعقابٍ».

«عن جرير البَجَلي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ما مِن قومٍ يكون» بينَ أَظهُرِهم رجلٌ «يعمل بالمعاصي، هم أمنعُ منه وأعزُّ»؛ أي: أقدرُ منه وأغلبُ.

«لا يغيـرون عليه إلا أصابَهم الله بعقاب».

* * *

٣٩٩٠ ـ وعن أبي ثَعْلَبَةَ: في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، فقال: أَمَا والله، لقد سَأَلْتُ عنها رَسولَ الله ﷺ فقال: «بل

ائتَمِروا بالمَعْروفِ، وتَناهَوْا عن المُنْكَرِ، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوًى مُتَّبعاً، ودُنيا مؤثَرَةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأْيِهِ، ورأيتَ أَمْراً لا بُدَّ لكَ منهُ فعليكَ نفسَكَ، ودَعْ أَمْرَ العَوَامِّ، فإنَّ وراءكُم أيامَ الصَّبرِ، فمَن صَبَرَ فيهنَّ كانَ كمَن قَبَضَ على الجَمْرِ، للعاملِ فيهنَّ أَجْرُ خَمسينَ رَجُلاً يعمَلونَ مثلَ عَمَلِهِ»، قالوا: يا رسولَ الله! أجرُ خَمْسينَ منهم؟ قال: «أَجْرُ خَمْسينَ منكُم».

«وعن أبي ثعلبة الخُشَني ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فقال: أَمَا والله لقد سألتُ عنها رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: بل ائتمروا»؛ أي: مُرُوا «بالمعروف وتَنَاهَوا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مطاعاً»: وهو الذي غلب وبلغ مبلغاً بحيث يطيعُه صاحبُه في منع الحقوق الواجبة من الزكاة والفِطرة والكفارات والنذور ونفقة مَن عليه نفقته.

«وهوًى مُتَّبَعاً»؛ أي: يتبع كلُّ أحدٍ هواه وما تأمره به نفسُه الأمَّارة.

«ودنيا مُؤثَرة»؛ أي: مختارة على الآخرة، من: الإيثار، الاختيار لجمع الأموال على الأعمال الصالحة.

«وإعجابَ كل ذي رأي برأيه»، الإعجاب ـ بكسر الهمزة ـ: وجدان شيء حسناً؛ يعني: يجد كلُّ واحدٍ فعلَ نفسِه حسناً، وإن كان قبيحاً في الواقع، ولا يراجع العلماءَ فيما فعل.

«ورأيتَ أمراً لابد لك منه»؛ يعني: رأيتَ بعضَ الناس يعملون المعاصي، ولابد لك من السكوت من عجزك وقدرتهم.

«فعليك نفسَك»؛ أي: احفظْها عن المعاصي.

«ودَعْ أمرَ العَوَامِّ»؛ أي: لا تأمرْ أحداً بالمعروف ولا تنهَه عن المنكر؛ كيلا يؤذيك.

«فإن وراءكم»؛ أي: أمامَكم وقُدَّامَكم «أيامَ الصبرِ»؛ أي: أياماً يُحمَد فيها الصبرُ عن المحارم.

«فمَن صَبَرَ فيهن»؛ أي: في تلك الأيام.

«كان كمَن قبضَ على الجمرة»؛ أي: تلحقه المشقة الشديدة بالصبر، كمشقة الصابر على قبض الجمرة بيده.

«للعامل فيهن أجرُ خمسين رجلاً يعملون مثلَ عمله»، فيه تأويلان:

أحدهما: أن يكون أجرُ كل واحد منهم على تقدير أنه غيرُ مُبتلًى ولم يُضاعَف أجرُه.

وثانيهما: أن يُراد أجرُ خمسين منهم أجمعين يُبْتَلَون ببلائه.

«فقالوا: يا رسولَ الله! أجرُ خمسين منهم؟ قال: لا، أجرُ خمسين منكم».

* * *

٣٩٩١ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: قامَ فينا رسولُ الله ﷺ خَطيباً بعدَ العَصْرِ فلم يَدَعْ شيئاً يكونُ إلى قيامِ السَّاعةِ إلا ذَكَرَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ونَسِيَهُ من نَسِيَهُ، وكانَ فيما قال: «إنَّ الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِـرَةٌ، وإنَّ الله مُستَخْلِفُكم فيها فناظِرٌ كيفَ تعملونَ؟ ألا فاتَّقُوا الدُّنيا، واتَّقُوا النِّساءَ»، وذَكَرَ أنَّ لكلِّ غادرٍ لِوَاءً يومَ القِيامةِ بقَدْرِ غَدْرتِهِ في الدُّنيا، ولا غَدْرَ أكبرُ مِن غَدْرِ أميرِ العامَّةِ، يُغرَزُ لِواؤُه عندَ استِهِ، قال: «ولا تَمنعَنَّ أَحَداً منكم هيبةُ النَّاسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا عَلِمَه».

وفي روايةٍ: «إنْ رأى منكراً أن يغيـرَه»، فبكى أبو سعيدٍ وقال: قد رأيناهُ فمَنَعَتْنا هيبةُ النَّاسِ أنْ نتكَلَّمَ فيهِ، ثُمَّ قال: «ألا إنَّ بني آدَمَ خُلِقُوا على طَبَقاتٍ شَتَّى؛ فمنهم مَن يُولَدُ مُؤْمِناً، ويحيا مُؤْمِناً، ويموتُ مُؤْمِناً، ومنهم مَن يُولَدُ

كافِراً، ويحيا كافِراً، ويموتُ كافِراً، ومنهم مَن يولدُ مُؤْمِناً، ويحيا مُؤْمِناً، ويموتُ كافراً، ومنهم مَن يولدُ كافِراً، ويحيا كافِراً، ويموتُ مُؤْمِناً»، قال: وذكرَ الغضَبَ، «فمنهم مَن يكونُ سريعَ الغَضَبِ سريعَ الفَيْءِ، فإحداهُما بالأُخرى، ومنهم مَن يكونُ بطيءَ الغَضَبِ بطيءَ الفَيءِ، فإحداهُما بالأخرى، وخِيارُكم مَن يكونُ بطيءَ الغَضَبِ سريعَ الفيءِ، وشرارُكم مَنْ يكون سريعَ الغَضَبِ بطيءَ الفَيءِ»، قال: «اتقوا الغَضَبَ، فإنهُ جَمْرَةٌ على قَلْبِ ابن آدمَ، ألا تَرَوْنَ إلى انتِفاخِ أوداجِهِ وحُمرةِ عَيْنَيْهِ؟ فمَن أَحَسَّ بشيءٍ مِن ذلكَ فَلْيَضْطَجِعْ وليتلبَّدْ بالأَرْضِ»، قال: وذكرَ الدَّيْنَ فقال: «منكم مَن يكونُ حَسَنَ القَضاءِ، وإذا كانَ لهُ أَفْحَشَ في الطلَبِ، فإحداهُما بالأُخرى، ومنكم مَن يكونُ سيىءَ القَضاءِ، وإنْ كانَ لهُ أَجْمَلَ في الطَّلَبِ، فإحداهُما بالأُخرى، وخِيارُكم مَن إذا كانَ عليهِ الدَّيْنُ أَحْسَنَ في القَضاءَ، وإنْ كانَ لهُ أَجْمَلَ في الطَّلَبِ، وشِرارُكم مَن إذا كانَ عليهِ الدَّيْنُ أساءَ القضاءَ، وإنْ كانَ لهُ أَفْحَشَ في الطَّلَبِ، حتى إذا كانَت الشَّمْسُ على رُؤوسِ النَّخْلِ وأَطْرافِ الحِيطانِ فقالَ: «أَما إنه لم يَبْقَ مِن الدُّنْيا فيما مَضَى منها إلا كما بقيَ مِن يومِكم هذا فيما مَضَى منه».

«وعن أبي سعيد الخُدري ﷺ أنه قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ خطيباً بعد العصر، فلم يَدَعْ»؛ أي: يتركْ.

«شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا ذكرَه؛ حفظَه مَن حفظَه، ونسيَه مَن نسيَه، وقال»؛ أي: أبو سعيد الخُدري: «وكان فيما قال»؛ أي: النبيُّ ﷺ في خطبته: «إن الدنيا حُلوةٌ خَضِرَةٌ»؛ أي: ناعمةٌ طريةٌ؛ يعني: الدنيا طيبة مليحة في عيون الناس وقلوبهم، لا يشبعون من جمع المال ومن الجاه، وفيه تنبيهٌ على شدة انجذاب النفوس إليها؛ لأن كل واحد من هذَين الوصفَين تميل إليه النفوسُ، فإذا اجتمعتا كانت إليه أميلَ.

«وإن الله مُستخلِفُكم فيها فناظرٌ كيف تعملون؟ ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساءَ، وذَكَرَ أن لكل غادرٍ»، من الغَدر: ترك الوفاء.

«لواءً»؛ أي: علامةً.

«يومَ القيامة بقَدْر غدرته»: مصدر بمعنى: الغَدر.

«في الدنيا، ولا غدرَ أكبرُ من غدر أمير العامة»: وهو المتغلِّب المستولي على أمور المسلمين وبلادهم بتغليب العامة ومعاضدتهم إياه.

«يُغرَزُ لواؤه»؛ أي: تُنصَب علامته.

«عند استه» تحقيراً له.

«قال: ولا تمنعن أحداً منكم هيبةُ الناس أن يقول»؛ أي: مِن أن يقولِ «بحقٍّ إذا علمَه، وفي رواية: إذا رأى منكراً أن يغَيِّرَه»؛ أي: مِن أن يغيـرَه، مكان قوله: (أن يقول بحقٍّ).

«فبكى أبو سعيد وقال: قد رأيناه، فمنعتْنا هيبةُ الناس أن نتكلم فيه» ونغيـره.

«ثم قال: ألا إن بني آدم خُلقوا على طبقات شتى؛ فمنهم مَن يُولَد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً، ومنهم مَن يُولَد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً، ومنهم مَن يُولَد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً، ومنهم مَن يُولَد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً».

«قال»؛ أي: أبو سعيد: «وذَكَرَ»؛ أي: النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم «الغضبَ؛ فمنهم مَن يكون سريعَ الغضب سريعَ الفَيء»؛ أي: سريعَ الرجوع من الغضب.

«فإحداهما بالأخرى»؛ يعني: إحدى الخصلتَين تُقابَل بالخصلة الأخرى،

لا يستحقُّ المدحَ والذمَّ فاعلُهما.

«ومنهم مَن يكون بطيءَ الغضب بطيءَ الفَيء، فإحداهما بالأخرى، وخيارُكم مَن يكون بطيءَ الغضبِ سريعَ الفَيءِ، وشرارُكم مَن يكون سريعَ الغضبِ بطيءَ الفَيء، قال ﷺ: اتقوا الغضبَ؛ فإنه جمرةٌ على قلب ابن آدم، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه» جمع: وَدَج، وهو عِرق العُنق.

«وحمرة عينَيه؟ فمَن أحسَّ بشيء من ذلك»؛ أي: إذا علمَه بالحسِّ.

«فَلْيضطجِعْ وَلْيتلبَّدْ بالأرض»؛ أي: يَلتَزق بها ويصير كاللِّبد ملتصقاً بها، حتى تتكسرَ نفسُه ويَسكُنَ غضبُه، وإنما أَمرَ بذلك لِمَا فيه من الضَّعَةِ عن الاستعلاء وتذكُّرِ أن أصلَه من تراب لا يَصلُح أن يتكبَّرَ ويتجبَّرَ من شدة الغضب.

«وقال» أبو سعيد:

«وذَكرَ الدَّينَ، فقال: فمنكم مَن يكون حسنَ القضاء وإذا كان له»؛ أي: الدَّينُ لمن هو حسنُ القضاء على أحدٍ «أَفحشَ في الطلب»؛ أي: آذاه في تقاضيه وعسَّر عليه في طلبه.

«فإحداهما بالأخرى، ومنكم مَن يكون سيءَ القضاء، وإن كان له»؛ أي: للمسيء.

«أَجملَ»؛ أي سهَّل ويسَّر «في الطلب، فإحداهما بالأخرى، وخياركم مَن إذا كان عليه الدَّينُ أحسنَ القضاءَ، وإذا كان له أَجملَ في الطلب، وشرارُكم مَن إذا كان عليه الدَّينُ أساءَ القضاءَ، وإذا كان له أَفحشَ في الطلب، حتى إذا كادت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحِيطان» بكسر الحاء: جمع حائط، هذا من كلام الراوي؛ أي: أنه ﷺ وعظَهم هذه العِظَةَ بعد العصر إلى قرب الغروب.

«فقال: أَمَا إنه لم يبقَ من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه».

* * *

٣٩٩٢ ـ وقال: «لن يَهلكَ النَّاسُ حتى يُعذَروا مِن أنفُسِهم».

«عن أبي البَختري، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله عليه وسلم: لن يهلكَ الناسُ حتى يُعذِرُوا مِن أنفسِهم»، يقال: أَعذَرَ الرجل: إذا صار ذا ذنبٍ كثيرٍ محتاجٍ إلى العذر من كثرة ذنوبه؛ يعني: حتى تَكثُرَ ذنوبُهم وعيوبُهم، فيستوجبوا العقوبةَ، ويقيموا لمن عاقبهم العذرَ في ذلك، حتى يدفعوا العقوبةَ عن أنفسهم، و(مِن): للتبيين.

ويروى بصيغة المجهول من: (أُعذِرَ): إذا زال عذرُ أحدٍ؛ يعني: حتى يجعلَهم الله بحيث لا يَقدِرون على العذر، بأن يبعثَ عليهم الرسلَ ويبينوا لهم الرشادَ من الضلال، والحرامَ من الحلال، والحقَّ من الباطل.

ويروى بفتح الياء؛ أي: حتى يَعذِرُوا أنفسَهم بتأويلاتٍ وأعذارٍ باطلةٍ.

* * *

٣٩٩٣ ـ وقال: «إنَّ الله تعالى لا يُعذِّبُ العَامَّةَ بعَمَلِ الخاصَّةِ حتى يَرَوُا المُنْكَرَ بينَ ظَهْرانَيِهم، وهم قادرونَ على أن يُنكِرُوهُ فلم يُنْكِروهُ، فإذا فعلُوا ذلكَ عذَّبَ الله العَامَّةَ والخَاصَّةَ».

«وعن عدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا يعذِّب العامةَ بعمل الخاصة» أراد بـ (العامة): أكثر القوم، وبـ (الخاصة): أقلها.

«حتى يَرَوا المنكرَ بين ظَهْرَانيَهم»؛ أي: بينَهم.

«وهم قادرون على أن ينكروه، فلا ينكرون، فإذا فعلوا ذلك عذَّب الله العامةَ والخاصةَ».

* * *

٣٩٩٤ ـ وعن عبدِالله بن مَسْعودٍ قال: قالَ رسولَ الله ﷺ: «لمَّا وَقَعَتْ بنو إسرائيلَ في المعاصي نَهَتْهُم عُلَماؤُهُم فلم يَنْتَهُوا، فجالسُوهم في مجالِسِهم، وَواكلُوهُم وشارَبُوهم، فَضَرَبَ الله قلوبَ بعضِهم ببَعْضٍ، ولعنَهم على لسانِ داودَ وعيسَى بن مريمَ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾»، قال: فجَلَسَ رسولُ الله ﷺ وكانَ مُتَّكِئاً فقال: «لا وَالذي نَفْسي بيدِهِ، حتى تأْطِرُوهم أَطْراً».

وفي رِوايةٍ: «كلا والله، لتأمُرُنَّ بالمَعْروفِ، وَلَتنهَوُنَّ عن المنكرِ، ولتأخُذُنَّ على يَدَي الظالمِ، ولَتأْطِرُنَّهُ على الحقِّ أَطْراً، أو لَتَقْصُرُنَّه على الحَقِّ قَصْراً، أو ليَضْرِبن الله بقلوبِ بعضِكُم على بعضٍ، ثم لَيَلْعَنَنَّكُم كما لَعَنَهُم».

«عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لمَّا وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتْهم علماؤُهم، فلم ينتهوا، فجالَسُوهم في مجالسهم، وواكَلُوهم وشارَبُوهم، فضَربَ الله قلوبَ بعضهم ببعض»، الباء: للسببية؛ يعني: سوَّد قلبَ مَن لم يعصِ بشؤمِ مَن عَصَى، فصارت قلوبُ جميعهم قاسيةً بعيدةً عن قَبول الحق والخير والرحمة بسبب المعاصي، وسببِ مخالطة بعضهم بعضاً.

«ولعنَهم على لسان داود وعيسى بن مريم ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، قال: فجلس رسولُ الله ﷺ وكان متكِئاً، فقال: لا»؛ أي لا تَنجُون مِن العذاب.

«والذي نفسي بيده حتى تَأطِروهم» ـ بكسر الطاء المهملة ـ «أَطْراً» بفتح الهمزة ثم السكون: هو الإمالة والتحريف من جانب إلى جانب؛ يعني: حتى يمنعوا الظَّلَمة والفَسَقة عن الظلم والفسق، ويُميلوهم عن الباطل إلى الحق، (حتى): متعلقة بقوله: (لا)، والقَسَم معترضة بينهما.

«وفي رواية: كلا، والله لَتَأمُرُنَّ بالمعروف وَلَتنهوُنَّ عن المنكر، وَلَتأخذنَّ على يَدي الظالم، وَلتأطِرُنَّه على الحق، وَلَتقصُرُنَّه»؛ أي: لَتَحبسُنَّه «على الحق قصراً»: وهو كـ (القسر) بمعنى: القهر.

«أو ليَضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليَلعنَّنكم كما لعنَهم».

* * *

٣٩٩٥ ـ عن أنسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رَأَيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي رِجالاً تُقرَضُ شِفاهُهم بمَقارِضَ مِن نارٍ، فقلتُ: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ خُطَباءُ مِن أُمَّتِكَ يأمرونَ النَّاسَ بالبـرِّ ويَنْسَوْنَ أنفُسَهم».

«عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي رجالاً تُقرَض»؛ أي: تُقطَع.

«شفاههم بمقاريض» جمع: المِقْرَاض.

«من نار، قلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباءُ من أمتك، يأمرون الناسَ بالبـرِّ ويَنسَون أنفسَهم».

* * *

٣٩٩٦ ـ عن عَمّارِ بن ياسرٍ قال: قال رسولَ الله ﷺ: «أُنزِلَتْ المائِدَةُ مِن السَّماءِ خُبْزاً ولَحْماً، وأُمِروا أنْ لا يَخُونوا ولا يَدَّخِرُوا لغدٍ، فخانُوا وادَّخَروا

ورَفَعُوا لِغَدٍ، فمُسِخُوا قِرَدَةً وخنازِيرَ».

«عن عمار بن ياسر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أُنزِلَتِ المائدةُ من السماء خبزاً ولحماً»: منصوبان على التمييز.

«وأُمروا أن لا يخونوا ولا يدَّخروا لغدٍ، فخانوا وادَّخروا ورفعوا لغدٍ، فمُسِخُوا»؛ أي: فغيرت صُوَرُهم.

«قِرَدةً» جمع: قِرد، منصوب على أنه مفعول ثانٍ لـ (مُسخوا).

«وخنازير» جمع: خِنزير.

❐❐❐

(٢٤)

كِتَابُ الرِّقَاقِ

(٢٤)

كتاب الرقاق

«كتاب الرقاق» بكسر الراء: جمع رقيق، ضد غليظ، والمراد بها: الكلمات التي تَرِقُّ بها القلوبُ إذا سمعت، وترغب عن الدنيا بسببها وتزهد فيها، وقيل: هو الفقر، فِعَال من: رِقَّة الحال.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٩٧ ـ قال رسـولُ الله ﷺ: «نِعْمَتانِ مَغْبونٌ فيهما كثيرٌ مِن النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَرَاغُ».

«من الصحاح»:

«عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ»، الغَبن: خروج الشيء من اليد بغير عِوَض؛ يعني: لا يَعرف قَدْر هاتين النعمتين كثيرٌ من الناس ما داموا فيهما، فإذا تبدَّل الصحةُ بالمرض والفراغُ بالاشتغال فحينئذ يندمون على ما فاتهم من أوقات الصحة والفراغ، ولا ينفعهم الندمُ.

* * *

٣٩٩٨ ـ وقال: «والله، ما الدُّنيا في الآخِرَةِ إلا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحدُكم إصبَعَهُ في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بمَ يَرْجِعُ؟».

«وعن المُستورِد بن شدَّاد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: والله ما الدنيا في الآخرة»؛ أي: ما نعيمُ الدنيا، أو ما زمانُها في مقابلة نعيم الآخرة أو زمانها.

«إلا مِثلُ ما يجعل أحدُكم إصبعَه في اليَمِّ»؛ أي: البحر؛ يعني: نسبة تلك إليها كنسبة الماء الملتصق بالإصبع إذا غمسَها في البحر.

«فَلْينظرْ بِمَ ترجع»؛ أي: بأيِّ شيءٍ ترجع إصبعُ أحدِكم من ذلك الماء.

* * *

٣٩٩٩ ـ وعن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بجَدْيٍ أَسَكَّ مَيتٍ، فقال: «أيُّكم يُحِبُّ أنَّ هذا لهُ بدرهمٍ؟» فقالوا: ما نُحِبُّ أنَّهُ لنا بشَيْءٍ، فقال: «فَواللهِ، للدُّنيا أَهْوَنُ على الله مِن هذا عَلَيْكُم».

«وعن جابر ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ مرَّ بجَدْيٍ»: وهو ولد المَعز.

«أَسَكَّ»؛ أي: مقطوع الأذنين أو صغيرهما، وقد يقال للذي لا أذنَ له أيضاً.

«ميتٍ، قال: أيّكم يحبُّ»؛ أي: يريد «أن يكون هذا له بدرهم»؛ أي يشتريه به.

«فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيءٍ، قال: فوالله لَلدنيا أهونُ»؛ أي: أحقرُ وأسهلُ.

«على الله من هذا عليكم»؛ أي: مِن هَوَان الجدي عليكم.

* * *

٤٠٠٠ ـ وقال: «الدُّنيا سِجْنُ المُؤْمنِ وجَنَّةُ الكافرِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجنُ المؤمن»؛

أي: كالسجن في جنب ما أُعدَّ له في الآخرة من النعيم المقيم الدائم.

«وجنةُ الكافر»؛ أي: كالجنة في جنب ما أُعدَّ له في الآخرة من عذاب الجحيم.

* * *

٤٠٠١ ـ وقال: «إنَّ الله لا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً، يُعطَى بها في الدُّنْيا، ويُجزَى بِها في الآخِرَةِ، وأمَّا الكافرُ فيُطعَمُ بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لِلهِ في الدُّنْيا، حتى إذا أفضَى إلى الآخِرَةِ لم يَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها».

«وعن أنس ﷺ أنه قال: قال النبي ﷺ: إن الله لا يَظلِم مؤمنـاً»؛ أي: لا يَنقص «حسنةً»: مفعول ثانٍ لقوله: (لا يظلم).

«يُعطَى بها في الدنيا»؛ يعني: أنه إذا اكتسب حسنةً يكافئه الله في الدنيا بتوسيع رزقه وتحسين خُلقه ودفع البلاء عنه.

«ويُجزَى بها في الآخرة»؛ أي: يُثِيبُه فيها بالجنة واللقاء.

«وأما الكافرُ فيُطعَم بحسناتِ ما عملَ بها لله»، من فكِّ أسيرٍ وإنقاذِ غريقٍ.

«في الدنيا»؛ يعني: يكافئه في الدنيا.

«حتى إذا أَفْضَى إلى الآخرة»: أوصلَه إليها.

«لم يكن له حسنةٌ يُجزَى بها».

* * *

٤٠٠٢ ـ وقال: «حُجِبَتْ النَّارُ بالشَّهَواتِ، وحُجِبَتْ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: حُجِبَتِ النارُ بالشهوات»؛ أي: حُفَّت وأُديرت حوالَيها اللذاتُ وما تشتهيه الأنفُس؛ يعني: أن مُتبـعَ الشهواتِ

في معصية الله وقعَ في النار بفعله، وهو لا يراها؛ بل يرى مشتهاه.

«وحُجِبَتِ الجنةُ بالمَكَاره»؛ يعني: متحمِّل المشاقِّ الدينية دخل الجنةَ؛ أي: عملَ ما يدخله فيها، وهو لا ينظر إليها؛ بل إلى المكاره الحالية، ويروى: «حُفَّت».

* * *

٤٠٠٣ ـ وقال: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، وعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وعَبْدُ الخَميصَة، إنْ أُعطِيَ رَضيَ، وإنْ لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيْكَ فلا انتَقَشَ، طُوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنانِ فرسِه في سبيلِ الله أشعثَ رأسُه، مُغْبَرَّةٍ قَدَماهُ، إنْ كانَ في الحِراسَةِ كانَ في الحراسةِ، وإنْ كانَ في السَّاقَةِ كانَ في السَّاقةِ، إنْ استأْذَنَ لم يُؤْذَنْ لهُ، وإنْ شَفَعَ لم يُشَفَّعْ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: تَعَسَ» بفتح العين؛ أي: سقطَ على وجهه؛ يعني: هَلَكَ.

«عبدُ الدينار وعبدُ الدرهم»: وهذا دعاء على مَن يستعبده حبُّ الدنيا، وفيه: إشارة إلى أن المذمومَ مَن يكون أسيراً لجمع الأموال بحيث لا يؤدِّي حقَّ الله منها.

«وعبد الخَميصة»: وهي كِساء أسود معلَّم، أراد به: مُحِبُّ الثياب النفيسة والحريصَ على التجمُّل فوق الطاقة.

«إن أُعطِيَ رَضيَ»: هذا بيان لشدة حرصه.

«وإن لم يُعطَ سخطَ، تعسَ وانتكسَ»؛ أي: صار ذليلاً، والانتكاس: هو الانقلاب على الرأس، إنما أعاد (تعس)؛ ليترقَّى في الدعاء عليه من الأهون إلى الأغلظ، ثم ترقَّى منه إلى قوله:

«وإذا شِيكَ»؛ أي: دخلتْ شوكةٌ في عضوه.

«فلا انتُقِشَ» على بناء المجهول؛ أي: فلا أُخرِجَ منه، خصَّ انتقاش الشوكة؛ لأنه أسهلُ ما يُتصوَّر من المعاونة لمن أصابه مكروه، فإذا نُفِيَ ذلك الأهونُ يكون ما فوقَه منفياً بالطريق الأولى.

«طُوبَى لعبدٍ آخِذٍ بعنانِ فرسِه في سبيل الله»: هذا يدل على اهتمامه بالمجاهدة.

«أشعثَ رأسُه»: مرفوع بالفاعلية لـ (أشعث)، وهو خبر مبتدأ محذوف، والأشعث: مُغْبَرُّ الرأس.

«مُغبرَّةٍ قدماه»؛ أي: صار ذا غبارٍ من كثرة المشي على التراب.

«إن كان في الحراسة»؛ أي: حراسة الجيش على أن يهجمَ عليهم العدوُّ، وهي تكون في مقدمة الجيش «كان في الحراسة»؛ أي: يبذل جهدَه فيها ولا يغفل عنها، تقرَّر في علم المعاني: أن الشرطَ والجزاءَ إذا اتحدا دلَّ على مخافة الجزاء.

«وإن كان في الساقة»: وهي مؤخر الجيش.

«كان في الساقة»، خصَّهما بالذِّكر؛ لأنهما أشدُّ مشقةً وأكثرُ آفةً، إذ الأولى عند دخولهم دارَ الحرب، والأخرى عند خروجهم منها.

«إن استأْذن لم يُؤذَن له»؛ لكونه غيرَ مُلتفَتٍ إليه في الدنيا.

«وإن شَفعَ لم يُشفَّع»؛ أي: لم تُقبَل شفاعتُه؛ لكونه وضيعَ القَدْر عند الناس.

* * *

٤٠٠٤ - عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ مِمَّا أخافُ

عليكُم مِن بعدي ما يُفتَحُ عليكُم مِن زَهْرَةِ الدُّنيا وزينَتِها»، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ الله! أَوَ يأتي الخَيْرُ بالشَّرِّ؟ فسكتَ حتى ظنَنَّا أنهُ يُنزَلُ عليهِ، قال: فَمَسَحَ عنه الرُّحَضَاءَ وقال: «أينَ السَّائِلُ؟» وكأنَّهُ حَمِدَهُ، فقال: «إنَّه لا يأتي الخَيْرُ بالشَّرِّ، وإنَّ مِمَّا يُنبِتُ الرَّبيعُ يَقتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ، إلاَّ آكِلَةَ الخضراءِ، أَكَلَتْ حتى إذا امتَدَّتْ خاصِرتَاهَا استقبلَتْ عينَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ وبالَتْ، ثم عادَتْ فأَكَلَتْ، وإنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَن أخذَهُ بحَقِّه ووَضَعَهُ في حَقِّه فنِعْمَ المَعُونَةُ هُوَ، ومَن أخذَهُ بغيرِ حقِّهِ كانَ كالذي يأكُلُ ولا يَشْبَعُ، ويكونُ شهيداً عليهِ يومَ القيامةِ».

«عن أبي سعيد الخُدري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: إن مما أخاف عليكم مِن بعدي ما يُفتَح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»، والزَّهرة ـ بفتح الزاي المعجمة وسكون الهاء وتحريكها ـ: حُسنها وبهجتها وكثرة خيرها مِن كل ما يُستلَذُّ به ويُستمتَع منها؛ أي: إني أخافُ إنْ كَثُرت أموالُكم أن تكونَ شاغلةً لكم عن الأعمال الصالحة، وموجبةً لتكبُّركم على الناس.

«فقال رجل: يا رسولَ الله! أوَيأتي الخير» ـ بفتح الواو ـ «بالشر؟» الباء فيه للتعدية؛ يعني: حصول الغنيمة لنا خيرٌ، وهل يكون ذلك الخير سبباً للشرِّ وتركِ الطاعة؟

«فسكت ﷺ حتى ظننا أنه يُنزَل عليه»؛ أي: الوحي.

«قال»؛ أي: الراوي: «فمسحَ عنه»؛ أي: النبيُّ ﷺ عن نفسِه «الرُّحَضاء»: وهو العَرَق الذي يَظهَر للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند نزول الوحي، يَغسل الجِلدَ لكثرته.

«فلمَّا سُرِّيَ عنه مسحَها»: وهذا كناية عن تلقِّي الوحي، وكثيراً ما يُستعمل في الحُمَّى والمرض.

«وقال: أين السائلُ؟ وكأنه حمدَه»؛ أي: النبيُّ ﷺ حَمِدَ السائلَ.

«فقال: إنه لا يأتي الخيرُ بالشرِّ، وإن مما يُنبت الربيعُ ما يَقتُل حَبَطاً» بفتحتين، نُصب على التمييز؛ أي: هلاكاً، يقال: حَبَطتِ الدابةُ حَبَطاً إذا أصابت مرعًى طيباً، فأفرطت في الأكل حتى تنتفخَ، فتموت؛ وذلك لأن الربيعَ يُنبت خيارَ العُشب والبُقول ما يُؤكَل غيرَ مطبوخ، فتَستكثر منه الماشيةُ؛ لاستطابتها إياه حتى تنتفخَ بطونُها عند مجاوزتها حدَّ الاحتمال، فتنشقُّ أمعاؤها من ذلك «أو يُلِمُّ»؛ أي: تُقارب من الهلاك، كذلك المُفرِطُ في جمع المال من غير حلِّها؛ يُفرِط في التنعُّم حتى يقسوَ قلبُه من كثرة الأكل والشرب، فيتكبَّر ويحتقر الناسَ ويؤذيهم، ويمنع ذا الحقِّ حقَّه منها، فإنه قد تعرَّض لهلاكه في الآخرة بدخول النار، وفي الدنيا بأذى الناس؛ فهذا المالُ شرٌّ له ووبالٌ عليه.

«إلا آكلةَ الخُضَر»: استثناء مفرغ من المثبت، و(الخُضَر) بضم الخاء وفتح الضاد المعجمتين، وقيل بفتح الخاء وكسر الضاد، وهو أكثر الروايات: هو الطَّرِيَّ الغَضُّ من النبات.

«أَكلتْ حتى إذا امتدَّتْ خاصرتاها»؛ أي: شَبعتْ «استَقبلتْ عينَ الشمس»؛ أي: ذاتَها وقرصَها؛ يعني: بَرَكَتْ مستقبلةً إليها، تَستمرِئ بذلك ما أَكلتْ.

«فثَلَطَتْ»؛ أي: رَاثَتْ وأَلقَتْ رجيعَها سهلاً رقيقاً.

«وبالَتْ»، فيزول عنها الحَبَط.

«ثم عادتْ فأَكلتْ»، كذلك مَن أَخرجَ ما في المال من الحقوق، وفيه: حثٌّ على ترك الإمساك للادخار، وهذا المالُ خيرٌ له ومعونةٌ في تحصيل الخير؛ يعني: الجنة.

«وإن هذا المالَ خَضـرةٌ حلوةٌ»، إنما أنَّث على معنى تأنيث المشبَّه به؛

أي: إن هذا المالَ شيءٌ كالخُضرة، وقيل: يريد أن المالَ الذي هو صيرورة الدنيا ومتاعها خضرةٌ حلوةٌ؛ أي: حسنةُ المنظر تُعجب الناظرَ.

«فمَن أخذَه بحقِّه»؛ أي: بقَدْر احتياجه ومِن حِلِّه، «ووضعَه في حقِّه»: بأن أدَّى زكاتَه، «فنِعمَ المعونةُ هو، ومَن أخذَه بغير حقِّه كان كالذي يأكل ولا يَشبَع ويكون»؛ أي: المالُ «شهيداً عليه»؛ أي: وبالاً وحُجَّةً عليه «يومَ القيامة».

* * *

٤٠٠٥ ـ وقال: «والله لا الفَقْرَ أَخْشَى عليكُم، ولكِنْ أَخْشَى عليكُم أنْ تُبْسَطَ عليكُم الدُّنيَا كما بُسِطَتْ على مَن قَبْلَكم، فتَنَافسُوها كما تَنَافَسُوها، وتُهلِكَكُم كما أهلَكَتْهُم».

«وعن عمرو بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ووالله ما الفقرَ أَخشَى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسَطَ عليكم الدنيا كما بُسطت على مَن كان قبلَكم، فتَنَافَسوها» ـ بحذف إحدى التاءين ـ «كما تنافسوها»؛ أي: فتتنافسوا كما تنافس أولئك فيها، والتنافس والمنافسة: الرغبة في الشيء والانفراد به، من: الشيء النفيس، الجيد في نوعه.

«وتُهلكَكم»؛ أي: الدنيا؛ لظهور العداوة بينكم بسببها، فيقتل بعضكم لأجلها، «كما أهلكتهم».

* * *

٤٠٠٦ ـ وقال: «اللهمَّ! اجعلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً»، ويُروَى: «كَفَافاً».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم اجعلْ رزقَ آل محمدٍ قُوتاً»؛ أي: بقَدْر ما يُمسك الرَّمَق.

«ويروى: كَفَافاً»؛ أي: ما كان بقَدْر الحاجة ولا يَفضُل منه شيء، ويكفُّ عن السؤال وإراقة ماء الوجه.

* * *

٤٠٠٧ ـ وقال: «قد أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، ورُزِقَ كَفَافاً، وقنَّعَهُ الله بما آتاه».

«عن عبدالله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قد أَفلحَ مَن أَسلمَ ورُزقَ كَفَافاً وقنَّعَه الله»؛ أي: جعلَه قانعاً «بما آتاه»؛ أي: أعطاه من الدنيا، ولم يَطلبِ الزيادةَ ولم يَلتفتْ قلبُه لما خَلَتْ عنه يدُه.

* * *

٤٠٠٨ ـ وقال: «يقولُ العبدُ: مالي، مالي، إنَّما لهُ مِن مَالِهِ ثلاثٌ: ما أكلَ فأَفْنَى، أو لَبِسَ فأَبْلَى، أو أَعْطَى فاقتَنَى، وما سِوَى ذلك فهوَ ذَاهِبٌ وتَارِكُه للنَّاسِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاثٌ: ما أَكَلَ فأَفْنَى، أو لَبِسَ فأَبْلَى، أو أَعْطَى»؛ أي: مالَه لوجه الله وابتغاء مرضاته «فاقتنى»؛ أي ادَّخر للآخرة.

«وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركُه للناس».

* * *

٤٠٠٩ ـ وقال: «يَتْبَعُ المَيتَ ثلاثةٌ، فيَرجعُ اثنانِ ويبقَى معَهُ واحدٌ، يتبعُهُ أهلُه ومالُه وعَمَلُه، فَيَرْجِعُ أهلُه ومالُه، ويبقَى عَمَلُه».

«عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يَتبعُ الميتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد؛ يتبعه أهلُه ومالُه» كالعبيد والإماء.

«وعمله، فيرجع أهلُه ومالُه، ويبقى عملُه».

* * *

٤٠١٠ ـ عن عبدِالله قال: قالَ النَّبـيُّ ﷺ: «أيُّكم مالُ وارثِهِ أَحَبُّ إليهِ مِن مالِهِ؟» قالوا: يا رَسولَ الله! ما مِنَّا أَحَدٌ إلا مالُه أَحَبُّ إليهِ، قال: «فإنَّ مالَهُ ما قدَّمَ، ومالُ وارثِهِ ما أَخَّرَ».

«عن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أيُّكم مالُ وارثِه أحبُّ إليه من ماله؟ قالوا: يا رسولَ الله! ما منا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه، قال: فإن مالَه» الذي ينفعه «ما قدَّم»؛ أي: تصدَّقه.

«ومالُ وارِثه ما أخَّر»، فينتفع به وارثُه، ويُحاسَب عليه مُورِّثُه.

* * *

٤٠١١ ـ عن مُطَرِّفٍ، عن أبيهِ قال: أتيتُ النَّبـيَّ ﷺ وهو يَقْرأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقولُ ابن آدمَ: مالي، مالي»، قال: «وهل لكَ يا ابن آدمَ! إلا ما أكلْتَ فأفنيْتَ، أو لَبِـسْتَ فأبليْتَ، أو تصدَّقْتَ فأَمضَيْتَ؟».

«عن مُطرِّف، عن أبيه ﷺ أنه قال: أَتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قال: يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك من مالك يا ابن آدم إلا ما أكلتَ فأَفنيتَ، أو لَبستَ فأَبليتَ، أو تصدَّقتَ فأمضيتَ؟»؛ أي: أَبقيتَ للآخرة.

* * *

٤٠١٢ ـ وقـــال: «ليس الغِـــنى عن كثْرَةِ العــرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ليس الغنى عن كثرة العَرَض»، وهو ـ بالتحريك ـ: متاع الدنيا وحطامها، نقداً كان أو غيرَه، وجمعه: أعراض، وبالسكون: لا يتناول النقدين، وجمعه: عُروض، قيل: عَرَض الدنيا، كأنه من العَرَض يقابل الجوهر، شبَّه متاعَها به في سرعة زواله وعدم ثباته زمانين.

«ولكن الغِنَى غِنَى النفس»؛ أي: الغِنَى الحقيقيُّ هو قناعةُ النفس والتجنُّبُ عن الحرص في طلب الدنيا، فمَن كان قلبُه على جمع المال فهو فقير، وإن كان له مال كثير؛ لأنه محتاجٌ إلى طلب الزيادة، ومَن كان له قلبٌ بعيدٌ عن الحرص راضٍ بالقُوت فهو غني، وإن لم يكن له مال؛ لأنه لا يطلب الزيادةَ عن القُوت ولا يُتعب نفسَه في طلبها.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٠١٣ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن يَأْخُذْ عَنِّي هؤلاءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أو يُعَلِّمُ مَن يَعْمَلُ بهنَّ؟» قلتُ: أنا يا رسولَ الله! فأَخَذَ بيدَيَّ، فعدَّ خَمْساً فقال: «اتَّقِ المَحَارِمَ تكنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وارضَ بما قَسَمَ الله لكَ تكنْ أغنَى النَّاسِ، وأَحسِنْ إلى جارِكَ تكنْ مُؤْمِناً، وأَحِبَّ للنَّاسِ ما تُحِبُّ لنَفْسِكَ تكنْ مُسْلِماً، ولا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلْبَ»، غريب.

«من الحسان»:

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَن يأخذْ عني هؤلاء الكلماتِ، فيعملْ بهنَّ أو يعلِّمْ مَن يَعملُ بهن؟ قلت: أنا يا رسولَ الله، فأخذ

بيدي، فعدَّ خمساً، فقال: اتَّقِ المحارمَ تكنْ أعبدَ الناس، وارضَ بما قَسَمَ الله لك تكن أغنى الناس، وأَحسِنْ إلى جارِك تكن مؤمناً، وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مسلماً، ولا تُكثر الضحكَ؛ فإن كثرةَ الضحك تُميت القلبَ»:

وهذا تهديد عظيم؛ لأن موتَ القلب إما كفرٌ في الدنيا، وإما فزعٌ في القيامة، وما أُضيف إلى القلب فهو أعظمُ، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[البقرة: ٢٨٣].

«غريب».

* * *

٤٠١٤ ـ عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله يقولُ: ابن آدَم! تَفَرَّغْ لعبادتي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وأَسُدَّ فقرَكَ، فإنْ لم تفعلْ مَلأْتُ يدَكَ شُغْلاً، ولم أَسُدَّ فقرَكَ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول: ابن آدم! تفرَّغْ» بصيغة الأمر «لعبادتي أَملأْ» بالجزم: جواب الأمر.

«صدرَك غنًى، وأسدَّ فقرَك»؛ أي: أُزيل عنك فقرَك.

«وإنْ لا تفعلْ»؛ أي: وإن لم تفعلْ ما أمرتك من الإعراض عن الدنيا والتفرُّغ لعبادتي «ملأتُ يدَك شغلاً»؛ أي: كثَّرت شغلَك بالدنيا.

«ولم أسدَّ فقرَك»، فتُتعب نفسَك بكثرة الترف وفي طلب المال، ولا تنال من الرزق إلا ما قدَّرتُ لك.

* * *

٤٠١٥ ـ «عن جابرٍ قال: ذُكِرَ رَجُلٌ عندَ رسولِ الله ﷺ بعبادةٍ واجتِهادٍ، وذُكِرَ آخرُ بِرِعَةٍ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا تَعدِلْ بالرِّعَةِ شَيْئاً»، يعني: الوَرَعَ.

«وعن جابر ﷺ قال: ذُكر رجلٌ عند رسول الله ﷺ بعبادةٍ واجتهادٍ، وذُكر

آخرُ بِرِعَةٍ»؛ أي: بورعٍ، يقال: وَرِعَ يَرِعُ ـ بالكسر فيهما ـ وَرَعاً ورِعَةً.

«فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تَعدِلْ بالرِّعَةِ شيئاً»؛ أي: لا تقابلْ شيئاً بالورع؛ فإنه أفضلُ من كل خصلة.

* * *

٤٠١٦ ـ وقال رسولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ وهو يَعِظُه: «اغتنمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَك قبلَ مَوْتِكَ»، مرسل.

«عن عمرو بن ميمون ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يَعظُه: اغتَنِمْ خمساً»؛ أي: اتخذها غنيمةً.

«قبلَ خمسٍ: شبابَكَ»؛ أي: اغتنمْ حالَ شبابك الأعمالَ الصالحةَ.

«قبلَ هَرَمِك، وصحتَك قبلَ سقمك، وغناك قبلَ فقرك، وفراغَك قبل شغلك، وحياتَك قبل موتك»، «مرسل».

* * *

٤٠١٨ ـ عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما يَنْتَظِرُ أَحَدُكم إلا غِنًى مُطْغِياً، أو فَقْراً مُنْسِياً، أو مَرَضاً مُفْسِداً، أو هَرَماً مُفْنِداً، أو مَوْتاً مُجْهِزاً، أو الدَّجَّالَ، فالدَّجَّالُ شَرُّ غائبٍ يُنتَظَرُ، أو السَّاعةَ، ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾».

«عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: ما ينتظرُ أحدُكم إلا غنًى مُطْغِياً»: خرج هذا الكلامُ مخرجَ التوبيخ على تقصير المكلَّفين في أمر دينهم؛ أي: متى تعبدون ربَّكم؟ فإنكم إن لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن، فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وتخاذُل القوى؟ لعل أحدَكم ما ينتظر إلا غنًى مُطغِياً أطغاه المالُ، جعلَه طاغياً؛ أي: مجاوزاً للحدِّ من البَطَر والغرور به.

«أو فقراً مُنسِياً»: وهو الذي يجعل صاحبَه مدهوشاً، فينسيه الطاعةَ من الجوع والعُري والتردُّد في طلب القُوت.

«أو مرضاً مُفسِداً»: وهو ما يُفسد البدنَ لشدته، أو الدِّين للكسل الحاصل بـــه.

«أو هرماً مُفنِداً»: وهو الذي يبلِّغ صاحبَه إلى الفَنَد، وهو ضَعفُ الرأي، يقال: أَفنَدَه الكِبَر: إذا جعلَ رأيَه ضعيفاً.

«أو موتاً مُجهِزاً» بالتخفيف؛ أي: قاتلاً بغتةً بحيث لا يَقدِر على التوبة.

«أو الدجالَ؛ فالدجالُ شرُّ غائبٍ يُنتظَر، أو الساعةَ؛ ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾»؛ أي: أشدُّ الدواهي وأفظعُها.

﴿وَأَمَرُّ﴾؛ أي: أشدُّ مرارةً من القتل ومن جميع الشدائد.

* * *

٤٠١٧ - عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «ألا إنَّ الدُّنيا مَلْعونةٌ، مَلْعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ الله وما وَالاَهُ، وعالِماً أو مُتَعلِّماً».

«عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: ألا إن الدنيا ملعونةٌ»؛ أي: مباعدةٌ عن الله تعالى.

«ملعونٌ ما فيها»؛ أي: مُبعَدٌ عن الله تعالى.

«إلا ذِكرَ الله تعالى وما والاه»؛ أي: والَى ذِكرَ الله؛ أي: قاربَه من ذِكرِ خيرٍ، وقيل: من: الموالاة، المتابعة، وما والَى ذِكرَه تعالى: طاعتُه واتباعُ أمرِه ونهيـه؛ لأن ذِكرَه يقتضي ذلك، أو من: الموالاة، التي هي جريان المحبة بين اثنين، وقد يأتي بمعنى: فَعَلَ، ولا يكون إلا من واحد؛ أي: وما أحبَّه الله مما يجري فيها.

«وعالماً أو متعلِّماً»: منصوبان في أكثر النسخ عطفاً على (ذكر)؛ فإنه منصوب مستثنى من الموجب.

* * *

٤٠١٩ ـ وعن سَهْلِ بن سَعْدٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لو كانَت الدُّنيا تَعْدِلُ عندَ الله جناحَ بعوضَةٍ ما سقَى كافِراً منها شَرْبَةَ ماءٍ».

«وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لو كانتِ الدنيا تَعدِلُ»؛ أي: تَزِنُ وتُقابل.

«عند الله جناحَ بعوضة ما سَقَى كافراً منها شربةَ ماءٍ»؛ لأن الكافرَ عدوُّ الله، والعدوُّ لا يُعطَى شيئاً مما له قَدْرٌ عند المُعطِي.

* * *

٤٠٢٠ ـ عن ابن مَسْعودٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَتَّخِذوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا في الدُّنيا».

«عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتخذوا الضَّيعةَ»؛ أي: البستانَ والمزرعةَ.

«فترغبوا في الدنيا»؛ يعني: لو اتخذتموها لَحرصتُم على طلب الزيادة، فلا يحصل الشِّبَعُ حينئذٍ من الدنيا.

* * *

٤٠٢١ ـ وقال: «مَن أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بآخِرَتهِ، ومَن أَحَبَّ آخرَتَهُ أَضَرَّ بدنياهُ، فآثِروا ما يَبْقَى على ما يَفْنَى».

«وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَن أحبَّ دنياه أضرَّ

بآخرته»؛ يعني: نقصَ درجتَه في الآخرة؛ لأنه يَشغَل ظاهرَه وباطنَه بالدنيا، فلا يكون له فراغٌ لطاعة الله.

«ومَن أحبَّ آخرتَه أضرَّ بدنياه؛ فآثِرُوا»؛ أي: اختـــاروا «ما يبقى على ما يفنى».

* * *

٤٠٢٢ ـ عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لُعِنَ عبدُ الدِّينارِ، ولُعِنَ عبدُ الدِّرْهَمِ».

«عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: لُعِنَ عبدُ الدينار، ولُعِنَ عبدُ الدرهم».

* * *

٤٠٢٣ ـ عن ابن كَعْبِ بن مالكٍ، عن أبيه قال: قالَ رســـولُ الله ﷺ: «ما ذِئبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بأَفْسَدَ لها مِن حِرْصِ المَرْءِ على المالِ والشَّرَفِ لدِينِهِ».

«عن كعب بن مالك، عن أبيه ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما ذئبانِ جائعانِ أُرسِلا في غنمٍ بأفسدَ لها»؛ أي: ليسا بأكثرَ إفساداً للغنم، أنَّث الضمير؛ لأن الغنمَ جمعٌ في المعنى.

«مِن حرصِ المرءِ»؛ أي: إفسادِ حرصِ المرءِ «على المال والشرف»: عطف على (المال)؛ أي: وعلى الجاه والمَنصِب.

«لدِينه»: متعلق بـ (أفسد)؛ يعني: حرصُ المرء عليهما أكثرُ إفساداً لدِينه من إفساد الذئبين للغنم.

* * *

٤٠٢٤ ـ عن خَبَّابٍ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «ما أَنْفَقَ المُؤْمِنُ مِن نَفَقةٍ إلا أُجِرَ فيها، إلاّ نَفَقَتَهُ في هذا التُّرابِ».

«**عن خَبَّاب بن الأَرَتِّ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما أَنفقَ المؤمنُ من نفقة إلا أُجِرَ فيها؛ إلا نفقتَه في هذا التراب**»؛ أي: البناء؛ يعني: لا أجرَ لمن يَصرِف مالَه في بناء البيوت والقصور زيادةً على قَدْر الحاجة.

٤٠٢٥ ـ وعن أنسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «النَّفَقَةُ كلُّها في سبيلِ الله إلا البناءَ فلا خَيْرَ فيهِ»، غريب.

«**وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: النفقةُ كلُّها في سبيل الله إلا البناءَ فلا خيرَ فيه**»، «**غريب**».

* * *

٤٠٢٦ ـ وقال: «إنَّ كلَّ بناءٍ وَبَالٌ على صَاحِبِه إلاَّ مَا لا، إلاَّ مَا لا»، يعني: إلاَّ مَا لا بُدَّ منه.

«**وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن كلَّ بناءٍ وبالٌ على صاحبه**»، والوبال: الثقل والمكروه، أو يريد به هنا: العذاب في الآخرة.

«**إلا ما لا إلا ما لا؛ يعني: إلا ما لابدَّ منه**».

* * *

٤٠٢٧ ـ عن أبي هاشمِ بن عُبيدٍ قال: عَهِدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ قال: «إنَّما يَكْفيكَ مِن جَمْعِ المالِ خادِمٌ ومَركَبٌ في سبيلِ الله».

«**عن أبي هاشم بن عتبة ﷺ أنه قال: عَهِدَ إليَّ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم**»؛ أي أوصاني.

«قال: إنما يكفيك من جمع المال خادمٌ ومركبٌ في سبيل الله».

* * *

٤٠٢٨ ـ عن عُثْمانَ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليسَ لابن آدَمَ حقٌّ في سِوَى هذه الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُه، وثَوْبٌ يُوَارِي به عَوْرَتَهُ، وجِلْفُ الخُبْزِ والماءِ».

«عن عثمـــان ﷺ: أن النبي ﷺ قال: ليـــس لابن آدمَ حقٌّ»، أراد به: ما يستحقُّه لافتقاره إليه وتوقُّف تعيُّشه عليه، وقيل: ما لم يحاسب عليه إذا اكتسب من الحل.

«فيما سوى هذه الخصال: بيتٌ يَسكنُه، وثوبٌ يُواري»؛ أي: يَستُر «به عورتَه، وجِلْفُ الخبز والماء» بكسر الجيم وسكون اللام، قيل: الظَّرف الذي يُجعل في الخبز والماء، وقيل: الخبز بلا إدام، وقيل: الخبز الغليظ اليابس، ويروى بفتح اللام، جمع جِلْفة، وهي الكِسرة من الخبز.

* * *

٤٠٢٩ ـ عن سَهْلِ بن سَعْدٍ قال: جاءَ رَجُلٌ فقال: يا رسولَ الله! دُلَّني على عَمَلٍ إذا أنا عَمِلْتُهُ أَحَبني الله وأَحَبني النَّاسُ، قال: «ازهَدْ في الدُّنيا يُحِبَّكَ الله، وازهَدْ فيما عندَ الناسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».

«عن سهل بن سعد ﷺ أنه قال: جاء رجلٌ، فقال: يا رسولَ الله! دُلَّني على عملٍ إذا أنا عملتُه أحبني الله وأحبني الناسُ، قال: ازهدْ في الدنيا»؛ أي: كنْ تاركاً للدنيا ومُعرِضاً عنها «يحبَّك الله، وازهدْ فيما في أيدي الناس يحبَّك الناسُ».

* * *

٤٠٣٠ ـ عن ابن مَسْعودٍ: أن رسولَ الله ﷺ نامَ على حَصيرٍ، فقامَ وقد أثَّرَ في جَسَدِهِ، فقال ابن مَسْعودٍ: يا رسولَ الله! لو أَمَرْتَنا أن نَبْسُطَ لكَ ونَعْمَلَ، فقالَ: «ما لِي وللدُّنيا، وما أنا والدُّنيا إلا كَراكِبٍ استَظَلَّ تحتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ راحَ وتركَها».

«عن ابن مسعود ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ نامَ على حصيرٍ، فقام وقد أثَّر في جسده، فقال ابن مسعود: يا رسولَ الله! لو أمرتَنا»؛ أي: أَذِنتَ لنا «أن نَبسطَ لك»؛ أي: فِراشاً ليناً.

«ونَعملَ»؛ أي: نعملَ لك ثوباً حسناً وبيتاً حسناً يكون لك أحسنَ وأطيبَ من اضطجاعك على هذا الحصير الخشن.

«فقال: ما لي وللدنيا»، (ما): للنفي؛ أي: ليس لي ألفةٌ ومحبةٌ مع الدنيا، ولا للدنيا ألفةٌ ومحبةٌ معي حتى أرغبَ فيها وأجمعَ ما فيها، ويجوز أن يكون للاستفهام، فمعناه: أيُّ ألفةٍ ومحبةٍ لي مع الدنيا؟ أو أيُّ شيءٍ حالي مع الميل إلى الدنيا؟

«وما أنا والدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحتَ شجرةٍ، ثم راحَ وتركَها».

* * *

٤٠٣١ ـ وعن أبي أُمامَةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «أَغْبَطُ أوليائي عِنْدي لَمُؤْمِنٌ خَفيفُ الحَاذِ، ذو حَظٍّ مِن الصَّلاةِ، أَحْسَنَ عِبادَةَ ربِـهِ وأطاعَهُ في السِّرِّ، وكانَ غامِضاً في النَّاسِ لا يُشَارُ إليه بالأَصابعِ، وكانَ رزقُهُ كَفَافاً، فصَبَرَ على ذلكَ»، ثم نَقَرَ بيدِهِ فقال: «عُجِّلَتْ مَنِيَّتُه، وقَلَّتْ بواكِيهِ، وقَلَّ تُراثُه».

«وعن أبي أُمامة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: أَغْبَطُ أوليائي»: أفعل تفضيل بني للمفعول؛ لأنه للمغبوط به، الذي يُتمنَّى حالُه؛ أي: أحسنُهم حالاً.

«عندي لَمؤمنٌ»، واللام: زائدة، أو للابتداء حُذف مبتدؤه؛ أي: لَهو مؤمنٌ.

«خفيفُ الحاذِ»؛ أي: خفيف الظَّهر من العيال، متمكِّن من السير في طريق الله، لقلة العلائق بطريق الكفاية؛ لأن خفيفَ الحاذِ أمكنُ في مشيه، وقيل: أي: خفيفُ الحال، قليل المال والعيال.

«ذو حظٍّ من الصلاة والصيام»؛ أي: هو ممن نشأ في عبادة الله.

«أحسنَ عبادةَ ربه وأطاعَه في السِّرِّ»: وهذا كالتفسير لـ (ذي حظٍّ منها).

«وكان غامضاً في الناس»؛ أي: خاملاً، من: الغموض، الخمول.

«لا يُشار إليه بالإصبع»: تفسير له.

«وكان رزقُه كَفَافاً»؛ أي: لا يَفضُل عما لابد منه.

«فصبر على ذلك»: إشارة إلى الرزق الكفاف، أو إلى جميع المذكورات.

«ثم نَقَدَ» بالدال المهملة؛ أي: ضربَ النبيُّ - عليه الصلاة والسلام - «بيده»، من: نقَدتُ رأسَه بأصبعي؛ أي: ضربتُه، وقيل: من (نَقَدَ الطائرُ الحَبَّ): إذا التقطَه واحداً بعدَ واحدٍ، وأُريد به هنا: ضرب الأُنملة على الأُنملة، أو على الأرض وكالمتقلِّل بالشيء.

ويروى: «نقر» بالراء المهملة، بمعنى: صوَّت؛ يعني: ضربَ إبهامَه بوسطاه حتى سُمع منه صوت، وهذا فعلُ مَن تعجَّب من شيء أو رأى شيئاً حسناً، أو أظهرَ عن نفسه قلةَ المبالاة بشيءٍ، أو أظهرَ طرباً؛ يعني: مَن كانت هذه صفته فهو بمنزلة أن يتعجب من حسن حاله وقلة مبالاته بالدنيا وكثرة طربه بالآخرة.

«فقال: عُجِّلَتْ مَنيَّتُه» على بناء المجهول؛ يعني: كان قبضُ روحِه سهلاً؛

لعدم التفاته إلى ما ترك في الدنيا، قيل: هذا مدح له، ومعناه: أن هذا الشخصَ لا يحرص على البقاء في الدنيا وعلى طول عمره حرصَ غيره، فهو كالميت لا يشتهي شيئاً من أنواع أعراض الدنيا، فأراد ﷺ بهذا ما أراد بقوله في صفة الصدِّيق ﷺ: «مَن أراد أن ينظرَ إلى ميتٍ يمشي على وجه الأرض فَلْينظرْ إلى هذا»، وأشار إليه.

أقول: في الصرف عن الحقيقة وإرادة المجاز لابد من قرينةٍ، كهي في صفة الصدِّيق مِن قوله: «يمشي على وجه الأرض»، وأما هنا فالسياقُ شيءٌ ينافي إرادةَ شيءٍ مما ذُكر؛ لأن البكاءَ والميراثَ يقوِّي إرادةَ الحقيقة، فيُحمل ذلك على إرادةِ الله تعالى تعجيلَ موتِه شوقاً إلى لقائه.

«وقلَّت بواكيه» جمع: باكية، وهي المرأة التي تبكِي على الميت.

«وقلَّ تُراثُه»؛ أي: ميراثُه.

* * *

٤٠٣٢ ـ وقال: «عَرَضَ عليَّ رَبـي لِيَجْعَلَ لي بَطْحاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، فقلتُ: لا يا رَبِّ! ولكنْ أَشْبَعُ يَوْماً وأَجُوعُ يوماً، فإذا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إليكَ وذكرتُكَ، وإذا شَبِـعْتُ حَمِدْتُكَ وشَكَرْتُك».

«وعن أبي أُمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: عَرَضَ عليَّ ربي ليجعلَ لي بَطحاءَ مكةَ»، البَطحاء والأَبطح: مَسيل الماء، أراد به: مكة وصحاريها.

«ذهباً، فقلت: لا يا ربِّ، ولكن أَشبَع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعتُ تضرَّعتُ إليك وذكرتُك، وإذا شبعتُ حمدتُك وشكرتُك».

* * *

٤٠٣٣ ـ عن عبيدالله بن مِحْصَنٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَصْبَحَ منكم آمِناً في سِرْبِه، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَه قُوتُ يومِهِ، فكأنَّما حِيزَتْ له الدُّنيا بحَذافيرِها»، غريب.

«**عن عبيدالله بن مِحْصَن** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ**: مَن أصبح منكم آمناً في سِرْبِه**» بالكسر، أي: في نفسه وقيل: أي: في أهله وعياله، ويروى بالفتح؛ أي: طريقه ومسلكه.

«**معافًى في جسده**»؛ أي: صحيحاً في بدنه، سالماً من العيوب والآفات.

«**عنده قُوتُ يومه، فكأنما حِيزَتْ**»؛ أي جُمعتْ «**له الدنيا!**».

«**غريب**».

* * *

٤٠٣٤ ـ وعن المِقْدَامِ بن مَعْدِ يْكَرِبَ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما ملأَ آدميٌّ وِعَاءً شرّاً مِن بَطْنٍ، بحَسْبِ ابن آدمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحالةَ، فثُلُثٌ طَعامٌ، وثُلُثٌ شَرابٌ، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».

«**وعن المِقْدَام بن معدي كرب** ﷺ **أنه قال: سـمعت النبي** ﷺ **يقول: ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرّاً**»: صفة (وعاء).

«**من بطنٍ، بحسب ابن آدم**»، الباء: زائدة؛ أي: كَفَاه.

«**أُكُلات**» بضمتين: جمع أُكْلة ـ بالضم ثم السكون ـ، وهي اللُّقمة.

«**يُقِمْنَ**»؛ أي: تلك الأكلاتُ «**صُلبَه**»: من (أقام الشيءَ): إذا حفظَه عن السقوط.

«**فإن كان لا محالةَ**»؛ أي: فإن كان لابد من أن يملأَ بطنَه، ولا يقنع بأدنى قُوت.

«فثلثٌ طعامٌ وثلثٌ شرابٌ»؛ أي: فليجعل ثلثَ بطنه للطعام، وثلثَه للشراب.

«وثلثٌ لنفَسِه»؛ أي: ليتركْ ثلثَه خالياً لخروج النَّفَس.

* * *

٤٠٣٥ ـ وعن ابن عُمَرَ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَتَجَشَّأُ فقال: «أَقْصِرْ مِن جُشَائِكَ، فإنَّ أطولَ النَّاسِ جُوْعاً يومَ القِيامةِ أطولُهم شِبَعاً في الدُّنْيا».

«وعن ابن عمر ﷺ: أن النبي ﷺ سـمع رجلاً يتجشَّأ»؛ أي: يَخرجُ الجُشاء من صدره، وهو ريح يخرج عنه من امتلاء المَعِدَة من الطعام، وذلك الرجل كان وهبَ بن عبدالله أبا جُحيفة، من صغار الصحابة، لم يبلغ الحُلمَ في زمنه عليه الصلاة والسلام.

رُوي عنه أنه قال: أكلتُ ثَرِيدَ بُرٍّ مع لحمٍ، فأتيت رسولَ الله ﷺ وأنا أتجشَّأ «فقال: أَقصِرْ من جُشائك» بفتح الهمزة؛ أي: اكففْ عنه، والنهي وإن ورد الجُشاء لفظاً لكنه على إكثار الطعام معنًى؛ لأنه المقتضي له، ولأن الجُشاءَ إذا استولى كان أمراً طبيعياً لم يُقدَر على دفعه، وسببه ـ وهو الشبع ـ أمر مقدور، فيَرِدُ النهي عليه.

«فإن أطولَ الناس جوعاً يومَ القيامة أطولُهم شِبَعاً في الدنيا»، روي: أن ذلك الرجل لم يأكل ملءَ بطنه بعد ذلك حتى فارقَ الدنيا، كان إذا تعشَّى لا يتغدَّى، وإذا تغدَّى لا يتعشَّى.

* * *

٤٠٣٦ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتي المالُ».

«وعن كعب بن عياض ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن لكل أمةٍ فتنةً»: وهي ما يوقع أحداً في الضلالة أو المعصية.

«وفتنةُ أمتي المالُ».

* * *

٤٠٣٧ ـ عن أنسٍ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «يُجاءُ بابن آدَمَ يومَ القِيامَةِ كأنَّه بَذَجٌ، فيُوقَفُ بينَ يدي الله، فيقولُ له: أَعْطَيْتُكَ وخَوَّلْتُكَ وأنعمتُ عليكَ، فما صَنَعْتَ؟ فيقولُ: رَبِّ! جَمَّعتُهُ وثَمَّرتُهُ فَتَركْتُه أكثَر ما كانَ، فارجِعْني آتِكَ بهِ كلِّه، فيقولُ لهُ: أَرِني ما قَدَّمْتَ، فيقولُ: ربِّ! جَمَّعتُه وثَمَّرتُه فتركتُه أكثرَ ما كانَ، فَارْجِعْنِي آتِكَ بهِ كلِّه، فإذا عَبْدٌ لم يُقَدِّمْ خَيْراً فيُمضَى بهِ إلى النَّارِ»، ضعيف.

«وعن أنس ﷺ أنه قال: يُجاء»؛ أي: يُؤتَى.

«بابن آدم» يريد به: شخصاً واحداً.

«يومَ القيامة كأنه بَذَجٌ»؛ أي: ولدُ الضأن في الحقارة والعجز، وهو معرَّب، وأصله بالفارسية: برة، وهو أصغر ما يكون من الحُملان، شبَّهه به صَغَاراً؛ أي: يكون حقيراً ذليلاً.

«فيُوقَف بين يدَي الله تعالى، فيقول له: أَعطيتُك وخوَّلتُك»؛ أي: جعلتُك ذا خَوَلٍ وخدمٍ.

«وأنعمتُ عليك، فما صنعتَ فيها؟ فيقول: ربِّ! جَمَّعتُه وثَمَّرتُه»، والتثمير: تكثير المال.

«فتركتُه أكثرَ ما كان، فأرجِعْني آتِك به كلِّه، فيقول له: أَرِني ما قدَّمتَ»؛ أي: للآخرة من الخير.

فإذا عبدٌ لم يقدِّم خيراً، فيُمضَى به إلى النار»، «ضعيف».

* * *

٤٠٣٨ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ ما يُسأَلُ العَبْدُ يومَ القِيامَةِ مِنَ النعيمِ أَنْ يُقالَ لهُ: أَلَم نُصِحَّ جِسْمَكَ ونرْوِكَ مِن الماءِ البارِدِ؟».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن أولَ ما يُسأل العبدُ يومَ القيامة من النعيم أن يقال: ألم نُصِحَّ جسمَك»، يقال: أَصحَّ القومُ فهم مُصحُّون: إذا أصابت أموالَهم عاهةٌ ثم ارتفعت.

«ونُرْوِك من الماء البارد؟».

* * *

٤٠٣٩ ـ عن ابن مَسْعودٍ، عن النَّبـيِّ ﷺ قالَ: «لا تَزولُ قَدَما ابن آدَم يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن خَمْسٍ: عن عُمْرِهِ فيما أَفْناهُ، وعن شبابـِهِ فيما أَبْلاهُ، وعن مالِه مِن أينَ اكتَسَبَهُ وفيما أنفقَهُ، وماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ».

«وعن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: لا تزول قدما ابن آدمَ يومَ القيامة حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه»، وإنما ذَكر شبابَه بعد ذِكر عمرِه؛ لأنه الزمانُ الذي يتمكن فيه على أقوى العبادات.

«وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»: وإنما غيَّر السؤالَ فيه حيث لم يقل: عن علمه؛ لأن العملَ أهمُّ، والعلمَ مقدمتُه، وهو لا يُعتَّد لولا العملُ.

«غريب».

* * *

٢ - باب

فضلِ الفُقَراءِ وما كانَ من عَيْشِ النَّبيِّ ﷺ

(باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي ﷺ)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٤٠ - قال رسولَ الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفوعٍ بالأَبوابِ لو أَقسمَ على الله لأَبَرَّهُ».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: رُبَّ أشعثَ»؛ أي: رُبَّ رجلٍ متفرقِ شَعر الرأس.

«مدفوعٍ بالأبواب»؛ أي: من الأبواب باليد أو باللسان أن يدخلَها؛ من غاية حقارته في نظر الناس.

«لو أَقسَمَ على الله لأَبرَّه»؛ يعني: لو حلفَ يميناً على أن الله تعالى يفعل الشيءَ أو لا يفعله جاء الأمر فيه على ما يوافق يمينَه؛ من غاية عزَّته عند الله تعالى.

* * *

٤٠٤١ - وقال: «هل تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلا بِضُعفَائِكُم؟».

«وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: هل تُنصَرون وتُرزَقون إلا بضعفائكم»؛ يعني: إنما حصل لكم النصرُ على الأعداء وقُدِّر لكم الرزقُ ببركة الفقراء؛ فأَكرِمُوهم.

* * *

٤٠٤٢ ـ وقال: «قُمْتُ على بابِ الجَنَّةِ، فكانَ عامَّةُ مَن دَخَلَهَا المَساكينُ، وأصحابُ الجَدِّ مَحبُوسُونَ، غيرَ أنَّ أصحابَ النارِ قد أُمِرَ بهم إلى النَّارِ، وقُمْتُ على بابِ النَّارِ، فإذا عامَّةُ مَن دَخَلَهَا النِّساءُ».

«وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: قمتُ على باب الجنة، فكان عامةُ»؛ أي: أكثرُ «مَن دخلَها المساكينَ، وأصحابُ الجَدِّ»، وهو بفتح الجيم وتشديد الدال: المَغنى والحظ الدنيوي مالاً ومنصباً؛ يعني: أصحاب الأموال والمناصب.

«محبوسون» في العَرَصَات لطولِ حسابهم؛ بسبب كثرة أموالهم وتلذُّذهم بها في الدنيا، والفقراء بُرَاء من هذا، فلا يُحبَسون؛ بل يدخلون الجنةَ قبل الأغنياء بأربعين خريفاً مكافأةً عن فقرهم في الدنيا.

«غيرَ أن أصحابَ النار» أُريد بهم: الكفار.

«قد أُمر بهم إلى النار» من غير وقوف في العَرَصَات.

«وقمتُ على باب النار؛ فإذا عامةُ مَن دخلَها النساءُ».

* * *

٤٠٤٣ ـ وقال: «اطَّلَعتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أكثرَ أَهْلِها الفُقَراءَ، واطَّلَعْتُ في النَّارِ فرأيتُ أكثرَ أهلِها النِّساءَ».

«وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: اطَّلعت في الجنة، فرأيت أكثرَ أهلها الفقراء، واطَّلعت في النار، فرأيت أكثرَ أهلها النساءَ»، فإن قيل: إن أهلَ الجنة والنار قبلَ يوم القيامة إما أحياءٌ أو أمواتٌ لم يُبعثوا، فكيف رآهم رسول الله ﷺ؟

قلنا: يحتمل أنه أراد بالماضي المستقبل، أو رأى أرواحَهم، أو أن الجنة

والنارَ مُثِّلَتَا له بصورتهم يومَ القيامة، كما قال يوماً: «رأيت الجنةَ والنارَ في عرض هذا الحائط»؛ أي: مثالَهما.

* * *

٤٠٤٤ ـ وقال: «إنَّ فُقَراءَ المُهاجِرينَ يَسبِقونَ الأَغْنياءَ يومَ القِيامةِ إلى الجَنَّةِ بأربعينَ خَرِيفاً».

«**وعن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن فقراءَ المهاجرين يسبقون الأغنياءَ يومَ القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً**»؛ أي: سنةً.

* * *

٤٠٤٥ ـ عن سهلِ بن سَعْدٍ قال: مرَّ رَجُلٌ على رَسولِ الله ﷺ فقالَ لرَجُلٍ عِنْدَه جالسٍ: «ما رأيُكَ في هذا؟» فقال: رجلٌ مِن أَشْرافِ الناسِ، هذا واللهِ حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ يُشفَّعَ، قال: فَسكَتَ رسولُ الله ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فقالَ لهُ رسولُ الله ﷺ: «ما رأيُكَ في هذا؟» فقالَ: يا رسولَ الله! هذا رَجُلٌ مِن فُقَراءِ المُسلِمينَ، هذا حَرِيٌّ إنْ خطَبَ أنْ لا يُنكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشفَّعَ، وإنْ قالَ أنْ لا يُسْمَعَ لقولِهِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هذا خيرٌ مِن ملءِ الأرضِ مِن مثلِ هذا».

«**عن سهل بن سعد ﷺ قال: مرَّ رجل على النبي ﷺ: فقال لرجلٍ عندَه جالسٍ: ما رأيُك في هذا؟**»؛ أي: ما ظَنُّك في حق هذا الرجل، تظنُّه خيراً أم شراً؟

«**فقال: رجلٌ من أشراف الناس، هذا والله حَرِيٌّ**»، (هذا): مبتدأ، خبره (حري)، والقَسَم معترض بينهما؛ أي: جديرٌ وحقيقٌ «**إنْ خَطبَ**»؛ أي: طلب أن يتزوجَ بامرأة «**أن يُنكحَ**»: متعلق بـ (حري).

«وإنْ شَفَعَ» ـ بالتخفيف ـ «أنْ يُشفَّع» بضم الياء وفتح الفاء المشددة؛ أي: تُقبَل شفاعتُه.

«قال: فسكت النبي ﷺ، ثم مرَّ رجلٌ، فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيُك في هذا؟»؛ أي: ما ظنُّك بهذا الرجل، تظنُّه خيراً أم شراً؟

«فقال: يا رسولَ الله! هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حَرِيٌّ إنْ خَطبَ أن لا يُنكح، وإن شَفَعَ أن لا يُشفَّع، وإن قال أن لا يُسمَع لقوله»؛ أي: لا يَسمع أحدٌ لكلامه، ولا يُلتفَت إليه؛ من غاية فقره وحقارته.

«فقال رسول الله ﷺ: هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا».

* * *

٤٠٤٦ ـ وعن عائِشَةَ قالت: ما شَبـعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِن خُبْزِ الشَّعيرِ يومَيْنِ مُتَتابـعَيْنِ حَتَّى قُبـضَ رسولُ الله ﷺ.

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما شبعَ آلُ محمدٍ من خبز الشعير يومَين متتابَعين، حتى قُبض رسولُ الله ﷺ».

* * *

٤٠٤٧ ـ وقال أبو هُريرةَ: خَرَجَ النَّبـيُّ ﷺ مِن الدُّنيا ولم يَشبعْ مِن خُبْزِ الشَّعيرِ.

«وقال أبو هريرة ﷺ خرجَ النبيُّ ﷺ من الدنيا، ولم يَشبَع من خبز الشعير».

* * *

٤٠٤٨ ـ عن أنسٍ: أنه مَشَى إلى النَّبـيِّ ﷺ بخُبْزِ شَعيرٍ وإهَالَةٍ سَنِخَةٍ،

ولقد رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ دِرْعاً بالمَدينةِ عندَ يهوديٍّ وأخذَ منهُ شَعيراً لأَهْلِهِ، ولقد سَمِعْتُه يقولُ: ما أَمْسَى عندَ آلِ مُحَمَّدٍ صاعُ بُرٍّ ولا صاعُ حَبٍّ، وإنَّ عِنْدَه لَتِسعَ نِسْوَةٍ.

«**عن أنس ﷺ: أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة**» بكسر الهمزة: ما أُذيب من الألية والشحم، وقيل: الدسم الجامد، وقيل: الوَدَك، وهو دسم الشحم، وقيل: كل دُهن يُؤتَدَم به.

«**سَنِخَة**» بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخاء المعجمة؛ أي: متغيـرة لطول المكث.

«**ولقد رَهنَ النبيُّ ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهوديٍّ، وأخذ منه شعيراً لأهله، ولقد سمعته**»؛ أي: قال راوي هذا الحديث عن أنس ﷺ: سمعتُ أنساً «**يقول: ما أمسى**»؛ أي: لم يُدَّخر في الليل للغد «**عند آل محمد صاعُ بُرٍّ ولا صاعُ حَبٍّ**» للقُوت.

«**وإن عنده**»: الواو للحال.

«**لَتسعَ نسوةٍ**».

* * *

٤٠٤٩ ـ وقال عُمَرُ ﷺ: دَخَلْتُ على رَسولِ الله ﷺ، فإذا هو مُضْطَجِعٌ على رِمالِ حَصيرٍ، ليسَ بينَهُ وبينَهُ فِرَاشٌ، قد أَثَّرَ الرِّمَالُ بجَنْبِه، مُتَّكِئاً على وِسادةٍ من أَدَمٍ حَشْوُها ليفٌ، قلتُ: يا رسولَ الله! أُدعُ الله فلْيُوَسِّعْ على أُمَّتِكَ، فإنَّ فارِسَ والرُّومَ قد وُسِّعَ عليهم، وهم لا يَعبُدونَ الله، فقال: «أَوَ في هذا أَنْتَ يا ابن الخطابِ! أُولئكَ قومٌ عُجِّلَتْ لهم طيباتُهم في الحياةِ الدنيا».

وفي رِوايةٍ: «أَمَا تَرْضَى أنْ تكونَ لهُم الدُّنيا ولَنَا الآخِرَةُ؟».

«وقال عمر ﷺ: دخلت على النبي ﷺ، فإذا هو مضطجعٌ على رمالِ حصيرٍ» بكسر الراء المهملة وضمها: جمع رَمِيل بمعنى: مَرمُول؛ أي: منسوج، ويُستعمل في الواحد، وهذا من إضافة الجنس إلى النوع، كـ (خاتم فضة)؛ أي: رمال من حصير، والمراد هنا: المنسوج من ورق النخل.

وقيل: الرمال: ما يُنسَج عُوداً عُوداً.

«ليس بينه وبينه فراشٌ، قد أثَّر الرمال بجنبه ﷺ، متكئاً على وسادةٍ من أدم، حشوُها لِيفٌ، قلت: يا رسولَ الله! ادعُ الله فَلْيوسِّعْ على أمتك؛ فإن فارسَ والرُّومَ قد وُسِّعَ عليهم وهم لا يعبدون الله، فقال: أوفي هذا أنتَ»: استفهام على سبيل الإنكار؛ أي: أأنت في هذا ونظرُك مرتهنٌ بهذه الأشياء؟! أي: أين أنت من النِّعَم الباقية الغائبة عنك **«يا ابن الخطاب؟!»** وفي ترك مخاطبته بـ (عمر) في هذا المعرض معنًى لطيفٌ؛ لأن الارتهانَ بطيبات الدنيا من خصال ذوي الجهل والعمى، فكان نسبتُه ﷺ إلى أبيه ذي الجهل والعمى أَولى وأليقَ بالكلام، كأنه قال: يا ابن ذلك المقيَّد بطيبات الدنيا الغافل عن نعيم الآخرة.

«أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيباتُهم في الحياة الدنيا، وفي رواية: أَمَا ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟».

* * *

٤٠٥٠ - عن أبي هُريرةَ قال: «لقد رأيتُ سَبْعينَ مِن أصحابِ الصُّفَّةِ، ما مِنهم رَجُلٌ عليه رِداءٌ، إمَّا إزَارٌ وإمَّا كِساءٌ، قد رَبطوا في أَعْناقِهم، فمِنْها ما يبلُغُ السَّاقَيْنِ، ومنها ما يَبْلُغُ الكَعْبينِ، فيَجمعَه بيدِه كراهِيةَ أنْ تُرَى عورتُه».

«عن أبي هريرة ﷺ: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصُّفَّة»: وهم الفقراء الذين بايعوا النبي ﷺ.

«ما منهم رجلٌ عليه رداء»؛ أي: لم يكن منهم رجلٌ عليه رداءٌ وإزارٌ، بل يكون له «إما إزارٌ» فقط يستر به عورتَه، «وإما كِساءٌ» يشتمل به.

«قد ربطوا في أعناقهم، فمنها»؛ أي مِن كِساءٍ «ما يَبلُغ نصفَ الساقين، ومنها ما يَبلُغ الكعبين، فيجمعه بيده؛ كراهيةَ أن تُرى عورتُه».

* * *

٤٠٥١ ـ وقال رَسولُ الله ﷺ: «إذا نَظَرَ أَحَدُكم إلى مَن فُضِّلَ عليهِ في المالِ والخَلْقِ، فلْيَنظرْ إلى مَن هو أَسْفَلَ منه».

«وقال أبو هريرة ﷺ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إذا نظر أحدُكم إلى مَن فُضِّلَ»؛ أي: زِيدَ «عليه في المال والخَلق»؛ يعني: إذا رأى أحدُكم مَن هو أكثر منه مالاً وجثةً ولباساً وجمالاً.

«فَلْينظرْ إلى مَن هو أسفلُ»؛ أي: أقلُّ «منه» في ذلك؛ ليَعرفَ أن الله تعالى أنعمَ عليه نعمةً كثيرةً بالنسبة إليه.

* * *

٤٠٥٢ ـ وقال: «انظُرُوا إلى مَن هو أَسْفَلَ منكم، ولا تَنظُرُوا إلى مَن هو فَوْقَكم، فهوَ أَجْدرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله علَيْكم».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: انظروا إلى مَن هو أسفلُ منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقَكم؛ فهو أجدرُ»؛ أي: النظرُ إلى مَن هو أسفلَ منكم مالاً وجمالاً وجثةً ولباساً أحقُّ «أن لا تزدروا»؛ أي: بألا تحتقروا «نعمةَ الله عليكم»؛ لأنكم بذلك النظرِ علمتُم أن لله تعالى عليكم نعماءَ كثيرةً.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٠٥٣ ـ قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَبْشِروا يا مَعْشَرَ صَعَاليكِ المُهاجرينَ! بالنُّورِ التامِّ يومَ القيامةِ، تَدْخُلونَ الجَنَّةَ قبلَ أغنياءِ النَّاسِ بنصْفِ يَوْمٍ وذلكَ خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ».

«من الحسان»:

«عن أبي سعيد الخُدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أَبشِروا يا مَعشرَ صعاليك المهاجرين» جمع: صُعلوك، الفقير الذي لا مالَ له ولا اعتمالَ.

«بالنور التام يومَ القيامة، تدخلون الجنةَ قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك خمس مئة سنة»؛ فإن اليومَ الأخرويَّ مقدارُ طوله ألفُ سنة من سِنِي الدنيا، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[الحج: ٤٧]، فنصفه خمس مئة.

* * *

٤٠٥٤ ـ وقال: «يدخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قبلَ الأَغْنياءِ بِخَمْسِ مِئَةِ عامٍ نصفِ يومٍ».

«عن أبي هريرة وجابر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: يدخل الفقراءُ الجنةَ قبل الأغنياء بخمسِ مئةِ عامٍ، نصفِ يومٍ» بالجر: بدل، أو عطف بيان عن (خمس مئة عام).

* * *

٤٠٥٥ ـ عن أنسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللهمَّ! أَحْيِني مِسْكيناً، وأَمِتْني مِسْكيناً، واحشُرْني في زُمْرةِ المَساكينِ»، فقالت عائِشَةُ: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «إنَّهم يَدْخُلونَ الجَنَّةَ قبلَ أَغنِيائهم بأَرْبعينَ خَرِيفاً، يا عائِشةُ! لا تَرُدِّي

المِسْكِينَ، ولو بِشِقِّ تمرةٍ، يا عائِشَةُ! أَحِبي المَساكينَ وقَرِّبيهم، فإنَّ الله يُقَرِّبُكِ يومَ القِيامةِ».

«عن أنس ﷺ: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **اللهم أَحْيني مسكيناً، وأَمِتْني مسكيناً، واحشرْني في زُمرة المساكين**»، معناه: اجعلْني متواضعاً لا جباراً متكبـراً، وقد فسَّر النبيُّ ﷺ المسكينَ: «وهو الذي لا يجد غنًى يغنيه، ولا يُفطَن به فيتصدَّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»، قيل: هذا تعليم منه لأمته ﷺ أن يعرفوا فضلَ الفقراء ليحبُّوهم وليجالسوهم لينالَهم بركتهم، ويجوز أن يُراد بهذا أن يجعل قُوتَه عليه كفافاً، ولا يشغله بالمال؛ فإن كثرةَ المال مذمومةٌ في حق المقرَّبين.

«**فقالت عائشة: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: إنهم يدخلون الجنةَ قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة! لا تردِّي المسكينَ ولو بشق تمرة، يا عائشةُ! أحبـي المساكينَ وقرِّبيهم؛ فإن الله تعالى يقرِّبك يومَ القيامة**»، «غريب».

* * *

٤٠٥٦ ـ عن أبي الدَّرْداءِ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «ابغُوني في ضُعَفَائِكُم، فإنَّما تُرْزَقُونَ وتُنصَرونَ بضُعَفائِكُم».

«عن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **ابغوني في ضعفائكم**» بهمزة قطع ووصل، من: بَغَى بُغَاءً بالضم: طلبَ؛ أي: اطلبوا رضائي في رضا ضعفائكم؛ فمَن أكرمَهم فقد أكرمَني، ومَن آذاهم فقد آذاني.

«**فإنما تُرزَقون وتُنصَرون بضعفائكم**».

* * *

٤٠٥٧ ـ ورُوِيَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَستفتِحُ بصَعَاليكِ المُهاجِرينَ.

«ورُوي: أن رسولَ الله ﷺ كان يَستفتح»؛ أي: يطلب الفتحَ والنصرةَ من الله الكريم «**بصعاليك المهاجرين**»؛ أي: ببركة فقرائهم.

* * *

٤٠٥٨ - **عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَغْبِطَنَّ فاجِراً بنعْمَةٍ، فإنَّكَ لا تَدري ما هوَ لاقٍ بعدَ مَوْتِه، إنَّ لهُ عندَ الله قاتِلاً لا يَموتُ»، يعني: النَّار.**

«**عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تَغبِطَنَّ فاجراً**»، قيل: أي: كافراً.

«**بنعمةٍ**»؛ يعني: لا تتمنَّيَنَّ أن يكونَ لك ما له من النِّعَم.

«**فإنك لا تدري ما هو لاقٍ بعد موته، إن له**»؛ أي: للفاجر.

«**عند الله قاتلاً**» من: القتل، كذا في أكثر النسخ.

«**لا يموت**»؛ أي: لا يَفْنَى.

«**يعني: النار**»: تفسير (قاتلاً).

وفي «شرح السُّنة»: «قائلاً»؛ أي: مَقيلاً، من: القَيلولة.

* * *

٤٠٥٩ - **وقال: «الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ وسَنَتُهُ، فإذا فارقَ الدُّنْيا فارقَ السِّجْنَ والسَّنَةَ».**

«**وعن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجنُ المؤمن وَسَنَتُه**»؛ أي: قحطُه وشدةُ عيشِه.

«**فإذا فارقَ الدنيا فارقَ السجنَ والسَّنةَ**».

* * *

٤٠٦٠ ـ وعن قتادةَ بن النُّعمانِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أَحَبَّ الله عَبْداً حَماهُ الدُّنْيا كما يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحمِي سَقيمَهُ الماءَ».

«عن قتادة بن النعمان ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: إذا أحبَّ الله عبداً حَمَاه الدنيا»؛ أي: منعَه منها ووقاه أن يتلوثَ بزينتها؛ كيلا يمرضَ قلبُه بداء محبتها.

«كما يظلُّ أحدكم»؛ أي: كما طفقَ أحدُكم.

«يحمي سقيمَه»؛ أي: مريضَه المستسقي «من الماء»؛ كيلا يزيدَ مرضُه بشربـه.

* * *

٤٠٦١ ـ عن مَحْمودِ بن لَبيدٍ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «اثنتانِ يَكرَهُهُما ابن آدَمَ: يَكْرَهُ المَوْتَ، والمَوْتُ خيرٌ للمُؤْمِنِ مِنَ الفِتْنَةِ، ويَكْرَهُ قِلَّةَ المالِ، وقِلَّةُ المالِ أَقَلُّ للحِسابِ».

«عن محمود بن لبيد: أن النبي ﷺ قال: اثنتان يكرههما ابن آدم: يكرهُ الموتَ؛ والموتُ خيرٌ للمؤمن من الفتنة»؛ والفتنةُ التي الموتُ خيرٌ منها هي الوقوعُ في الشِّرك أو في فتنة يتسخَّطها الإنسان ويجري على لسانه ما لا يليق، وفي اعتقاده ما لا يجوز.

«ويكرهُ قلةَ المال؛ وقلةُ المال أقلُّ للحساب».

* * *

٤٠٦٢ ـ عن عبدِالله بن مُغَفَّلٍ قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبـيِّ ﷺ فقال: إنِّي أُحِبُّكَ، قالَ: «اُنظُرْ ما تقولُ»، فقالَ: والله إنِّي لأُحِبُّكَ، ثلاثَ مرَّاتٍ، قال:

«إنْ كُنتَ صَادِقاً فأَعِدَّ لِلفَقْرِ تِجْفافاً، لَلْفَقْرُ أَسْرَعُ إلى مَنْ يُحِبني مِنَ السَّيْلِ إلى مُنْتَهَاهُ»، غريب.

«عن عبدالله بن مغفَّل ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: إني لأَحبُّك، قال: انظرْ ما تقول؟» قاله لتفخيم شأن المقول؛ أي: فكِّر فيما تقول في أنك تحبني، أنتَ صادق في هذه الدعوى أم لا؟

«فقال: والله إني لأَحبُّك، ثلاث مرات، قال: إن كنتَ صادقاً فأعدَّ»؛ أي: فهيـئ.

«للفقر تِجْفَافاً» بكسر التاء وسكون الجيم: شيء يُلبَس لدفع السلاح؛ يعني: آلةً تدفع بها عن دِينك ضررَه من الصبر والقناعة والرضا، كنَّى بالتِّجفاف عن الصبر؛ لأنه يستر الفقرَ كما يسترُ التجفافُ البدن.

(لَلفقر): اللام لام الابتداء.

«أسرعُ إلى مَن يحبني من السيل إلى منتهاه»؛ يعني: لابد من وصول الفقر إليه.

«غريب».

* * *

٤٠٦٣ - عن أنسٍ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: لقدْ أُخِفْتُ في الله وما يُخافُ أَحَدٌ، ولقدْ أُوذِيْتُ في الله وما يُؤْذَى أَحَدٌ، ولقدْ أَتَتْ عليَّ ثلاثونَ منْ بينِ ليلةٍ ويَوْمٍ وما لِي ولِبلالٍ طَعامٌ يأْكُلُهُ ذُو كَبـدٍ، إلا شَيءٌ يُوارِيهِ إِبْطُ بِلالٍ».

«عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لقد أُخِفتُ» بصيغة المجهول من: الإخافة.

«في الله»؛ أي: في إظهار دينه.

«وما يُخاف أحدٌ» بصيغة المجهول؛ أي: مثلَ ما أُخِفتُ.

«ولقد أُوذيتُ في الله، وما يُؤْذَى أحَدٌ»؛ أي: مثلَ ما أُوذيتُ؛ يعني: كنتُ وحيداً في ابتداء إظهاري الدينَ، فخوَّفني الكفارُ وآذَوني في ذلك، ولم يكن معي أحد يوافقني في تحمُّل الأذيَّة.

«ولقد أتَتْ عليَّ»؛ أي: قد كان بعضُ الأوقات مرَّ عليَّ.

«ثلاثون من بين ليلةٍ ويومٍ»، (بين): زائدة، تقديره: من ليلةٍ ويومٍ كان بلالٌ رفيقي في ذلك الوقت.

«وما لي ولبلالٍ طعامٌ يأكلُه ذو كبد»: هذا إشارة إلى قلته، والمراد بـ (ذو كبد) هاهنا: نحو الفأرة والهِرَّة مما يَشبَع بأدنى شيء.

«إلا شيءٌ»: بدل من (طعام).

«يُوارِيه»؛ أي: يستُرُه.

«إبطُ بلال» من خبز ونحوه، كنَّى بالمواراة تحت الإبط عن الشيء اليسير، وعن عدم ما يُجعَل فيه الطعامُ من الظَّرف.

* * *

٤٠٦٤ - عن أبي طَلْحَةَ قال: «شَكَونْا إلى رَسولِ الله ﷺ الجُوعَ، ورَفَعنا عنْ بُطونِنا عنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فرفعَ رسولُ الله ﷺ عنْ بَطْنِه عنْ حَجَرَيْنِ»، غريب.

«عن أبي طلحة ﷺ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوعَ، ورفعْنا عن بطوننا عن حَجَرٍ حَجَرٍ»: بدل اشتمال، كما تقول: زيدٌ كشفَ عن وجهِه عن حُسنٍ خارقٍ.

عادة أهل الرياضة إذا اشتد جوعُهم أن يربطَ كلُّ واحدٍ منهم حَجَراً على

بطنه؛ كيلا يسترخي بطنُه، وتنزلَ أمعاؤه، فيشقُّ عليه التحريك.

«فرفع رســـولُ الله ﷺ عن بطنـــه عن حَجَرَين»؛ لأنه ﷺ أكثرُهم جوعاً وأشدُّهم رياضةً.

«غريب».

* * *

٤٠٦٥ ـ عن أبي هُريرةَ: أنَّهُ أصابَهُم جُوعٌ، فأَعْطاهُمْ رسولُ الله ﷺ تَمْرَةً تَمْرَةً.

«عن أبي هريرة ﷺ: أنه أصابهم جوعٌ، فأعطاهم رسولُ الله ﷺ تمرةً تمرةً».

* * *

٤٠٦٦ ـ عن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عن أَبيه، عن جَدِّه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «خَصْلتانِ مَنْ كانتا فيهِ كتبَهُ الله شاكِراً صابـراً: مَنْ نظَرَ في دِينِه إلى مَنْ هوَ فَوْقَهُ فاقْتَدَى بهِ، ونظَرَ في دُنْياهُ إلى مَنْ هوَ دُونَهُ، فحَمِدَ الله على ما فضَّلَهُ الله عليهِ؛ كتبَهُ الله شاكِراً صابـراً، ومَنْ نظرَ في دِينِه إلى مَنْ هوَ دُونَهُ، ونظرَ في دُنْياهُ إلى مَنْ هو فَوْقَهُ، فأَسِفَ على ما فاتَهُ منهُ؛ لمْ يكتُبْهُ الله شاكِراً ولا صابـراً».

«عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ﷺ عن النبي ﷺ قال: خصلتانِ مَن كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً: مَن نَظَرَ في دينه إلى مَن هو فوقَه»؛ أي: نظر في الأعمال الصالحة إلى مَن هو أكثرُ منه عبادةً ورياضةً وقناعةً.

«فاقتدى به، ونظرَ في دنياه إلى مَن هو دونَه»؛ أي: إلى مَن هو أفقرُ وأقلُّ مالاً منه.

«فحمد الله»؛ أي شكرَه «على ما فضَّله الله»؛ أي: على ما أعطاه من الفضل.

«كتبه الله شاكراً صابراً، ومَن نظر في دينه إلى مَن هو دونَه، ونظرَ في دنياه إلى مَن هو فوقَه فأَسِفَ»؛ أي: غضبَ وحزنَ «على ما فاته منه»؛ أي: من المال الدنيوي وغيره.

«لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً».

* * *

٣ - باب
الأَمَلِ والحِرْصِ

(باب الأمل والحرص)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٦٧ - عن عبدِالله بن مَسْعودٍ ﷺ قال: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خَطّاً مُرَبَّعاً، وخَطَّ خَطّاً في الوَسَطِ خارِجاً منهُ، وخَطَّ خُطُوطاً صِغاراً إلى هذا الذي في الوَسَطِ من جانِبِهِ الذي في الوسَطِ فقال: «هذا الإِنسانُ، وهذا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، وهذا الذي هوَ خارِجٌ أَمَلُهُ، وهذهِ الخُطُوطُ الصِّغارُ الأَعراضُ، فإنْ أَخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإنْ أَخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا».

«من الصحاح»:

«عن عبدالله ﷺ قال: خطَّ النبي ﷺ خطّاً مربَّعاً، وخطَّ خطّاً في الوسط خارجاً منه، وخطَّ خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط» بهذه الصورة.

«فقال: هذا»؛ أي: الخطُّ الذي في وسط المربع «هو الإنسان، وهذا»؛ أي: الخطُّ المربع «أجلُه محيطٌ به»، بحيث لا يمكنه الفرارُ والخروجُ منه.

«وهذا الذي هو خارج» من المربع «أملُه» الذي يظنُّ أنه يدركُه قبلَ موته، وهو ظنٌّ خطأ منه؛ لأن أجلَه أقربُ إليه منه.

«وهذه الخطوطُ الصغارُ الأعراضُ» من الآفات والعاهات، كالمرض وغيره، فهذه الأعراضُ مكتنفةٌ به من جميع جوانبه.

«فإنْ أخطأه هذا»؛ أي: عرضٌ من هذه الأعراض؛ أي: تجاوزَ.

«نهشَه»؛ أي: أخذَه ولدغَه «هذا»؛ أي عرضٌ آخرُ.

«وإنْ أخطَأه هذا نهشَه هذا».

* * *

٤٠٦٨ ـ وعن أنسٍ قال: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خُطُوطاً فقال: «هذا الأَمَلُ، وهذا أَجَلُهُ، فبينَما هو كذلكَ إذْ جاءَهُ الخَطُّ الأَقْرَبُ».

«وعن أنس رضي الله تعالى عنه: خطَّ النبيُّ ﷺ خطوطاً، فقال: هذا الأملُ، وهذا أجلُه، فبينما هو كذلك»؛ أي: في الحالة التي يرجو أن يبلغَ أملَه.

«إذ جاءه الخطُّ الأقربُ» الذي هو أجلُه قبلَ وصوله إلى الأبعد، الذي هو أملُه.

* * *

٤٠٦٩ ـ عن أنسٍ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «يَهْرَمُ ابن آدَم ويَشِبُّ مَعَه اثنتانِ: الحِرْصُ على المالِ، والحِرْصُ على العُمُرِ».

«عن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: يَهرَم ابن آدم»؛ أي: يَكبر سِنُّه.

«ويَشِبُّ» بفتح الياء وكسر الشين المعجمة والباء المشددة.

«منه اثنان»: هذا استعارة؛ يعني: تستحكم الخصلتان في قلب الشيخ، كاستحكام قوة الشاب في شبابه.

«الحرص على المال، والحرص على العمر»، إنما لم تنكسر هاتان الخصلتان؛ لأن الإنسانَ مجبولٌ على حُبِّ الشهوات[1]، والشهوةُ إنما تُنال بالمال والعمر.

* * *

٤٠٧٠ ـ عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا يزالُ قَلْبُ الكبيرِ شَابّاً في اثنَتَينِ: في حُبِّ الدُّنْيا، وطُولِ الأَمَلِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: لا يزال قلبُ الكبير شاباً في اثنتين، في حبِّ الدنيا، وطولِ الأمل».

* * *

٤٠٧١ ـ وقال: «أَعْذَرَ الله إلى امرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حتَّى بلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أعذَرَ الله إلى امرئ»، قيل: الهمزة في (أعذر) للسلب؛ أي: أزالَ عذرَ امرئ.

«أخَّر أجلَه حتى بلَّغه ستين سنةً»، فلم يتب عن المعاصي، ولم يصلح حالَه ومآلَه؛ يعني: أنه لم يترك له شيئاً في الاعتذار يتمسك به.

* * *

---

(١) في هامش «غ»: «كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَآءِ﴾ الآية».

٤٠٧٢ ـ وعن ابن عبَّاسٍ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «لَوْ كانَ لابن آدَم وادِيانِ مِنْ مالٍ لابْتَغَى ثالِثاً، ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابن آدَمَ إلاَّ التُّرابُ، ويَتُوبُ الله على مَنْ تابَ».

«وعن ابن عباس ﷺ، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لو كان لابن آدم واديانِ من مال» المراد منه: الإبل.

«لاَبتغى لهما ثالثاً»؛ أي: وادياً ثالثاً.

«ولا يملأ جوفَ ابن آدمَ إلا الترابُ»؛ يعني لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموتَ ويمتلئَ جوفُه من تراب قبره، وهذا حكمٌ على الغالب.

«ويتوب الله على مَن تاب»؛ أي: يَقبَل التوبَة من التائب عن حرصه المذموم، وعن غيره من المذمومات.

* * *

٤٠٧٣ ـ وعن ابن عُمَرَ قال: أَخَذَ رسولُ الله ﷺ ببَعْضِ جَسدِي فقال: «كُنْ في الدُّنْيا كأنَّكَ غَرِيبٌ أو عابـرُ سَبيلٍ، وعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أهْلِ القُبورِ».

«وعن ابن عمر ﷺ قال: أخذ رسولُ الله ﷺ ببعض جسدي فقال: كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ»، (أو) هذه بمعنى: بل، وفي هذا ترقٍّ من التشبيه الأول؛ لأن الغريبَ قد يَسكُن في بلاد الغربة ويقيم فيها، بخلاف عابر السبيل.

«وعُدَّ نفسَك من أهل القبور».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٠٧٤ ـ عن عبدِالله بن عَمْرٍو قال: مَرَّ بنا رَسولُ الله ﷺ وأنا وأُمِّي نُطيـنُ

شَيْئاً فقال: «ما هذا يا عبدَالله؟» فقُلتُ: شَيءٌ نُصْلِحُهُ، قال: «الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِك»، غريب.

«من الحسان»:

«عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: مرَّ بنا رسولُ الله ﷺ، وأنا وأمِّي نُطين شيئاً»؛ أي: نُصلح شيئاً من البيت بالطِّين.

«فقال: ما هذا يا عبدَالله؟ قلت: شيءٌ نصلحه، قال: الأمرُ أسرعُ من ذلك»؛ أي: الأجلُ أقربُ من تخرُّب هذا البيت؛ يعني: تصلح بيتَك خشيةَ أن ينهدمَ قبلَ أن تموتَ، وربما تموت قبل أن ينهدمَ، فإذا كان كذلك فإصلاحُ عملِك أَولى من إصلاح بيتك.

«غريب».

* * *

٤٠٧٥ ـ عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يُهْرِيقُ الماءَ فَيَتَيَمَّمُ بالتُّرابِ، فأقولُ: يا رسولَ الله! إنَّ الماءَ مِنْكَ قريبٌ، فيقولُ: «ما يُدرِيني؟ لَعَلِّي لا أبلُغُه».

«عن ابن عباس ﷺ: أن النبي ﷺ كان يُهريق الماء»؛ أي: يبول، وقيل: يَستعمل الماءَ قبل الوقت.

«فيتيمَّم» في الوقت «بالتراب، فأقول: يا رسولَ الله! إن الماءَ منك قريب، يقول: ما يدريني»، (ما): للاستفهام.

«لعلي لا أَبلُغُه»؛ أي: الماءَ.

* * *

٤٠٧٦ ـ عن أنسٍ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «هذا ابن آدمَ، وهذا أَجَلُهُ»، ووَضَعَ يدَهُ عندَ قَفَاهُ، ثُمَّ بَسَطَ فقال: «وثَمَّ أَمَلُهُ».

«**عن أنس** ﷺ: **أن النبي** ﷺ **قال: هذا ابن آدمَ، وهذا أجلُه، ووضعَ يدَه عند قفاه**»؛ يعني: وضع ﷺ يَده على قفاه «ثم بسط»؛ أي: مدَّ يدَه وأشار إلى موضعٍ أبعدَ من قفاه.

«**فقال: وثَمَّ**» بفتح الثاء «**أملُه**»، وفيه: إشارة إلى أن أجلَه أقربُ إليه من أمله، وإلى أن أملَه أطولُ من أجله.

* * *

٤٠٧٧ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ غَرَزَ عُوداً بينَ يدَيهِ، وآخرَ إلى جَنْبِـهِ، وآخرَ أَبْعَدَ منهُ فقال: «هلْ تدرونَ ما هذا؟» قالوا: الله ورسولُه أَعْلَمُ، قال: «هذا الإنسانُ، وهذا الأَجَلُ»، أُراهُ قال: «وهذا الأملُ، فيتَعاطَى الأَمَلَ، فَلَحِقَهُ الأَجَلُ دُونَ الأَمَلِ».

«**عن أبي سعيد الخُدري** ﷺ: **أن النبي** ﷺ **غَرزَ عوداً بين يدَيه**»؛ أي قُدَّامَه.

«**وآخرَ**»؛ أي: غرزَ عوداً آخرَ «**إلى جنبه**»؛ أي: جنب عُوده.

«**وآخرَ أبعدَ منه**»؛ أي: من ذلك العود الأبعد.

«**فقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا الإنسان، وهذا الأجل**» إشارةً إلى الذي إلى جنبه.

«**أراه**»؛ أي: قال الراوي: أظنُّ أنه ﷺ «**قال: وهذا الأمل**»: إشارةً إلى العُود الأبعد.

«**فيتعاطى**»؛ أي: يتناولُ الإنسانُ «**الأملَ ويباشره**»؛ أي يشتغل بما يأمل.

«فلحقَه الأجلُ دون الأمل»؛ أي: قبل أن يَتمَّ أملُه.

* * *

٤٠٧٨ ـ عن عبدِالله بن الشِّخِّيرِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مُثِّلَ ابن آدَمَ وإلى جَنْبِـه تِسعٌ وتِسعونَ مَنيَّةً، إنْ أَخْطَأَتْهُ المنَايا وَقَعَ في الهَرَمِ».

«عن عبدالله بن الشِّخِّير ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مُثِّلَ» بصيغة الماضي المجهول؛ أي: صُوِّرَ وخُلِقَ.

«ابن آدم إلى جنبه»: حال، سواء كان بالواو أو دونها.

«تسعٌ وتسعون مَنِيَّةً»، وروي: «مَثَلُ» على وزن: فَرَس، مبتدأ خبره الجملة التي بعده؛ أي: صفته وحاله العجيبة أن تسعاً وتسعين منيةً متوجهةً نحوه منتهيةً إلى جانبه، وقيل: خبره محذوف؛ أي: مَثَلُه مَثَلُ مَن يكون إلى جانبه.

«إن أخطأتْه المنايا وقع في الهَرَم»: تقدم بيانه في (باب عيادة المريض).

* * *

٤٠٧٩ ـ عن أبي هُريرةَ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «عُمْرُ أُمَّتي منْ ستِّينَ سنةً إلى سَبعين سَنَةً»، غريب.

«عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: عُمرُ أمتي من ستين سنةً إلى سبعين»، «غريب».

* * *

٤٠٨٠ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ «أَعْمارُ أُمَّتي ما بينَ السِّتينَ إلى السَّبْعينَ، وأقلُّهُم مَنْ يَجُوزُ ذلكَ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أعمارُ أمتي ما بين الستين

إلى السبعين، وأقلُّهم»؛ أي: أقلُّ أمتي «مَن يَجُوزُ»؛ أي: يَعبُرُ «ذلك»؛ أي: السبعين.

* * *

٤ - باب

استِحبابِ المالِ والعُمُرِ للطَّاعةِ

(باب استحباب المال والعمر للطاعة)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٨١ - قال رسولُ الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتَينِ: رَجُلٌ آتاهُ الله القُرآنَ، فهوَ يقومُ بهِ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، ورجلٌ آتاهُ الله مالاً، فهوَ يُنفِقُ منه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ».

«من الصحاح»:

«عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآنَ فهو يقوم به آناءَ الليل وآناءَ النهار، ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناءَ الليل وآناءَ النهار»: تقدم بيانه في (كتاب فضائل القرآن).

* * *

٤٠٨٢ - وقال: «إنَّ الله يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ».

«عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يحبُّ العبدَ التقيَّ»: وهو مَن يتقي المعاصي، وقيل: أراد به: مَن لا يصرف مالَه في المعاصي.

«الغنيَّ» بغنى القلب.

«الخفيَّ» عن أعين الناس في نوافله؛ لئلا يُداخلَه الرياء، وقيل: الخفيُّ مَن لا يتكبَّر على الناس ولا يفتخر عليهم بالمال، بل يجعل نفسَه منكسرةً من التواضع، وقيل: أراد به خفيَّ الذِّكر لخموله، أو قليل التردُّد والخروج إلى الأسواق ونحوها.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٠٨٣ ـ عن أبي بَكْرَةَ ﷺ: أنَّ رَجُلاً قال: يا رَسولَ الله! أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قال: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ» قالَ: فأيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قال: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ».

«من الحسان»:

«عن أبي بَكرة ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسولَ الله! أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: مَن طالَ عمرُه وحَسُنَ عملُه، قال: فأيُّ الناسِ شرٌّ؟ قال: مَن طالَ عمرُه وساء عملُه».

* * *

٤٠٨٤ ـ وعن عُبَيْدِ بن خالدٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ آخَى بينَ رَجُلَينِ، فقُتِلَ أحدُهُما في سبيلِ الله، ثُمَّ ماتَ الآخَرُ بعدَهُ بجُمُعَةٍ أو نَحْوِها، فَصَلَّوا عليهِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «ما قُلتُم؟» قالوا: دَعَوْنا الله أنْ يَغْفِرَ لهُ ويَرْحَمَهُ ويُلحِقَهُ بصاحِبِـهِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «فأَيْنَ صَلاتُهُ بعدَ صَلاتِهِ، وعملُهُ بعدَ عَمَلِهِ؟ ـ أو قال: صِيامُهُ بعدَ صِيامِهِ ـ لَمَا بَيْنَهما أَبْعَدُ مِمَّا بينَ السَّماءِ والأَرْضِ».

«**وعن عُبيد بن خالد ﷺ: أن النبي ﷺ آخى**»؛ أي: عقدَ الأخوةَ.

«بين رجلَين، فقُتل أحدُهما في سبيل الله، ثم مات الآخر بعده بجمعة أو نحوها، فصلَّوا عليه، فقال النبي ﷺ: ما قلتُم؟ قالوا: دَعَونا الله أن يغفرَ له ويرحَمَه ويُلحقَه بصاحبه»؛ أي: الذي قُتل.

«فقال النبي ﷺ: فأين صلاتُه؟»؛ أي صلاةُ الميت «بعدَ صلاتِه»؛ أي: صلاة القتيل؟

«وعملُه بعدَ عملِه»؛ فإن الميتَ قد عملَ الطاعةَ بعده؟

«أو قال: صيامُه بعدَ صيامِه»؛ يعني: هذه الزوائد التي زادها هذا بعد قتلِ ذاك يُثاب عليها زائداً عليها؛ وذلك لأن هذا أيضاً مُرابطٌ في سبيل الله، وإلا فلا عملَ أزيدُ ثواباً على الشهادة جهاداً في سبيل الله وإظهاراً لدينه، خصوصاً في مبادئ الدعوة إليه، ومع قلة أعوانه.

«لَمَا بينهما»: اللام فيه توطئة للقَسَم، أو للابتداء؛ أي: التفاوتُ التي بينهما في القرب عند الله تعالى «أبعد مما بين السماء والأرض».

* * *

٤٠٨٥ - وعن أبي كَبْشَةَ الأنْمارِيِّ: أنَّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ثلاثٌ أُقْسِمُ عَلَيهِنَّ، وأُحَدِّثُكُمْ حَديثاً فاحفَظُوهُ، فأمَّا الذي أُقسِمُ عليهِنَّ، فإنَّهُ ما نقَصَ مالُ عَبْدٍ منْ صَدَقةٍ، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عليها إلا زادَهُ الله بها عِزاً، ولا فَتَحَ عَبْدٌ بابَ مَسْأَلةٍ إلاَّ فتحَ الله عَلَيهِ بابَ فَقرٍ، وأمَّا الذي أُحدِّثُكُمْ حديثاً فاحفَظُوه»، قال: «إنَّما الدُّنيا لأرْبعةِ نفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مالاً وعِلْماً، فهوَ يَتَّقي فيهِ ربَّهُ، ويَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ويَعملُ لله فيهِ بحقِّهِ، فهذا بأفضَلِ المنازِلِ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ الله عِلْماً ولمْ يرزُقْهُ مالاً، فهوَ صادِقُ النيَّةِ يقولُ: لوْ أنَّ لي مالاً لعَمِلتُ بعَمَلِ فُلانٍ، فهوَ ونيَّتُهُ، فأَجْرُهُما سَواءٌ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مالاً ولَمْ يَرزُقْهُ عِلْماً، فهو يتخبَّطُ في مالِهِ بغيرِ عِلْمٍ، لا يتَّقي فيهِ ربَّهُ، ولا يَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ولا يَعمَلُ

فيهِ بحَقٍّ، فهذا بأَخبَثِ المنازِلِ، وعَبْدٍ لمْ يرزُقْهُ الله مالاً ولا عِلْماً، فهوَ يقولُ: لوْ أنَّ لي مالاً لعمِلْتُ فيهِ بعَمَلِ فُلانٍ، فهوَ بنيَّتِهِ، فوِزْرُهُما سَواءٌ»، صحيح.

«وعن أبي كَبشة الأنماري ﷺ: أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: ثلاثٌ أُقسِم عليهن، وأُحدِّثكم حديثاً فاحفظوه»؛ أي: الحديثَ.

«فأمَّا الذين أُقسم عليهن فإنه ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظُلِمَ عبدٌ مَظلمةً» بفتح الميم وكسر اللام: اسم ما أخذه الظالم ظلماً.

«فصبر عليها، إلا زاده الله تعالى به عزّاً، ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألة إلا فتحَ الله عليه بابَ فقرٍ، وأمَّا الذي أُحدثكم فاحفظوه فقال: إنما الدنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٍ رزقَه الله مالاً وعلماً»، قيل: هو علم كيفية صرف المال في وجوه البـر.

«فهو يتقي فيه ربَّه»؛ يعني: لا يصرف مالَه في معصية.

«ويصل فيه رَحِمَه»؛ أي: بالمواساة إلى أقاربه والإحسان إليهم بما أَحسن الله إليه من المال.

«ويعمل لله فيه بحقه»؛ أي: بحق المال؛ أي: يؤدي ما في المال من الحقوق، كالزكاة والكفارات والنفقات وإطعام الضيف وغيرها، ويجوز أن يكون الضمير في (بحقه) راجعاً إلى الله؛ أي: بحق الله الواجب في المال.

«فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقَه الله علماً ولم يرزقْه مالاً، فهو صادقُ النية، يقول: لو أن لي مالاً لَعملتُ بعمل فلان، فهو نيتُه، فأجرُهما»؛ أي: أجرُ القِسم الأول والثاني «سواءٌ»؛ لأن الثاني كانت نيتُه صرفَ المال في وجوه الخير لو كان له مال، فهو يُثاب بنيته كما يُثاب صاحب المال ببذل المال في وجوه الخير.

«وعبدٍ رزقَه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يتخبَّط في ماله بغير علم،

لا يتقي فيه ربَّه ولا يَصِلُ فيه رَحِمَه ولا يعمل فيه بحق؛ فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لَعملتُ فيه بعمل فلان»؛ يعني: لو كان لي مال لَصرفتُه فيما تشتهيه نفسي من لبسِ الملابس الفاخرة واستمتاعِ بالملاهي والمناهي.

«فهو بنيتِه»؛ أي يجد الإثمَ ويُكتب عليه الذنبُ بنيته قصدَ الفسق.

«ووِزرُهما»؛ أي: وِزْرُ القِسم الرابع والثالث «سواءٌ». «صحيح».

ولا منافاةَ بين هذا وبين قوله ﷺ: «إن الله تجاوَزَ عن أمتي ما وسوستْ به صدورُها ما لم تَعملْ به»؛ لأنه قد عَملَ هنا بالقول اللساني، والمُتجاوَزُ عنه هو القولُ النفسيُّ.

* * *

٤٠٨٦ ـ عن أنسٍ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى إذا أرادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا استَعْمَلَهُ»، فقيل: وكيفَ يستعمِلُهُ يا رسولَ الله؟ قال: «يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صالحٍ قبلَ المَوْتِ».

«عن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيراً استعملَه، فقيل: فكيف يستعمله يا رسولَ الله؟ قال: يوفِّقه لعملٍ صالحٍ قبل الموت».

* * *

٤٠٨٧ ـ عن شَدَّادِ بن أَوْسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الكَيـسُ مَنْ دانَ نفسَهُ وعَمِلَ لِما بعدَ المَوْتِ، والعاجِزُ مَنْ أتبَعَ نفسَهُ هَواها وتَمنَّى على الله تعالى».

«عن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الكَيـسُ» يريد به:

العاقل الحازم المحتاط في الأمور.

«مَن دانَ نفسَه»؛ أي: أذلَّها واستعبدَها، وقيل: أي حاسبَها في الدنيا أنه عملَ خيراً أم شراً؟ فإن كان خيراً حمدَ الله، وإن كان شراً تابَ واستغفرَ وندمَ قبل أن يُحاسَبَ في الآخرة.

«وعملَ لِمَا بعدَ الموت، والعاجزُ مَن أَتبعَ نفسَه هواها»؛ أي: أَعطَى ما أرادتْ من المحرَّمات.

«وتمنَّى على الله»؛ يعني: العفوَ والمغفرةَ والجنةَ من غير توبةٍ واستغفارٍ.

* * *

٥ - باب

التَّوَكلِ والصَّبرِ

«باب التوكل والصبر» والمراد بـ (التوكل): وهو التوكل الخاص، هو أن يتيقَّن أنه لا يصيبه إلا ما كَتَبَ الله له من النفع والضر.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٨٨ - عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يدخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتي سَبعُونَ ألفاً بغيرِ حِسابٍ، هُمُ الذينَ لا يَسْتَرْقونَ، ولا يتَطيَّرونَ، وعلى ربـهمْ يتوَكَّلونَ».

«من الصحاح»:

«عن ابن عباس ﷺ قال النبي ﷺ: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حسابٍ، هم الذين لا يَسْتَرْقُون»؛ أي: لا يطلبون الرقيةَ.

«ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكلون»: وهذا من صفة الأنبياء والأولياء

المُعرِضين عن أسباب الدنيا، وهي درجة الخواصّ، وأما العوامُّ فقد رُخِّصَ لهم الرقية والتداوي بالعلاج، كما مرَّ في بابها.

* * *

٤٠٨٩ ـ عن ابن عبَّاسٍ قال: خَرَجَ رسولُ الله ﷺ يوماً فقال: «عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمرُّ النَّبـيُّ ومَعَهُ الرَّجُلُ، والنَّبـيُّ ومَعَهُ الرَّجُلانِ، والنَّبـيُّ ومَعَهُ الرَّهْطُ، والنبيُّ وليسَ مَعَهُ أَحَدٌ، فرأَيتُ سَواداً كثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَرجَوْتُ أنْ يكونَ أُمَّتي، فقيلَ: هذا موسَى في قومِهِ، ثُمَّ قيلَ لي: انظُرْ هكذا، فرأيتُ سَواداً كثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فقيلَ: انظُرْ هكذا وهكذا، فرأيتُ سَواداً كثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فقيلَ: هؤلاءِ أُمَّتُكَ، ومعَ هؤلاءِ سَبْعونَ ألفاً قُدَّامَهُمْ، يَدخُلونَ الجنَّةَ بغيرِ حِسابٍ؛ هُمُ الذينَ لا يَتطيَّرونَ، ولا يَسْتَرْقونَ، ولا يَكْتَوُونَ، وعلَى ربـهِمْ يتوكَّلونَ»، فقامَ عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ فقالَ: ادعُ الله أنْ يَجعَلَني منهُمْ، فقال: «اللهمَّ اجْعَلْهُ منهُمْ»، ثمَّ قامَ رَجُلٌ آخرُ فقال: ادعُ الله أنْ يَجعلَني منهُمْ، قال: «سَبقَكَ بها عُكَّاشَةُ».

«وعن ابن عباس ﷺ قال: خرج رسولُ الله ﷺ يوماً، فقال: عُرِضتْ عليَّ الأممُ»؛ أي: أراني الله الأنبياءَ مع أممهم.

«فجعل»؛ أي: طفقَ.

«يمرُّ النبيُّ ومعه الرجلُ»؛ يعني: لم يؤمن به إلا رجلٌ.

«والنبيُّ ومعه الرجلان، والنبيُّ ومعه الرَّهطُ، والنبيُّ وليس معه أحدٌ، فرأيتُ سواداً كثيراً سدَّ الأفق»؛ أي: سترَه من كثرته، «فرجوت أن تكون أمتي، فقيل: هذا موسى في قومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفقَ، فقيل: هؤلاء

أمتُك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً قُدَّامَهم يدخلون الجنةَ بغير حساب، هم الذين لا يتطيَّرون ولا يَسْتَرْقُون ولا يَكْتَوُون» من: الكَيِّ.

«وعلى ربهم يتوكلون، فقام عُكاشة» ـ بضم العين وتشديد الكاف وتخفيفها ـ «ابن مِحْصَن فقال: يا رسولَ الله! ادعُ الله أن يجعلَني منهم، فقال: اللهم اجعلْه منهم، ثم قام رجل آخر»، قيل: هو سعد بن عبادة.

«فقال: يا رسولَ الله! ادعُ الله أن يجعلَني منهم، فقال سَبَقَك بها»؛ أي بتلك الدعوة والمسألة «عُكاشةُ»؛ لأنه لم يُؤذَن له في ذلك المجلس بالدعاء إلا لواحد.

وفيه: تحريض للناس على المسارعة إلى الخيرات وطلب الأدعية الصالحة من الصالحين والصالحات؛ لأن في التأخير آفاتٍ، وقيل: كان ذلك الرجلُ منافقاً ولم يكن مستحقاً لتلك المنزلة، فأجابه ﷺ بكلامٍ محتملٍ، ولم يُرِدِ التصريحَ له بأنك لستَ منهم؛ لحسن خُلقه.

* * *

٤٠٩٠ ـ عن صُهَيْبٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ له خيرٌ، وليسَ ذلكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمنِ، إنْ أصابتْهُ سرَّاءُ شَكَرَ فكانَ خيراً لهُ، وإنْ أصابتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكانَ خَيْراً لهُ».

«عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: عجباً لأمر المؤمن! إن أمرَه كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابتْه سَرَّاء شكرَ فكان خيراً له، وإن أصابتْه ضَرَّاءُ صبر فكان خيراً له».

* * *

٤٠٩١ ـ وقال: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إلى الله مِنَ المُؤْمنِ

الضَّعيفِ، وفي كُلٍّ خيرٌ، اِحْرِصْ على ما ينفعُكَ، واستَعِنْ باللهِ ولا تَعْجِزْ، وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلا تَقُلْ: لَوْ أنِّي فَعَلْتُ كذا كانَ كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلَ، فإنَّ لوْ تفتحُ عَمَلَ الشَّيطانِ».

«**وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمنُ القويُّ**»؛ أي: في الاعتقاد بالله وفي التوكل عليه، وقيل: أراد به: مَن صبر على مجالسة الناس وتحمَّل أذاهم وعلَّمهم الخيرَ.

«**خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيـــف**»: الذي يفرُّ من النـــاس ولا يخالطهم؛ لعدم تحمُّل أذاهم، ولا ينفع إلا نفسَه.

«**وفي كلٍّ خيرٌ**»؛ أي: في كلِّ مؤمنٍ خيرٌ؛ لقيام الإيمان به، وقيل: أي: في كل أمرٍ من الاختلاط بالناس والاعتزال عنهم خيرٌ من وجهٍ، إلا أن الاختلاطَ معهم أَولى.

«**احرصْ على ما ينفعُك، واستعنْ بالله ولا تَعجَزْ**»؛ أي: عن العمل بما أُمرت، ولا تتركْه مقتصراً على الاستعانة، بل كمالُ الإيمان أن ينتفعَ أحدُهما بالآخر.

«**وإن أصابك شيء**» مما تكرهه «**فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله**»؛ أي: كذا وكذا؛ أي: كان ذلك بتقدير الله ومشيئته، «**وما شاء الله فعل**»، لا مَردَّ له، ومعناه: لا تُنازِعِ القَدَرَ ولا تتأسَّفْ على الفائت.

«**فإن لو**»؛ أي لفظة (لو) «**تفتح عملَ الشيطان**»؛ أي: تقع فاتحةَ كلامٍ يفضي إلى عمل الشيطان؛ لأن التكذيبَ بالقَدَر وعدمَ الرضا بصنع الله من عمل الشيطان، قيل: النهي عن تلفظ (لو) إنما هو لمن قاله معتقداً ذلك حتماً، وأما قوله ﷺ في قلب الحج إلى العمرة: «لو أني استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لم

أَسُوقِ الهَدْيَ» فليس من هذا القبيل، وإنما هو كلامٌ قَصدَ به تطييبَ قلوبهم، وتحريضَهم على التحلُّل من أعمال الحج إلى أعمال العمرة، كما مرَّ في بابه.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٠٩٢ ـ عن عمرَ بن الخَطَّاب ﷺ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لوْ أنَّكُمْ تتوكَّلونَ على الله حَقَّ توكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كما يَرْزُقُ الطَّيرَ، تَغْدو خِماصاً، وترُوحُ بِطاناً».

«من الحسان»:

«عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكُّلِهِ»؛ يعني: لو اعتمدتم على الله اعتماداً تاماً، وعلمتُم أن الله لا يُخلِف وعدَه فيما قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦].

«لَرَزَقَكم»؛ أي: لَوصَّلَ إليكم رزقَكم من غير سعي منكم.

«كما يَرزُق الطيرَ؛ تغدو»؛ أي: بُكرةً. «خِماصاً» بكسر الخاء المعجمة: جمع خميص، وهو الضامر، والمراد هنا: الجائع.

«وترُوحُ»؛ أي: عِشاءً «بِطَاناً» بكسر الباء: جمع بطين، وهو عظيم البطن، والمراد: الشِّبَع، يُحكى: أن فرخَ الغراب عند خروجه من بيضته يكون أبيضَ اللون، فيُنكره الغراب، فيتركه ويذهب، ويبقى الفرخُ جائعاً، فيُرسل الله إليه الذبابَ والنملَ، فيلتقطهما إلى أن يَكبرَ قليلاً ويسودَّ، فيرجع إليه الغراب، فيراه أسودَ، فيضمُّه إلى نفسه ويتعهَّده، فهذا يَصِلُ إليه رزقُه بلا سعي، وهو المراد في الحديث. قيل: هذا الحديث ليس لمنع الناس عن الاكتساب

والاحتراف، بل لتعليمهم وتعريفهم أن الرازقَ هو الله تعالى.

قال الشيخ أبو حامد: مَن ظنَّ أن التوكلَ تركُ الكسب بالبدن والتدبير بالقلب فقد أخطأ؛ فإنه حرامٌ في الشرع.

وقال الإمام القُشيري: محلُّ التوكل القلبُ، والحركةُ بالظاهر لا تنافيه.

* * *

٤٠٩٣ ـ عن عبدِالله بن مَسْعودٍ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «أيُّها النَّاسُ! ليسَ مِنْ شيءٍ يُقرِّبُكُمْ إلى الجَنَّةِ ويُباعِدُكُمْ مِنَ النارِ إلاَّ قدْ أَمَرْتُكُمْ بهِ، وليسَ شيءٌ يُقرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ ويُباعِدُكُم مِنَ الجنَّةِ إلاَّ قدْ نَهيتُكُمْ عنهُ، وإنَّ الرُّوحَ الأَمينَ ـ ويُروى: وإنَّ رُوحَ القُدُسِ ـ نَفَثَ في رُوْعِي: أنَّ نَفْساً لنْ تموتَ حتَّى تَستكمِلَ رِزْقَها، ألا فاتَّقُوا الله وأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ، ولا يَحمِلَنَّكُمْ استِبْطاءُ الرِّزْقِ أنْ تَطلُبوهُ بمَعاصِي الله، فإنَّهُ لا يُدرَكُ ما عِندَ الله إلاَّ بطاعتِهِ».

«عن عبدالله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: أيها الناسُ! ليس من شيء»، (من): زائدة.

«يقرِّبكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا قد أمرتُكم به، وليس شيءٌ يقرِّبكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا قد نَهَيْتُكم عنه، وإن الروحَ الأمينَ»؛ يعني: جبريل عليه الصلاة والسلام.

«ويروى: وإن رُوحَ القدسِ نفثَ»؛ أي أَوحَى أو نفخَ.

«في روعي»؛ أي في نفسي وقلبي، والغرض: أنه أَوحَى إليه وحياً غيرَ جَلِيٍّ.

«أن نفساً» بفتح الهمزة ويجوز الكسر؛ لأن الإيحاءَ في معنى القول.

«**لن تموتَ حتى تستكملَ رزقَها، ألا فاتقوا الله وأَجمِلُوا في الطلب**»؛ أي: اكتسبوا المالَ الحلالَ بوجهٍ جميلٍ؛ أي: شرعي.

«**ولا يَحمِلَنَّكم استبطاءُ الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله**»، إنما قال: (استبطاء الرزق) دون إبطائه؛ لأن الرزقَ لا يُ[ستـ]ـبطأ عن وقته، ولكن يُستعجل قبل وقته المقدَّر، فإذا لم يأتِ قبل ذلك الوقت استُبطِئ.

«**فإنه**»: الضمير للمشار.

«**لا يُدرَك ما عند الله**» من الجنة التي وعدَها الله تعالى للمؤمنين، أو من الرزق «**إلا بطاعته**». فإن قلت: قد يُدرَك الرزق بالمعاصي؟

قلت: ما يُدرَك به لا بركةَ فيه، فكأن إدراكَه كعدمه، أو أُريد بالإدراك: الطلب؛ لأنه لازمُه، أو المراد به: الرزق الحلال.

* * *

٤٠٩٤ - عن أبي ذَرٍّ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الزَّهادَةُ في الدُّنْيا ليستْ بتَحْريمِ الحَلالِ، ولا إِضَاعَةِ المالِ، ولكنِ الزَّهادَةُ في الدُّنْيا أنْ لا تكونَ بما في يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِمَّا في يَدَي الله، وأنْ تكونَ في ثَوابِ المُصيبَةِ إذا أَنْتَ أُصِبْتَ بها أَرْغَبَ فيها لوْ أنَّها أُبقِيَتْ لكَ»، غريب.

«**عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الزَّهادةُ في الدنيا**»؛ أي: تركُ الرغبة فيها.

«**ليست بتحريم الحلال**»؛ أي: بأن تحرِّم حلالاً على نفسك بألا تأكلَ لحماً، ولا تَلبَسَ ثوباً جديداً؛ فإن الله تعالى قال: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

«ولا إضاعة المال، ولكن الزَّهادةَ في الدنيا أن لا تكونَ بما في يدَيك أوثقَ مما في يد الله»؛ يعني: ليكنِ اعتمادُكَ بوعد الله من إيصال الرزق إليك أقوى وأشدَّ مما في يدك من المال؛ فإن ما في يدك منه يمكن تلفُه، وما عند الله باقٍ.

«وأن تكونَ في ثواب المصيبة إذا أنت أُصبتَ» بضم الهمزة: مجهول المخاطَب.

«بها»؛ أي: بالمصيبة.

«أرغبَ فيها لو أنها أُبقيت لك»؛ أي لو أن تلك المصيبةَ مُنعت وأُخِّرت عنك، وهو حال من فاعل (أرغب)، المعنى: أن تكون في وصول المصيبة وقتَ إصابتها أرغبَ من نفسك في المصيبة حالَ كونك غيرَ مصابٍ بها؛ لأنك لا تُثاب بوصولها إليك، ويفوتك الثوابُ إذا لم تَصِلْ إليك.

«غريب».

* * *

٤٠٩٥ - عن ابن عبَّاسٍ قال: «كُنْتُ خَلْفَ رسولِ الله ﷺ يَوْماً، فقال: يا غلامُ! احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احفَظِ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فاسأَلِ الله، وإذا استَعَنْتَ فاستَعِنْ بالله، واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتَمَعَتْ على أنْ يَنفَعُوكَ بشيءٍ لمْ يَنفعوكَ إلا بشَيْءٍ قدْ كتبَهُ الله لك، ولو اجتمَعُوا على أنْ يَضرُّوكَ بشيءٍ لمْ يَضرُّوكَ إلا بشَيْءٍ قدْ كتبَهُ الله عليكَ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ، وجَفَّتْ الصُّحُفُ».

«عن ابن عباس ﷺ قال: كنتُ خلفَ رسول الله ﷺ يوماً، فقال: يا غلامُ: احفظِ الله»؛ أي: احفظْ حدودَ الله، وامتثلْ أوامرَه، واجتنبْ نواهيَه.

«يحفظْك»: في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي الآخرة من العقاب والدركات.

«احفظِ الله تجدْه تجاهَك»؛ أي: تلقاءَك؛ يعني: إذا حفظتَ طاعةَ الله وجدتَه يحفظك وينصرك في مهماتك أينما توجهت من الأمور، ويسهِّل أمورَك التي تقصدها.

«إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، واعلم أن الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ»؛ أي: أقلامُ التقدير عن كتابة الأقدار والأقضية.

«وجفَّت الصُّحف»: التي دُوِّنَ فيها أقضيةُ المخلوقين، فلا توضَع عليها الأقلامُ بعدُ بتدوين شيء آخر، وعبَّر عن سبقِ القضاء والقَدَر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيهاً بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته.

* * *

٤٠٩٦ ـ عن سَعْدٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مِنْ سَعادةِ ابن آدمَ رِضاهُ بما قَضَى الله لهُ، ومِنْ شَقاوَةِ ابن آدمَ تركُهُ استِخارَةَ الله، ومِنْ شَقاوَةِ ابن آدمَ سَخَطُهُ بِما قَضَى الله لهُ»، غريب.

«وعن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من سعادةِ ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومِن شقاوة ابن آدم تركُه استخارةَ الله»، والاستخارة: طلب الخير، ومعنى تركه ذلك: ألا يرضى بما استخار الله له ويتركَه.

«ومِن شقاوة ابن آدم سخطُه»؛ أي: غضبه.

«بما قضى الله تبارك وتعالى» من الآفات والفقر والمرض وغير ذلك.

«غريب».

* * *

٦ ـ باب

الرِّياءِ والسُّمْعَةِ

«باب الرِّياء والسُّمعة» يقال: فعلَ ذلك سُمعةً؛ أي: ليراه الناسُ من غير أن يكونَ قصدَ به التحقيقَ.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٩٧ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأموالِكُمْ، ولكنْ يَنْظُرُ إلى قُلوبِكُمْ وأعمالِكُمْ».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله لا ينظر»؛ أي: نظرَ العطف والرحمة والاختيار.

«إلى صوركم» المجردة عن السِّيَر المرضية.

«وأموالكم» العارية عن الخيرات.

«ولكن ينظر إلى قلوبكم» التي هي موضع التقوى.

«وأعمالكم» التي يُتقرَّب بها إلى الله، جعل نظرَه إلى ما هو سِرٌّ ولُبٌّ، وهو القلب وخالص العمل؛ لأنه تعالى منزَّه عن شبه المخلوقين، فإن نظرَهم وميلَهم إلى الصور المعجبة والأموال الفائقة.

* * *

٤٠٩٨ ـ وقال: «قالَ الله تعالَى: أنا أغنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشركَ فيهِ معي غَيْري تركتُهُ وشِرْكَهُ».

وفي رِوايةٍ: «فأنا منهُ بَريءٌ، هوَ للذي عملَهُ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشِّرك، مَن عملَ عملاً أَشركَ فيه معي غيري تركتُه وشِركَه»: وقد مر هذا في (كتاب الإيمان).

«وفي رواية: فأنا منه»؛ أي: من ذلك العمل «بريء، وهو للذي عملَه»؛ أي: ذلك العملُ لفاعله؛ يعني: تركتُ ذلك العملَ وفاعلَه، لا أَقبلُه ولا أُجازي عليه؛ لأنه لم يَعملْه لي.

* * *

٤٠٩٩ ـ وعن جُنْدَبٍ قال: قال النَّبـيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ، ومَنْ يُرائِي يُرائي الله بِهِ».

«وعن جُندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَن سَمَّعَ سَمَّعَ الله به»، يقال: سَمَّعتُ به تسميعاً وسُمعةً: إذا شهرتُه، يريد: مَن عمل عملاً مِن الطاعات لا على وجه الإخلاص، بل ليشتهرَ بين الناس بالصلاح جازاه الله بمثل فعله، بأن يُشهِرَ عيوبَه يومَ القيامة، ويفضحَه على رؤوس الأشهاد.

«ومَن يُرائي يُرائي الله به»؛ يعني: مَن فعل فعلاً من الأفعال الصالحة ليراه الناس ويعطوه شيئاً، أو يمدحوه على فعله، يجزيه الله جزاءَ المُرائين، بأن يقول له: اطلبْ جزاءَ فعلِك ممن فعلتَه لأجله.

* * *

٤١٠٠ ـ وعن أبي ذَرٍّ قال: قِيلَ لِرَسولِ الله ﷺ: أرأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخيرِ ويَحْمَدُهُ النَّاسُ عليهِ؟ قال: «تلكَ عاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ».

وفي رِوايةٍ: «ويُحِبُّهُ النَّاسُ عليهِ».

«وعن أبي ذر ﷺ قال: قيل لرسـول الله ﷺ: أرأيتَ الرجلَ»؛ أي: أخبرْني بحال الرجل.

«يعمل العملَ من الخير» خالصاً لله.

«ويحمدُه الناسُ عليه»: هل يبطل ثوابُه بمدح الناس إياه أم لا؟

«قال: تلك عاجلُ بشرى المؤمن»؛ يعني: ثوابُهم العاجلُ في الدنيا بأن يُوقِعَ المحبةَ في قلوب الناس، والذِّكر بالخير على ألسنتهم، وأما ثوابُهم في الآخرة فالجنةُ واللقاءُ.

«وفي رواية: ويحبُّه الناس عليه»؛ أي على الخير.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١٠١ ـ عن أبي سعيدِ بن أبي فَضالَةَ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إذا جَمَعَ الله النَّاسَ يومَ القِيامَةِ ليومٍ لا رَيْبَ فيهِ نادَى مُنادٍ: مَنْ كانَ أَشْرَكَ في عَمَلٍ عَمِلَهُ لله أَحَداً فَلْيَطْلُبْ ثَوابَهُ مِنْ عندِ غيرِ الله، فإِنَّ الله أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ».

«من الحسان»:

«عن أبي سعيد بن أبي فَضَالة»: بفتح الفاء والضاد المعجمة.

«عن رسول الله ﷺ قال: إذا جمعَ الله الناسَ يومَ القيامة ليومٍ لا ريبَ فيه نادى منادٍ: مَن كان أَشركَ في عملٍ عملَه لله أحداً فليطلبْ ثوابَه من عند غير الله؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشِّرك».

* * *

٤١٠٢ ـ عن عبدِالله بن عَمْرٍو: أنَّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بعَمَلِهِ سَمَّعَ الله بهِ أَسامِعَ خلقِهِ وحَقَّرَهُ وصَغَّرَهُ».

«عن عبدالله بن عمرو ﷺ: أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: مَن سَمَّعَ الناسَ بعمله سَمَّعَ الله به أسامعَ خلقِه»: بالنصب على المفعولية، جمع: أَسْمُع؛ أي: يفضحه يومَ القيامة، ويروى بالرفع: صفة لله؛ أي: الذي هو أسامعُ خلقِه.

«وحقَّره وصغَّره».

* * *

٤١٠٣ ـ عن أنسٍ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كانتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الآخِرَةِ جَعَلَ الله غِناهُ في قلبِهِ، وجَمَعَ لهُ شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدُّنْيا وهي راغِمَةٌ، ومَنْ كانتْ نيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيا جَعَلَ الله الفَقْرَ بينَ عَيْنَيْهِ، وشَتَّتَ عليهِ أَمْرَهُ، ولا يأتيهِ منها إلا ما كُتِبَ لهُ».

«عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ قال: مَن كانت نيتُه طلبَ الآخرة جعلَ الله غناه في قلبه»: بأن جعله قانعاً بالكفاف، ولا يُتعب نفسَه في طلب الزيادة، فهذا هو الغنى الحقيقي.

«وجمعَ له شملَه»؛ أي: متفرقاتِه؛ يعني: جعله الله مجموعَ الخاطر بتهيئة أسبابه من حيث لا يدري.

«وأتتْه الدنيا وهي راغمةٌ»: الواو للحال؛ أي: ذليلةٌ حقيرةٌ، لا يحتاج في طلبها إلى سعي كثير.

«ومَن كانت نيتُه طلبَ الدنيا جعل الله الفقرَ بين عينَيه، وشتَّت»؛ أي فرَّق.

«عليه أمرَه، ولا يأتيه منها إلا ما كُتِبَ له».

* * *

٤١٠٤ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قلتُ يا رسولَ الله! بَيْنا أنا في بيتي في مُصَلاَّيَ، إذْ دَخَلَ عليَّ رَجُلٌ، فأَعْجَبني الحالُ التي رآني عليها، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «رَحِمَكَ الله يا أبا هُريرةَ! لكَ أجرانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وأَجْرُ العلانِيَةِ»، غريب.

«عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قلت: يا رسولَ الله! بينا أنا في بيتي في مُصلاَّي إذ دخل عليَّ رجل، فأعجبتْني الحال التي رآني عليها»؛ أي: أنه أعجبه ثناءُ الناس، لا أنه أعجبه ليعلمَ منه ذلك ويعظمَ عليه؛ لأنه حينئذٍ رياءٌ، وقيل: إنما أعجبه رجاءَ أن يعملَ مَن رآه بمثل عمله، فيكون له مثلُ أجره؛ لأن «مَن سَنَّ سُنةً حسنةً كان له أجرُها وأجرُ مَن عملَ بها».

«فقال رسول الله ﷺ: رحمك الله يا أبا هريرة! لك أجرانِ: أجرُ السِّرِّ» من جهة إخلاصك.

«وأجرُ العلانية» من جهة اقتداء الناس بك.

«غريب».

* * *

٤١٠٥ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَخرُجُ في آخرِ الزَّمانِ رِجالٌ يَختِلونَ الدُّنْيا بالدِّينِ، يَلْبَسونَ للنَّاسِ جُلودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلسِنَتُهُم أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وقُلوبُهُمْ قُلوبُ الذِّئابِ، يقولُ الله تعالى: أَبِـي يَغترُّونَ؟ أَمْ عليَّ يَجْترِئُونَ؟ فبي حَلَفْتُ، لأَبْعَثَنَّ على أُولئِكَ منهُمْ فِتنةً تَدَعُ الحَليمَ فيهِمْ حَيْرانَ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج في آخر الزمان رجالٌ يَختِلون الدنيا»؛ أي: يُرادون أهلَها بالخداع.

«بالدين»؛ أي بعمل أهل الدِّين.

«**يَلبَسون للناس جلودَ الضأن**»؛ أي: يَلبَسون الصوفَ؛ ليظنَّهم الناسُ زهَّاداً عبَّاداً تاركين للدنيا.

«**من اللِّين**» أراد به: التخلُّق والتواضع في وجوه الناس ليصيروا مُريدين لهم.

«**ألسنتُهم أحلى من السكَّر، وقلوبُهم قلوبُ الذئاب**»؛ أي: مسودَّة من شدة حب الدنيا والجاه وكثرة العداوة والبغض والصفات الذميمة الراسخة في قلوبهم.

«**يقول الله تعالى: أبي**» الهمزة: للاستفهام؛ أي: أبإهمالي إياهم «**يغترُّون؟**» المراد بالاغترار هنا: عدم الخوف من الله، وترك التوبة من فعلهم القبيح؛ أي: أفلا يخافون من سخطي وعقابي؟

«**أم عليَّ يجترِئون**» بمكرهم الناسَ في إظهار الأعمال الصالحة والاجتراء الانبساط والتشجع؟

«**فبي**» الباء: للقَسَم؛ أي: بحقِّ عظمتي.

«**حَلفتُ لأَبعثَنَّ على أولئك**»؛ أي: على أولئك الرجال و(مِن) في «**مِنهم**»: للتبيين.

«**فتنة**»؛ أي: عذاباً، أو متعلقة بـ (فتنة)؛ أي: فتنةً ناشئةً منهم.

«**تَدَعُ**»؛ أي: تترك تلك الفتنةُ.

«**الحليمَ**»؛ أي: العالِمَ العاقلَ.

«**فيهم حيرانَ**»؛ أي: متحيراً لا يَقدِر على دفع ذلك العذاب عن نفسه؛ لشدته وصعوبته، وفي بعض النسخ: «الحكيم» بالكاف، معناه واحد.

* * *

٤١٠٦ ـ عن ابن عُمَرَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله تباركَ وتعالى قال: لقدْ خَلَقْتُ خَلْقاً ألسِنتُهُمْ أحلى مِنَ السُّكَّرِ، وقُلوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ، فبي حَلَفْتُ لأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَليمَ فيهِمْ حَيْرانَ، فبي يغترُّونَ؟ أمْ عليَّ يَجْتَرِئُونَ؟»، غريب.

«عن ابن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى قال: لقد خلقتُ خلقاً ألسنتُهم أحلى من السكَّر، وقلوبُهم أمرُّ من الصَّبـر» بكسر الباء: الدواء المُرُّ.

«فبي حلفت لأُتيحنَّهم»؛ أي: لأقدرَنَّ لهم «فتنةً تَدَعُ الحليمَ فيهم حيرانَ، فبي يغترُّون أم عليَّ يجترئون؟! غريب».

* * *

٤١٠٧ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قال النَّبـيُّ ﷺ: «إنَّ لكُلِّ شَيءٍ شِرَّةً، ولِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فإنْ كانَ صاحبُها سَدَّدَ وقارَبَ فارْجُوهُ، وإنْ أُشِيرَ إليهِ بالأَصابعِ فلا تعُدُّوهُ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل شيء شِرَّةً»: وهي ـ بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء المهملة المفتوحة ـ النشاط والرغبة والجِدَّة في العبادة.

«ولكل شِرَّةٍ فترةً»؛ يعني: أن العابدَ يُبالغ فيها في أول أمره، وكلُّ مُبالِغٍ يَفتُر وتسكُن جدته ومبالغته بعدَ حين.

«فإنْ صاحبُها»؛ أي: صاحبُ الشِّرَّة.

«سدَّد»؛ أي قصدَ السدادَ؛ يعني: استقام في العمل من غير غلوٍّ ولا تقصيرٍ.

«وقارَبَ»؛ أي: دنَا من المتوسط.

«فارجُوه»؛ أي: فكونوا على رجاء منه على الخير؛ فإن مَن سلك الطريقَ المتوسطَ يَقدِر على المداومة والمواظبة، وأفضلُ الأعمال عند الله أدومُها وإن قلَّ، وإنْ بالَغَ في العمل وأَتعبَ نفسَه عجزَ عن المداومة على ذلك وانقطعَ عنه، بل ربما إذا بالَغَ وأقبلَ الناسُ عليه بوجوههم اغترَّ بنفسه، وتداخلَه أنه خيرٌ من غيره، فيصير أحمقَ مُعجَباً بنفسه متكبراً بعمله، ولهذا قال ﷺ: «وإنْ أُشير إليه بالأصابع»؛ أي: وإن صار مشهوراً معروفاً بالعبادة «فلا تَعدُّوه»؛ أي: لا تعدوه شيئاً؛ يعني: فلا تعتقدوا فيه صلاحاً، ولا تتوقعوا فيه فلاحاً، ولا تعدُّوه من أهل الخير، وهذا في حقِّ مَن بالَغَ في العبادة للشهرة، وأما مَن خلصتْ نيتُه وصدقتْ طويتُه فبمعزلٍ عن هذا، ومِن هذا مَنِ اجتهدوا في العبادة كلَّ الاجتهاد، فرُّوا مِن الناس وسكنوا المواضع الخالية؛ حذراً من الرياء واجتماع الناس إليهم، فلما تمَّ لهم الأمرُ سَكنوا البلادَ ودَعَوُا العبادَ إلى الله، واقتصدوا في العبادة والرياضة، ولم يغترُّوا بإقبال الناس عليهم؛ لأن قلوبَهم صارتْ مطمئنةً بالحق، مزيَّنةً بنور التجلِّي، فصارت كالبحر لا تكدِّره القاذورات؛ لصفاء خواطرهم.

* * *

٤١٠٨ - **وعن أنسٍ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «بِحسْبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يُشارَ إليهِ بالأَصابعِ في دينٍ أو دُنْيا، إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ».**

«**وعن أنس** ﷺ، **عن النبي** ﷺ **قال: بحسْبِ امرئ**»: الباء زائدة؛ أي: يكفيه.

«**من الشرِّ أن يُشارَ إليه بالأصابع في دِينٍ أو دنيا**»؛ لأن مَن اشتُهر في خصلةٍ من الخصال الدينية أو الدنيوية قلَّما يَسلَم من الآفات الخفية، كالعُجب والكِبْر والرِّياء والسُّمعة وغير ذلك؛ «**إلا مَن عصمَه الله**».

روي: أنه قيل للحسن البصري: إن الناس أشاروا إليك بالأصابع؟ فقال: لا يعني النبيُّ ﷺ ذلك؛ وإنما عَنَى به المُبتدِعَ في دِينه، الفاسقَ في دنياه.

* * *

٧ - باب

البُكاءِ والخَوْفِ

(باب البكاء والخوف)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٠٩ - عن أبي هُريرةَ ؓ قال: قال أبو القاسم ﷺ: «والذي نَفْسي بيدِه، لوْ تَعْلَمونَ ما أعلمُ لبَكَيْتُمْ كثيراً، ولضحِكْتُمْ قَليلاً».

«**من الصحاح**»:

«**عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده! لو تعلمون ما أعلم**»؛ أي: من شدة العذاب وغضب الله وصفة النار.

«**لَبكيتُم كثيراً**» من خشية الله.

«**ولَضحكتم قليلاً**»؛ فإن قيل: الخطاب إن كان للمؤمنين خاصة فليس ثمةَ ما يوجب تقليلَ الضحك وتكثيرَ البكاء؛ لأن المؤمنَ وإن دخل النارَ عاقبتُه الجنة لا محالَة مخلَّداً فيها، فكان مدةُ ما يوجب البكاءَ بالنسبة إلى ما يوجب الضحكَ والسرورَ نسبةَ شيءٍ يسيرٍ إلى ما لا يتناهى، وذلك يوجب العكسَ، وإن كان عاماً فليس للكافر ما يوجب ضحكاً أصلاً؟

قلنا: الخطاب للمؤمنين، وخرج في مقام ترجيح الخوف على الرجاء إخافةً على الخاتمة.

* * *

٤١١٠ ـ وقال: «والله لا أَدْري وأنا رسولُ الله ما يُفْعَلُ بي ولا بِكُمْ».

«عن أم العلاء الأنصارية ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: والله لا أدري وأنا رسولُ الله»: الواو فيه للحال.

«ما يُفعَل بي ولا بكم»، (ما) هذه: للاستفهام، لا يجوز حملُ نفي الدراية على تردده ﷺ في مآل أمره؛ لدلالة الكتاب والسُّنة على اجتبائه تعالى إياه، بل يُحمل على نفي علم الغيب عن نفسه بالمقدور والمكنون من أمره وأمر غيره، وكان هذا القولُ منه ﷺ حينَ قالت امرأةٌ في حقِّ عثمان بن مظعون لمَّا تُوفي: هنيئاً لك الجنة؛ زجراً لها على سوء الأدب بالحكم على الغيب، وقيل: كان قبل نزول: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢].

قال الحسن البصري: معناه: لا أدري أموتُ أم أُقتل؟ ولا أدري ما يُفعل بكم مثلَ ما فُعل بالأمم المكذِّبة من رمي الحجارة من السماء والخَسف ومسخ الصُّوَر أم لا؟

* * *

٤١١١ ـ وقال: «عُرِضَتْ عليَّ النَّارُ، فَرَأَيتُ فيها امرَأةً منْ بني إسرائيلَ تُعذَّبُ في هِرَّةٍ لها، رَبَطَتْها فلم تُطْعِمْها، ولم تَدعْها تأكُلُ مِنْ خَشاشِ الأَرْضِ حتَّى ماتتْ جُوْعاً، ورأيتُ عَمْرَو بن عامِرٍ الخُزَاعِيَّ يجُرُّ قُصْبَهُ في النَّارِ، وكانَ أوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوائِبَ».

«وعن جابر وابن عمر ﭫ أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: عُرضت عليَّ النارُ، فرأيت فيها امرأةً من بني إسرائيل تعذَّب في هِرَّة لها، ربطتْها فلم تطعمْها، ولم تَدَعْها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً»: تقدم بيانه في فصل الصدقة.

«ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجرُّ قُصْبَه» بالضم ثم السكون؛ أي: أمعاءَه.

«في النار، وكان»؛ أي: عمرو بن عامر «أولَ مَن سيَّب السوائبَ»؛ أي وضعَ تحريم السوائب، جمع: سائبة، وهي الناقة التي يُسيبها الرجل عند برئه من المرض أو قدومه من السفر، فيقول: ناقتي سائبة، فلا تُمنع من المرعى ولا تُردَّ عن حوضٍ ولا علفٍ، ولا يُحمل عليها، ولا تُركَب، ولا تُحلَب، فكان ذلك تقرُّباً منهم إلى أصنامهم، وقيل: هي الناقة التي وَلدت عشرَ إناث على التوالي، وكانوا يسيبون العبيد فيقولون للعبيد هي سائبة، فيَعتِق، ولا يكون ولاؤه لمُعتِقِه، ويضع مالَه إذا لم يكن له وارثٌ حيث شاء.

* * *

٤١١٢ ـ عن زَيْنَبَ بنتِ جَحْشٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ عليها يَوْماً فَزِعاً يقولُ: «لا إله إلا الله، وَيْلٌ للعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قدِ اقتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ منْ رَدْمِ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ مِثْلُ هذهِ»، وحَلَّقَ بإِصبعَيْه، الإبهامِ والتي تَلِيها، قالتْ زَيْنبُ: فقلتُ: يا رسولَ الله! أَفَنَهْلِكُ وفِينا الصَّالِحونَ؟ قال: «نعَمْ، إذا كثُرَ الخَبَثُ».

«وعن زينب بنت جحش ـ رضي الله تعالى عنها ـ: أن النبي ﷺ دخل عليها يوماً فَزِعاً، يقول: لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب، من شرٍّ قد اقترب»؛ أي: قد قَرُبَ خروج جيش يقاتل العربَ.

«فُتِحَ اليومَ من رَدْمٍ»؛ أي: سدٍّ.

«يأجوج ومأجوج» الذي بناه ذو القرنين، وهما طائفتان كافرتان من التُّرك.

«مثلُ هذه، وحلَّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها»؛ أي: جعلَهما حلقةً،

والمراد: أنه لم يكن في ذلك الردم ثقبةٌ إلى اليوم، وقد انفتحت فيه، وانفتاحها من علامات يوم القيامة، فإذا اتسعت خرجوا، وذلك بعد خروج الدجال، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

«قالت زينب: فقلت: يا رسولَ الله! أفنَهلكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ»: مصدر: خَبُثَ يَخْبُثُ، والمراد به: الفسق والفجور.

* * *

٤١١٣ ـ وقال: «لَيَكُونَنَّ في أُمَّتي أَقْوامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحَريرَ والخَمْرَ والمَعازِفَ، ولَيَنْزِلَنَّ أَقْوامٌ إلى جَنْبِ عَلَمٍ يَروحُ عليهمْ بسارِحَةٍ لهُمْ، يأتيهمْ رَجُلٌ لحاجةٍ فيقولون: ارجِعْ إلينا غداً، فيُبيِّتُهمْ الله، ويَضَعُ العَلَمَ، ويَمسَخُ آخرينَ قِردَةً وخنازيرَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ».

«عن أبي عامر الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لَيكونَنَّ في أمتي أقوامٌ يستحلُّون الحِرَ»: قيل: وهو مخفف الحِرْح، وهو الفَرْج؛ أي: يستحلُّون الفروج بالأنكحة الفاسدة أو بالزنا، زاعمين أن الرجلَ والمرأةَ إذا رضيًا حلَّ بينهما جميعُ أنواع الاستمتاعات، ويقولون: المرأة مثل البستان، فكما أن لصاحب البستان أن يبيحَ ثمرةَ بستانه لمن شاء؛ فكذلك يجوز للزوج أن يبيحَ زوجتَه لمن شاء؛ وهذا مُعتقَد الملاحدة والجوالق والقَلَندرية.

ذكر صاحب «خلاصة الفتاوى»: أن الشيخ الإمام عزَّ الدين الكندي أفتى بسمرقند بقتل الملاحدة والإباحي، والخاقان إبراهيم بن محمد طَمْغَاج خان قَبِلَ فتواه وقتلَهم.

«والحريرَ والخَمرَ والمعازفَ»: ـ بفتح الميم ـ جمع مِعْزَف، من: العَزْف، اللعب بآلة اللهو بضرب، وقد عَزَفَ يَعزِف، كأنه أُخذ من عَزْف السحاب، وهو صوتها.

«ولَينزلَنَّ أقوامٌ إلى جنب عَلَمٍ»؛ أي: جَبَلٍ.

«يروح عليهم»: أضمر فاعله اعتماداً على فهم السامعين، يقال: راحَ القومُ ويروحوا؛ أي: ساروا أيَّ وقتٍ كان؛ يعني: يأتيهم راعيهم كلَّ حين.

«بسارحةٍ»؛ أي بماشيةٍ «لهم»: التي تَسرَح بالغداة من الغنم وغيرها ينتفعون بألبانها وأوبارها.

«يأتيهم» يوماً من الأيام «رجلٌ لحاجةٍ»: يلتمس منهم قُوتاً، فيمنعونه.

«فيقولون له: ارجعْ إلينا غداً» لنعطيَك.

«فيبيتهم الله»؛ أي: يرسلُ عليهم العذابَ أو الهلاكَ بَيَاتاً.

«ويضع العَلَمَ»؛ أي: الجبلَ على بعضهم حتى يهلكوا، فلم يُرَ منهم أثر.

«ويمسخ آخرين»؛ أي: يغير صُوَرَ بعضهم.

«قردةً وخنازيرَ إلى يوم القيامة»، ولم يبين في هذا الحديث مكانَهم ولا دِينَهم وإنما أفادَ أنه يكون في آخر الزمان نزولُ الفتن ومسخ الصور في هذه الأمة، كما كان في سائر الأمم.

* * *

٤١١٤ - وقال: «إذا أَنْزَلَ الله بقَوْمٍ عَذاباً؛ أصابَ العَذابُ مَنْ كانَ فيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا على أَعْمَالِهِمْ».

«عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إذا أَنزلَ الله بقوم عذاباً أصاب العذابُ مَن كان فيهم» من الصالح والظالم والطالح؛ يعني: يصيب الصالحَ ما أصاب الطالحَ بشؤمه.

«ثم بُعثوا» يومَ القيامة «على أعمالهم»: يُبعث الصالحُ على أعماله الصالحة فيفوز، والفاجرُ على معصيته فيعذَّب.

* * *

٤١١٥ ـ وقال: «يُبعَثُ كُلُّ عَبْدٍ على ما ماتَ عليهِ».

«وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يُبعث كلُّ عبدٍ»؛ أي: يُحشَر يومَ القيامة «على ما مات عليه» من العمل.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١١٦ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما رَأَيتُ مِثْلَ النَّارِ نامَ هارِبُها، ولا مِثْلَ الجنَّةِ نامَ طالِبُهَا».

«من الحسان»:

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما رأيتُ مثلَ النار»؛ أي: شدةً وهولاً.

«نامَ هاربُها»؛ أي: صار غافلاً عنها؛ يعني: ينبغي للهارب من عذاب النار أن يفرَّ عن المعاصي والمناهي كلَّ الفرار؛ ليمكنَه الخلاصُ من أليم الجحيم.

«ولا مثلَ الجنة»؛ أي: بهجةً وسروراً.

«نام طالبُها»؛ يعني: ينبغي لطالبها أن يجدَّ كلَّ الجدِّ في الإتيان بالأوامر، طالباً بذلك الامتثالَ لحضرة ذي الجلال؛ ليمكنَه الوصولُ إلى النعيم المقيم.

* * *

٤١١٧ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشيةِ الله حتَّى يَعودَ اللَّبن في الضَّرْعِ».

«وعنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا يَلِجُ النارَ»؛ أي: لا يدخلُها.

«مَن بَكَى من خشية الله تعالى»: هذا أرجى للعصاة التائبين الباكين من خشية الله.

«حتى يعودَ اللَّبن في الضـرع»: وذلك من التعليقات المستحيلة.

* * *

٤١١٨ ـ وعن أبي ذَرٍّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنِّي أرَى ما لا تَرَوْنَ، وأَسْمَعُ ما لا تَسْمَعونَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، والذي نَفْسي بيدِه، ما فيها مَوْضِـعُ أَرْبَعِ أَصابـعَ إلاَّ ومَلَكٌ واضِـعٌ جَبْهَتَهُ ساجِداً لله، والله لو تَعلمونَ ما أعلمُ لضَحِكتُمْ قليلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً، وما تلذَّذْتُمْ بالنِّساءِ على الفُرُشاتِ، ولَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُداتِ تَجْأَرونَ إلى الله»، قالَ أبو ذَرٍّ: يا لَيْتني كنتُ شَجَرةً تُعْضَدُ.

«وعن أبي ذَرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إني أرى ما لا تَرَون، وأسمع ما لا تسمعون؛ أَطَّتِ السماءُ»؛ أي: صاحتْ وأَنَّتْ من كثرة ما فيها من الملائكة، وفي «الصحاح»: الأطيط: صوت الرجل والإبل من ثقل أحمالها. وهذا مَثَلٌ وإيذانٌ بكثرتهم فيها، وتقريرُ عظمته تعالى وإن لم يكن ثَمَّ أطيطٌ.

«وحُقَّ» على بناء المجهول؛ أي: ينبغي.

«لها أن تئطَّ»؛ أي: تصيحَ وتئنَّ.

«والذي نفسي بيده! ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجداً لله تعالى»، قيل: إن لها أطيطاً وخريراً متناسباً، منه أُخذت الألحان والتناسبات الموسيقية، وقيل: أطيطُها من خشية الله تعالى، فإذا كانت تخشى من الله مع أنها جمادٌ وموضعُ عبادةِ الملائكة؛ فإن الإنسانَ أَولى بأن يخشى، مع أنه ملَّوثٌ بالذنوب، وقيل: أطيطها من ازدحام الملائكة فيها في السجود.

«والله لو تعلمون ما أعلم لَضحكتُم قليلاً ولَبكيتُم كثيراً، وما تلذَّذتُم بالنساء على الفُرُشات»: جمع فُرُش ـ بضمتين ـ، وهو جمع: فِراش.

«ولَخرجتم إلى الصُّعُدات» بضمتين، وهو جمع: صعيد، كـ (طريق وطُرُق وطُرُقات)، وقيل: جمع: صُعْدَة كـ (ظُلْمة وظُلُمات)، وهي فِناءُ الدار وممرُّ الناس بين يدَيك؛ يعني: ولَخرجتُم من منازلكم إلى البراري والصحاري.

«تجأرون»؛ أي: تتضرَّعون «إلى الله»، رافعين أصواتكم بالدعاء فعل الوجل من نزول البلاء.

«قال أبو ذَرٍّ: يا ليتَني كنتُ شجرةً تُعضَد»؛ أي: تُقطَع؛ يعني يا ليتَني كنتُ بريئاً من الذنوب لم أُحشَر يومَ القيامة، كالشجرة التي تُعضَد، ولم أعذَّب، وهذا القولُ منه من غاية خشية الله تعالى، ظاهره يدل على أنه من كلام أبي ذَرٍّ، وقيل: هو من كلامه ﷺ.

* * *

٤١١٩ ـ عن أبي هُريرَةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أدلَجَ، ومَنْ أدلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، ألا إنَّ سِلْعَةَ الله غاليةٌ، ألا إنَّ سِلْعَةَ الله الجنَّةُ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَن خافَ»؛ أي: مِن عدوٍّ.

«أَدْلَجَ»؛ أي: هربَ في أول الليل؛ لأن العدوَّ يُغِيرُ في آخره.

«ومَن أَدْلَجَ بَلَغَ المنزلَ» يريد: مَن خاف الله فَلْيهربْ من المعاصي إلى الطاعات.

«ألا»: حرف تنبيه.

«إن سلعةَ الله»؛ أي: متاعه «غاليةٌ»؛ أي: رفيعةُ القيمة، لا يَليق بثمنها

إلا النفسُ والمالُ.

«ألا إن سلعةَ الله الجنةُ».

* * *

٤١٢٠ ـ عن أنسٍ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «يقولُ الله جلَّ ذِكرهُ: أخرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذكرني يَوْماً، أو خافَني في مَقامٍ».

«عن أنس ﷺ أنه عليه السلامِ قال: يقول الله ﷻ: أَخرِجوا مِن النار مَن ذكَرَني يوماً»: وهذا بشرط أن يكون مؤمناً بنبينا محمد ﷺ، أو نبي آخر من الأنبياء قبلَ نسخ دِينه.

«أو خافَني في مقام»؛ أي: من ارتكاب معصية من المعاصي، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

* * *

٤١٢١ ـ وعن عائشَةَ رضي الله عنها قالت: سألتُ رَسولَ الله ﷺ عنْ هذهِ الآيةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُم الذينَ يَشْرَبونَ الخَمْرَ ويَسرِقونَ؟ قال: «لا يا ابنةَ الصِّدِّيقِ! ولكنَّهُم الذينَ يَصومونَ ويُصلُّونَ ويَتَصدَّقونَ، وهُمْ يَخافونَ أنْ لا يُقبَلَ منهُمْ، أولئِكَ الذينَ يُسارِعونَ في الخَيْراتِ».

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾»؛ أي: يعملون ما عملوا.

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾؛ أي: خائفة.

«أهم الذين يشربون الخَمرَ ويسرقون؟ قال: لا يا ابنة الصدِّيق، ولكنهم الذين يصومون ويصلُّون ويتصدَّقون، وهم يخافون أن لا يُقبَلَ منهم، أولئك

الذين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾»: وهذا يدل أن مقامَ الخوف أفضلُ من مقام الرجاء، وبه قال بعضهم.

* * *

٤١٢٢ ـ عن أُبَيِّ بن كَعْبٍ قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلُثا اللَّيلِ قامَ فقالَ: «يا أيُّها النَّاسُ! اذْكُروا الله، اذكُروا الله، جاءتِ الرَّاجِفَةُ، تتبَعُها الرَّادِفةُ، جاءَ المَوْتُ بما فيه، جاءَ المَوْتُ بما فيه».

«عن أُبي بن كعب ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناسُ!»: أراد بها: المشركين.

«اذكروا الله، اذكروا الله، جاءتِ الراجفةُ»؛ أي الزلزلة، وهي النفخة الأولى التي يموت منها الخَلْقُ وتتزلزل الأرضُ عندها.

«تتبعها الرادفةُ»: وهي النفخة الثانية التي يحيا فيها الخَلْقُ.

«جاء الموتُ بما فيه»؛ أي: مع ما فيه من أهوال القبر والقيامة.

«جاء الموت بما فيه».

* * *

٤١٢٣ ـ عن أبي سعيدٍ قال: خرج النَّبيُّ ﷺ لِصَلاةٍ فرأَى النَّاسَ كأنَّهُمْ يَكْتَشِرونَ، فقالَ: «أمَا إنَّكُمْ لوْ أكْثرتُمْ ذِكْرَ هاذِمِ اللَّذَّاتِ لَشغلَكُمْ عمَّا أرَى، فأكْثِروا ذِكْرَ هادِمِ اللَّذَّاتِ المَوْتِ، فإنَّهُ لمْ يأْتِ على القَبْرِ يَوْمٌ إلاَّ تكلَّمَ فيقولُ: أنا بَيْتُ الغُربةِ، وأنا بيتُ الوَحْدةِ، وأنا بيتُ التُّرابِ، وأنا بيتُ الدُّودِ، وإذا دُفِنَ العَبْدُ المُؤْمِنُ قالَ لهُ القَبْرُ: مَرْحباً وأهلاً، أمَا إنْ كنتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي على ظَهري إليَّ، فإذْ وُلِّيتُكَ اليَوْمَ وصِرْتَ إليَّ فَسَترى صَنيعي بكَ»، قال: «فيتَّسعُ لهُ

مَدَّ بَصَرِه، ويُفتَحُ لهُ بابٌ إلى الجَنَّةِ، وإذا دُفِنَ العَبْدُ الفاجِرُ أو الكافِرُ قالَ لهُ القَبْرُ: لا مَرحَباً ولا أهلاً، أَمَا إنْ كنتَ لأَبغَضُ مَنْ يَمشي على ظَهرِي إليَّ، فإذْ وُلِّيتُكَ اليومَ وصِرْتَ إليَّ فَستَرى صَنيعي بكَ، قال: فيَلْتَئِمُ عليهِ حتَّى تَختَلِفَ أَضْلاعُهُ»، قالَ: وقالَ رسولُ الله ﷺ بأصابعِهِ، فأَدْخَلَ بعضَها في جَوْفِ بعضٍ، قال: «ويُقيَّضُ لهُ سَبعونَ تِنِّيناً، لوْ أنَّ واحِداً منها نَفَخَ في الأَرْضِ ما أنبتَتْ شَيئاً ما بَقيتِ الدُّنْيا، فيَنْهَشْنَهُ ويَخْدِشْنَهُ حتى يُفْضَى بهِ إلى الحسابِ».

قال: وقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّما القبرُ رَوْضةٌ منْ رِياضِ الجنَّةِ، أوْ حُفْرَةٌ منْ حُفَرِ النَّارِ».

«عن أبي سعيد ﷺ قال: خرج النبي ﷺ للصلاة، فرأى الناسَ كأنهم يَكتَشِرُون» من: الكَشْر، ظهور الأسنان للضحك.

«قال: أما إنكم لو أكثرتُم ذكرَ هاذم اللذات لَشغلَكم عما أرى»؛ أي: من التبسم والضحك.

«الموت» مرفوع: فاعلاً لـ (شغل)، أو خبر مبتدأ محذوف، ويجوز النصب بإضمار (أعني)، والجر صفةً لـ (هاذم اللذات).

«فأكثِرُوا ذكرَ هاذمِ اللذات الموتِ»؛ يعني: اهدموا اللذاتِ بذكر الموت.

«فإنه لم يأتِ على القبر يومٌ إلا تكلَّم، فيقول: أنا بيتُ الغربة، وأنا بيتُ الوحدة، وأنا بيتُ التراب، وأنا بيتُ الدُّود، وإذا دُفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً، أما»؛ أي: اعلمْ «إنْ كنتَ»: إن هذه مخفَّفة من المثقَّلة.

«لأحبَّ»: أفعل تفضيل بني للمفعول.

«مَن يمشي على ظهري إليَّ»: متعلق بـ (أحب).

«فإذ وُلِّيتُك اليومَ»؛ أي: صرتُ حاكماً قادراً عليك.

«وصرت إلي»؛ أي: مقهوراً تحتَ فعلي بك.

«فسترى صنيعي بك»؛ أي: فعلي بك.

«قال: فيتسع له»: أي: القبرُ.

«مَدَّ بصرِه، ويُفتَح له بابٌ إلى الجنة، وإذا دُفن العبدُ الفاجرُ أو الكافر قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أما إن كنتَ لأبغضَ مَن يمشي على ظهري إليَّ، فإذ وُلِّيتُك اليومَ وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك، قال: فيَلْتَئِمُ»؛ أي: ينضمُّ القبر عليه من كل جانب ويعصُره.

«حتى تختلفَ أضلاعُه»؛ أي: يدخلَ بعضُها في بعض.

«قال»؛ أي الراوي: «وقال رسول الله ﷺ بأصابعه»؛ أي: أشارَ بها.

«فأدخل بعضَها في جوف بعض»: تصويراً لاختلاف الأضلاع، وفيه: إشارة إلى شدة اختلافها.

«قال»؛ أي: رسولُ الله ﷺ: «ويُقيِّض له»؛ أي يُوكَّل عليه

«سبعون تنِّيناً، لو أن واحداً منها نفخَ في الأرض ما أَنبتتْ شيئاً»، (ما) هذه: نافية.

«ما بقيت الدنيا»، (ما) هذه: مصدرية.

«فيَنهَشْنَه ويَخدِشْنَه»؛ أي: يَلدَغْنَه.

«حتى يُفضَى به»؛ أي: يُوصَل «إلى الحساب، وقال: قال رسول الله ﷺ: إنما القبرُ روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حفر النيران».

* * *

٤١٢٤ ـ عن أبي جُحَيْفَةَ قال: قالوا: يا رسولَ الله! قدْ شِبْتَ، قال: «شَيَّبَتْني هُوْدٌ وأخَوَاتُها».

وفي رِوايةٍ: «شَيَّبَتْني هُودٌ، والواقِعةُ، والمُرْسَلاتُ، و(عم يتساءلون)، و(إذا الشمس كورت)».

«عن أبي جُحيفة ﷺ قال: قالوا: يا رسولَ الله! قد شِبْتَ»؛ أي: صرتَ أشيبَ.

«قال: شيَّبَتْني هودٌ»؛ أي: جعلتْني أشيبَ (سورةُ هود)، وذلك لأن فيها: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[هود: ١١٢]؛ فإن الاستقامةَ على الطريق المستقيم من غير ميلٍ إلى الإفراط والتفريط في الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة عسيرٌ جداً.

«وأخواتُها»؛ أي: وأشباهُها من السُّوَر التي ذُكر فيها أحوالُ القيامة وعذابُها؛ لِمَا عَرَاني من الهم والخوف على أمتي.

«وفي رواية: شيَّبَتْني (هود) و(الواقعة) و(المرسلات) و(عم يتساءلون) و(إذا الشمس كورت)».

* * *

٨ - باب
تَغيُرِ النَّاسِ

(باب تغيُّر الناس)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٢٥ - قالَ رسول الله ﷺ: «إنَّما النَّاسُ كالإبـلِ المئةِ، لا تَكادُ تجِدُ فيها راحِلةً».

«من الصحاح»:

«عن ابن عمر ﷺ قال رسول الله عليه وسلم: إنما الناسُ كالإبل المئة لا تكاد تجد فيها راحلة»: وهي البعير الذي يرتحله الرجلُ، جَمَلاً كان أو ناقةً،

فاعلة بمعنى: مفعولة، والهاء للمبالغة، يريد: أن المَرْضِيَّ المُنتخَبَ من الناس في عزّة وجوده كالنجيبة الصالحة للركوب، التي لا توجد في الإبل الكثيرة القوية على الأحمال والأسفار، وقيل: معناه: الناس في أحكام الدين سواء، لا فضلَ فيها لشريفٍ على مشروف، ولا لرفيعٍ على وضيعٍ، كالإبل المئة لا يكون فيها راحلة.

* * *

٤١٢٦ ـ وقالَ: «لتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبلَكُمْ، شِبْراً بشِبرٍ، وذِراعاً بذِراعٍ، حتَّى لوْ دَخَلوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعتُموهم»، قيلَ: يا رسولَ الله! اليهودَ والنَّصارَى؟ قالَ: «فمَنْ؟».

«**عن أبي سعيد الخُدري ﷺ قال: قال رسول الله عليه وسلم: لَتتبعُنَّ سَنَنَ مَن قبلكم**» والمراد به: طريق أهل الأهواء والبِدَع التي ابتدعوها مِن قِبَل أنفسهم بعد أنبيائهم من الأفعال القبيحة.

«**شِبراً بشِبرٍ، وذراعاً بذراعٍ**»؛ أي: ستفعلون مثلَ فعلهم سواءً بسواءٍ.

«**حتى لو دخلوا جُحرَ ضَبٍّ**»؛ أي: ثقبَه.

«**تبعتُمُوهم، قيل: يا رسولَ الله! اليهود**»؛ أي: المتبوعون هم اليهود «**والنصارى**» أم قوم آخرون؟

«**قال: فمَن؟**»؛ أي: فمَن يكون غيرهم؛ يعني: المُتبَعُون هم لا غير، استفهام على سبيل التقرير.

* * *

٤١٢٧ ـ وقالَ: «يَذهبُ الصَّالِحونَ الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، وتبقَى حُفالَةٌ كحُفالَةِ

الشَّعيرِ أو التَّمرِ، لا يُباليهِمُ الله بالةً».

«وعن مِرداس الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يذهب الصالحون»؛ أي: يموتون.

«الأول فالأول» بالرفع: على الفاعلية؛ أي: يذهب الأولُ فالأولُ، وبالنصب: على الحال؛ أي: واحداً فواحداً.

«ويبقى حُفالة» بضم الحاء؛ أي: الرديء من كل شيء.

«كحُفالة الشعير أو التمر»: وهو ما يسقط من رديئهما.

«لا يباليهم الله بالةً»؛ أي: لا يرفع لهم قَدْراً ولا يقيم لهم وزناً، يقال: ما بَاليتُ الشيءَ وبالشيءِ ومن الشيءِ مبالاةً وباليةً وبالةً؛ أي: لم أهتمَّ ولم أَكترِثْ به، وقيل: (بالةً)؛ أي: مبالاةً، فيكون محذوف الميم والألف، ويجوز أن يكون معناه: أي: لا يبالي الله حالةً من أحوالهم بسوئها.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١٢٨ ـ عن ابن عُمَرَ ﷺ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «إذا مشَتْ أمَّتي المُطَيْطِيَاءَ، وخدَمَتْهم أبناءُ المُلوكِ، أبناءُ فارِسَ والرُّومِ، سَلَّطَ الله شِرارَها على خِيارِها»، غريب.

«من الحسان»:

«عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إذا مَشَتْ أمتي المُطَيطِياءَ»: ـ ممدودة ومقصورة ـ بمعنى: التمطِّي والتبختُر ومدِّ اليدَين، ويروى بغير الياء الأخيرة، ونصبه على أنه مفعول مطلق، وقيل: منصوب على الحال؛ أي: إذا صارت أمتي متكبـرين.

«وخدمتْهم أبناءُ الملوك أبناءُ فارسَ والروم»: وهذا الحديث من أدلة نبوته ﷺ؛ لمطابقة أخباره للواقع بعده، فإن الصحابةَ لمَّا فتحوا بعدَه ﷺ بلادَ فارس والروم، وغنموا أموالهم، وسَبَوا أولادهم، فاستخدموهم وتجبَّروا وتكبَّروا.

«سلَّط الله شرارَها على خيارِها»: قيل: كتسليط قَتَلَة عثمانَ عليه، ثم تسليط بني أمية على بني هاشم، ففعلوا ما فعلوا.

«غريب».

* * *

٤١٢٩ ـ عن حُذَيْفَةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تَقْتُلوا إمامَكُمْ، وتَجْتَلِدُوا بأَسْيافِكُمْ، ويَرِثَ دُنياكُمْ شِرارُكُمْ».

«عن حذيفة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعةُ حتى تقتلوا إمامَكم» والمراد به: الخليفة أو السلطان.

«وتجتلدوا»؛ أي: تتقابلوا «بأسيافكم»؛ يعني: يحاربُ بعضُ المسلمين بعضاً بالسيوف.

«ويَرِثُ دنياكم شرارُكم»؛ أي: يصير المُلك والمال في أيدي الظَّلَمَة.

٤١٣٠ ـ وقالَ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يكونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بالدُّنيا لُكَعُ ابن لُكَعٍ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعةُ حتى يكونَ أسعدَ الناس بالدنيا»؛ أي: أكثرَهم مالاً وأطيبَهم عيشاً وأنفذَهم حكماً.

«لُكَعُ ابن لُكَعٍ»؛ أي: لئيمٌ ابن لئيمٍ، أو أراد به: مَن لا يُعرف له أصلٌ ولا يُحمَد له خُلق، وحذف التنوين من (لُكَع) الأول لإجراء اللفظين مجرى

عَلَمَي شخصَين خسيسَين لئيمَين، ثم في بعض النسخ بنصب (أسعد) على أنه خبر (كان)، وفي بعضها برفعه على أن يكون الضمير في (يكون) للشأن، والجملة بعده تفسير الضمير المذكور.

* * *

٤١٣١ ـ وعن مَنْ سَـــمِعَ عليَّ بن أبي طـــالِبٍ قــال: إنَّا لَجُلوسٌ معَ النَّبـيِّ ﷺ في المَسْجِدِ، فاطَّلعَ علينا مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ ما عليهِ إلاَّ بُردَةٌ لهُ مَرْقُوعَةٌ بفَرْوٍ، فلَمَّا رآهُ رسولُ الله ﷺ بكَى للَّذِي كانَ فيهِ مِنَ النِّعْمَةِ، والذي هُوَ فيهِ اليومَ، ثمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ: «كيفَ بكُمْ إذا غَدا أَحَدُكُمْ في حُلَّةٍ وراحَ في حُلَّةٍ، ووُضِـعَتْ بينَ يدَيْهِ صَحْفَةٌ ورُفِعتْ أُخرَى، وسَتَرْتُمْ بُيوتَكمْ كما تُستَرُ الكَعْبةُ؟» فقالوا: يا رسولَ الله! نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خيرٌ مِنَّا اليومَ، نتفرَّغُ للعِبادَةِ، ونُكفَى المُؤْنةَ؟ قال: «لا، أنتُمُ اليومَ خَيْرٌ منكُمْ يَوْمَئِذٍ».

«وعمن سمع»، في بعض: «عن» «محمد بن كعب: حدثني مَن سمع عليَّ بن أبي طالب أنه قال: إنَّا لَجلوسٌ عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد، فاطَّلع علينا مصعب بن عُمير»: وهو كان مِن أغنياء قريش، هاجَرَ وترك النعمةَ بمكة، وكان من كبار الصحابة وأصحاب الصُّفَّة الساكنين في مسجد قُباء.

«ما عليه إلا بُردة له مرقوعةٌ بفروٍ، فلما رآه النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بكى للذي»؛ أي: للأمر الذي.

«كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم، ثم قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: كيف بكم»؛ أي: كيف يكون حالُكم.

«إذا غدا أحدُكم في حُلَّةٍ وراح في حُلَّةٍ»؛ يعني: إذا كثُرت أموالكم بحيث

يَلبَس كل واحد منكم أولَ النهار حلةً، وآخرَه أخرى من غاية النِّعَم.

«ووُضعت بين يديه صَحْفة»؛ أي: قَصْعة.

«ورُفعت أخرى، وسترتم بيوتَكم»؛ أي: زيَّنتموها بالثياب النفيسة من فرط التنعُّم.

«كما تُستَر الكعبة؟ فقالوا: يا رسولَ الله! نحن يومَئذٍ خيرٌ منا اليومَ، نتفرَّغ للعبادة ونُكفَى المُؤْنَة»؛ أي: نستغني عن تحصيل القُوت، هاتان الجملتان سبقتا لبيان كونهم يومَئذٍ خيراً منهم اليومَ.

«قال: لا»؛ أي: ليس الأمرُ كما تظنون.

«بل أنتم اليومَ خيرٌ منكم يومَئذٍ»؛ لأن طيباتِ الدنيا آفةُ الدِّين.

* * *

٤١٣٢ - عن أنسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يأْتي على النَّاسِ زَمانٌ الصَّابـرُ فيهِمْ على دينِهِ كالقابـضِ على الجَمْرِ»، غريب.

«عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمانٌ الصابرُ فيهم»؛ أي: في أهل ذلك الزمان.

«على دِينه كالقابض على الجمر»: وهو الحطب المحترق، قبل أن تخبوَ نارُه؛ يعني: كما أن القابضَ على الجمر لا يَقدِر أن يصبرَ عليه لاحتراق يده، كذلك المتديـن يومَئذٍ لا يَقدِر على ثباته على دينه؛ لغلبة العصاة والمعاصي، وانتشار الفسق، وضعف الإيمان.

«غريب».

* * *

٤١٣٣ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا كانَ أُمَراؤُكُمْ خِيارَكُمْ، وأَغْنِياؤُكُمْ أَسْخِياءَكُمْ، وأُمورُكُمْ شُورَى بينكُمْ، فظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لكُمْ مِنْ بَطْنِها، وإذا كانَ أُمَراؤُكُمْ شِرارَكُمْ، وأَغْنِياؤُكُمْ بُخَلاءَكُمْ، وأُمورُكُمْ إلى نِسائِكُمْ، فبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لكُمْ مِنْ ظَهْرِها»، غريب.

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان أمراؤُكم خيارَكم، وأغنياؤُكم أسخياءَكم، وأمرُكم شورى»: مصدر بمعنى: التشاور.

«بينكم»، لا ينفرد أحدٌ برأيٍ دون صاحبه.

«فظُهرُ الأرض خيرٌ لكم مِن بطنها»، ظَهرها: كناية عن الحياة، وبطنها: كناية عن الممات.

«وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمورُكم إلى نسائكم فبطنُ الأرض خيرٌ لكم من ظهرها»، «غريب».

* * *

٤١٣٤ ـ عن ثَوْبانَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «تُوشِكُ الأُمَمُ أنْ تَداعَى عَلَيكُمْ كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها»، فقالَ قائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: «بَلْ أنتُمْ يَوْمَئِذٍ كثيرٌ، ولكنَّكُمْ غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ الله مِنْ صُدورِ عدُوِّكُم المَهابَةَ مِنْكُمْ، ولَيَقذِفَنَّ في قُلوبِكُم الوَهْنُ». قالَ قائِلٌ: يا رسولَ الله! وما الوَهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنْيا وكَراهِيَةُ المَوْتِ».

«عن ثَوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك الأمم»؛ أي: تقرُب.

«أن تَدَاعَى عليكم»، أصله: تتداعى، أراد بـ (الأمم): فِرَق الكَفَرة والضلال؛ أي: تجتمع ويدعو بعضهم بعضاً لمقاتلتكم وكسرِ شوكتكم وسلب ما ملكتُمُوه من الديار والأموال.

«كما تتداعى الآكِلَةُ»؛ أي: الفئة أو الجماعة الآكِلَةُ بعضُهم بعضاً.

«إلى قصعتها» التي يتناولونها بلا مانع ولا منازع، فيأكلونها، كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعبٍ ينالهم.

«فقال قائل: ومِن قلةٍ نحن» يُتداعى علينا «يومَئذٍ؟ قال: بل أنتم يومَئذٍ كثير، ولكنكم غُثَاءٌ كغُثَاءِ السيل»، وهو ـ بضم الغين المعجمة ـ ما يجيء فوق السيل من زَبَد ووسخ، وقيل: ما يبس من النبت كالتِّبن والحشيش، فحملَه الماء وألقاه في الجوانب؛ يعني: لا يكون لكم قوة وشجاعة، بل تخافون من الأعداء، وتكونون متفرقين ضعيفي الحال داني القَدْر.

«وَلَينزعَنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابةَ»؛ أي: الهيبةَ منك.

«وَلَيقذفَنَّ»؛ أي: لَيَرمينَّ «في قلوبكم الوَهنَ»؛ أي: الضعفَ.

«قال قائل: يا رسولَ الله! وما الوهنُ؟» ليس السؤال عن نفس الوهن، بل عن سببه وموجبه.

«قال: حُبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت»؛ فإنهما يدعوانكم إلى احتمال الذل من العدو، ووقوع الوهن في قلوبكم.

* * *

٩ ـ باب

«باب» فيه ذكر الإنذار والتحذير.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٣٥ ـ عن عِياضِ بن حِمارٍ المُجَاشِعيِّ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ ذاتَ يَوْمٍ في خُطبتِهِ: «ألا إنَّ ربـي أَمَرَني أنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهلتُمْ مِمَّا علَّمني يومي

هذا، كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً حَلالٌ، وإنِّي خَلَقْتُ عِبادِي حُنفاءَ كُلَّهمْ، وإنَّهمْ أَتَتْهُمُ الشَّياطينُ فاجتالَتْهُمْ عنْ دِينِهِمْ، وحَرَّمَتْ عليهمْ ما أَحْلَلْتُ لهمْ، وأَمَرَتْهُمْ أنْ يُشْرِكوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ بهِ سُلْطاناً، وإنَّ الله نَظَرَ إلى أهلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وعجَمَهُمْ، إلاَّ بَقايا منْ أهلِ الكِتابِ، وقال: إنَّما بَعَثْتُكَ لأَبتَلِيَكَ وأَبتَليَ بكَ، وأَنْزَلْتُ عليكَ كِتاباً لا يَغْسِلُهُ الماءُ، تَقرَؤُهُ نائِماً ويَقْظانَ، وإنَّ الله أَمَرَني أنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشاً، فقلتُ: رَبِّ! إذاً يَثْلَغوا رَأْسي فيَدَعوهُ خُبْزَةً، قال: استَخْرِجْهُمْ كما أَخْرَجُوكَ، واغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وأَنْفِقْ فسَنُنْفِقَ عليكَ، وابعَثْ جَيْشاً نَبعَثْ خَمْسةً مِثلَهُ، وقاتِلْ بمَنْ أَطاعَكَ مَنْ عَصَاكَ».

«من الصحاح»:

«عن عِيَاض بن حِمَار المُجاشِعي ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ قال ذاتَ يومٍ في خطبة: ألا إن ربي أَمرَني أن أعلِّمَكم ما جهلتُم مما علَّمَني يومي هذا: كلُّ مالٍ نَحَلْتُه»؛ أي: أعطيتُه، فهذا من مقول الله تعالى؛ أي: أعطاه الله.

«عبداً حلالٌ»؛ أي: لا يستطيع أحدٌ أن يحرِّمَه من تلقاء نفسه، ويمنعَه من التصرُّف تصرُّفَ المُلاَّك في أملاكهم، قيل: يمكن أن يكون المراد بهذا نفيَ البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[المائدة: ١٠٣].

والبحيرة: هي الولد العاشر من الناقة، كانوا يسيبون الأم والولد، ويشقُّون أذن الولد للعلامة، فلم يركبُها، والوصيلة من الغنم: كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذَكَراً جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكر أو أنثى وصلت أخاها فلم يذبحوها.

والحام على ما قاله ابن عباس وابن مسعود ﷺ: إذا نُتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: يُحمَى ظهرُه، وسُيِّبَ لأصنامهم، فلا يحملون عليه.

«**وإني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم**»؛ أي مستعدين لقَبول الحق والميل عن الضلال إلى الاستقامة، وقيل: معناه: طاهري الأعضاء من المعاصي، لا أنه خلقَهم كلَّهم مسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[التغابن: ٢].

وقيل: أراد أنه خلقهم مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاقَ، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[الأعراف: ١٧٢]، فلا يوجد أحدٌ إلا وهو مقرٌّ بأن له رباً وإنْ أشركَ به.

«**وإنهم أتتْهم الشياطينُ فاجتالتْهم**»؛ أي: ساقتْهم الشياطينُ «**عن دينهم**»، يقال: اجتال الرجلُ الشيءَ: إذا ساقَه وذهبَ به، وقيل: معناه: حملتْهم على جولانهم؛ أي: انحرافهم وميلهم عن الدين، والجائل: الزائل والمائل عن مكانه، أضاف الفعل - وهو الاجتيال - إلى السبب له وهو الشياطين؛ لأنه تعالى جعلهم سبباً لإظهار مشيئته فيهم.

«**وحرَّمتْ**»؛ أي: الشياطينُ «**عليهم ما أَحللتُ لهم**» يريد به: البحيرة والسائبة وغيرهما.

«**وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً**»؛ أي حُجَّةً وبرهاناً، قيل: هذا على سبيل التهكُّم؛ إذ لا يجوز على الله أن يُنزلَ برهاناً أن يُشرَكَ به غيره.

«**وإن الله نظرَ إلى أهل الأرض**»؛ أي: رآهم حين وجدهم متفقين على الشرك منهمكين في الضلالة، وذلك قبل مجيء الرسول ﷺ.

«**فمقتَهم**»؛ أي: أبغضَهم بسوء صنيعهم.

«**عَرَبَهم وعَجَمَهم**»، والمَقت في الأصل: ابتداء البغض، وإنما أبغضَهم لأنهم كانوا قبلَ مجيء محمد - عليه الصلاة والسلام - كفاراً؛ زعم بعضهم: أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - ابن الله، وبعضُهم أنه شريكُ الله، وغير ذلك، وباقي الناس كانوا يعبدون الأصنامَ والشمسَ والنارَ وغيرَ ذلك.

«**إلا بقايا من أهل الكتاب**»: وهم الذين آمنوا بعيسى - عليه السلام - قبل

مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام، وبقوا على متابعته، ثم آمنوا بنبينا ﷺ.

«وقال»؛ أي: الله تعالى: «**إنما بعثتُك يا محمدُ لأبتليَك**»؛ أي: لأمتحنَك بتبليغ الرسالة عني: هل تصبرُ على إيذاء قومك إياك؟

«**وأبتليَ**»؛ أي: ولأمتحنَ الخَلقَ بك في قَبول الرسالة عني منك، وابتلاؤه تعالى عائد إلى عباده لا إلى استعلامه.

«**وأَنزلتُ عليك كتاباً**»؛ أي: القرآنَ.

«**لا يغسله الماء**»؛ أي: لا يفنى أبداً، بل هو محفوظ في صدور الذين أُوتوا العلم؛ يعني: يسَّرت حفظَه عليك وعلى أمتك، فإذا كنتم تحفظونه فكيف يغسله الماء عن صدوركم؟ قال الله تعالى: ﴿هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[العنكبوت: ٤٩].

قيل: وكانت الكتب المُنزَلة لا تُجمَع حفظاً، بل يُعتمد في حفظها على الصُّحف، بخلاف القرآن.

«**تقرؤه نائماً ويقظانَ**»؛ أي تجمعه حفظاً حالتَي النوم واليقظة، أو تقرؤه في نومك؛ وذلك لرسوخه في حافظته، أو تقرؤه في يسرٍ وسهولةٍ، يقال للرجل القادر على الشيء الماهر به: هو يفعله نائماً، وقيل: أراد بـ (الغَسل): النسخ مجازاً، فالمراد بـ (الماء): الكتاب، كقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[فاطر: ٢٧] قيل: كتاباً سماوياً، وقد يُستعمل الغَسلُ في الإدحاض والإبطال، وقيل: أراد به غزارةَ معناه وكثرةَ فوائده، من قولهم: مالٌ لا يفنيه الماء والنار.

«**وإن الله أمرني أن أحرقَ قريشاً**»؛ أي: أُهلكَ كفارَ قريش.

«**فقلت: ربِّ! إذاً يَثْلَغُوا رأسي**»؛ أي: يَشْدَخُوه ويكسروه.

«**فيَدَعُوه خبزةً**»؛ أي: يتركوه مثلَ خبزة مكسورة، يريد: لا أَقدِر على محاربتهم؛ لقلة جيشي وكثرتهم.

«قال الله تعالى: استَخرِجْهم كما أخرجوك واغزُهم»؛ أي: اغزُ معهم «نُغْزِك»؛ أي نجهزْ غزوَك معهم، يقال: أَغزَيتُ فلاناً؛ أي: جهَّزتُه للغزو وهيأت أسبابه؛ يعني: ننصرْك ونقوِّ جيشَك.

«وأَنفِقْ فسننفق عليك، وابعثْ جيشاً نبعثْ خمسةً مثلَه»؛ أي: خمسةَ أمثال جيشهم من الملائكة، كما فعل يومَ بدر.

«وقاتِلْ بمن أطاعك مَن عصاك».

* * *

٤١٣٦ ـ عن ابن عبَّاسٍ قال: لمَّا نَزلتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبيُّ ﷺ الصَّفا، فَجَعَلَ يُنادي: «يا بني فِهْرٍ! يا بني عَدِيٍّ!» لِبُطونِ قُرَيْشٍ، حتَّى اجْتَمعُوا، فقالَ: أرأَيْتَكُمْ لوْ أَخْبَرتُكُمْ أنَّ خَيْلاً بالوادِي تُريدُ أنْ تُغيرَ عليكُمْ، أكنتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا: نعمْ، ما جَرَّبنا عليكَ إلاَّ صِدْقاً، قال: «فإنِّي نَذيرٌ لكُمْ بينَ يَدَيْ عَذابٍ شديدٍ»، قالَ أبو لَهَبٍ: تبّاً لكَ سائِرَ اليَوْمِ، أَلِهذا جَمَعْتَنا؟ فنزلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

ويُروَى: «نادَى: يا بني عبدِ مَنافٍ! إنَّما مَثَلي ومثَلُكُمْ كمثَلِ رَجُلٍ رأَى العَدُوَّ، فانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ، فخَشيَ أنْ يَسبِقُوهُ، فجَعَلَ يهتِفُ: يا صَباحاهْ!».

«عن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ الصَّفَا»: اسم جبل بمكة.

«فجعلَ»؛ أي: طفقَ.

«ينادي: يا بني فِهْرٍ!» بكسر الفاء وسكون الهاء.

«يا بني عَدَي! لبطون قريش»، والبطن: دون القبيلة، وهما قبيلتان من أقارب النبي ﷺ.

«حتى اجتمعوا، فقال ﷺ: أرأيتُكم»؛ أي: أخبـرُوني.

«لو أخبرتُكم أن خيلاً»؛ أي جيشاً.

«بالوادي»: موضع معروف بقرب مكة.

«تريد أن تُغِيرَ عليكم» من: الغارة، النَّهب.

«أكنتم مُصدِّقِيَّ؟» بتشديد الياء مضافاً إلى ياء المتكلم؛ أي: أتصدِّقونني فيما أخبرتكم؟

«قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقاً»؛ يعني: جرَّبناك وما رأينا منك إلا صدقاً، كانوا يعتقدونه ﷺ صادقاً في الأمور الدنيوية، ويكذِّبون فيما يخبرهم من أمور الدين والآخرة.

«قال ﷺ: فإني نذير»؛ أي: مُنذِر.

«لكم بين يدَي عذابٍ شديدٍ»؛ أي: قبل نزول عذاب شديد بكم؛ يعني: إن لم تؤمنوا بي ينزلْ عليكم عذاب عن قريب.

«فقال أبو لهب»: وهو عم رسول الله ﷺ وإنما كُني به لشهرته بكنيته، واسمه عبد العُزَّى.

«تباً لك»؛ أي: خسراناً، نُصب على المصدر.

«سائرَ اليوم»: منصوب على الظرفية.

«ألهذا جمعتَنا؟ فنزلت» جواباً له على سبيل الدعاء عليه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾؛ أي خسرتْ وهلكتْ نفسُه.

﴿وَتَبَّ﴾؛ أي هلكَ، وهذا خبر، كقولهم: أهلكه الله، وقد هلك.

«ويروى: نادى: يا بني عبد مناف! إنما مَثَلي ومَثَلُكم كمَثَلِ رجلٍ رأى العدوَّ، فانطلق يَرْبَأ أهلَه»؛ أي: يصير لهم ربيئةً؛ أي: رقيباً، يحفظهم من

عدوهم؛ لئلا يأتيَهم بغتةً، ولا يكون إلا على جبل أو شَرَف ينظر منه، ويقال له: الدَّيْدَبَان.

«فخشِي»؛ أي هذا الرجلُ إذا رأى العدوَّ.

«أن يسبقوه»؛ يعني: أنه لو أتى قومَه ليخبرَهم لَسبقَه العدوُّ وأغاروا عليهم قبل وصوله إليهم.

«فجعل»؛ أي طفقَ «يهتف»؛ أي يصيح وينادي من رأس الجبل: «يا صباحاه!» وهي كلمة تُقال إنذاراً بأمرٍ مَخوفٍ.

* * *

٤١٣٧ ـ عن أبي هُريرةَ قال: لمَّا نزلتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا النَّبيُّ ﷺ قُرَيْشاً، فاجتَمَعُوا، فعَمَّ وخَصَّ، فقال: «يا بني كَعْبِ بن لُؤَيٍّ! أَنْقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بني مُرَّةَ بن كَعْبٍ أَنْقِذوا أنفسَكُمْ مِنَ النارِ، يا بني عبدِ شَمْسٍ! أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بني عبدِ مَنافٍ! أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بني هاشِمٍ! أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بني عبدِ المُطَّلِبِ! أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا فاطِمَةُ! أَنقِذي نفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فإنِّي لا أَمْلِكُ لكُمْ مِنَ الله شيئاً، غيرَ أنَّ لكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّها ببِلالِها».

وفي رِوايةٍ: «يا مَعْشرَ قُرَيْشٍ! اشتَرُوا أنفُسَكُمْ، لا أُغْني عنكُمْ مِنَ الله شَيْئاً، يا بني عبدِ مَنافٍ! لا أُغني عنكُمْ مِنَ الله شيئاً، يا عبَّاسُ بن عبدِ المُطَّلِبِ! لا أُغني عَنْكَ مِنَ الله شيئاً، ويا صَفِيَّةُ! عمَّةَ رسولِ الله ﷺ لا أُغني عنكِ مِنَ الله شيئاً، ويا فاطِمَةُ بنتَ مُحَمَّدٍ! سَلِيني ما شِئْتِ مِنْ مالي، لا أُغني عنكِ مِنَ الله شيئاً».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: لما أنزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا

النبي ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، فعمَّ»؛ أي: النبيُّ ﷺ في النداء «وخَصَّ، فقال: يا بني كعب بن لؤي! أَنقِذُوا»؛ أي: أَخلِصُوا أنفسكم «أنفسَكم من النار، يا بني مرة» ـ بضم الميم وتشديد الراء ـ «ابن كعب! أَنقذوا أنفسَكم من النار، يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسَكم من النار، يا بني عبد مَناف! أنقذوا أنفسَكم من النار، يا بني هاشم! أنقذوا أنفسَكم من النار، يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسَكم من النار، يا فاطمةُ! أنقذي نفسَك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئاً»؛ أي: لا أَقدِر أن أدفعَ عنكم شيئاً من عذاب الله إن أراد أن يعذبَكم، فإنما أَشفعُ لمن أَذِنَ الله لي فيه، وإنما قال في حقهم هكذا؛ لترغيبهم على الإيمان والعمل؛ لئلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا.

«غيرَ أن لكم رَحِماً»؛ أي: قرابةً.

«سأَبُلُّها ببلالِها»؛ أي: سأَصِلُها بصلة الرحم.

«وفي رواية: يا معشرَ قريش! اشتروا أنفسَكم»؛ أي: خلِّصوها من النار بترك الكفر وبالطاعة لِمَا جئتُ به والانقياد له.

«لا أغني عنكم من الله شيئاً»؛ أي لا أُبعد عنكم شيئاً من عذاب الله؛ أي: لا أَقدِر على تبعيده، من قولهم: أَغْنِ عني كذا؛ أي: بعِّدْه ونَحِّهِ.

«يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفيةُ عمَّةَ رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمد! سَلِيني ما شئتِ من مالي»، قيل: الظاهر أنه ليس من المال المعروف؛ إذ لم يثبت أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان ذا مال، لاسيما بمكة، وإنما عبَّر به عما يملكه من الأمر وينفذ تصرفه فيه، ويحتمل أن الفصلَ بين (من) و(ما) وقع ممن لم يحققه من الرواة، والأصل أن يُكتبا متصلَين؛ أي: مما لي من أمر الشرع.

«لا أغني عنك من الله شيئاً».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١٣٨ ـ عن أبي مُوسى ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أُمَّتي هذهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، ليسَ عَلَيها عَذَابٌ في الآخِرَةِ، عذابُها في الدُّنيا: الفِتَنُ والزَّلازِلُ والقَتْلُ».

«من الحسان»:

«عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أمتي هذه أمةٌ مرحومةٌ، ليس عليها عذابٌ في الآخرة»، تأويله: أن المراد: مَن اقتدى به ﷺ كما ينبغي ويحبُّه قولاً وعملاً، أو يكون المراد: عذاب دائم؛ لأن مَن فعلَ كبيرةً فقد استحق العذابَ، ثم أمرُه إلى الله؛ إن شاء الله عاقبه، وإن شاء عفا عنه.

«عذابُها في الدنيا: الفتنُ والزلازلُ والقتلُ».

* * *

٤١٣٩ ـ عن أبي عُبَيْدَةَ ومعاذِ بن جَبَلٍ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ هذا الأمرَ بدأَ نُبوَّةً ورَحْمَةً، ثمَّ يكونُ خِلافةً ورَحْمَةً، ثمَّ مُلكاً عَضُوضاً، ثمَّ كائِنٌ جَبْرِيَّةً وعُتُواً وفَساداً في الأَرْضِ، يَستَحِلُّونَ الحَريرَ والفُروجَ والخُمورَ، يُرْزَقونَ على ذلكَ ويُنْصَرونَ، حتَّى يَلْقَوا الله».

«عن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل ﷺ، عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: إن هذا الأمر»؛ أي: الدينَ والإسلامَ وما بُعث به ﷺ.

«بدأ»؛ أي: ظهرَ.

«نبوةً ورحمةً»: نصب على التمييز أو على الحال؛ يعني: أولُ الدين إلى آخر زمانه ﷺ لم يكن فيه باطل، بل كان جميعُه زمانَ نزول الوحي والرحمة.

«ثم يكونَ خلافةً ورحمةٍ»؛ يعني: كان بعد وفاته ﷺ زمانَ خلافةٍ زمانَ شفقةٍ ورحمةٍ وعدلٍ، وذلك زمان الخلفاء الراشدين.

«ثم ملكاً عضوضاً»: مبالغة من: العَضِّ بالسِّنِّ؛ أي: يصيب الرعيةَ فيه ظلمٌ، كأنهم يعضُّون فيه عضّاً، وروي بضم العين، جمع: عِضٍّ ـ بالكسر ـ، وهو الخبيث الشرير؛ يعني: يكون ملوكٌ يظلمون الناسَ ويؤذونهم بغير حق.

«ثم كائنٌ»؛ أي الأمرُ.

«جبريةً»: نصب على أنه خبر (كائن)؛ أي: قهراً وغلبةً.

«وعتواً وفساداً في الأرض»؛ يعني: يغلب الظلمُ والفسادُ على الملوك، كما هو الآن كذلك.

«يستحلُّون الحريرَ والفُروجَ والخمورَ، يُرزَقون على ذلك ويُنصَرون حتى يَلقَوا الله».

* * *

٤١٤٠ ـ عن عائِشَةَ قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أوّلَ ما يُكْفَأُ ـ قال الرَّاوي: يعني: الإسلامَ ـ كما يُكْفَأُ الإناءُ»؛ يعني: الخَمْرَ. قيلَ: فكيفَ، يا رسولَ الله! وقدْ بيَّنَ الله فيها ما بيَّن؟ قال: «يُسَمُّونَهَا بغَيْرِ اسمِها فيَستحِلُّونَهَا».

«عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول»، قيل: إنه ـ عليه الصلاة السلام ـ كان يتحدث في الخمر، فقال في أثناء حديثه:

«إن أولَ ما يُكفَأ» على صيغة المجهول، يقال: كَفَأْتُ الإناءَ؛ أي: أَملتُه وكببتُه لإفراغ ما فيها، والمراد هنا: الشرب.

«قال الراوي: **يعني: الإســـلام**»، وقيل: وصوابه: في الإسلام، لعلها سقطت من لفظ الراوي.

«**كما يُكفَأ الإناء؛ يعني: الخَمر**»؛ أي: إن أولَ ما يُمال؛ أي: يُغيَّر في الإسلام من الأشياء المحرَّمة تغيراً سريعاً شبيهَ قلبِ الإناءِ بما فيه الخَمرُ.

«**قيل: فكيف يا رسولَ الله وقد بيَّن الله فيها**»؛ أي: في الخمر «ما بيَّن؟»؛ يعني: كيف يشربون الخمرَ وقد بيَّن الله تحريمَها.

«**قال: يسمُّونها بغير اسمها**»؛ أي: يسمُّونها باسم النبيذ والمثلَّث.

«**فيستحلُّونها**» متأوِّلين بذلك، وقيل: يتخذونها من الذُّرة والعسل وغيرهما، ويعتقدون حلَّ هذه الأشربة، ويقولون: ليست بخمرٍ؛ لأن الخمرَ ما يُتخذ من العنب، وهذا باطل؛ لأن الخمرَ ما خامَرَ العقلَ؛ أي: ستَرَه، سواءٌ كان من العنب وغيره.

□□□

(٢٥)

كتاب الفتن

(٢٥)

كِتَابُ الفِتَنِ

(كتاب الفتن)

جمع: فتنة، وهي الامتحان والاختيار.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٤١ ـ عن حُذَيْفَةَ قال: «قامَ فِينا رَسولُ الله ﷺ مَقاماً، ما تركَ شيئاً يكونُ في مَقامِهِ ذلكَ إلى قِيامِ السَّاعةِ إلاَّ حدَّثَ بهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ونَسِيَهُ مَنْ نسِيَهُ، قدْ عَلِمَهُ أصحابي هؤلاءِ، وإنَّهُ لَيكونُ منهُ الشَّيءُ قدْ نسيتُهُ، فأراهُ فأذْكُرُه كما يَذكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إذا غابَ عنهُ، ثُمَّ إذا رآهُ عَرَفَهُ».

«من الصحاح»:

«عن حذيفة ﷺ أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً»: نصب على المصدر؛ أي: خطيباً، ووعَظَنا وأخبَرَنا بما يظهر من الفتن.

«ما ترك شيئاً يكون»: صفة (شيئاً)، وهي تامة.

«في مقامه»: اسم الزمان.

«ذلك»: صفته؛ أي: في زمانِ عصرِه.

«إلى قيام الساعة إلا حدَّث به»؛ أي: بذلك الشيء الكائن.

«حفظَه مَن حفظَه، ونسيَه مَن نسيَه، قد عَلِمَه أصحابي هؤلاء، وإنه»؛ أي: وإن الشأنَ.

«لَيكونن منه الشيءُ»؛ أي: لَيقع شيءٌ مما ذَكَرَه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

«قد نسيتُه، فأَراه»: على صيغة الفاعل.

«فأَذكره» عند وقوعه.

«كما يَذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفَه».

* * *

٤١٤٢ ـ وعن حُذَيْفَةَ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ كالحَصيرِ عُوْداً عُوْداً، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيهِ نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأيُّ قَلْبٍ أنكَرَها نُكِتَتْ فيهِ نُكْتَةٌ بَيضاءُ، حتَّى تَصيرَ على قلبَيْنِ: أَبْيضَ مِثْلِ الصَّفا، فلا تَضُرُّهُ فِتنةٌ ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ، والآخرُ أسودُ مُرْباداً كالكُوزِ، مُجَخِّياً لا يَعرِفُ مَعْروفاً، ولا يُنْكِرُ مُنْكراً، إلاَّ ما أُشْرِبَ مِنْ هَواهُ».

«وعن حذيفة ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: تُعرَض الفتنُ على القلوب»؛ أي: تُوضَع عليها وتُبسَط، من: عرضَ العُود على الإناء يَعرِضُه؛ أي: وضعَه عَرضاً.

«كالحصير عود عود» بالرفع، كذا ذكره مسلم، والمؤلف اختار رواية رفعه بفعل محذوف؛ أي: نُسج عودٌ عودٌ، واحد: العيدان، وهو ما يُنسَج به الحصير من طاقاته، أو خبر مبتدأ محذوف، ويروى بالنصب في غير «المصابيح» حالاً؛ أي: يُنسَج على هذه الحال، قيل: تُعرَض الفتنُ على القلوب شيئاً فشيئاً وتُنسَج فيها واحدةً بعدَ واحدةٍ، كالحصير الذي يُنسَج عوداً عوداً، ويُعرَض عليها، فيؤثِّر فيها واحدةً بعدَ واحدةٍ، كتأثير عيدان الحصير في جنب النائم عليه واحداً بعدَ واحدٍ؛ أي: تُعرَض مترادفةً بعضها خلف بعض، قيل: أراد بالفتن:

الاعتقادات الفاسدة.

«**فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها**» على صيغة المجهول؛ أي: الفتنَ، يقال: أُشرِبَ قلبُه محبةَ كذا؛ أي: خالطه وحلَّ محلَّ الشراب؛ يعني: أيُّ قلبٍ اختلط بها اختلاطَ الصبغ بالثوب.

«**نُكِتت فيه**»: على صيغة المجهول أيضاً؛ أي: نُقِطت وأثَّرت في قلبه.

«**نكتةٌ**»؛ أي: نقطةٌ.

«**سوداءُ**»، وأصل النَّكت: ضرب الأرض بقضيب، فيؤثِّر فيها.

«**وأيُّ قلبٍ أَنكرَها**»؛ أي: امتنع عن قَبول تلك الفتن.

«**نُكِتت فيه نكتةٌ بيضاءُ**»؛ يعني: ظَهر فيه النورُ.

قوله: «**حتى تصير**»: غاية لكلا الأمرين؛ يعني: يصير الإنسانُ، أو قلوبُ أهل ذلك الزمان «**على قلبين**»؛ أي: نوعين، أحدهما:

«**أبيضَ مثلَ الصَّفا**» بالقصر: وهو الحجر الأبيض شديد البياض.

«**فلا تضرُّه فتنة ما دامت السماوات والأرض**»؛ لأنها قلوبٌ صافيةٌ قد أَنكرتْ تلك الفتنَ في ذلك الزمان، فحفظها الله بعد ذلك الزمان عنها إلى يوم القيامة.

«**والآخرَ أسودَ مُرْباداً**»، وهو بضم الميم وسكون الراء المهملة وبالباء الموحدة والدال المشددة المهملة: الطِّين المتغير المُنتِن الذي صار أسودَ من غاية تغيُّره وطول مكثه لمكان، نُصب على الذم، وقيل برفعه، وفي رواية: «مُرْبَدّاً»، من: اربَدَّ، والرُّبْدَة: لون بين السواد والغبرة، وقيل: هي لون الرماد، وإنما وُصف هذا النوع بها لكونها لوناً فيه سواد وبياض، لكن سوادَه أغلبُ، وهذا القلب فيه سواد من قَبول الفتن ودخولها فيه، وفيه بياض لوجود الإيمان فيه، لكن صار مغلوباً بالاعتقادات الفاسدة.

«كالكُوز مُجَخِّياً» بضم الميم وفتح الجيم قبل الخاء المعجمة المكسورة المشددة، نُصب على أنه حال عن الضمير في (مربداً)، أو عن (الكوز)، والعامل فيه معنى الفعل الكائن في الكاف الجارَّة؛ لأنه مفعول معنًى، إذ تقديره: يشبه الكُوزَ.

يقال: جَخَّى الليلُ: إذا مالَ ليذهبَ؛ أي: مائلاً منصباً ما فيه من المعارف والعلوم، شبه الذي لا يعي خيراً بالكُوز المائل الذي لا يَلبَث فيه شيء.

«لا يَعرِف»؛ أي: هذا القلبُ.

«معروفاً، ولا يُنكِر منكَراً»؛ يعني: لا يبقى فيه عرفانُ ما هو معـــــروفٌ، ولا إنكارُ ما هو مُنكَرٌ.

«إلا ما أُشربَ من هواه»؛ يعني: لا يَعرف إلا ما قِيل من الاعتقادات الفاسدة والشهوات النفسانية.

* * *

٤١٤٣ ـ وقال حُذَيْفَةُ: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حَديثَيْنِ، رأَيتُ أَحَدَهُما، وأنا أَنتَظِرُ الآخرَ، حَدَّثنا أنَّ الأَمانةَ نَزلَتْ في جَذْرِ قُلوبِ الرِّجالِ، ثمَّ عَلِموا مِنَ القُرآنِ، ثمَّ عَلِموا مِنَ السُّنَّةِ. وحَدَّثَنا عنْ رفعِها قال: «يَنامُ الرَّجُلُ النَّوْمةَ فَتُقْبَضُ الأَمانةُ مِنْ قلبهِ، فيَظَلُّ أثَرُها مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثمَّ يَنامُ النَّوْمَةَ فتُقْبَضُ، فيَبقَى أثَرُها مِثْلَ أَثَرِ المَجْلِ كجَمْرٍ دَحْرجتَهُ على رِجلِكَ فنَفِطَ، فتراهُ مُنْتَبِراً وليسَ فيهِ شيءٌ، ويُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبايَعونَ ولا يكادُ أَحَدٌ يُؤدِّي الأَمانةَ، فيُقال: إنَّ في بني فُلانٍ رَجُلاً أميناً، ويُقالُ للرَّجُلِ: ما أَعْقَلَهُ، وما أظرَفَهُ، وما أَجْلَدَهُ، وما في قَلْبِـهِ مِثقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ».

«وقال حذيفة ﷺ: حدثنا رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم حديثين،

رأيت أحدَهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة» أراد بها: الإيمان.

«نزَلت في جَذْر» بفتح الجيم وكسرها وسكون الذال المعجمة: أصل كل شيء؛ أي: في أصلِ «قلوب الرجال، ثم عَلِموا»؛ أي بنور الإيمان.

«من القرآن، ثم عَلِموا من السُّنة»: وهي الأحاديث النبوية، وفيه: إشارة إلى أن تعلُّمَ السُّنة بعدَ تعلُّم القرآن.

«وحدَّثَنا عن رفعِها» أراد به: ارتفاع الإيمان، أو انتقاصه؛ فإنه سيكون بعد عصر آخر لا في عصر الصحابة.

«قال: ينام الرجلُ النَّومةَ، فتُقبَض الأمانة»؛ أي: بعضُها.

«من قلبه»: تنقص ثمرةُ الإيمان.

«فيظلُّ أثرُها»؛ أي: يصير أثرُ الأمانة، والأثر: ما بقي من رسم الشيء.

«مثلَ أثر الوَكْت» بفتح الواو وسكون الكاف، واحدها: وَكْتَة، وهي أثر في الشيء كالنقطة من غير لونه، وقيل: هي نقطة بيضاء تَظهَر في سواد العين.

«ثم ينام النَّومةَ فيُقبَض»؛ أي: بعضُ ما بقي فيه من الأمانة.

«فيبقى أثرُها مثلَ أثر المَجل»، يقال: مَجَلتْ يدُه ـ بالفتح ـ تَمْجل ـ بالضم والكسر ـ مَجْلاً بسكون الجيم، ومَجِلَتْ ـ بالكسر ـ مَجَلاً بفتحتين؛ أي: سخن جلدها وظهرَ فيها ما يشبه البثر عن الأشياء الصلبة، والمجل وإن كان مصدراً أُريد به نفس النقطة.

«كجمرٍ»: بدل من (مثل أثر المَجل)؛ أي: يكون أثرُها في القلب كأثر جمرٍ، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أثرُ المَجل كجمرٍ.

«دحرجْتَه»؛ أي: ردَّدته على رِجلك.

«فنفِطَ» بالكسر؛ أي: مَجلٌ من جمرٍ.

«فتراه مُنتبِـراً»؛ أي: منتفخاً مرتفعاً، من: النَّبر، الرَّفع، وهذا أقلُّ من الأول؛ لأنه شبه الأمانة في هذا المجوف، بخلاف الأول، ذكر الضمير على إرادة الموضع المدحرج عليه الجمر.

«وليس فيه شيء»؛ أي: شيءٌ صالحٌ، بل ماءٌ فاسدٌ، كذلك هذا الرجل يحسبه الناسُ صالحاً ولا يكون فيه من الصلاح والإيمان؛ يعني: أن الأمانةَ تُقبَض وتُرفَع عن القلوب شيئاً فشيئاً؛ عقوبةً لأصحابها على ما اكتسبوا من الذنوب، حتى إن الرجل إذا استيقظ من منامه لا يجد قلبه على ما كان عليه؛ لأنه أولاً لا يبقى في قلبه من الأمانة أثرٌ إلا أثر الوَكت، وثانياً مثلَ أثر المَجل، أراد به: خلو القلب عنها مع أثر أثرها.

«ويصبح الناس يتبايعون»؛ أي: يجرى بينهم البيع.

«ولا يكاد أحد يؤدِّي الأمانة»؛ أي: لا يَقرُب يؤدِّيها في المعاملات؛ لأن حفظَ الأمانةِ من أثر كمال الإيمان، فإذا أُنقص الإيمان نقصت الأمانة؛ يعني: لا يبقى مَن يحفظ الأمانةَ إلا قليل، حتى يكون في ناحية واحدٌ.

«فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقلَه! وما أظرفَه! وما أَجلدَه!» (ما) في الثلاثة: للتعجب؛ يعني: يُمدَح أهلُ ذلك الزمان بكثرة العقل والظرافة والجلادة، لا بكثرة الصلاح.

«وما»؛ الواو: للحال، و(ما): للنفي؛ أي: والحال أنه ليس «في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ».

* * *

٤١٤٤ ـ وعن حُذَيفةَ قال: كانَ النَّاسُ يَسألونَ رسولَ الله ﷺ عنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أسألُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخافةَ أنْ يُدرِكَني، فقُلْتُ: يا رسولَ الله! إنَّا كُنَّا في

جاهِليَّةٍ وشرٍّ، فجاءَنا اللهُ بهذا الخَيْرِ، فهلْ بعدَ هذا الخيرِ مِنْ شرٍّ؟ قال: «نعمْ»، قلتُ: وهلْ بعدَ ذلكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قال: «نعمْ، وفيهِ دَخَنٌ». قلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قال: «قومٌ يَسْتَنُّونَ بغيرِ سُنَّتي، ويَهدونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعرِفُ منهمْ وتُنكِرُ». قلت: فهلْ بعدَ ذلكَ الخَيرِ منْ شرٍّ؟ قال: «نعمْ، دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أجابَهُمْ إليها قَذَفوهُ فيها». قلتُ: يا رسولَ اللهِ! صِفْهُمْ لنا. قال: «هُمْ مِنَ جِلْدَتِنا، ويتكلَّمونَ بألسِنَتِنا». قلتُ: فما تأْمُرُني إنْ أدركَني ذلكَ؟ قال: «تَلزَمُ جَماعَةَ المُسْلِمينَ وإمامَهُمْ». قلتُ: فإنْ لمْ يكُنْ لهُمْ جَماعَةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «فاعتَزِلْ تلكَ الفِرَقَ كلَّها، ولوْ أنْ تَعَضَّ بأصْلِ شَجَرَةٍ حتَّى يُدرِكَكَ المَوْتُ وأنتَ على ذلكَ».

وفي رِوايةٍ: «تكونُ بعدِي أئِمَّةٌ لا يَهتَدونَ بهُدايَ ولا يَستَنُّونَ بسُنَّتي، وسيقومُ فيهِمْ رِجالٌ قُلُوبُهُمْ كقلوبِ الشَّياطينِ في جُثمانِ إنسٍ». قالَ حُذَيْفةُ، قلتُ: كيفَ أَصْنَعُ يا رسولَ اللهِ إنْ أدركْتُ ذلكَ؟ قال: «تَسْمَعُ وتُطيعُ الأميرَ، وإن ضُرِبَ ظَهْرُكَ وأُخِذَ مالُكَ».

«وعن حذيفة ﷺ قال: قلت: يا رسولَ الله! إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ»؛ أي كفرٍ.

«فجاءنا الله بهذا الخير»؛ يعني: الإسلام.

«فهل بعدَ هذا الخير من شرٍّ؟»؛ أي: هل يجيء بعد الإسلام الكفرُ والضلالةُ والبِـدَعُ والفتنُ؟

«قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟»؛ أي: وهل تزول تلك الفتنُ والبِـدَعُ ويجيء بعدها العدلُ والصلاحُ؟

«قال: نعم، وفيه»؛ أي: في ذلك الخير «دَخَنٌ» بفتحتين؛ أي: كُدورة؛ يعني: لا يكون الخير محضاً، بل مشوباً بكدورةٍ وظلمةٍ.

«**قلت: وما دَخَنُه؟ قال: قومٌ يستنُّون بغير سُنَّتي**»؛ يعني: يكون في ذلك الوقت قومٌ يعتقدون اعتقاداتٍ ويعملون أعمالاً غيرَ ما أنا عليه.

«**ويَهدون بغير هَدْيي**»؛ أي: يتخذون سيرةً وطريقةً غير سيرتي وطريقتي من القول والفعل.

«**تَعرِف منهم وتُنكِر**»؛ أي: تُبصِر منهم المعروفَ والمنكرَ أيضاً؛ أي: يصدرانِ عنهم مخلوطاً.

«**قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: نعم، دعاة**» جمع: داعٍ.

«**على أبواب جهنم**»؛ يعني: يظهر بعد ذلك جماعةٌ من أهل البدعة والضلالة يدعون الناس من الهداية إلى الضلالة، ومن السُّنة إلى البدعة، فكأنهم كائنون على أبواب جهنم داعين الناسَ إلى الدخول فيها، مثل كون صاحب الدعوة عند باب بيته داعياً الناس إلى الدخول في ضيافته.

«**مَن أجابهم إليها قذفوه فيها**»؛ أي: رَمَوه في جهنم.

«**قلت: يا رسولَ الله! صِفْهم لنا، قال: هم من جلدتنا**»؛ أي: هم من أبناء جنسنا، أو من عشيرتنا وأقربائنا، أو من أهل مِلَّتنا، و(الجِلدة) أخصُّ من (الجِلْد).

«**ويتكلمون بألسنتنا**»؛ أي: بالعربية، قيل: يتكلمون بالمواعظ والحكم، وليس في قلوبهم شيءٌ من الخير، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

«**قلت: فما تأمرُني إن أدركَني ذلك؟**»؛ أي: ذلك الزمانُ.

«**قال: تلزَم**»: خبر في معنى الأمر؛ أي: الزمْ.

«**جماعةَ المسلمين وإمامَهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة**»، قيل: (أن) هذه: مخففة من المثقلة المفتوحة، والمراد: الحث على التمسك بما يصبره ويقوِّي

عزمَه على اعتزالهم بأبلغ الوجوه.

«حتى يدركَك الموتُ وأنت على ذلك»، الواو: للحال.

«وفي رواية: يكون بعدي أئمةٌ لا يهتدون بهُداي، ولا يستنُّون بسنَّتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبُهم قلوبُ الشياطين في جُثمان إنسٍ» بضم الجيم؛ أي: في جسدهم.

«قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسولَ الله إن أدركتُ ذلك؟ قال: تَسمع وتُطيع الأميرَ»؛ يعني: طريق النجاح في ذلك الوقت: أن تسمعَ ما يأمرك الأمير وتطيعَه.

«وإن ضربَ ظَهرَك وأخذَ مالَك»؛ إلا إذا أمرَك بمعصيةٍ فحينَئذٍ لا تُطِعْه، ولكن لا تقاتِلْه، بل فرَّ منه.

* * *

٤١٤٥ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «بادِرُوا بالأَعْمالِ فِتَناً كقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ، يُصبحُ الرَّجُلُ مُؤمِناً ويُمْسي كافِراً، ويُمْسي مُؤْمِناً ويُصْبحُ كافِراً، يبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: بادروا بالأعمال فتناً»؛ يعني: سابقوا باشتغال الأعمال الصالحة قبل وقوع الفتن المانعة عنه، المراد بـ (الفتن): القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين.

«كقِطَعِ الليل المُظلِم»، (القِطَع) ـ بكسر القاف وفتح الطاء ـ جمع: قطعة، والغرض من هذا التشبيه: بيان حال الفتن، من أنها ستقع وتستمر، ولا يُعرف سببُها ولا طريقُ الخلاص منها.

«يصبح الرجلُ مؤمناً»: وهذا استئناف بيان لبعض تلك الأحوال.

«ويمسي كافراً»؛ معناه: يصبح محرِّماً ما حرَّمه الله ويمسي مستحِلاً إياه.

«ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دِينَه بعَرَضٍ من الدنيا»، (عَرَض الدنيا): ما كان من مالٍ، قلَّ أو كثُرَ.

* * *

٤١٤٦ ـ وقال: «ستكونُ فِتَنٌ القاعِدُ فيها خَيْرٌ مِنَ القائِمِ، والقائِمُ فيها خَيْرٌ مِنَ الماشي، والماشي فيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعي، مَنْ تَشرَّفَ لها تَسْتَشرِفْهُ، فمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أو مَعاذاً فلْيَعُذْ بهِ».

وفي رِوايةٍ: «النَّائِمُ فيها خيرٌ مِنَ اليَقْظانِ، واليَقْظانُ خيرٌ مِنَ القائِمِ».

وفي رِوايةٍ: «فإذا وَقَعَتْ فمَنْ كانَ له إبِـلٌ فَلْيَلْحَقْ بإبِلِهِ، ومَنْ كانَتْ لهُ غَنَمٌ فليلْحَقْ بغَنَمِهِ، ومَنْ كانَتْ لهُ أرضٌ فليلْحَقْ بأرضِـهِ». فقالَ رَجُلٌ: يا رسُولَ الله! أرأَيْتَ مَنْ لمْ تكُنْ لهُ إبِـلٌ ولا غَنَمٌ ولا أرضٌ؟ قال: «يعمِدُ إلى سيفِهِ فيدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بحَجَرٍ، ثمَّ ليَنْجُ إن استطاعَ النَّجاءَ، اللهمَّ هلْ بلَّغْتُ؟» ثلاثاً، فقال رَجُلٌ: يا رسُولَ الله! أرأيتَ إنْ أُكرِهْتُ حتَّى يُنْطَلَقَ بي إلى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ فضرَبني رَجُلٌ بسيفِهِ، أوْ يَجيءُ سَهْمٌ فيقتُلُني؟ قال: «يَبوءُ بإثمه وإثمِك ويكونُ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم»؛ لأن القائمَ أقربُ من القاعد إلى تلك الفتنة لمشاهدته ما لا يشاهده القاعدُ.

«والقائم فيها»؛ أي: القائم بمكانه في تلك الحال.

«خيرٌ من الماشي»؛ أي: من الذي يمشي إلى الفتنة.

«والماشي فيها خيرٌ من الساعي»؛ أي: من الذي يسعى ويعمل في الفتنة.

«مَن تشرَّف لها»؛ أي: مَن نظرَ إلى تلك الفتنة.

«تَستشرفْه»؛ يعني: تجرَّه لنفسها وتدعوه إلى الوقوع فيها؛ فالخلاصُ في التباعُدِ منها، والهلاكُ في مقاربتها.

«فمَن وجدَ ملجأً أو مَعاذاً»: شك من الراوي؛ أي: موضعاً يخلص بالذهاب إليه من الفتنة.

«فَلْيَعُذْ به»؛ أي: ليذهبْ إليه.

«وفي ورواية: النائمُ فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان خيرٌ من القائم، وفي ورواية: فإذا وقعت»؛ أي: الفتنُ.

«فمَن كان له إبلٌ فَلْيلحقْ بإبله»؛ أي: ليطردْها وَلْيَبعُدْ عن موضع الفتنة.

«ومَن كان له غنمٌ فَلْيلحقْ بغنمه، ومَن كان له أرضٌ فَلْيلحقْ بأرضه، فقال رجل: يا رسولَ الله! أرأيتَ»؛ أي: أخبـرْني.

«مَن لم تكن له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ؟ قال: يعمد»؛ أي يقصد.

«إلى سيفه فيدقُّه على حدِّه بحجرٍ»؛ يعني: فَلْيكسرْ سلاحَه؛ كيلا يذهبَ به إلى الحرب، فإنما أمر ﷺ بذلك؛ لأن تلك الحربَ تكون بين المسلمين، فلا يجوز حضورُها.

«ثم لِيَنجُ إن استطاع النَّجاء»؛ أي: لِيسرعْ هرباً؛ حتى لا يصيبَه البلاء والفتن، وقال ﷺ بعد ذكر هذه الفتن:

«اللهم هل بلَّغتُ؟ ثلاثاً»؛ أي: ثلاث مرات.

«فقال رجل: يا رسولَ الله! أرأيتَ إن أُكرهتُ حتى يُنطلَقَ بي إلى أحد الصفَّين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: يبوء»؛ أي: يرجع مَن أكرهك «بإثمِه وإثمِك»؛ أي: تكون عقوبةُ ذنبه وعقوبةُ قتلِ صاحبه عليه، «فيكون من أصحاب النار»، أضاف الإثمَ إليه؛ لأن قتلَه هو سببُ إثمه.

* * *

٤١٤٧ ـ وقال: «يُوشِكُ أنْ يكونَ خَيْرَ مالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبالِ ومَواقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدينِهِ مِنَ الفِتَنِ».

«وعن أبي سعيد الخُدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك أن يكون»: اسمها ضمير الشأن، وخبرها الجملة بعده، وهي:

«خيرُ مالِ المسلم غنمٌ»؛ أي: سوف تكون المواشي أفضلُ أموال الرجل.

«يتبع بها شَعَفَ الجبال»؛ أي: رؤوسَها، شَعَفُ كل شيء: أعاليه.

«ومواقعَ القطر» جمع: موقع، وهو موضع الوقوع، والقَطْر: المطر؛ أي: المواقع التي ينزل المطر فيها؛ ليرعاها.

«يفرُّ بدينه من الفتن»، ويتخلص بإقامته هناك عنها.

* * *

٤١٤٨ ـ عن أُسامَةَ قال: أَشْرَفَ النَّبيُّ ﷺ على أُطُمٍ مِنْ آطامِ المَدينةِ فقال: «هل تَروْنَ ما أَرَى؟» قالوا: لا، قال: «فإنِّي لأَرَى الفِتَنَ تَقَعُ خِلالَ بُيوتِكُمْ كوَقْعِ المَطَرِ».

«وعن أسامة ﷺ قال: أشرف النبي ﷺ»؛ أي: اطَّلعَ ونظرَ.

«على أُطُم»: هو ـ بضمتين ـ بناء مرتفع من الحجارة، كالقصر والحِصن.

«من آطام المدينة» جمع: أُطُم، وآطامها: حصونها.

«فقال: هل تَرَون ما أرى؟ قالوا: لا، قال: فإني لأَرى الفتنَ تقع خلال بيوتكم»؛ أي: وسطَها.

«كوقع القطر»؛ يعني: أرى الله نبيَّه ﷺ حينَ صعدَ ذلك الموضعَ اقترابَ الفتن؛ ليُخبرَ بها أمتَه، ليكونوا على حذرٍ منها.

* * *

٤١٤٩ ـ وقال: «هَلَكَةُ أُمَّتي على يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ».

«**وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رســـــول الله ﷺ: هَلَكَةُ أمتي**»، أراد بـ (الأمة) هنا: الصحابة؛ فإنهم خيارُ الأمة.

«**على يَدي غِلْمَة**» جمع: غلام؛ يعني: شُبَّان.

«**من قريش**»، والمراد: ما وقع بين عثمان وقَتَلَتِه، وعلي والحسن والحسين مع مَن قاتَلَهم، قيل: لعله ﷺ أراد بأولئك الغِلْمة: الخلفاء الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين، مثل يزيد وعبد الملك بن مروان وغيرهما، فإنه قد لحق بالمسلمين منهم قتلٌ وظلمٌ.

* * *

٤١٥٠ ـ وقال: «يتقارَبُ الزَّمَانُ، ويُقبَضُ العِلمُ، وتظهَرُ الفِتنُ، ويُلْقَى الشُّحُّ، ويكثُرُ الهَرْجُ». قالوا: وما الهَرْجُ؟ قال: «القتلُ».

«**وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: يتقارب الزمان**»، قيل: يريد به اقتراب الساعة، وقيل: تقارب أهل الزمان بعضهم من بعض في الشر، وقيل: هو قِصَر زمان الأعمار وقلة البركة فيها، وقيل: هو قِصَر مدة الأيام والليالي، على ما رُوي: «إن الزمانَ يتقارب حتى تكونَ السَّنةُ كالشهر»، الحديث.

«**ويُقبَض العلم، وتَظهَر الفتن، ويُلقَى الشُّحُّ**»؛ أي: يُوقَع البخل في قلوب الناس، فيحبُّون المال حباً جَمّاً، حتى لا يؤدوا الزكاةَ والكفاراتِ والنذورَ من شدة حب المال.

«**ويكثر الهَرْج، قالوا: وما الهَرْجُ؟ قال: القتلُ**»؛ أي: تجري الحرب بين طائفتين من المسلمين للعصبية وطلب الجاه، فسَّر النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ الهَرْج بالقتل، وأصله: الاختلاط والاختلاف بحيث يُفضي إلى القتل.

* * *

٤١٥١ ـ وقال: «والذِي نَفْسي بيدِه، لا تَذْهَبُ الدُّنْيا حتَّى يأْتيَ عَلَى النَّاسِ يومٌ لا يَدْرِي القاتِلُ فيمَ قتلَ، ولا المَقتُولُ فيمَ قُتِلَ». فقيلَ: كيفَ يكونُ ذلكَ؟ قال: «الهَرْجُ، القاتِلُ والمَقتولُ في النَّارِ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده! لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يومٌ لا يدري القاتلُ فيمَ قَتل؟ ولا المقتولُ فيمَ قُتل؟ فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهَرْجُ، القاتل والمقتول في النار»؛ أما القاتلُ فلقتلِه مسلماً ظلماً، وأما المقتولُ فلأنه كان حريصاً على قتل صاحبه المسلم.

* * *

٤١٥٢ ـ وقال: «العِبادَةُ في الهَرْجِ كهِجْرَةٍ إليَّ».

«وعن مَعقِل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: العبادةُ في الهَرْج»؛ أي: ثوابُ العبادة في زمان الفتن والمحاربة بين المسلمين.

«كهجرةٍ إليَّ»؛ أي: كثوابِ هجرةٍ من مكة إلى المدينة قبلَ فتح مكة.

* * *

٤١٥٣ ـ وقالَ الزُّبَيْرُ بن عَدِيٍّ: أَتَيْنا أَنَسَ بن مالِكٍ فشكَوْنا إليهِ ما يلقَوْنَ من الحَجَّاجِ، فقالَ: «اصبِـرُوا فإنَّهُ لا يأْتي عَلَيكُمْ زمانٌ إلاَّ الذي بعدَهُ أَشَرُّ منهُ حتَّى تَلْقَوا ربَّكُمْ». سَمِعْتُهُ مِنْ نبيـكُمْ ﷺ.

«وقال الزبير بن عدي: أتينا أنسَ بن مالك، فشَكَونا إليه ما نلقى من الحَجَّاج، فقال: اصبروا؛ فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعدَه أشرُّ منه حتى تَلقَوا ربَّكم»؛ أي: حتى تموتوا.

«سمعتُه من نبيـكم ﷺ».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١٥٤ ـ عن حُذَيْفَةَ ﷺ قال: واللهِ ما أَدْري أَنَسِيَ أَصْحابي أَوْ تناسَوْا؟ واللهِ ما تَرَكَ رسولُ الله ﷺ مِنْ قائِدِ فِتْنَةٍ إلى أَنْ تَنْقضِيَ الدُّنْيا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثلاثَ مِئَةٍ فَصَاعِداً إلاَّ قَدْ سَمَّاهُ لنا باسمِهِ واسمِ أبيهِ واسمِ قبيلَتِهِ.

«من الحسان»:

«عن حذيفة ﷺ أنه قال: والله ما أدري أنَسِيَ أصحابي أم تَنَاسَوا؟ والله ما تركَ رسولُ الله ﷺ من قائدِ فتنةٍ»، أراد به: مَن تظهر بسببه بدعةٌ وضلالةٌ ومحاربة بباطلٍ.

«إلى أن تنقضيَ الدنيا، يَبلُغ مَن معه»؛ أي: مع القائد، والجملة صفة (قائد)؛ أي: يَبلُغ أتباعُه «ثلاث مئة فصاعداً»؛ أي: فزائداً.

«إلا قد سَمَّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته».

* * *

٤١٥٥ ـ وقال: «إنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وإذا وُضِعَ السَّيْفُ في أُمَّتي لم يُرْفَعْ عنهمْ إلى يَوْمِ القِيامةِ».

«وعن ثَوبان ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنما أخاف على أمتي الأئمةَ المُضلِّين»: يدعون أمتي إلى البدعة والضلالة.

«فإذا وُضع السيفُ في أمتي لم يُرفَع عنهم»؛ يعني: إذا ظهر الحرب بينهم يبقى ذلك

«إلى يوم القيامة»، إن لم يكن في بلد يكون في بلد آخر.

* * *

٤١٥٦ ـ عن سَفِينةَ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «الخِلافَةُ ثلاثون سنةً ثمَّ تكونُ مُلْكاً». ثُمَّ يقولُ سَفينةُ: أَمْسِكْ، خِلافةُ أبي بكرٍ سَنتين، وخِلافةُ عُمرَ عَشراً، وخِلافةُ عُثمانَ اثنتَيْ عَشْرةَ، وعليٌّ سِتّاً».

«عن سَفِينة»: مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل: مولى أم سَلَمة، أعتقتْه واشترطتْ عليه خدمةَ رسول الله ﷺ ما عاشَ، تُوفي في زمن الحجاج.

«أنه قال: سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: الخلافة»؛ أي: الخلافةُ المَرْضيَّةُ لله ولرسوله.

«ثلاثون سَنةً»: وهو زمن خلافة الخلفاء الراشدين المهديين.

«ثم تكون مُلكاً»، فلا يكون الخلفاء مُتَّبعينَ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، يظلمون الناسَ ويخلطون الشرَّ بالخير.

«ثم يقول سَفِينةُ» لراويه حمادٍ أستاذِ أبي حنيفة: «أَمسِكْ»؛ أي: أحسبْ، وقيل: أمر مخاطب لا يعنيه؛ أي: احفظْ أو عدَّ.

«خلافةَ أبي بكر سنتين، وخلافةَ عُمرَ عشرةً وخلافةَ عثمان اثنتي عشرةَ، وعليٌّ ستّاً».

* * *

٤١٥٧ ـ وعن حُذَيْفةَ قال: قلتُ: يا رسُولَ اللهِ! أيكونُ بعدَ هذا الخَيْرِ شَرٌّ كما كانَ قبلَهُ شرٌّ؟ قال: «نعمْ». قلتُ: فما العِصْمَةُ؟ قال: «السَّيفُ». قلتُ: وهَلْ بعدَ السَّيفِ بقيَّةٌ؟ قال: «نعمْ، تكونُ إمارةٌ على أَقْذَاءَ وهُدْنَةٌ على دَخَنٍ». قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال: «ثمَّ تَنْشَأُ دُعاةُ الضَّلالِ، فإنْ كانَ للهِ في الأَرْضِ خليفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ وأَخَذَ مالَكَ فأَطِعْهُ، وإلا فَمُتْ وأنتَ عاضٌّ على جِذْلِ

شَجَرةٍ». قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال: «ثمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بعدَ ذلكَ، معَهُ نَهْرٌ ونارٌ، فمَنْ وَقَعَ في نارِهِ وجَبَ أَجْرُهُ وحُطَّ وِزْرُهُ، ومَنْ وقعَ في نَهْرِهِ وجَبَ وِزْرُهُ وحُطَّ أجرُهُ». قالَ: قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال: «ثمَّ يُنْتَجُ المُهْرُ فلا يُركَبُ حتَّى تقُومَ السَّاعةُ».

وفي رِوايةٍ: «هُدْنَةٌ على دَخَنٍ، وجَماعةٌ على أقذاءَ». قلتُ: يا رسولَ الله! الهُدْنَةُ عَلَى الدَّخَنِ ما هيَ؟ قال: «لا تَرْجِعُ قلوبُ أقوامٍ على الذي كانتْ عليهِ». قلتُ: بعدَ هذا الخَيْرِ شرٌّ؟ قال: «فِتْنَةٌ عَمْياءُ صَمَّاءُ، عليها دُعاةٌ على أبوابِ النَّارِ، فإنْ مِتَّ يا حُذَيفَةُ وأنتَ عاضٌّ على جِذْلٍ خيرٌ لكَ منْ أنْ تَتَّبعَ أَحَداً منهُمْ».

«وعن حذيفة ﷺ أنه قال: قلت: يا رسولَ الله! أيكون بعدَ هذا الخير شرٌّ»؛ أي: بعد الإسلام كفرٌ.

«كما كان قبلَه شرٌّ؟» يعني: في الجاهلية.

«قال: نعم، قلت: فما العصمة؟»؛ أي: ما طريقُ النجاة من ذلك الشر؟

«قال: السيفُ»؛ أي: طريق النجاة أن تضربَهم بالسيف.

قال قتادة: المراد بهذه الطائفة: هم الذين ارتدُّوا بعد وفاة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في زمن خلافة الصدِّيق ﷺ.

«قلت: وهل بعد السيف بقيةٌ؟»؛ أي: هل يبقى الإسلامُ بعد محاربتنا إياهم؟ وهل يَصلُح أهلُ ذلك الزمان بعد ذلك؟

«قال: نعم، تكون إمارة على أقذاء» جمع: قَذًى، وهي جمع: قَذَاة، وهي ما يقع في العين من التِّبن والتراب أو غير ذلك؛ أي: يكون اجتماع الناس على مَن جُعل أميراً بكراهة لا بطيبِ القلوب، يقال: فعلت كذا وفي العين قذًى؛ أي: فعلتُه على كراهةٍ.

«وهُدْنة» بضم الهاء وسكون الدال: الصُّلح والموادعة بين المتحاربين.

«على دَخَنٍ»: وهو الكُدورة واللون الذي يضرب إلى السواد؛ يعني: يقع صلحٌ مع ذلك الأمير غيرُ صافٍ، بل على بقايا من الضغن؛ لعدم الموافقة، وذلك أن الدخانَ أثرٌ من النار يدلُّ على بقيةٍ منها، يُظهرون الصلحَ ويُبطنون العداوةَ والبغضَ؛ كما أن العينَ التي فيها القذاةُ ظاهرُها صحيحٌ وباطنُها سقيمٌ.

«قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم تنشأ»؛ أي: تَظهَر «دعاة الضلال».

«فإن كان لله في الأرض خليفةٌ جَلَدَ ظَهرَك»: صفة (خليفة).

«وأخذَ مالَك، فأَطِعْه»: إنما أمره بالإطاعة مع ذلك كله؛ لئلا تثورَ فتنة.

«وإلا»؛ أي: وإن لم يكن لله في الأرض خليفةٌ «قمتَ»: خبر بمعنى الأمر؛ أي: قُمْ.

«وأنت عاضٌّ على جذلٍ» بفتح الجيم وكسرها؛ أي: على أصلِ «شجرةٍ»؛ أي: فعليك بالعزلة عنهم والفرار منهم إلى موضعٍ بعيدٍ عنهم تحتَ شجرةٍ، وبالصبر على مصائب الزمان وتحمُّل مشاقِّه، وهذا مأخوذ من قولهم: يعضُّ الحجارةَ لشدة الألم، أو من قولهم: عضَّ الرجلُ بصاحبه: إذا لزمَه ولصقَ به.

«قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال بعد ذلك، معه نهرٌ ونارٌ، فمَن وقع في ناره»؛ يعني: مَن خالَفَه حتى يلقيَه في ناره، وإضافة النار إليه دليلٌ على أنه ليس بنارٍ، بل سحر.

«وجب أجرُه وحُطَّ وِزرُه، ومَن وقع في نهره وجب وِزرُه وحُطَّ أجرُه، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم يُنتج المُهرُ» من: النَّتج، يقال: نُتجت الفَرَسُ أو الناقةُ ـ على بناء ما لم يسم فاعله ـ نتاجاً، ونَتَجها أهلُها نَتجاً، والإنتاج: اقتراب ولادتها، والمُهر: ولد الفَرَس، والأنثى: مُهرة.

«فلا يُركِب» بضم الياء وكسر الكاف، من قولهم: أَركبَ المُهرُ: إذا حان وقتُ ركوبه.

«حتى تقومَ الساعة»، قيل: لعل المراد به: زمان نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وظهور الإسلام، ووقوع العدل والأمن بين الناس يومَئذٍ، فلا يُركب المُهر إلى يوم القيامة؛ لعدم احتياج الناس في ذلك الزمان إلى محاربة بعضهم بعضاً، وقيل: المراد: أن بعد خروج الدجال لا يكون زمان طويل حتى تقومَ الساعة؛ أي: أنه يكون حينئذ قيام القيامة قريباً قَدْرَ زمان إنتاج المُهر وإركابه.

«وفي رواية: هُدنة على دَخَن، وجماعةٌ على أقذاء، قلت: يا رسولَ الله! الهُدنة على الدَّخَن ما هي؟ قال: لا ترجع قلوبُ أقوامٍ على الذي كانت عليه»؛ أي: لا تكون قلوبُهم صافيةً عن الحقد والبغض كما كانت صافيةً قبل ذلك.

«قلت: بعدَ هذا الخير شرٌّ؟ قال: فتنة عمياء»؛ أي: يَعمَى فيها الإنسانُ عن أن يرى الحقَّ.

«صمَّاء»؛ أي: ويصمُّ عن أن يَسمعَ فيها النصيحةَ والهُدى، بل يتحاربون لا عن بصيرة بل جهلاً وعداوةً، كما أن الأعمى لا يدري أين يذهب؛ فكذا أولئك لا يدرون بأي سببٍ يقاتلون؟

وقيل: الفتنة التي لا سبيلَ إلى تسكينها؛ لتناهيها شدةً ودهاءً.

«عليها دعاةٌ على أبواب النار، فإن تَمُتْ يا حذيفةُ وأنت عاضٌّ على جذلٍ خيرٌ لك من أن تتبعَ أحداً منهم».

* * *

٤١٥٨ ـ عن أبي ذَرٍّ ﷺ قالَ: كنتُ رَديفاً خَلْفَ رسولِ الله ﷺ يَوْماً على حِمارٍ، فلمَّا جاوَزْنا بُيوتَ المَدينةِ قال: «كيفَ بكَ يا أبا ذَرٍّ إذا كانَ في المدينةِ جُوْعٌ تقومُ عنْ فِراشِكَ فلا تبلُغُ مَسْجِدَكَ حتَّى يُجْهِدَكَ الجُوعُ؟» قالَ: قلتُ: الله ورسولُهُ أعلمُ، قالَ: «تعفَّفْ يا أبا ذرٍّ»، ثمَّ قالَ: «كيفَ بكَ يا أبا ذرٍّ إذا كانَ بالمَدينةِ مَوْتٌ يبلُغُ البَيْتُ العبدَ حتَّى أنَّه يُباعُ القَبْرُ بالعبدِ؟» قالَ: قلتُ: الله

ورسولُهُ أعلمُ، قال: «تصَبَّرْ يا أبا ذرٍّ»، قالَ: «كيفَ بكَ يا أبا ذرٍّ إذا كانَ بالمَدينةِ قَتْلٌ تغْمُرُ الدِّماءُ أَحْجارَ الزَّيْتِ؟» قال: قلتُ: الله ورسولُهُ أعلمُ، قال: «تأْتي مَنْ أنتَ منهُ» قالَ: قلتُ: وألبَسُ السِّلاحَ؟ قال: «شاركْتَ القَوْمَ إذاً» قُلتُ: فكيفَ أَصْنَعُ يا رسولَ الله؟ قال: «إنْ خَشِيْتَ أنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فأَلْقِ ناحِيَةَ ثوبِـكَ عَلَى وَجْهِكَ لِيَبُوءَ بإثْمِكَ وإثْمِهِ».

«عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: كنتُ رديفاً خلفَ رسول الله ﷺ يوماً على حمارٍ، فلما جاوزْنا بيوتَ المدينة قال: كيف بك يا أبا ذَرٍّ إذا كان في المدينة جوعٌ»؛ يعني: كيف يكون حالك إذا ظهر فيها قحطٌ وحصل لك جوعٌ؟

«تقوم عن فراشك ولا تَبلُغ مسجدَك حتى يَجهدَك الجوعُ؟»؛ أي: يُلقيك في الجَهد، وهو المشقة؛ يعني: يُزيل قوتَك حتى تعجزَ عن المشي من البيت إلى المسجد.

«قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: تعفَّفْ يا أبا ذَرٍّ»؛ أي: لازِمِ العفةَ، وهي الصلاح والتصبُّر على أذى الجوع، والتقوى والكفُّ عن الحرام وعن سؤال الناس.

«ثم قال: كيف بك يا أبا ذَرٍّ إذا كان في المدينة موتٌ يَبلُغ البيتُ» أراد به: القبر.

«العبدَ حتى إنه يُباع القبرُ بالعبدِ؟»؛ يعني: يُباع موضعُ كلِّ قبرٍ بعبدٍ؛ يعني: لا يَحفر الحفَّار قبراً حتى يأخذَ عبداً أو قيمتَه بالأجرة، أو لا يجد أحدٌ موضعَ قبرٍ إلا بعبدٍ؛ من كثرة الأموات، وقلة مَن يقوم بأمرهم، أو أنه لا يبقى في كل بيت كان فيه كثيرٌ من الناس إلا عبدٌ يقوم بمصالح ضَعَفَة أهل ذلك البيت.

«قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: تصبَّرْ يا أبا ذَرٍّ»؛ يعني: اصبرْ بالبلاء ولا تَجزعْ تُصِبِ الأجرَ.

«**قال: كيف بك يا أبا ذَرٍّ إذا كان في المدينة قتلٌ تغمرُ**»؛ أي: تسترُ «**الدماءُ أحجارَ الزيت؟**» وتعلوها؛ لكثرة القتلى، وهي اسم موضع بالمدينة قريب الزَّوراء، موضع صلاة الاستسقاء.

وفي «المغرب»: (أحجار الزيت): مَحلَّة بالمدينة، قيل: قد وقعت هذه الوقعةُ في أيام يزيد بن معاوية، توجَّه إليها مسلم بن عقبة المُرِّيُّ المستبيح لحرم النبي ﷺ، ونزل بعسكره في متن الغربية من المدينة، واستباح حُرمتَها وقَتلَ رجالَها وعاث فيها ثلاثةَ أيام؛ أي: أفسدَ، وقيل: خمسةَ أيام، ثم توجَّه إلى مكة، وذابَ كما يذوب الملح في الماء، ومات في الطريق.

«**قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: تأتي مَن أنتَ منه**»؛ أي: ترجع إلى إمامك ومَن بايعتَه.

«**قال: قلت: وألبَس السلاحَ؟ قال: شاركتَ القومَ إذاً**»؛ أي: في الإثم، قاله لتأكيد الزجر عن إراقة الدماء، وإلا فالدفعُ واجبٌ.

«**قلت: فكيف أصنع يا رسولَ الله؟ قال: إن خشيتَ أن يَبهَرَك شعاعُ السيف**»؛ أي: يغلبَك ضوؤُه وبريقُه، والبَهْر: الغَلَبة، وقيل: الباهر: الشديد الإضاءة.

«**فألقِ ناحيةَ ثوبِكِ على وجهك**»؛ يعني: لا تُحارِبْهم وإن حاربوك، بل اسلمْ نفسَك للقتل.

«**ليبوءَ**»؛ أي لِيرجعَ القاتلُ «**بإثمِك وإثمِه**»، والاستسلام: إنما يكون إذا لم يمكن الفرار، وإنما أُمر بالاستسلام وعدم المحاربة؛ لأن أولئك من أهل الإسلام.

* * *

٤١٥٩ ـ وعن عبدِالله بن عَمْرِو بن العاصِ: أنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قال: «كيفَ بكَ إذا بَقيتَ في حُثالَةٍ مِنَ النَّاسِ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وأَماناتُهُمْ، واخْتَلَفُوا فكانُوا هكذا؟» وشَبَّكَ بينَ أَصَابعِهِ، قال: فبـمَ تأمُرُني؟ قال: «عليكَ بِما تعرِفُ، ودَعْ ما تُنكِرُ، وعَلَيكَ بخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وعَوَامَّهُمْ».

وفي روايةٍ: «اِلزَمْ بَيْتَكَ، واملِكْ عَليكَ، لسانَكَ، وخُذْ ما تَعْرِفُ، ودَعْ ما تُنكِرُ، وعليكَ بأمرِ خَاصَّةِ نفسِكَ، ودَعْ أَمْرَ العَامَّةِ»، صحيح.

«وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: كيف بك»؛ أي: كيف حالُك.

«إذا بقيتَ في حُثالةٍ من الناس»، والحُثالة بضم الحاء المهملة: الرديء من كل شيء.

«مَرَجَتْ»؛ أي: اختلطتْ وفَسدتْ.

«عهودُهم وأماناتُهم»؛ يعني: لا يكون أمرهم مستقيماً، بل يكون كلَّ يومٍ أو كلَّ لحظةٍ على طبعٍ وعلى عهدٍ، ينقضون العهودَ ويخونون الأماناتِ.

«واختلفوا، فكانوا هكذا، وشبَّك بين أصابعه»؛ يعني: يمزج بعضهم في بعض، فلا يُعرف الأمين والخائن، ولا البَرُّ ولا الفاجر.

«قال: فبـمَ تأمُرُني؟ قال: عليك بما تَعرِف»؛ أي: الزمْ بما تَعرف كونَه حقّاً وصواباً وافعلْه.

«ودَعْ»؛ أي: اتركْ «ما تُنكِر، وعليك بخاصة نفسك»؛ أي: الزمْ أمرَ نفسِك ودِينك واحفظْهم من الفساد.

«وإياك وعوامَّهم»؛ أي: اتركْهم ولا تتبعْهم، وفي هذا رخصةٌ منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كثرت الأشرار،

وقلَّت الأخيار، وضعفت الحال، ولم يقدروا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

«وفي رواية: **الزمْ بيتَك، وأملِكْ عليك لسانَك**» من: الإملاك، وهو الشَّدُّ والإحكام؛ يعني: شدَّ لسانَك؛ أي: أمسكْ لسانَك ولا تتكلمْ في أحوال الناس؛ كيلا يؤذوك.

«**وخذْ ما تَعرِف، ودَعْ ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودَعْ أمرَ العامة. صَحَّ**».

* * *

٤١٦٠ ـ عن أبي مُوسى، عن النَّبـيِّ ﷺ: أنَّه قال: «إنَّ بينَ يَدَي السَّاعةِ فِتَناً كقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ، يُصْبِـحُ الرَّجُلُ فيها مُؤْمِناً ويُمسي كافِراً، ويُمْسِي مُؤْمِناً ويُصْبِـحُ كافِراً، القاعِدُ فيها خَيْرٌ منَ القائِمِ، والماشي خيرٌ مِنَ السَّاعي، فكسِّرُوا فيها قِسِيَّكُمْ، وقطِّعُوا فيها أَوْتارَكُمْ واضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بالحِجَارَةِ، والزَمُوا فيها أَجْوافَ بُيوتِكُمْ، فإنْ دُخِلَ على أَحَدٍ منكُمْ فَلْيكُنْ كخَيْرِ ابنيْ آدمَ»، صحيح.

ويُروَى: أَنَّهم قالوا: فَما تأمُرُنا؟ قال: «كونوا أَحْلاسَ بُيُوتِكُمْ».

«**عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن بين يدَي الساعة فتناً كقِطَعِ الليل المُظلِم**»؛ أي: تكون فتنة ملتبسة شائعة في الدنيا؛ لفظاعتها واستمرارها.

«**يصبح الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعدُ فيه خيرٌ من القائم، والماشي خيرٌ من الساعي، فكسِّروا فيها قِسيَّكم**» جمع: قَوس.

«**وقطِّعوا فيها أوتارَكم، واضربوا سيوفَكم بالحجارة**»، إنما أَمَرَ بذلك؛

لأن تلك المحاربةَ تكون بين المسلمين.

«**والزموا فيها أجوافَ بيوتكم، فإنْ دُخِلَ على أحدٍ منكم فليكنْ كخيرِ ابني آدم**»؛ يعني: فليستسلمْ حتى يكونَ قتيلاً كهابيل، ولا يكونَ قاتلاً كقابيل.

«صح».

«**ويروى: أنهم قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاسَ بيوتكم**» جمع: حِلْس، وهو في الأصل: كِساء تحت بَرْذَعَةِ البعير، وأحلاس البيوت: ما يُبسط تحت حُرِّ الثياب، ويقال للرجل اللازم لبيته ولا يبرح فيه: هو حِلْس بيته؛ أي: الزموا بيوتكم ولا تخرجوا؛ كيلا تقعوا في الفتنة.

* * *

٤١٦١ ـ وعن أُمِّ مالكٍ البَهْزِيَّةِ قالت: ذكَرَ رسُولُ الله ﷺ فِتنةً فقرَّبَها، قلتُ: مَنْ خيرُ النَّاسِ فيها؟ قال: «رَجُلٌ في ماشِيَتِهِ يُؤَدِّي حَقَّها ويَعبُدُ ربَّهُ، ورَجُلٌ آخذٌ برَأْسِ فَرَسِهِ يُخِيْفُ العَدُوَّ ويُخوِّفُونَه».

«**عن أم مالك البَهْزِية ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: ذكرَ رسولُ الله ﷺ فتنةً، فقرَّبها**»؛ أي: جعلها قريبة الوقوع؛ يعني: وصفَها للصحابة وصفاً بليغاً، فإن مَن وصفَ عند أحدٍ شيئاً وصفاً بليغاً فكأنه قرَّب ذلك الشيءَ إليه.

«**قلت: مَن خيرُ الناس فيها؟ قال: رجلٌ في ماشيته**»؛ يعني: هربَ من الفتنة ومخالطة الناس إلى بادية بعيدة، ويرعى مواشيَه ويقيم هناك.

«**يؤدي حقَّها**» من زكاتها.

«**ويعبد ربَّه، ورجلٌ آخِذٌ برأس فرسه يُخيف العدوَّ**» أراد به: الكفار.

«**ويخوِّفونه**»؛ يعني: أنه هربَ منها و[من] قتال المسلمين، وقصدَ ثغراً من الثغور يقاتل فئةَ الكفار ويقاتلونه، فبقي سالماً منها غانماً للأجر والمَثُوبة.

* * *

٤١٦٢ ـ عن عبدالله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ فِتنةٌ تستنظِفُ العربُ قَتلاها في النَّارِ اللِّسانُ فيها أشدُّ منْ وَقْعِ السَّيفِ».

«عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتنةٌ تَستنظِفُ العربَ»؛ أي: تستوعبهم وتَصِلُ إلى جميعهم.

«قتلاها»: جمع قتيل، بمعنى: مقتول.

«في النار»: وإنما كانوا فيها؛ لإباحتهم القتالَ مع القاتلين، أو لأنهم لم يقصدوا إعلاءَ الدِّين ودفعَ الظلم عن المسلمين، بل قصدوا التفاخرَ والطمعَ في المال والمُلك.

«اللسانُ فيها أشدُّ من وقعِ السيفِ»؛ أي: التعرُّض لأهلها من الشتم والغِيبة وذِكرِهم بالسوء كالمحاربة معهم، لعل لمراد بهذه الفتنة: الحرب التي وقعت بين علي بن أبي طالب ﷺ وبين معاوية؛ فإن أصحابَهما أكثرُهم كانوا أصحابَ النبي ﷺ.

* * *

٤١٦٣ ـ وعن أبي هُريرةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ستكونُ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ بَكْماءُ عَمْياءُ، مَنْ أَشْرَفَ لها استَشْرَفَتْ لهُ، وإشْرافُ اللِّسانِ فيها كوُقُوعِ السَّيفِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتنة صمَّاء بَكْمَاء»؛ يعني: لا يَقدِر أحدٌ أن يأمرَ بالمعروف أو ينهى عن المنكر، فمَن تكلَّم فيها بحقٍّ أُوذِيَ.

«عمياء»: تقدم معنى (العمياء) و(الصَّمَّاء).

«مَن أَشرفَ لها»؛ أي: اطَّلع عليها وقَرُبَ منها.

«استَشرفتْ له»؛ أي: اطلعتْ تلك الفتنةُ عليه وجذبتْه إليها.

«وإشرافُ اللسان»؛ أي: إطالتُه «فيها كوقوع السيف».

* * *

٤١٦٤ ـ عن عبدِالله بن عُمَرَ قال: كُنَّا قُعُوداً عندَ النَّبـيِّ ﷺ فَذَكَرَ الفِتَنَ، فأَكْثَرَ حتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاسِ، فقالَ قائِلٌ: وما فِتْنَةُ الأَحْلاسِ؟ قال: «هيَ هَرَبٌ وحَرْبٌ، ثمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُها منْ تحتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بيتي، يَزْعُمُ أنَّهُ منِّي وليسَ منِّي، إنَّما أَوْليائي المُتَّقُونَ، ثمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ على رَجُلٍ كوَرِكٍ على ضِـلَعٍ، ثمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْماءِ لا تَدَعُ أَحَداً مِنْ هذهِ الأُمَّةِ إلا لطَمَتْهُ لَطْمةً، فإذا قيلَ: انقضَتْ تمادَتْ، يُصْبِـحُ الرَّجُلُ فيها مُؤْمِناً ويُمْسِي كافِراً، حتَّى يَصيرَ النَّاسُ إلى فُسْطاطَيْنِ: فُسطاطِ إيْمانٍ لا نِفاقَ فيهِ، وفُسْطاطِ نِفاقٍ لا إيْمانَ فيهِ، فإذا كانَ ذلكُمْ فانتظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِه».

«عن عبدالله بن عمر ﷺ قال: كنا قعوداً»؛ أي: قاعدين.

«عند النبي ﷺ، فذَكرَ الفتنَ، فأكثرَ»؛ أي: أكثرَ ذِكرَها.

«حتى ذَكرَ الأحلاس»: إنما أُضيفت إلى (الأحلاس) لدوامها وطول لبثها، فإن الحِلْسَ يفرش على المكان ويبقى عليه ما دام لا يُرفَع، أو شبَّهها بها لسواد لونها وظلمتها.

«قال قائل: وما فتنةُ الأحلاس؟ قال: هي هَرَبٌ»؛ أي: فرارٌ، يفرُّ بعضُ الناس من بعض؛ لِمَا بينهم من المحاربة.

«وحَرَبٌ» بفتح الحاء والراء المهملتين؛ أي: أخذُ مالٍ وأهلٍ بغير استحقاق.

«ثم فتنة السرَّاء»؛ أي: ذكرَها، تسميتها بـ (السرَّاء)؛ لأنها تَسُرُّ العدوَّ، أو

لأن سببَ الوقوع فيها والابتلاء بها البَطَرُ وسَعَةُ النعمة؛ إذ السرَّاء هو الرخاء، فالإضافة للملابسة أو لكونه فتنةً واسعةً لكثرة الشرور والمفاسد فيها، وقيل: (سرَّاء) من: السَّرَر، داءٌ يأخذ الناقةَ في سُرَّتها، يقال: ناقة سرَّاء؛ أي: بها داء السَّرَر، فالمعنى: فتنة واقعة في الناس تُوجع صدورَهم من الحزن ولحوق الضرر بهم.

ويحتمل أن تكون صفة للفتنة، فأُضفيت إليها إضافةَ (مسجد الجامع) على تأويل: فتنة الحادثة السرَّاء.

«دَخَنُها»؛ أي: دخانُها، والمراد: ظهورها وإثارتها، شبتهها بالدخان المرتفع، يقال: دَخِنَتِ النارُ دَخَناً: إذا ارتفع دخانُها.

«من تحت قَدَمَي رجل»؛ أي: تَظهَر تلك الفتنة بواسطة رجل.

«من أهل بيتي، يزعم أنه مني» في الفعل، وإن كان مني في النَّسَب.

«وليس مني»؛ أي: من أخلاَّئي، أو من أوليائي في الحقيقة، أو من أهلي في الفعل؛ لأنه لو كان من أهلي لم يهيج الفتنةَ.

«إنما أوليائي المتَّقون، ثم يصطلح الناسُ على رجلٍ كَورِكٍ على ضِلَعٍ» واحد: الضلوع.

قال الخطابي: معناه: يصطلحون على بَيعةِ رجلٍ لا يَصلُح للخلافة، ولا يستقيم به الأمر، وهو تمثيل لعدم استقلاله بالمُلك وعدم ملائمته له، كالوَرِك لا يلائم الضلعَ، ولا يقوم به ولا يحمله.

«ثم فتنة الدُّهَيماء» تصغير: الدَّهماء، وهي الداهية، وقيل: السوداء المظلمة.

«لا تَدَعُ»؛ أي: لا تتركُ.

«أحداً من هذه الأمة إلا لطمتْه لَطمةً»، واللَّطم: الضرب على الوجه ببطن

الكَف، والمراد: أن أثر تلك الفتنة يعمُّ الناسَ ويَصِلُ إلى كل أحد ممن حضرها.

«فإذا قيل: انقضت»؛ أي: تلك الفتنةُ.

«تمادتْ»؛ أي: بلغتْ غايتَها.

«يصبح الرجلُ فيها مؤمناً»؛ لتحريمه دمَ أخيه وعِرضَه ومالَه.

«ويمسي كافراً» بتحليله ذلك.

«حتى يصيرَ الناس إلى فسطاطَين» يريد بالفسطاط: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة: فسطاط، ويقال لنوعٍ من الأبنية في السفر مثل الخيمة.

«فسطاطُ إيمانٍ لا نفاقَ فيه، وفسطاطُ نفاقٍ لا إيمانَ فيه»؛ يعني: يصير أهلُ ذلك الزمان فرقتين: مؤمن خالص، وكافر خالص.

«فإذا كان ذلك فانتظروا الدجالَ من يومِه أو من غدِه».

* * *

٤١٦٥ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «وَيْلٌ للعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قدِ اقترَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يدَهُ».

«عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: ويلٌ للعرب، من شرٍّ قد اقترب»، لعله يريد بهذا الشر: الاختلاف الذي يَظهَر في زمن عليٍّ ومعاوية، وبين الحسين وبين يزيد.

«أفلحَ مَن كفَّ يدَه»؛ أي: مِن المحاربة والمخاصمة.

* * *

٤١٦٦ ـ عن المِقْدادِ بن الأَسْوَدِ: أنَّه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ

الفِتَنَ، ولَمَنْ ابتُلِيَ فَصَبرَ فَواهاً».

«عن المقداد بن الأسود ﷺ أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: إن السعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفتنَ»؛ أي: بَعُدَ عنها.

«إن السعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفتنَ، إن السعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفتنَ، ولَمَنْ ابتُلي»؛ أي: وقعَ في الفتنة.

«فصبر» على أذاهم ولم يحاربهم.

«فواهاً» معناه: التلهُّف، وقد يُوضَع موضعَ الإعجاب بالشيء والاستطابة له، وهو المراد هنا؛ أي: ما أحسنَ وأطيبَ صَبْرَ مَن صَبَرَ عليها! وقد يَرِدُ بمعنى: التوجُّع، وقيل: معناه: فطُوبَى له.

* * *

٤١٦٧ ـ عن ثوبانَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا وُضِعَ السَّيْفُ في أُمَّتي لم يُرفَعْ عَنْها إلى يَوْمِ القِيامَةِ، ولا تقومُ السَّاعَةُ حتَّى تَلْحَقَ قبائِلُ مِنْ أُمَّتي بالمُشْرِكينَ، وحتَّى تَعْبُدَ قبائِلُ مِنْ أُمَّتي الأَوْثانَ، وأَنَّهُ سيكونُ في أُمَّتي كَذَّابونَ ثلاثونَ، كُلُّهمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّ الله، وأنا خَاتَمُ النَّبيينَ لا نبيَّ بَعْدِي، ولا تَزَالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتي على الحَقِّ ظاهِرينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خالَفَهُمْ حتَّى يأتيَ أمرُ الله».

«عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله عليه وسلم: إذا وُضِع السيف في أمتي، لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي الله، وأنا خاتم النبيين، لا نبيَ بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»:

تقدم بيانه في (باب العلم).

* * *

٤١٦٨ ـ عن عبدِالله بن مَسْعودٍ، عن النَّبـيِّ ﷺ قالَ: «تدورُ رَحَى الإسلامِ لخَمْسٍ وثلاثينَ، أو سِتٍّ وثلاثينَ، أو سَبْعٍ وثلاثينَ، فإنْ يَهْلِكُوا فَسَبيلُ مَنْ هَلَكَ، وإنْ يَقُمْ لهمْ دينُهُمْ يقُمْ لهمْ سبعينَ عاماً». قلتُ: أَمِمَّا بقيَ أوْ مِمَّا مَضَى؟ قال: «مِمَّا مَضَى»، صحيح.

«عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: تدور رحى الإسلام»: وهو أن ينتظمَ أمره، من قولهم: فلان رحى القوم؛ أي: سيدهم، سمي به لانتظام أمرهم به، والمعنى: أن أمر الإسلام يستقر ويدور على ما ينبغي.

«لخمس وثلاثين»: ففيها مقتل عثمان ﷺ، وهو فتنة الدار، ولم يكن قبلها في الإسلام، واللام بمعنى: (في).

«أو لست وثلاثين»: شك من الراوي، ففيها خرج طلحة والزبير إلى حرب الجمل.

«أو لسبع وثلاثين»: ففيها حرب صفين، بكسر الصاد المهملة والفاء المشددة.

«فإن يهلكوا»؛ أي: اختلفوا بعد ذلك، واستهانوا بالدين.

«فسبيل من هلك»؛ أي: سبيلهم سبيل من هلك قبلهم من الأمم السالفة الذين زاغوا عن الحق، سمي الاشتغال بأسباب الهلاك هلاكاً تسميةً للسبب باسم المسبب.

«وإن يَقُمْ لهم دينُهم»؛ أي: إن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق.

«يَقَمْ لهم»؛ أي: تمادى لهم قوة الدين.

«سبعين عاماً، قلت: أمما بقي أو مما مضى؟»؛ يعني: قيام دينهم تلك المدة بعد خمس وثلاثين أم يكون مع الخمسة والثلاثين؟

«قال: مما مضى»؛ يعني: يكون مع الخمسة والثلاثين.

قال الخطابي: دوران الرحى: كناية عن امتداد الحرب والقتال، شبَّهها بالرحى الدوارة التي تطحن الحب؛ لما فيها من هلاك الأنفس، وفسر الدين بالملك، يريد به: ملك بني أمية وانتقاله إلى بني العباس، وكان ما بين استقرار الملك لبني أمية إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر بني أمية نحواً من سبعين سنة.

ردَّ بعض الشارحين قول الخطابي بأن ما ذكره مخالفٌ لظاهر الحديث ولسياقه؛ لأنا لم نجدهم يستعملون دوران الرحى في أمر الحرب من غير جريان ذكرها والإشارة إليها.

وقال: لو تأمل الخطابي الحديث كلَّ التأمل وبنى التأويل على سياقه؛ لعلم أنه ﷺ لم يرد ملك بني أمية دون غيرهم من الأمة، فإن الملك في بعض الأيام العباسية، لم يكن أقل استقامة منه في الأيام المروانية، ومدة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحواً من تسع وثمانين سنة، والتواريخ تشهد له، بل أراد: استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة وإقامة الحدود والأحكام، وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة، وأخبرهم: أنهم يلبثون على ما هم عليه خمساً أو ستاً أو سبعاً وثلاثين، ثم يشقون عصا الخلاف، فتفترق كلمتهم.

* * *

٢ ـ باب
المَلاحِمِ

(باب الملاحم)

جمع: ملحمة، وهي الواقعة العظيمة، وقيل: موضع القتال، مأخوذ من اللحم؛ لكثرة لحوم القتلى فيها، قيل: ومن أسمائه ﷺ: نبي الملحمة؛ أي: نبي القتال.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٦٩ ـ عن أبي هُريرَةَ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظيمَتَانِ، يكونُ بينَهُما مَقْتَلَةٌ عَظيمةٌ دَعْواهُما واحِدَةٌ، وحتَّى يُبعَثَ دجَّالونَ كذَّابونَ قَريبٌ مِنْ ثلاثينَ، كلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رسولُ الله، وحتَّى يُقبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، ويتقارَبَ الزَّمانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ وهو القتْلُ، وحتَّى يَكْثُرَ فيكُمُ المالُ فيَفيضَ حتَّى يُهِمَّ رَبَّ المالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقتَهُ، وحتَّى يَعْرِضَهُ فيقولُ الذي يَعْرِضُهُ عليهِ: لا أَرَبَ لي بِهِ، وحتَّى يتَطاوَلَ النَّاسُ في البنيانِ، وحتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فيقولَ: يا ليتَني مَكانَهُ، وحتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها، فإذا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فذلكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوبَهُما بينَهُما فلا يَتَبايَعانِهِ ولا يَطْوِيانِهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقَدِ انصَرَفَ الرَّجُلُ بلَبَنِ لِقْحَتِهِ فلا يَطْعَمُهُ، ولَتَقومَنَّ السَّاعَةُ وهو يَلِيطُ حَوْضَهُ فلا يَسقي فيهِ، ولَتَقومَنَّ السَّاعَةُ وقدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فيهِ فلا يَطعَمُها».

«من الصحاح»:

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يقتتلَ

فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة»؛ أي: موضع قتال.

«**دعواهما واحدة**»: وهي الإسلام؛ يعني: تدَّعي كلٌّ واحدة من الطائفتين أنها على دين الإسلام.

«**وحتى يُبعَث دجَّالون كذابون**»: كل كذاب دجال، يقال: دجل الحقَّ بالباطل؛ أي: غطاه به، ومنه أخذ الدجَّال، ودجله: سحره وكذبه، أو تمويهه على الناس وتلبيسه، أو ضربه في الأرض وقطعه أكثر نواحيها.

«**قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل**»: جمع زلزلة، وهي تحريك الأرض.

«**ويتقارب الزمان**»: قال الخطابي: يريد به زمان خروج المهدي، ووقوع الأمانة في الأرض بما يبسطه من العدل فيها.

«**وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض**»: من فاض الماء: إذا انصبَّ عند امتلائه.

«**حتى يهمَّ ربُّ المال**»؛ أي: يحزنه فقدان «**من يقبل صدقته**»: قيل: وذلك إنما يكون لانقطاع نفوس الناس عن الرغبة في المال؛ لما رأوا من أشراط الساعة.

«**وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه**»؛ يعني: الفقير.

«**لا أربَ**»؛ أي: لا حاجة. «**لي فيه وحتى يتطاول الناس في البنيان**»؛ أي: يفتخرون بارتفاع الأبنية.

«**وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**»؛ يعني: يا ليتني كنت ميتاً حتى لا أرى الفتن.

«**وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنت**»: قيل: الجملة صفة

(نفس)، والأولى أن تحمل على الاستئناف؛ لئلا يقع الفصل بين الصفة والموصوف.

«**من قبل**»؛ أي: قبل طلوع الشمس من مغربها؛ لأن ذلك الإيمان إيمان يأس، وهو غير مقبول.

«**أو كسبت**»: عطف على (آمنت).

«**في إيمانها خيراً**»: المراد من الخير: التوبة أو الإخلاص، فتنوينه للتعظيم؛ يعني: لا ينفع تلك النفس إيمانها في قبول توبتها، وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾[الأنعام: ١٥٨] الآية.

قيل: عدم قبول الإيمان والتوبة في ذلك الوقت مخصوصٌ بمن يشاهد طلوعها حتى أن من ولد بعده أو لم يشاهده يقبل كلاهما منه، والأصح أنه غير مخصوص به؛ لما جاء في الحديث الصحيح: «إن التوبة لا تزال مقبولة[1] حتى يُغلَق بابُها، فإذا طلعت الشمس من مغربها أُغلِق».

«**ولتقومن الساعة وقد نشر**»؛ أي بسط «**الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته**»: وهي ذات اللبن من النوق.

«**فلا يطعمه**»؛ أي: فلا يتمكن أن يشرب اللبن الذي حلبه.

«**ولتقومن الساعة وهو يليطُ حوضه**»؛ أي: يطينه، ويصلحه؛ ليسقي به إبله.

«**فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أُكْلَته**»: بضم الهمزة؛ أي: لقمته.

---

(١) في «غ»: «تقبل».

«إلى فيه، فلا يطعمها»: وهذا إشارة إلى أن قيام الساعة يكون بغتة، تقوم وهم في اشتغالهم.

* * *

٤١٧٠ ـ وقال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تُقاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وحتَّى تُقاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعيُنِ حُمْرَ الوُجوهِ ذُلْفَ الأنوفِ، كأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ**».

«**وعنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا أقواماً نعالهم الشعر**»؛ أي: من جلود مشعرة غير مدبوغة، ذهب بعضهم إلى أنهم الديلم؛ لأن نعالهم الشعر.

«**وحتى تقاتلوا التُّرْكَ**»، قال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، فجميع الترك منهم، وعن قتادة: أنهم كانوا اثنين وعشرين قبيلة، بنى ذو القرنين السدَّ على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت قبيلة واحدة وهم الترك، سموا التُّرك؛ لأنهم تركوا خارجين.

«**صغارَ الأعين حمرَ الوجوه ذُلْفَ الأنوف**»: جمع الأنف، (الذُّلف) بضم الذال المعجمة وسكون اللام: جمع الأذلف كـ (حمر) و(أحمر)، وهو الذي يكون أنفه صغيراً أو يكون في طرفه غلظ.

«**كأن وجوههم المجان**» بفتح الميم وتشديد النون: جمع المجنُّ، وهو الترس.

«**المطرَّقة**» بضم الميم وفتح الراء المخففة: وهي التي ألبست طراقاً؛ أي: جلداً يغشاها، شبه وجوههم في عرضها ونتوء وجناتها بالترس الملبس طراقاً، قيل: وجد قتال هؤلاء الترك الموصوفين بالصفات المذكورة مرات، وهذه كلها

معجزات لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى.

* * *

٤١٧١ ـ وقال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تُقاتِلُوا خُوزاً وكِرْمانَ مِنَ الأعاجِمِ، حُمْرَ الوُجوهِ فُطْسَ الأُنوفِ صِغارَ الأَعيُنِ، كأَنَّ وُجوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ نِعالُهُمُ الشَّعَرِ».

ويُروَى: «عِراضَ الوُجُوهِ».

«وعنه قال: قال رسول الله عليه السلام: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خُوزاً»: بضم الخاء.

«وكرمان» بفتح الكاف: هما بلدتان معروفتان، والمراد منهما: صنفان من الترك.

«من الأعاجم حمرَ الوجوهِ فُطْسَ الأنوف» [بضم الفاء] وسكون الطاء المهملة: جمع الأفطس، وهو: الذي تنخفض قصبة أنفه.

«صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر. ويروى: عِراض الوجوهِ».

* * *

٤١٧٢ ـ وقال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقاتِلَ المُسلِمُونَ اليَهودَ، فيقتُلُهُم المُسْلِمونَ حتَّى يَخْتَبِئَ اليَهودِيُّ مِنْ وَراءِ الحَجَرِ والشَّجَرِ، فَيقولُ الحَجَرُ والشَّجَرُ: يا مُسْلِمُ! يا عَبْدَالله! هذا يَهُودِيٌّ خَلفِي، فَتَعَالَ فاقتُلْهُ، إلا الغَرْقَدَ فإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهودِ».

«وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يقاتل

المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئَ اليهوديُّ»؛ أي: يختفي.

«**من وراء الحجر والشجر**»؛ أي: خلفهما.

«**فيقول الحجر والشجر: يا مسلم! يا عبدالله! هذا يهودي خلفي، فتعالَ فاقتله، إلا الغرقد**» بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح القاف: ضرب من شجر العضاه وشجر الشوك، وقيل: هو كبار العَوْسَج، وله ثمر يؤكل حلو أحمر، كأنه حب العقيق.

«**فإنه شجر اليهود**»: أضيف إليهم بأدنى ملابسة.

* * *

٤١٧٣ ـ وقال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطانَ يَسوقُ النَّاسَ بعَصاهُ».

«**وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان**»: اسم قبيلة باليمن، وكان هو قحطان بن هود أبو اليمن.

«**يسوق الناس بعصاه**»؛ أي: يصير حاكماً عليهم، ويسوقهم كيف شاء سوقَ الراعي غنمه بعصاه. قيل: لعل ذلك الرجل القحطاني يقال له: جَهْجَاه.

* * *

٤١٧٤ ـ وقال: «لا تَذْهَبُ الأيَّامُ واللَّيالي حتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقالُ لهُ: الجَهْجَاهُ».

وفي رِوايةٍ: «حتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ المَوالي يُقالُ لهُ: الجَهْجَاهُ».

«**وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الأيام والليالي**»؛ أي: لا ينقطع الزمان، ولا تأتي القيامة.

«حتى يملكَ رجل يقال له: الجَهْجَاهُ».

«وفي رواية: حتى يملك رجل من الموالي»: جمع المولى، وهو هنا: المملوك أو العتيق؛ أي: يصير حاكماً على الناس.

«يقال له: الجهجاه».

* * *

٤١٧٥ ـ وقالَ: «لَيَفْتَتِحَنَّ عِصابَةٌ مِنَ المُسْلِمينَ كَنْزَ آلِ كِسرَى الذي في الأَبْيَضِ».

«وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ليفتتحنَّ عصابةٌ»؛ أي: جماعة.

«من المسلمين كنزَ آل كسرى الذي في الأبيض»: أراد به: أبيض المدائن، وهو قصر حصين كان لكسرى، وكانت الفرس تسميه سيد كوشك، وقيل: الأبيض المدائن، وقد أُخرِج كنزه في أيام عمر ﷺ، والآن بني موضعه مسجد المدائن.

وعن بعض أهل الحديث: إن الأبيض الذي في الحديث هو الذي بهمدان المدعو بشهرستان، وهو مما بناه دارا بن دارا، والأول أكثر.

* * *

٤١٧٦ ـ وقالَ: «هَلَكَ كِسْرَى فَلا يكونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وقَيْصَرُ ليَهْلِكَنَّ ثمَّ لا يكونُ قَيْصَرُ بَعْدَهُ، ولتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهُما في سبيلِ الله». وسَمَّى الحَرْبَ خُدْعَةَ.

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا هلك كسرى هذا»: ماض بمعنى المستقبل؛ يعني: سيهلك كسرى، وهو اسم لمن ملك فارس.

«فلا يكون كسرى بعده، وقيصر»: وهو اسم لمن ملك الروم.

«ليهلكنَّ، ثم لا يكون قيصر بعده»؛ يعني: سيفتح المسلمون الفرس والروم، ولا يكون ملكهما إلا للمسلمين.

«ولتُقسَمنَّ كنوزُهما في سبيل الله، وسمى»؛ أي: النبي ﷺ «الحربَ خَدعةً»: بفتح الخاء المعجمة وضمها، وهذا وارد منه ﷺ على سبيل الاستطراد؛ لأن أصل الكلام كان في ذكر الفتح، وكان حديثاً مشتملاً على الحرب، فأورده بالذكر.

* * *

٤١٧٧ ـ وقال: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ العَرَبِ فَيَفْتَحُها الله، ثُمَّ تَغْزُونَ فارِسَ فَيَفْتَحُها الله، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُها الله، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ الله».

«عن نافع بن عقبة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال»: الخطاب للصحابة، والمراد به الأمة.

«فيفتحه الله»؛ أي: يجعله مغلوباً مقهوراً.

* * *

٤١٧٨ ـ عن عَوْفِ بن مالِكٍ قال: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ في غَزْوَةِ تَبوكَ وهو في قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فقالَ: «اُعْدُدْ سِتّاً بينَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتي، ثمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثمَّ مُوْتانٌ يَأْخُذُ فيكُمْ كقُعاصِ الغَنَمِ، ثمَّ استِفاضَةُ المالِ حتَّى يُعطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دينارٍ فَيَظَلُّ ساخِطاً، ثمَّ فِتْنَةٌ لا يَبقَى بيتٌ مِنَ العَرَبِ إلاَّ دَخَلَتْه، ثمَّ هُدْنَةٌ تكونُ بينَكُمْ وبينَ بني الأَصْفَرِ فيغْدِرونَ فيأْتُونَكُمْ تحتَ ثمانينَ غايَةً، تَحْتَ كُلِّ غايةٍ اثْنا عَشَرَ أَلفاً».

«عن عوف بن مالك ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: اُعدُدْ ستاً»؛ أي: ست علامات.

«بين يدي الساعة»؛ أي: قبل قيام القيامة.

«موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتانٌ» بضم الميم: هو الموت الكثير الوقوع، يريد به: الوباء في تلك الغزوة.

«يأخذُ فيكم كقُعاصِ الغنم» بضم القاف: داء يأخذ الغنم يقتلها على المكان، وقد وقع ذلك في زمان عمر ﷺ في عمواس؛ قرية من قرى بيت المقدس، كان بها عسكر المسلمين، وهو أول طاعون وقع في الإسلام، مات فيه سبعون ألفاً في ثلاثة أيام.

«ثم استفاضة المال»؛ أي: كثرته.

«حتى يُعطَى الرجل»: على بناء المجهول.

«مئة دينار»: قيل: أي: من الزكاة.

«فيظل ساخطاً»؛ أي: يصير غضباً؛ لاستقلاله المال.

«ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب»: قيل: معناه: بيت من أمتي.

«إلا دخلته»: خص العرب؛ لشرفها وقربها منه.

«ثم هدنة»؛ أي: صلح.

«تكون بينكم وبين بني الأصفر»: قيل: هم الروم، وهو: الروم بن عيصور بن يعقوب بن إسحاق، كان أصفر في بياض، فسموا به، وقيل: سموا بالأصفر؛ لأنه اسم رجل أسود ملك الروم، فنكح من نسائها، فولد له أولاد في غاية الحسن، فنُسِب الروم إليه.

«فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية»: وهو بالغين المعجمة والياء المثناة من تحت: العلم، ويروى بالباء الموحدة، وهو: الأجمة، شبه رماحهم بها.

«تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً».

* * *

٤١٧٩ ـ وقال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأَعْماقِ أوْ بدابِقَ، فَيَخْرُجُ إليهمْ جَيْشٌ منَ المَدينةِ منْ خِيارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فإذا تَصافُّوا قالت الرُّومُ: خَلُّوا بَيْننا وبينَ الذينَ سَبَوْا مِنَّا نُقاتِلْهُمْ، فيقولُ المُسْلِمونَ: لا واللهِ لا نُخلِّي بينكُمْ وبينَ إخْوانِنا، فيُقاتِلونَهُمْ، فيَنْهزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللهُ عَلَيهِمْ أَبَداً، ويُقْتَلُ ثُلُثٌ هُمْ أَفْضَلُ الشُّهداءِ عندَ اللهِ، ويَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنُونَ أَبَداً، فيَفْتَتِحونَ قُسْطَنْطِينيَّةَ، فَبَيْنَما هُمْ يَقْتَسِمونَ الغَنائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيوفَهُمْ بالزَّيْتونِ إذْ صاحَ فيهِم الشَّيطانُ: إنَّ المَسِيحَ قدْ خلَفَكُمْ في أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وذلكَ باطِلٌ، فإذا جاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَما هُمْ يُعِدُّونَ للقِتالِ ويُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إذْ أُقيمَتِ الصَّلاةُ، فينزِلُ عيسَى بن مَرْيمَ فَأَمَّهُمْ، فإذا رآهُ عدُوُّ اللهِ ذابَ كما يَذُوبُ المِلْحُ في الماءِ، فلو تَرَكَهُ لانذابَ حتَّى يَهلِكَ، ولكنْ يَقتُلُهُ اللهُ بيدِهِ، فيُريهِمْ دَمَهُ في حَرْبَتِهِ».

«وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم ـ أي: أهل الروم ـ بالأعماق» بفتح الهمزة وسكون العين المهملة: اسم موضع من أطراف المدينة.

«أو بدابق» بفتح الباء الموحدة: موضع سوق بالمدينة، قيل: هو في الحديث بكسر الباء، وهو شك من الراوي.

«فيخرج إليهم جيش من المدينة»: قيل: المراد منها: حلب، والأعماق ودابق موضعان بقربه، وقيل: المراد منها: دمشق.

«من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين

الذين سبوا منا»: على بناء الفاعل، يريدون: من غزوا بلادهم من المسلمين، فسبوا ذراريهم.

«نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث»؛ أي: من جيش المسلمين.

«لا يتوب الله عليهم»؛ أي: لا يلهمهم الله التوبة، بل يصرون على الفرار «أبداً، ويُقتلُ ثلثُهُمْ أفضلُ الشهداء عند الله»: (أفضل) بالرفع: خبر مبتدأ محذوف، وبالنصب حال.

«ويفتتح الثلث، لا يُفتَنون»: بصيغة المجهول؛ أي: لا يقع بينهم فتنة الخلف وغيره.

«أبداً، فيفتتحون قسطنطينية»: وهي بلدة عظيمة من أعظم بلاد الروم.

«فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون»؛ أي: بشجرِهِ.

«إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح»؛ يعني: الدجَّال.

«قد خَلَفَكم» بتخفيف اللام؛ أي: قام مقامكم.

«في أهليكم»؛ أي: في دياركم ومنازلكم.

«فيخرجون»؛ أي: جيش المسلمين من قسطنطينية.

«وذلك»؛ أي: ذلك القول من الشيطان.

«باطل»: وكذب.

«فإذا جاءوا الشامَ، خرج»؛ أي: الدجَّال.

«فبينما هم يُعِدُّون»: من (الإعداد) بمعنى: التهيئة.

«للقتال»؛ أي: لقتال الدجال.

«يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة»؛ أي: جاء وقت إقامة المؤذن للصلاة.

«**فينزل عيسى ابن مريم، فأمَّهم**»: قال الطيبي: معناه: قصد المسلمين بأخذ سنة رسولهم والاقتداء بهم، لا أن عيسى ـ عليه السلام ـ يؤمهم ويقتدون به، وقيل: الضمير المنصوب يعود إلى أهل الدجال ومتابعيهم؛ يعني: قصدهم بإهلاكهم.

«**فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه**»؛ أي: لو ترك عيسى ـ عليه السلام ـ الدجالَ، ولم يقتله.

«**لانذابَ حتى يهلك**»؛ أي: بالكلية.

«**ولكن يقتله الله بيده**»؛ أي: عيسى عليه السلام.

«**فيريهم**»؛ أي: عيسى ـ عليه السلام ـ المسلمين أو الكافرين.

«**دمَهُ في حربته**».

* * *

٤١٨٠ ـ عن عبدِالله بن مَسْعودٍ قالَ: إنَّ السَّاعةَ لا تَقُومُ حتَّى لا يُقْسَمَ مِيراثٌ ولا يُفْرَحَ بغَنيمةٍ. ثمَّ قالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعونَ لأَهْلِ الشَّامِ ويَجْتَمِعُ لهُمْ أَهْلُ الإسْلامِ، يعني الرُّومَ، فيَتَشَرَّطُ المُسْلِمونَ شُرْطةً للمَوْتِ لا تَرْجِعُ إلا غالِبةً، فَيقْتَتِلونَ حتَّى يَحْجُزَ بينَهُمُ الليلُ، فَيَفِيءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ، كلٌّ غيرُ غالِبٍ، وتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثمَّ يَتَشَرَّطُ المُسْلِمونَ شُرْطَةً للمَوْتِ لا ترجِعُ إلا غالِبةً، فيَقْتَتِلونَ حتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ، كلٌّ غيرُ غالِبٍ، وتفنَى الشُّرْطَةُ، فإذا كانَ اليومُ الرَّابعُ نَهَدَ إليهِمْ بَقيَّةُ أَهْلِ الإسلامِ، فيجعلُ الله الدَّبْرَةَ عليهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً لمْ يُرَ مِثلُها، حتَّى إنَّ الطَّائِرَ ليَمُرُّ بجنَباتِهِمْ فما يُخَلِّفُهُمْ حتَّى يخِرَّ مَيْتاً، فيَتَعادُّ بنو الأَبِ كانوا مِئَةً فلا يَجِدونَهُ بَقِيَ منهُمْ إلاَّ الرَّجُلُ الواحِدُ، فَبِأَيِّ غَنيمةٍ يُفْرَحُ؟ أو أَيِّ مِيْراثٍ يُقَسَمُ؟ فبينا هُمْ كذلكَ إِذْ سَمِعُوا ببأْسٍ هو أَكْبَرُ منْ ذلكَ، فجاءَهُمُ

الصَّرِيخُ أَنَّ الدَّجَّالَ قدْ خَلَفَهُمْ في ذَرَارِيهِمْ فيَرفُضُونَ ما في أَيدِيهِمْ ويُقبِلونَ، فيَبعثونَ عَشْرَةَ فوارِسَ طَليعةً، قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنِّي لأَعْرِفُ أَسْماءَهُمْ وأَسْماءَ آبائِهِمْ، وألوانَ خُيولِهِم هُمْ خَيرُ فَوارِسَ، أو مِنْ خيرِ فَوارسَ على ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ».

«عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله عليه وسلم: لا تقوم الساعةُ حتى لا يقسم ميراثٌ، ولا يفرَح بغنيمة، ثم قال»؛ أي النبي عليه الصلاة والسلام.

«عدو»: هو اسم يقع على الواحد والجمع.

«يجمعون لأهل الشام»؛ أي: يجمعون الجيش والسلاح والخيل للقتال مع أهل الشام.

«ويجمع لهم أهل الإسلام»؛ أي: للقتال.

«يعني: الروم»: تفسير للعدو.

«فيشترَّط المسلمون شُرْطة» بضم الشين وسكون الراء: أول طائفة تشهد الوقعةَ من الجيش، سموا بها؛ لأنهم يشرطون؛ أي: يتقدَّمون، ويُعِدُّون أنفسهم للمهلكة.

«للموت»؛ أي: للحرب، واللام للعاقبة.

«لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل»؛ أي: يدخل بينهم الليل، فيتركوا القتالَ، والحجز: المنع.

«فيفيء»؛ أي: فيرجع.

«هؤلاء»؛ أي: المسلمون.

«وهؤلاء»؛ أي: الكفار.

«كلٌّ غير غالب، وتفنى الشُّرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب، وتفيء الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالب، وتفيء الشرطة»: وهنا إشكال من حيث أن الشرطة إذا فاءت غيرَ غالبة لم تفنَ؛ إذ لو فنيت لم ترجع غير غالبة، فتوجيهه أن يقال: كان مع الشرطة جمع آخر من الجيش، وهم الراجعون غير غالبين لا الشرطة، أو كان سائر المسلمين في كل يوم مع شرطة ذلك اليوم، فالراجعُ سائرهم دونها.

وقيل: معناه: شرطوا مع أنفسهم شـــرطاً أن لا ينهزموا عن الحرب، ولا يرجعوا عنها إلا غالبين، وهذا إنما يصح لو كان الشين من (شرطة) مفتوحة؛ أي: شرطة واحدة، وعلى هذا فناءُ الشرطة زوالها بسبب دخول الليل؛ لأن عند دخوله ترتفع الشرطة بغير اختيارهم.

«فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم»؛ أي: قام وقصد مسرعاً إلى قتالهم.

«بقيةُ أهل الإسلام، فيجعل الله الدَّبَرَة» بفتحات؛ أي: الهزيمة.

«عليهم»؛ أي: على الكفار.

«فيقتتلون مقتلة لم يُرَ مثلها حتى إن الطائر ليمرُّ بجنباتهم»؛ أي: بنواحيهم وجوانبهم.

«فما يخلِّفهم» بكسر اللام المشددة: من خلفت فلاناً ورائي: إذا جعلته متأخِّراً عنك.

«حتى يخر»؛ أي: يسقط.

«ميتاً»: من نتنهم، وفي هذا إيماءٌ إلى طول مسافة بسقوط الموتى.

«فيتعادُّ بنو الأبِ»؛ أي: يعد جماعة حضروا تلك الحرب كلهم أقارب.

«كانوا»؛ أي: بنو الأب «مئة، فلا يجدونه»: الضمير المنصوب فيه عائد إلى (بنو الأب)؛ لأنه ليس يجمع حقيقة لفظاً بل معنى، وقيل: عائد إلى (مئة) بتأويل العدد؛ أي: فلا يجدون عدَّهم، وروي: (فلا يجدون) بدون ضمير المفعول.

«بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يُفرَح؟ أو أي ميراث يقسم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس»؛ أي: بحرب.

«هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ»؛ أي: المستغيث، فعيل من (الصراخ): الصوت.

«إن الدجال قد خَلَفهم في ذراريهم»؛ أي: قعد مكانهم.

«فيرفضون»؛ أي: يتركون ويلقون.

«ما في أيديهم»: من الغنيمة.

«ويقبلون فيبعثون»؛ أي: فيرسلون.

«عشرة فوارس طليعة»: وهي التي تبعث؛ لتطَّلعَ على أحوال العدو كالجواسيس، وجمعها: طلائع، وهي دون السرية.

«قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسمائهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس - أو: من خير فوارس - على ظهر الأرض يومئذ»: شك من الراوي.

* * *

٤١٨١ - عن أبي هُريرةَ أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «هل سَمِعْتُمْ بمَدينةٍ جانِبٌ منها في البَرِّ وجانِبٌ منها في البَحْرِ؟» قالوا: نعَمْ يا رسولَ الله، قال: «لا تَقُومُ

السَّاعَةُ حتَّى يغزُوَهَا سَبْعونَ ألفاً منْ بني إسحاقَ، فإذا جَاؤُوهَا نزَلُوا فلَمْ يُقاتِلُوا بِسِلاحٍ ولمْ يَرمُوا بسَهْمٍ، قالوا: لا إلهَ إلاَّ الله والله أكبَرُ، فيَسقُطُ أحدُ جانِبَيْها الذي في البَحْرِ، ثمَّ يقولون الثَّانِيَةَ: لا إلهَ إلاَّ الله والله أكبَرُ، فيَسقُطُ جانِبُها الآخرُ، ثمّ يقولون الثَّالثَةَ: لا إلهَ إلاَّ الله والله أكبَرُ، فيُفَرَّجُ لهُمْ، فيَدخُلونَها فيَغْنَمُون، فبَيْنا هُمْ يَقْتَسِمُونَ المَغَانِمَ إذْ جاءَهُمُ الصَّريخُ فقالَ: إنَّ الدَّجَّالَ قدْ خَرَجَ، فيَترُكُونَ كلَّ شَيْءٍ ويَرْجِعُونَ».

«عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: هل سمعتم بمدينة جانبٌ منها في البر، وجانبٌ منها في البحر»: أراد بها: قسطنطينية.

«قالوا: نعم يا رسول الله! قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق»: قيل: هم أكراد الشام؛ إذ هم من نسل إسحاق النبي عليه الصلاة والسلام، وهم مسلمون.

«فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر، ثم يقولُ الثانية»؛ أي: في المرة الثانية: «لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقول الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرَّج لهم، فيدخلونها، فيغنمون، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخُ فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كلَّ شيء، ويرجعون».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١٨٢ ـ عن معاذِ بن جَبَلٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «عُمْرانُ بَيْتِ المَقْدِسِ خَرابُ يَثْرِبَ، وخَرابُ يَثْرِبَ خُروجُ المَلْحَمةِ، وخُروجُ المَلْحَمةِ فَتْحُ

قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وفَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ خُروجُ الدَّجَّالِ».

«من الحسان»:

«عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال النبي ﷺ: عُمرانُ بيت المقدس خرابُ يثربَ»؛ يعني: يخرب بيت المقدس، ثم يعمر في آخر الزمان، فإذا عمر خرب يثرب، وهو مدينة النبي ﷺ، وأما الآن فقد عمر بيت المقدس، عمره السلطان الملك الناصر نصر الله وجه الإسلام، واستخرج فيه العيون، وأجرى فيه المياه، جزاه الله خيراً.

«وخراب يثرب خروج الملحمة»؛ أي: بعد خرابها تظهر حرب عظيمة، قيل: بين الشام والروم، والظاهر: أنه يكون بين التاتار وأهل الشام.

«وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح قسطنطينية خروج الدجَّال».

* * *

٤١٨٣ ـ وعن مُعاذِ بن جَبَلٍ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «المَلْحَمَةُ العُظْمَىَ، وفَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وخُرُوجُ الدَّجَّالِ في سَبْعَةِ أَشْهُرٍ».

«وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رســـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: الملحمة العظمى وفتح قسطنطينية وخروج الدجَّال في سبعة أشهرٍ».

* * *

٤١٨٤ ـ عن عَبْدِالله بن بُسْرٍ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بينَ المَلْحَمَةِ وفَتْحِ المَدينةِ سِتُّ سِنِينَ، ويَخرُجُ الدَّجَّالُ في السَّابـعةِ»

قالَ أبو داودَ: وهذا أَصَحُّ.

«وعن عبدالله بن بُسْرٍ ﷺ: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

قال: بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج الدجال في السابعة.

قال أبو داود: هذا أصح»؛ أي: القول بسبع سنين أصح من سبعة أشهر في الحديث الذي قبل.

* * *

٤١٨٥ ـ وعن أبي الدَّرْداءِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ فُسْطاطَ المُسْلِمينَ يَوْمَ المَلْحَمَةِ بالغُوطَةِ، إلى جانِبِ مَدينةٍ يُقالُ لها: دِمَشق، منْ خَيْرِ مَدائِنِ الشَّامِ».

«عن أبي الدرداء ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: إن فُسطاط المسلمين»؛ أي: خيامهم.

«يوم الملحمة بالغُوطةِ» بضم الغين المعجمة اسم بلد قريب من دمشق.

«إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق من خير مدائن الشام»: وغوطة دمشق معروفة، وهي: بساتينها ومياهها حولها، سميت بها لكونها في مطمئن من الأرض؛ يعني: ينزل جيش المسلمين ويجتمعون هناك.

* * *

٤١٨٦ ـ وعن ابن عُمَرَ: «يُوشِكُ المُسْلِمونَ أنْ يُحاصَروا إلى المَدينَةِ حتَّى يكونَ أبعَدَ مَسالِحِهِمْ سَلاحِ» وسَلاحِ: قريبٌ من خَيْبَرَ.

«وعن ابن عمر ﷺ أنه قال: يوشك»؛ أي: يقرب.

«أن يُحاصَروا»: على صيغة المجهول.

«إلى المدينة حتى يكونوا أبعد مسالحهم» بفتح الميم: جمع مسلحة، وهي كالثغر والمرقب؛ أي: أبعد ثغورهم التي فيها أقوام يرقبون العدو؛ لئلا

يطرقهم على غفلة.

«سَلاحِ»: وهو منون في نسخة، ومبني على الكسر في أخرى، قيل: هو مبني في الحجاز، غير منصرف في بني تميم.

«وسلاح»: اسم موضع «قريب من خيبر»؛ يعني: يفر المسلمون من الكفار ويجتمعون بين المدينة وسلاح.

* * *

٤١٨٧ ـ عن ذي مِخْبَرٍ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ستُصالِحونَ الرُّومَ صُلْحاً آمِناً، فتغزونَ أنتمْ وهمْ عَدُوّاً منْ وَرائِكُمْ، فتُنْصَرونَ وتَغْنَمونَ وتَسْلَمونَ، ثمّ ترجِعونَ حتَّى تَنزِلُوا بمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فيَرفَعُ رَجُلٌ منْ أهلِ النَّصْرانيَّةِ الصَّليبَ، فيقولُ: غَلَبَ الصَّليبُ، فيغضَبُ رَجُلٌ منَ المُسْلمينَ فيدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذلكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وتَجْمَعُ للملحمةِ».

وزادَ بَعْضُهم «ويثورُ المُسْلِمونَ إلى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلونَ، فيُكرِمُ الله تِلْكَ العِصابَةِ بالشَّهادَةِ».

«عن ذي مخبر» بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة: هو خادم النبي ﷺ، ابن أخ النجاشي الحبشي.

«قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستصالحون الروم»: خطاب للمسلمين.

«صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم»؛ أي: فتقاتلون أنتم أيها المسلمون والروم معكم بعد مصالحتكم مع الروم.

«عدواً من ورائكم»؛ أي: من خلفكم.

«فتُنصَرون وتغنمون وتسلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج»؛ أي:

موضع ذي خضرة.

«ذي تلول»: جمع تل، وهو الموضع المرتفع.

«فيرفع رجل من أهل النصرانية»: وهم الروم.

«الصليب، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم، وتجمع»؛ أي: الروم «للملحمة».

«وزاد بعضهم»؛ أي: من الرواة: «ويثور المسلمون إلى أسلحتهم»؛ أي ينهضون ويسرعون إليها.

«فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة»؛ أي: الجماعة من المسلمين.

«بالشهادة»؛ أي: يجعلهم شهداء.

* * *

٤١٨٨ ـ عن عبدِالله بن عَمْرٍو، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «اتْرُكوا الحَبَشَةَ ما تَركوكُمْ، فإنَّهُ لا يَستَخْرِجُ كَنْزَ الكعبةِ إلاَّ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ منَ الحَبَشَةِ».

«عن عبدالله بن عمرو ﷺ، عن النبي ﷺ قال: اتركوا الحبشةَ ما تركوكم؛ فإنه»: الضمير للشأن.

«لا يستخرج كنز الكعبة»: قيل: هو كنز مدفون تحت الكعبة.

«إلا ذو السُّويقتين»: تصغير الساق.

«من الحبشة»: أراد به: حبشياً دقيق الساق.

قال الخطابي: وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[التوبة: ٣٦] وبين هذا الحديث: أن الآية مطلقة، والحديث مقيد، فيحمل المطلق على المقيد، ويجعل الحديث مخصصاً لعموم الآية، كما خص ذلك في حق المجوس فإنهم كفرة، ومع ذلك أخذ منهم الجزية لقوله عليه الصلاة

والسلام: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب».

* * *

٤١٨٩ ـ عن رَجُلٍ من أصْحابِ النَّبـيِّ ﷺ قالَ: «دَعُوا الحَبَشَةَ ما وَدَعُوكُمْ، واتْرُكُوا التُّرْكَ ما تَرَكُوكُمْ».

«عن رجل من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: دعوا الحبشة ما وَدَعُوكم، واتركوا الترك ما تركوكم»؛ أي: اتركوهم.

وجه تخصيص الحبشة والترك بتركِ الحرب معهم ما داموا تاركين لها: أن الحبشة بلادهم وعرة حارة جداً، بينها وبين المسلمين مفازات شديدة وقفار وبحار، فلم يُكَلِّفِ المسلمين دخول ديارهم؛ لكثرة التعب وعظم المشقة.

وأما الترك فبأسهم شديد، وبلادهم بعيدة أيضاً، باردة لا تخلو صيفاً وشتاء من الثلوج، وجند العرب كانوا من البلاد الحارة، وأمزجتهم حارة، فلم يكلفهم أيضاً دخول بلاد غير ملائمة لطباعهم، وأما إذا دخلوا بلاد الإسلام قهراً؛ فلا يباح لأحد ترك المقاتلة معهم.

* * *

٤١٩٠ ـ عن بُرَيْدَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ في حديثٍ: «يُقاتِلُكُمْ قَوْمٌ صِغارُ الأَعْيُنِ ـ يعني التُّركَ ـ قال: تَسوقونَهُمْ ثلاثَ مرَّاتٍ حتَّى تُلْحِقوهُمْ بجَزيرَةِ العَرَبِ، فأَمَّا في السَّاقَةِ الأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ منهُمْ، وأَمَّا في الثَّانيةِ فَيَنْجُو بَعْضٌ ويَهْلِكُ بَعْضٌ، وأمَّا في الثَّالثةِ فيُصْطَلَمُونَ»، أو كما قالَ.

«عن بريدة ﷺ، عن النبي ﷺ في حـــديث: يقاتلكم قوم صغار الأعين ـ يعني: الترك ـ قال: تسوقونهم»: من السَّوق؛ يعني: صاروا مغلوبين منهزمين

بحيث أنكم تسوقونهم.

«ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب، فأما في الساقة الأولى؛ فينجو من هرب منهم، وأما في الثانية؛ فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة؛ فيُصطَلمون»: على صيغة المجهول؛ أي: يُستأصلون.

«أو كما قال»؛ أي: قال: (فيصطلمون)، أو قال غير هذا اللفظ.

* * *

٤١٩١ ـ عن أبي بَكْرَةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ أُناسٌ مِنْ أُمَّتي بغائِطٍ يُسمُّونَهُ: البَصْرَة، عِند نَهْرٍ يُقالُ لهُ: دِجْلةُ، يكونُ عَلَيهِ جِسْرٌ يكثرُ أهلُها، وتكونُ مِنْ أمْصارِ المُسْلِمين، فإذا كانَ في آخرِ الزَّمانِ جاءَ بنو قَنْطُوراءَ عِراضُ الوُجوهِ صِغارُ الأَعيُنِ، حتَّى يَنْزِلُوا على شَطِّ النَّهْرِ فيتفرَّقُ أهلُها ثلاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ يأخُذونَ في أذنابِ البَقَرِ والبَرِّيَةَ، وهلَكوا، وفِرْقَةٌ يأخُذُونَ لأنفُسِهِمْ، وهلَكوا، وفِرقةٌ يَجْعَلونَ ذَرارِيَّهمْ خَلْفَ ظُهورِهِم ويُقاتِلونهم، وهُمُ الشُّهداءُ».

«عن أبي بكرة ﷺ: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: ينزل أناس من أمتي بغائط»؛ أي: بغائر من الأرض.

«يسمونه البصرة، عند نهر يقال له: دجلة، يكون عليه جسرٌ يكثر أهلها، ويكون من أمصار المسلمين»: أراد بالبصرة بغداد؛ فإن دجلة هي الشط، وجسرها في وسطها، وإنما عرَّفها بالبصرة؛ لأن ببغداد موضعاً خارجاً عنه قريباً من بابه يدعى بباب البصرة، فسمى بغداد باسم بعضها؛ لأن بغداد لم تُبن في عهده ﷺ على هذه الهيئة من كونها مصراً من الأمصار، بل كانت قرى متفرقة منسوبة إلى البصرة محسوبة من أعمالها.

ومعنى الحديث: أن بعضاً من أمتي ينزلون ثمة، ويتوطنون به، ويصير

ذلك الموضع مِصراً من أمصار المسلمين.

«**وإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء**» بفتح القاف وسكون النون: وهم الترك، ويقال: قنطوراء اسم جارية كانت لإبراهيم عليه السلام، ولدت له أولاد، جاء من نسلهم الترك.

«**عراض الوجوه صغار الأعين، حتى ينزلوا على شطِّ النهر**»: فيقاتلون أهل بغداد.

«**فيتفرق أهلها ثلاث فرق: [فرقة] يأخذون في أذنابَ البقر والبرية**»: يقال: أخذ في الشيء: إذا شرع فيه، معناه: يأخذون طريق الهرب طلباً لخلاص أنفسهم ومواشيهم، فيهيمون في البوادي.

«**فهلكوا**»: أو معناه: يشتغلون بالزراعة ويعرضون عن المقاتلة ويتبعون البقر للحرث.

«**وفرقة يأخذون لأنفسهم**»؛ أي: يطلبون الأمان من العدو لخلاص أنفسهم فيقتلهم.

«**وهلكوا**»: بأيديهم.

«**وفرقة يجعلون ذراريهم خلفَ ظهورهم، ويقاتلونهم، وهم الشهداء**»: ولم ينجُ منهم إلا شرذمة قليلة جرحى، وهذا من معجزاته ﷺ؛ فإنه وقع كلُّ ما ذكر على وفق ما أخبره، وكانت هذه الوقعة في صفر سنة ست وخمسين وست مئة.

* * *

٤١٩٢ ـ عن أنسٍ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يا أَنَسُ إنَّ النَّاسَ يُمَصِّرونَ أمْصَاراً، وإن مِصْراً منها يُقالُ لهُ: البَصْرَة، فإنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بها أو دَخَلْتَها فإيَّاكَ

وسِباخَها وكَلاءَها وسُوقَها وبابَ أُمرائِها، وعليكَ بضَواحِيها، فإنَّه يكونُ بها خَسْفٌ وقَذْفٌ ورَجْفٌ، وقومٌ يَبيتونَ ثم يُصْبِحونَ قِردةً وخَنازيرَ».

«عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ قال: يا أنس! إن الناس يمصرون أمصاراً»: التمصيرُ: اتخاذُ المِصْر، وهو البلد.

«وإن مصراً يقال لها: البصرة، فإن أنت مررتَ بها، أو دخلتها، فإياك وسِبَاخَها»؛ أي: احذر عن سباخها، وهو بكسر السين: جمع سبخة، وهي أرض تعلوها ملوحة.

«ونخيلَها، وكِلاءَها، وسوقها، وباب أمرائها، وعليك بضواحيها»: جمع ضاحية، وضاحية كل شيء ناحيته البارزة، وقيل: أراد بضواحيها: جبالها، وهذا أمرٌ بالعزلة.

«فإنه يكون بها»: قيل: الضمير للسباخ، والصواب: للمواضع المذكورة.

«خسف»: وهو الإذهاب في الأرض.

«وقذف»؛ أي: رمي بالحجارة من السماء؛ أو بالريح الشديدة، أو قذف الأرض الموتى بعد الدفن.

«ورجف»: وهو الزلزلة والحركة الشديدة.

«وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير»: قيل: وفي هذا إشارة إلى أن بها قدرية؛ لأن الخسف والمسخ إنما يكون للمكذبين بالقدر.

* * *

٤١٩٣ ـ عن صالحِ بن دِرْهَمٍ يقولُ: انطَلَقْنَا حاجِّينَ، فإذا رَجُلٌ فقالَ لنا: إلى جَنْبِكُمْ قَرْيَةٌ يُقالُ لها الأُبُلَّة، قُلنا: نعَم، قال: مَنْ يَضْمَنُ لي منكُمْ أنْ

يُصَلِّيَ في مَسْجِدِ العَشَّارِ رَكعتَينِ أو أَرْبعاً، ويقولَ: هذا لأبي هُرَيرَةَ؟ سَمِعْتُ خليلي أبا القاسِمِ ﷺ يقولُ: «إنَّ الله تعالَى يَبْعَثُ مِنْ مَسجِدِ العَشَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ شُهَدَاءَ لا يَقُومُ مع شُهداءِ بَدْرٍ غَيْرُهُم».

قال أبو داودَ رحمه الله هذا المَسْجِدُ مِمَّا يلي النَّهرَ.

«عن صالح بن درهم يقول: انطلقنا حاجين»؛ أي: قاصدين الحج.

«فإذا رجل»: وهو أبو هريرة ﷺ، و(إذا) للمفاجأة.

«فقال لنا: إلى جنبكم»: بحذف همزة الاستفهام.

«قرية يقال لها: الأُبلَّة»: قيل: بضمتين وتشديد اللام وقيل بفتح الهمزة: اسم قرية من البصرة.

«قلنا: نعم، قال: من يضمن لي منكم»؛ أي: من يقبل؟ استفهامٌ للالتماس والسؤال.

«أن يصليَ لي في مسجد العَشَّار»: بفتح العين والشين المعجمة المشددة.

«ركعتين أو أربعاً، ويقولَ»: بالنصب معطوفاً على أن (يصلي).

«هذه»: إشارة إلى الصلاة التي عهد بها أبو هريرة.

«لأبي هريرة»: أراد بهذا القول فضيلة الصلاة في هذا المسجد.

«سمعت خليلي أبا القاسم ﷺ»: قيل: قوله: (خليلي) لا يخلو عن ترك الأدب؛ لقوله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذتُ أبا بكر خليلاً».

قلت: لا يتم أنه ترك الأدب؛ لأنه لا يلزم من اتخاذ أبي هريرة رسولَ الله ﷺ خليلاً اتخاذُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبا هريرة خليلاً، والممنوع هذا، لا العكس.

«يقول إن الله ﷻ: يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم مع

شهداء بدر غيرهم.

قال أبو داود: «هذا المسجد مما يلي النهر»: وهو نهر الفرات.

* * *

٣ - باب
أشراط السَّاعَة

«باب أشراط الساعة» جمع شَرَط بالتحريك، وهي العلامة؛ أي: علامات الغنيمة.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٩٤ - قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعةِ أنْ يُرْفَعَ العِلمُ، ويَكْثُرَ الجهلُ، ويكثُرَ الزِّنا، ويَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، ويَقِلَّ الرِّجالُ، ويَكْثُرَ النِّساءُ، حتَّى يَكونَ لخَمْسينَ امرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ».

وفي رِوايةٍ: «يَقِلُّ العِلمُ ويَظهَرُ الجَهْلُ».

«من الصحاح»:

«عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن من أشراط الساعة: أن يُرفَعَ العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأةً القيمُ الواحد»: المراد به: القائم بمصالحهن، لا أنْ يَكُنَّ زوجات له، بل يَكُنَّ زوجاته وأمهاته وجداته وأخواته وعماته وخالاته إلى غير ذلك.

«وفي رواية: يقل العلم، ويظهر الجهل».

* * *

٤١٩٥ ـ عن جابرِ بن سَمُرَةَ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعةِ كذَّابينَ فاحْذَرُوهُم».

«عن جابر بن سمرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن بين يدي الساعة كذَّابين فاحذروهم»: يريد بهم: من قلَّ علمه وكثر جهله، وأتى بالموضوعات من الأحاديث، وادَّعى النبوة، أو دعوى فاسدة، واعتقادات باطلة، وأسندها إليه ﷺ، كأهل البدع والأهواء الباطلة.

* * *

٤١٩٦ ـ عن أبي هُريرةَ قال: بَيْنَما النَّبيُّ ﷺ يُحَدِّثُ إذْ جاءَ أَعْرابيٌّ قال: متَى السَّاعةُ؟ قالَ: «فإذا ضُيعَتِ الأَمانةُ فانتظِرِ السّاعةَ». قالَ: كَيْفَ إضاعتُها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ فانتظِرِ السَّاعةَ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما النبيُّ ﷺ يحدث: جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ قال: إذا ضُيعت الأمانةُ فانتظر الساعةَ، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِدَ الأمرُ»؛ أي: فُوِّض الحكم من سلطنة أو إمارة أو قضاء.

«إلى غير أهله»؛ أي: إلى من ليس لها بأهل، كما في أيامنا هذه.

«فانتظر الساعة».

* * *

٤١٩٧ ـ وقالَ: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يكثُرَ المالُ ويَفِيضَ حتَّى يُخْرِجَ الرَّجُلُ زكاةَ مالِهِ فلا يَجِدُ أَحَداً يقبَلُها منهُ، وحتَّى تَعُودَ أَرْضُ العَرَبِ مُروجاً وأَنْهاراً».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يكثر المال فيفيض، حتى يُخرِجُ الرجلُ زكاةَ ماله، فلا يجد أحداً يقبلها منه»: وذلك يكون لانعدام

رغبة الناس في الأموال؛ لتعاقب أشراط الساعة وظهور الأهوال.

«وحتى تعودُ أرض العرب مُرُوجاً»؛ أي: رياضاً ومزارع.

«وأنهاراً»: قيل: كانت أكثر أراضيهم أولاً مروجاً وصحارى ذات مياه وأشجار، فخربت، ثم تكون معمورة باشتغال الناس في آخر الزمان بالعمارة، وقيل: المراد بأرض العرب: هي المدينة.

* * *

٤١٩٨ ـ وقالَ: «تَبْلُغُ المَساكِنُ إهابَ أوْ يَهابَ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: تبلغ المساكنُ»؛ أي: مساكن المدينة.

«إهاب»: بكسر الهمزة.

«أو يِهاب»: بكسر النون: اسما موضعين بنواحي المدينة على أميال، وهما إن رُويا منصرفين فباعتبار المكان كـ (واسط)، وإن مُنِعا الصرفَ فللتأنيث والعلمية كـ (بغداد) و(دمشق).

والمعنى: لا تقوم الساعة حتى تبلغ مساكن أهل المدينة لكثرتهم وكثرة عمرانهم إلى ذلك الموضع.

* * *

٤١٩٩ ـ وقالَ: «يكونُ في آخرِ الزَّمانِ خليفةٌ يَقْسِمُ المالَ ولا يَعُدُّهُ».

وفي رِوايةٍ: «يكونُ في آخرِ أُمَّتي خَليفةٌ يَحْثِي المالَ حَثْياً لا يَعُدُّهُ عَدّاً».

«عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر الزمان خليفةٌ يقسم المال ولا يعده عداً»؛ أي: يعطي جُزافاً من غير عد وإحصاء، ويحتمل أن يكون من الإعداد، وهو: جعل الشيء عدة وذخيرة؛ أي: لا يدَّخرُ

لغد، ولا يكون له خزانة، كفعل الأنبياء عليهم السلام.

والسر فيه: أن ذلك الخليفة تظهر له كنوز الأرض، أو يعلم الكيمياء، أو يكون من كرامته أن ينقلب الحجر والنحاس ذهباً كرامةً، كما رُئِيَ من الأولياء.

«وفي رواية: يكون في آخر أمتي خليفةٌ يحثي المال حثياً»؛ أي: يعطي بالكفين،

«ولا يعده عداً».

* * *

٤٢٠٠ ـ وقالَ: «يُوشِكُ الفُراتُ أَنْ يَحْسِرَ عن كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فمنْ حَضَرَ فلا يأْخُذْ منهُ شيئاً».

«عن أبي بن كعب وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يوشك الفرات»؛ أي: يقرب.

«أن يحسِرَ»؛ أي: يكشف.

«عن كنز من ذهب، فمن حضر فلا يأخذ منه شيئاً»: وإنما نهى عن الأخذ؛ لأنه يحتمل أنه مال مغضوب عليه كمال قارون، فيحرم الانتفاع به، أو لأنه مال اقتتل عليه، كما ذكر بعده، فنهى دفعاً لثائرة الفتنة.

* * *

٤٢٠١ ـ وقال: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يَحْسِرَ الفُراتُ عنْ جَبلٍ منْ ذَهَبٍ، يَقتتِلُ النَّاسُ عليهِ، فيُقتَلُ مِنْ كلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وتِسعونَ، ويقولُ كلُّ رَجُلٍ منهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أنا الذي أنْجُو».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله عليه ﷺ: لا تقوم الساعة حتى

يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيُقتَلُ من كل مئة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أن أكون أنا الذي أنجو»؛ أي: يرجو كل واحد أن يكون هو الناجي، فيقتل رجاء أن ينجو، فيأخذ المال.

* * *

٤٢٠٢ ـ وقالَ: «تَقيءُ الأَرْضُ أفْلاذَ كبِدِها أمثالَ الأُسْطُوانِ منَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، فيَجِيءُ القاتِلُ فيقولُ: في هذا قَتَلْتُ، ويَجِيءُ القَاطِعُ فيقولُ: في هذا قَطَعْتُ رَحِمي، ويَجِيءُ السَّارِقُ فيقولُ: في هذا قُطِعَتْ يَدي، ثم يَدَعُونَهُ فلا يَأْخُذونَ منهُ شيئاً».

«**وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: تقيء الأرض**»؛ أي: تُخرِج.

«**أفلاذ كبدها**»: فلذة البعير: قطعة من كبده طولاً، والمراد الكنوز المدفونة فيها، شبهها بالكبد الذي في بطن البعير؛ لأنه من أطيب الجزور عند العرب، أو أراد ما رسخ فيها من العروق المعدنية، يؤيِّده قوله: «**أمثالَ الأُسطوان من الذهب والفضة**»: نصب (أمثالَ) على الحال من أفلاذ، تقديره: شابهها حال كونها أمثال الأسطوان، أو بدلاً عنها.

و(الأسطوان) بضم الهمزة والطاء: السواري، جمع سارية، وهي العمود، والواحد: أسطوانة.

«**فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعَت يَدي، ثم يدعونه**»؛ أي يتركونه، «**فلا يأخذون منه شيئاً**».

* * *

٤٢٠٣ ـ وقالَ: «والذي نَفْسِي بيدِه، لا تَذْهَبُ الدُّنيا حتَّى يمُرَّ الرَّجُلُ على القَبْرِ فيَتمرَّغُ عليهِ ويقولُ: يا لَيْتَنِي كنتُ مَكانَ صاحِبِ هذا القَبْرِ، وليسَ بهِ الدِّينُ إلا البَلاءُ».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمرَّ الرجل على القبر، فيتمرغ عليه»؛ أي: يتمعَّك على رأس القبر، ويتقلَّب في التراب.

«ويقول: يا ليتني مكانَ صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين»: الواو للحال، و(الدين) بكسر الدال: هو العادة.

«إلا البلاءُ»؛ أي: يتمرغ ويتمنى الموت في حالة ليس التمرغ من عادته؛ وإنما حمله عليه شدة البلاء، وكثرة الفتن والمحن.

* * *

٤٢٠٤ ـ وقالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَخرُجَ نارٌ منْ أَرْضِ الحِجازِ تُضيءُ أَعْناقَ الإبِلِ ببُصْرَى».

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تَخرُجَ نار من أرض الحجاز تضيء»؛ أي: تضيء الجو حتى يتضح بها.

«أعناقُ الإبل» في سواد الليل: جمع عَنَق بفتح العين والنون، وهو الجماعة.

وقيل: جمع عنق بضمتين، وهو العضو المعروف.

«ببصرى»؛ أي: بأرض بصرى ـ بضم الباء ـ مدينة معروفة بالشام، بينها وبين دمشقَ نحو ثلاث مراحل، تخصيصها بالذكر دون غيرها من البلاد من أسرار النبوة، قيل: قد خرجت هذه النار سنة أربع وخمسين وست مئة من

الحجاز من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وقريب من المدينة، فسطعت واشتعلت حتى أحرقت أكثر بنيان المدينة، ولبثت نحواً من خمسين يوماً تتقد، وكانت تُرمى بالحجارة المحمرة بالنار من بطن الأرض إلى ما حولها.

* * *

٤٢٠٥ ـ وقالَ: «أَوَّلُ أَشْراطِ السَّاعةِ نارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ».

«**وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أولُ أشراطِ الساعة نارٌ تحشر الناس**»؛ أي: تسوقهم.

«**من المشرق إلى المغرب**»: قيل: أراد بالنار في هذا الحديث: نار الفتن والحروب، كفتنة الجيوش التاتارية السائرة من المشرق إلى حدود المغرب؛ فلا منافاة بين الحديثين، وفي ذكر النار تنبيهٌ على عظم تلك الفتن.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٢٠٦ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يَتقارَبَ الزَّمانُ، فتكونُ السَّنَةُ كالشَّهْرِ، والشَّهْرُ كالجُمُعةِ، وتكونُ الجُمُعةُ كاليَوْمِ، ويكونُ اليَوْمُ كالسَّاعةِ، وتكونُ السَّاعةُ كالضَّرْمَةِ بالنَّارِ».

«**من الحسان**»:

«**عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يتقاربَ الزمان، فتكونُ السنة كالشهر، والشهرُ كالجمعة، وتكونُ الجمعة كاليوم، ويكونُ اليومُ كالساعة، وتكون الساعة كالضَّرمَة بالنار**»؛ أي: كزمان إيقاد الضرمة، وهي ما توقد به النار أولاً، كالشعلة من الحشيش والكبريت والقصب

ونحو ذلك في سرعة انقضائها، وذلك قيل: لقصر الزمان، وقيل: لكثرة النعم، وقيل: هو محمول على ما يهمهم من النوازل، لا يدرون كيف تنقضي أيامهم ولياليهم، فإن الإنسان إذا استولت عليه الهموم والأفكار، فهو لا يدري أسبوعيه من أسبوعه ونحوهما.

* * *

٤٢٠٧ ـ عن عبدِالله بن حَوالةَ قال: بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ لِنَغْنَمَ علَى أَقْدامِنا، فَرَجَعْنا فلمْ نَغْنَمْ شَيْئاً، وعَرَفَ الجَهْدَ في وُجوهِنا، فقامَ فينا فقالَ: «اللهمَّ لا تَكِلْهُمْ إليَّ فأَضْعُفَ عنهُمْ، ولا تَكِلْهُمْ إلى أنفُسِهِمْ فيَعْجِزُوا عنهـا، ولا تَكِلْهُم إلى النَّاسِ فيَستأْثِروا عليهمْ». ثمَّ وَضَعَ يدَهُ علَى رأْسِي ثُمَّ قال: «يا ابن حَوالَةَ! إذا رأيتَ الخِلافةَ قدْ نزلَت الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ، فقدْ دَنَتِ الزَّلازِلُ والبَلابِـلُ والأُمورُ العِظامُ، والسَّاعةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ منَ النَّاسِ منْ يَدِي هذهِ إلى رأْسِكَ».

«عن عبدالله بن حوالة»: بفتح الحاء المهملة وتخفيف الواو.

«قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنغنم على أقدامنا» في موضع الحال؛ أي: رجالة.

«فرجعنا فلم نغنم شيئاً، وعرف الجهدُ»، وهو بالضم: الطاقة، وبالفتح: المشقة.

«في وجوهنا، فقام، فقال: اللهم لا تكِلْهم إلي، فأَضْعُفَ عنهم»: بالنصب جواباً للنهي.

«ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجِزُوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم»؛ أي: يختاروا لأنفسهم الجيد، ويدفعوا الرديء إلى أمتي، وفي هذا الدعاء تعليم منه ﷺ لأمته حتى يكلوا أمورهم وحوائجهـــم إلى الله تعـــالى،

ولا يعتمدون على غيره تعالى؛ لأنه تعالى كفاهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

«**ثم وضع يده على رأسي ثم قال: يا ابن حَوَالة! إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرضَ المقدسة**»؛ أي: المطهرة من الذنوب، وهي أرض الشام.

«**فقد دنتِ**»؛ أي: قربت.

«**الزلازلُ**»: جمع زلزلة، وهي الحركة.

«**والبلابل**»: جمع بلبلة، وهي الهم ووسوسة الصدور.

«**والأمورُ العظامُ، والساعةُ يومئذ أقربُ من الناس من يَدِي هذه إلى رأسك**».

* * *

٤٢٠٨ ـ وعن أبي هُريرَةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا اتُّخِذَ الفَيْء دُوَلاً، والأَمانةُ مَغنَماً، والزَّكاةُ مغرماً، وتُعُلِّمَ لغيرِ دِينٍ، وأَطاعَ الرَّجُلُ امرأتَهُ، وعَقَّ أُمَّهُ، وأَدْنَى صَديقَهُ، وأَقْصَى أباهُ، وظَهَرتِ الأَصْواتُ في المَساجِدِ، وسَادَ القَبيلةَ فاسِقُهُمْ، وكانَ زَعيمُ القَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخافَةَ شَرِّه، وظَهَرتِ القَيْناتُ والمَعازِفُ، وشُرِبَتِ الخُمورُ، ولَعَنَ آخِرُ هذِه الأُمَّةِ أَوَّلَها، فارتَقِبُوا عِنْدَ ذلكَ رِيْحاً حَمْراءَ، وزَلْزَلَةً وخَسْفاً ومَسْخاً وقَذْفاً، وآياتٍ تتابَعُ كنِظامٍ قُطِعَ سِلْكُهُ فتتابَعَ».

«**عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا اتخذ الفيء**»؛ أي: الغنيمة.

«**دولاً**» بكسر الدال وفتح الواو: جمع دولة بالضم والفتح.

قال الزهري: الدولة بالضم: اسم لما يتناول من المال؛ يعني: الفيء،

وبالفتح: الانتقال من حال البؤس والضر إلى حال الغبطة والسرور.

ومعنى الحديث: أنه إذا كان الأغنياء وأصحاب المناصب يتداولون أموال الفيء؛ أي: يقتسمونها بينهم، ويمنعونها مستحقها، كما هو عادة الجاهلية، ويغزون لطلب الغنيمة، لا لإعلاء الدين.

«والأمانة مغنماً»؛ أي: ذهب الناس بودائع بعضهم بعضاً وأماناتهم، فيتخذونها مغانم يغتنمونها.

«والزكاة مغرماً»؛ أي: يعدون الزكاة غرامة تؤخذ منهم؛ أي: يشق عليهم أداؤها، كما يشق عليهم أداء الغرامات.

«وتعلم لغير دين»؛ أي: تعلم العلم؛ ليطلب المناصب والحُطام الدنيوي.

«وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه»: خصَّ عقوق الأم بالذكر، وإن كان عقوق كل من الأبوين من الكبائر؛ لتأكيد حقها، أو لكون قوله بعد: «وأقصى أباه»؛ أي: أبعده بمنزلة قوله: (وعق أباه)، فيكون عقوقهما مذكوراً.

«وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم»؛ أي: المتكفل بأمرهم.

«أرذلهم»: والأرذل من كل شيء: رديئه.

«وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات»: وهي بفتح القاف وسكون الياء: المغنيات.

«والمعازف» بفتح الميم والعين المهملة وكسر الزاي المعجمة: اللهو واللعب.

«وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فارتقبوا»؛ أي: فانتظروا عند ذلك.

«ريحاً حمراء»؛ أي: شديدة.

«وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً»؛ أي: مطر السوء والبرد، وجاز أن يراد به نوع من البلاء.

«وآيات تتابع»؛ أي: علامات للقيامة يتبع بعضها بعضاً.

«كنظام»؛ أي: كعقد «قُطع سلكه فتتابع».

* * *

٤٢٠٩ ـ ورُوِي عن عَلِيٍّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا فَعَلَتْ أُمَّتي خَمْسَ عشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بها البَلاءُ» وعدَّ هذه الخِصَالَ ولم يَذْكُرْ: «تُعُلِّمَ لغَيْرِ دِينٍ»، وقالَ: «وبَرَّ صَدِيقَهُ، وجَفا أباهُ»، وقالَ: «وشُرِبَ الخَمْرُ، ولُبِسَ الحَريرُ».

«وروي عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء وعدَّ»؛ أي: النبي عليه الصلاة والسلام.

«هذه الخصال ولم يذكر»؛ أي: علي ﷺ.

«تعلم لغير دين وقال»؛ أي: علي ﷺ.

«وبر صديقه»: مقام (أدنى)، «وجفا أباه»: مقام (أقصى)، وهذا من كلام الراوي عن علي ﷺ.

«وقال: وشربت الخمور ولبس الحرير».

* * *

٤٢١٠ ـ عن عبدِالله بن مَسْعودٍ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَذْهَبُ الدُّنيا حتَّى يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ منْ أَهْلِ بَيْتي يُواطِئُ اسمُهُ اسمِي».

وفي رِوايةٍ: «لوْ لَمْ يَبْقَ منَ الدُّنيا إلاَّ يَوْمٌ لَطَوَّلَ الله ذلكَ اليَوْمَ حتَّى يَبْعَثَ فيهِ رَجُلاً منِّي ـ أوْ منْ أَهْلِ بَيْتي ـ يُواطِئُ اسمُهُ اسمِي، واسمُ أبيهِ اسمَ أبي، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وجَوْراً».

«عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله عليه وسلم: لا تذهب الدنيا حتى يملك العربَ»: منصوب على أنه مفعول (يملك)، وفاعله «رجل من أهل بيتي»: يريد أنه يملك العرب والعجم جميعاً، وذكر العرب؛ لغلبتهم في زمانه ﷺ.

«يواطئ »؛ أي يوافق

«اسمه اسمي».

«وفي رواية: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني ـ أو من أهل بيتي ـ يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه أبي، يملأ الأرض قسطاً»: وهو بكسر القاف: العدل وبالفتح: الجور.

«وعدلاً كما مُلئت جَوْراً وظلماً».

* * *

٤٢١١ ـ عن أُمِّ سَلَمَةَ قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «المَهْدِيُّ منْ عِتْرَتي مِنْ وَلَدِ فاطِمَةَ».

«عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهدي من عترتي من أولاد فاطمة رضي الله عنها»: عترة الرجل: نسله ورهطه الأقربون.

قال الخطابي: العترة: ولد الرجل من صُلْبه، وقد يكون للأقرباء وبني العمومة.

* * *

٤٢١٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «المَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الجَبْهَةِ أَقْنَى الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وعَدْلاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وجَوْراً، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنين».

«عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي مني أجلى الجبهة»؛ أي: واسع الجبهة.

«أقنى أنف»؛ أي: مرتفع الأنف، وكلاهما صفتا مدح، وقيل: في أنفه فطوسة.

«يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلِئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين».

* * *

٤٢١٣ ـ وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ، عن النَّبيِّ ﷺ في قِصَّةِ المَهْدِيِّ قالَ: «فيَجيءُ إليهِ الرَّجُلُ فيقولُ: يا مَهدِيُّ أَعْطِني أَعْطِني، فيَحْثِي لهُ في ثَوبه ما استَطاعَ أنْ يَحْمِلَه».

«عن أبي سعيد ﷺ، عن النبي ﷺ في قصة المهدي قال: فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، قال: فيحثي له»؛ أي: المهدي للرجل «في ثوبه ما استطاع أن يحمله».

* * *

٤٢١٤ ـ عن أُمِّ سَلَمَةَ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يكونُ اختِلافٌ عِنْدَ مَوتِ خَليفَةٍ، فيَخرُجُ رَجُلٌ مِنْ أهلِ المَدينةِ هارِباً إلى مكَّةَ، فيأتيهِ ناسٌ مِنْ أهلِ مَكَّةَ فيُخْرِجونَهُ وهو كارِهٌ، فيُبايعونَهُ بينَ الرُّكْنِ والمَقامِ، ويُبْعَثُ إليهِ بَعْثٌ مِنَ الشَّامِ، فيُخْسَفُ بهِمْ بالبَيْداءِ بينَ مكَّةَ والمَدينةِ، فإذا رأَى النَّاسُ ذلكَ أتاهُ أَبْدالُ الشَّامِ وعَصَائِبُ أَهْلِ العِراقِ فيُبايعونَهُ، ثُمَّ يَنْشأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيشٍ، أَخْوَالُه كَلْبٌ، فيَبْعَثُ إليهم بَعْثاً فيَظهرونَ عَلَيهِمْ، وذلكَ بَعْثُ كَلْبٍ، ويَعْمَلُ في النَّاسِ بِسُنَّةِ نبيِّهِمْ، ويُلقي الإِسلامُ بجِرانِهِ إلى الأَرْضِ، فيَلبَثُ سبعَ سِنينَ، ثمّ يَتَوفَّى ويُصلِّي عليهِ المُسْلمونَ».

«عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه»؛ أي: ذلك الرجل.

«ناس من أهل مكة»: بعد ظهور أمره لهم ورفعة شأنه.

«فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث»؛ أي: جيش.

«من الشام، فيخسف بهم بالبيداء»؛ أي: يخسف الله بهم أرضاً يقال له: البيداء، وهي أرض ملساء.

«بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام»: وهم الأولياء، وفي «صحاح الجوهري»: الأبدال: قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، وسموا بذلك؛ لأنه كلما مات منهم واحداً بدل الله به آخر.

«وعصائب أهل العراق»: جمع عصابة، وهي الجماعة من العشرة إلى الأربعين، يقوم بعضهم بأمر بعض، وكذلك العُصْبة، وقيل: يريد بالعصائب:

جماعة من الزهاد؛ لأنه ﷺ قرنهم بالأبدال، وقيل: يحتمل إرادة خيار الناس بالعصائب، من قولهم: هم من عصب القوم؛ أي: خيارهم.

«**فيبايعونه، ثم ينشأ**»؛ أي: يظهر.

«**رجل من قريش أخواله كلب**»: يريد أن ذلك الرجل القرشي يكون من قبيلة كلب، فيكون بنو كلب أخواله، فينازع المهدي في أمره، ويستعين عليه بأخواله من بني كلب.

«**فيبعث إليهم**»؛ أي: الرجل القرشي إلى المبايعين.

«**بعثاً**»؛ أي: جيشاً.

«**فيظهرون عليهم**»؛ أي: يغلب المبايعون على بعث القرشي.

«**وذلك**»؛ أي: البعث الذي بعثه القرشي.

«**بعث كلب**»: لينصروا به ابن أختهم.

«**ويعمل في الناس بسنة نبيهم، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض**»: الجران بكسر الجيم: باطن عنق البعير، يقال: ألقى البعير جرانه على وجه الأرض: إذا برك واستقر وصار مستريحاً، وهذا كناية عن تمكن الإسلام وقراره، فلا يكون فتنة ولا هيج، وجرت أحكامه على السنة والاستقامة والعدل.

«**فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون**».

* * *

٤٢١٥ - عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: «ذكَر رسولُ الله ﷺ بلاءً يُصيبُ هذِهِ الأُمَّةَ حتَّى لا يَجدَ الرَّجُلُ مَلْجَأً يَلْجَأُ إليهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ الله رَجُلاً، مِنْ عِتْرَتِي أهلِ بَيتي، فَيَمْلأُ بِهِ الأَرضَ قِسْطاً وعَدْلاً كما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، يَرضَى عنهُ ساكِنُ السَّماءِ، وساكِنُ الأَرْضِ، لا تَدعُ السَّماءُ مِنْ قَطْرِها شَيْئاً إلاَّ صبَّتْهُ

مِدْراراً، ولا تَدَعُ الأرضُ مِنْ نَبَاتِها شَيْئاً إلاَّ أَخْرَجَتْهُ، حتَّى تَتَمَنَّى الأَحياءُ الأمواتَ، يعيشُ في ذلكَ سَبْعَ سِنينَ، أو ثَمانِ سِنينَ، أو تِسعَ سِنينَ».

«عن أبي سعيد ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ بلاء»: بالنصب مفعول (ذكر).

«يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي وأهل بيتي، فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلِئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تَدَعُ السماء»؛ أي: لا تترك.

«من قطرها شيئاً إلا صبَّته مِدْراراً»: وهو بكسر الميم: الكثير الدر، منصوب على الحال من (السماء)، يستوي فيه المذكر والمؤنث.

«ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته، حتى يتمنى الأحياء»: بالرفع فاعل (يتمنى).

«الأمواتَ»: مفعول به؛ أي: حياة الأموات؛ ليروا ما هم فيه من الخير والأمن ليشاركوهم فيه.

«يعيش»؛ أي: هذه الأمة.

«في ذلك»؛ أي: في المذكور من العدل وأنواع الخيرات والأفعال المحمودة.

«سبع سنين، أو ثمان سنين، أو تسع سنين»: (أو) هذه للشك من الراوي، وقيل: للتنويع كقوله تعالى: ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٣٣]، وفي صحته نظر.

* * *

٤٢١٦ - عن عليٍّ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَراءِ

النَّهر يقالُ له الحارِثُ بن حَرَّاثٍ، على مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ يقالُ لهُ: مَنْصُورٌ، يُوَطِّنُ ـ أو يُمَكِّنُ ـ لآلِ مُحَمَّدٍ كما مكَّنَتْ قُرَيْشٌ لِرَسولِ الله ﷺ، وَجَبَ علَى كلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُه، أو قال: إِجابَتُهُ».

«عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج رجل من وراء النهر يقال له: الحارث حراث»: صفة لرجل؛ أي: أكَّار.

«على مقدمته»؛ أي: جيشه «رجل يقال له: المنصور».

«يوطِّن أو يمكِّن لآل محمد»: (أو) هذه لشكِّ الراوي، أو بمعنى: الواو، ويقال: وطنته جعلت له وطناً، وقد تستعمل في معنى: تهيئة الأسباب.

«كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ»: أريد بهم: من آمن منهم، وإلا فكفار قريش أخرجوه من مكة، ولم يوطنوه، ويدخل في التمكين أبو طالب، وإن لم يؤمن على رأي أهل السنة.

«وجب على كل مؤمن نصره، أو قال: إجابته»: (أو) هذه للشك أيضاً.

* * *

٤٢١٧ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «والذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى تُكلِّمَ السِّباعُ الإنْسَ، وحتَّى تُكلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وشِرَاكُ نَعْلِهِ، وتُخبِرَهُ فَخِذُهُ بما أَحْدَثَ أهلُهُ بَعْدَهُ».

«عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلِّمَ السباعُ الإنسَ، وحتى تكلم الرجلَ عَذَبَةُ سوطه»؛ أي: علاقة سوطه.

«وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده»؛ أي: في غيبته.

٤ ـ باب

العلاماتِ
بين يدَي السَّاعةِ، وذِكْرُ الدَّجَّالِ

«باب العلامات بين يدي الساعة»؛ أي: قدامها «وذكر الدجال».

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٢١٨ ـ عن حُذَيْفَةَ بن أَسِيدٍ الغِفارِيِّ ﷺ قالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ علَيْنا ونحنُ نتَذَاكرُ فقال: «ما تذْكرون؟» قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قال: «إنَّها لنْ تَقُومَ حتَّى ترَوْا قبْلَها عَشْرَ آياتٍ». فَذَكَرَ الدُّخانَ، والدَّجَّالَ، والدَّابَّةَ، وطُلوعَ الشَّمْسِ من مَغرِبها، ونُزولَ عيسىَ بن مَرْيَمَ، ويأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، وثلاثةَ خُسوفٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وخَسْفٌ بجَزيرَةِ العَرَبِ، وآخِرُ ذلكَ نارٌ تَخْرُجُ منَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِمْ».

ويُروَى: «نارٌ تَخْرُجُ منْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إلى المَحْشَرِ».

وفي رِوايةٍ في العاشِرةِ: «ورِيحٌ تُلقي النَّاسَ في البَحْرِ».

«من الصحاح»:

«عن حذيفة بن أَسيد ﷺ» بفتح الهمزة: على وزن (رشيد) = الغفاري.

«قال: اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر»؛ أي: النبي عليه الصلاة والسلام.

«الدخان»: قال ابن مسعود: وهو عبارة عما أصاب قريشاً من القحط حتى يرى الهواء لهم كالدخان.

وقال حذيفة: هو على حقيقته؛ لأنه ﷺ سُئِل عنه، فقال: «يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة، والمؤمن من يصير كالزكام، والكافر كالسكران».

«والدجال»: مأخوذ من الدَّجَل، وهو السحر، أو السير؛ فإنه سيَّاح يقطع أكثر نواحي الأرض في زمان قليل.

«والدابة»: روي: أن طولها ستون ذراعاً، وفيها من كل لون، وما بين قرنيها فرسخ للراكب، معها عصى موسى وخاتم سليمان، لا يدركها طالب، ولا يفوت عنها هارب، قيل: لها ثلاث خرجات:

أولها: في أيام المهدي، تفزع الناس.

وثانيها: في أيام عيسى عليه السلام، تطهر الأرض من المنافقين.

وثالثها: بعد طلوع الشمس من مغربها؛ لتميز بين الكافرين والمسلمين، فتشير بالعصا، فتبيض بها وجوه المؤمنين، وتشير بالخاتم، فتسود به وجوه الكافرين.

«وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج»: هما قبيلتان من أولاد يافث بن نوح، وهم تسع أعشار بني آدم؛ لأنه لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صُلْبه يحملون السلاح.

«وثلاثة خسوف؛ خسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بجزيرة العرب، وآخرُ ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس»؛ أي: تسوقهم.

«**إلى محشرهم**»: قيل: هو بيت المقدس.

«**ويروى: نار تخرج من قعر عدن**»: وهي مدينة باليمن، وقعرها: أقصى أرضها.

«**تسوق الناس إلى المحشر، وفي رواية: في العاشرة وريح تلقي الناس في البحر**».

* * *

٤٢١٩ ـ وقال: «بادِرُوا بالأَعْمالِ سِتّاً: الدُّخانَ، والدَّجَّالَ، ودابَّةَ الأَرْضِ، وطُلوعَ الشَّمسِ منْ مَغرِبـهَا، وأَمْرَ العامَّةِ، وخُوَيْصَّةَ أحَدِكُم».

«**وعن أنس وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: بادروا بالأعمال ستاً**»؛ أي: ست آيات؛ أي: أسرعوا بالأعمال الصالحة قبل ظهور الآيات الست؛ لأن ظهورها يوجب عدم قبول التوبة؛ لكونها ملجئة إلى الإيمان.

«**الدخان، والدجّال، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة**»: يريد به: القيامة الكبرى بين العامة، وقيل: الفتنة التي تعم الناس.

«**وخويصة أحدكم**»: تصغير خاصة، وهي: ما يختص به الإنسان من الشواغل المقلقة في نفسه وأهله وماله وما يهتم به، وقيل: هي الموت الذي يخص الإنسان، ويمنعه من العمل، وصُغِّرت لاستصغارها في جنب سائر الحوادث العظام من البعث والحساب وغير ذلك.

* * *

٤٢٢٠ ـ عن عبدِالله بن عَمْرٍو قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ أَوَّلَ الآياتِ خُرُوجاً طُلوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبـها، وخُروجُ الدَّابَّةِ علَى النَّاسِ ضُحًى، وأيَّتُهما ما كانتْ قبلَ صاحِبَتِها فالأُخرَى علَى أَثَرِها قَرِيباً».

«عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن أول الآيات خروجاً»: نصب على التمييز.

«طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضُحى»؛ أي: وقت ضحى.

«وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أَثَرِها قريباً».

* * *

٤٢٢١ ـ عن أبي هُريرَةَ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثٌ إذا خَرَجْـــنَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: طُلوعُ الشَّمْسِ من مَغرِبـها، والدَّجَّالُ ودابَّةُ الأَرْضِ».

«عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث»؛ أي: ثلاث آيات.

«إذا خرجن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: طلوع الشمس من مغربها، والدجَّال، ودابة الأرض».

* * *

٤٢٢٢ ـ وقال: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ منْ مغرِبـها، فإذا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وذلكَ حينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾» ثمّ قرأَ الآيةَ.

«وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناسُ، آمنوا أجمعون»: تأكيد للضمير في (آمنوا).

«وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها»: إذ طلوع الشمس من مغربها من

أحكام الساعة، وظهور الساعة علامة انقضاء التكليف، فلا ينفعُ ما كان بعد الإلجاء.

«ثم قرأ الآية»: وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾[الأنعام: ١٥٨] الآية.

* * *

٤٢٢٣ ـ وعن أبي ذَرٍّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ حِينَ غَرَبَت الشَّمْسُ: «أتَدْرِي أينَ تَذْهَبُ هذه؟» قلتُ: الله ورسولُهُ أعلَمُ، قال: «فإنَّهَا تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرشِ، فتستأْذِنُ فيُؤْذَنُ لها، ويُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ فلا يُقبَلُ مِنها، وتَسْتَأْذِنَ فلا يُؤذنَ لها، ويقالُ لها: ارجِعي منْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ منْ مَغرِبِها، فذلكَ قولُهُ تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾. قال: مُسْتَقَرُّها تَحْتَ العَرْشِ».

«**عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش**»: قيل: سجدة الشمس تحت العرش؛ ليجدد لها نورٌ.

«**فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾[يس: ٣٨]**»: قال الخطابي في «شرح السنة»: قال أهل التفسير من أهل المعاني: فيه قولان:

أحدهما: أن معنى (لها)؛ أي: لأجل قُدِّر لها؛ أي: إلى انقطاع مدة بقاء العالم.

وثانيهما: مستقرها غاية منتهاها صعوداً وارتفاعاً لأطول يوم من الصيف، ثم تأخذ نزولاً إلى أقصى مشارق الشتاء لأقصر يوم في السنة.

«قال ﷺ: مستقرها تحت العرش»: أخبر به الصادق عليه الصلاة والسلام، فلا ينكر أن يكون لها استقرارٌ تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده؛ لأن علمنا لا يحيط به.

* * *

٤٢٢٤ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «ما بينَ خَلْقِ آدَمَ إلى قِيامِ السَّاعةِ أمْرٌ أكْبَرُ منَ الدَّجَّالِ».

«**وعن هشام بن حكم ﷺ قال: قال رسول الله عليه وسلم: ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أكبرُ من الدجّال**»: (ما) هذه نافية؛ أي: ليس فتنة أعظم منها.

* * *

٤٢٢٥ ـ عن ابن عُمَرَ قالَ: قامَ رسولُ الله ﷺ في النَّاسِ فأَثْنَى علَى الله بما هو أَهْلُهُ، ثمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فقال: «إنِّي لأُنذِرُكُموهُ، وما منْ نَبيٍّ إلاَّ أنذرَ قومَهُ، لقدْ أَنْذَرَ نوحٌ قَوْمَهُ، ولكنْ أَقُولُ لكُمْ فيهِ قَوْلاً لمْ يقُلْهُ نبيٌّ لقومِهِ، تَعْلَمونَ أنَّهُ أَعْوَرُ وأنَّ الله ليسَ بأَعْوَرَ».

«**عن ابن عمر ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ في الناس**»؛ أي: خطب فيهم.

«**فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجَّال، فقال: إني لأُنذرُكُموه**»؛ أي: أحذركم من الدجَّال، وإنما أنذر أمته ﷺ؛ لأن خروجه في شدة من الزمان، وعسر من الحال، وأنه يستولي على أموالهم ومواشيهم، فحذر منه عليه الصلاة والسلام؛ لئلا يختلج في قلب أحدِ الترخُّصُ في اتباعه بالظاهر دون الباطن على تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل: ١٠٦]؛ فإن متابعته مصروف عنها؛ إذ لم يأتِ في شيء من الأخبار رخصة في اتباعه.

«وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون»: خبر بمعنى الأمر؛ أي: اعلموا.

«أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»: فإن قيل: ما الحكمة في أنه خُلِق أعور؟

قلنا: لأنه لو كان بآفة أخرى غير العور، لم يكن ظاهراً بين الناس، ويدل أيضاً على كذبه وسحره.

فإن قيل: لو كان أعمى لكان أظهر من العور، فلم لم يُخلَق أعمى؟

قيل: لأنه قدَّر الله سبحانه وتعالى إضلالَ قوم به، ولو كان أعمى، لم يكن له منه إغواء وإضلال.

* * *

٤٢٢٦ ـ وقالَ: «إنَّ الله لا يَخْفَى عَلَيكُمْ، إنَّ الله ليسَ بأَعْوَرَ، وإنَّ المَسيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيةٌ».

«وقال: إن الله تعالى لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وإن المسيح الدجَّال»: سمي مسيحاً؛ لأنه ممسوح عن جميع الخير، أو لأن إحدى عينيه ممسوحة، وعلى التقديرين فهو فعيل بمعنى: مفعول، أو لأنه يتردد في جميع الأرض إلا مكة والمدينة، فهو فعيل بمعنى: فاعل ووصف المسيح بالدجال؛ لأن المسيح وصف غلب على عيسى بن مريم عليه السلام، فوصف به ليتميز المِحقُّ عن المبطِلِ.

«أعور عين اليمنى، كأن عينَهُ عنبةٌ طافية»: وهي الناتئة المرتفعة عن أخواتها، يريد: أن حدقته قائمة كذلك.

* * *

٤٢٢٧ ـ وعن أَنَسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ نبِـيٍّ إلاَّ قَدْ أَنْذَرَ أُمَّتهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، ألا إنَّه أَعْوَرُ، وإنَّ ربَّكُمْ ليسَ بأَعْوَرَ، ومَكْتُوبٌ بينَ عَيْنَيهِ: كـ ف ر».

«عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا أنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»: المراد منه: نفي النقص والعيب، لا إثبات الجارحة.

«[و]مكتوب بين عينه: كـ ف ر»: إشارة إلى أنه داعٍ إلى الكفر، لا إلى الرشد، فاجتنبوه، وهذه نعمة عظيمة من الله تعالى في حق الأمة حيث أظهر رقم الكفر بين عينيه.

* * *

٤٢٢٨ ـ وعن أبي هُريرةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ألا أُحدِّثُكُمْ حديثاً عنِ الدَّجَّالِ ما حَدَّثَ بهِ نبيٌّ قَوْمَهُ؟ إنَّه أَعْوَرُ، وإنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بمِثْلِ الجَنَّةِ والنَّارِ، فالتي يقولُ: إنَّها الجَنَّةُ هيَ النَّارُ، وإنِّي أُنذِرُكُمْ كما أَنْذَرَ بهِ نُوحٌ قَوْمَهُ».

«عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أحدثكم حديثاً عن الدجَّالِ ما حدَّثَ به نبي قومه: إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول لها: إنها الجنة هي النار»: لأن من دخل جنته تصديقاً له استحقَّ النار.

«وإني أنذركم، كما أنذر به نوح قومه».

* * *

٤٢٢٩ ـ عن حُذَيفةَ، عن النَّبـيِّ ﷺ قال: «إنَّ الدَّجَّالَ يَخرُجُ وإنَّ معَهُ ماءً وناراً، فأمَّا الذي يَراهُ النَّاسُ ماءً فنارٌ تُحرِقُ، وأمَّا الذي يَراهُ النَّاسُ ناراً فماءٌ بارِدٌ

عَذْبٌ، فمنْ أدركَ ذلكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ في الذي يراهُ ناراً، فإنَّهُ ماءٌ عَذْبٌ طَيبٌ، وإنَّ الدَّجَّالَ مَمْسوحُ العَيْنِ، عليها ظَفَرَةٌ غَليظَةٌ، مَكْتوبٌ بينَ عَيْنيهِ: كافِر، يَقْرَؤُهُ كلُّ مُؤْمِنٍ كاتِبٍ وغيرِ كاتِبٍ».

«عن حذيفة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: إن الدجال يخرجُ وإنَّ معه ماءً وناراً»: فمن صدَّقه رضي عنه وأعطاه من مائه، ومن كذَّبه غضب عليه ورماه في ناره.

«فأما الذي يراه الناس ماء؛ فنارٌ تحرق»؛ يعني: جعل الله له الماء البارد النار المحرقة المخلدة.

«وأما الذي يراه الناس ناراً؛ فماء بارد عذب»؛ يعني: جعل الله ناره ماء بارداً، كالنار النمرودية التي جعلها الله لخليله ـ عليه السلام ـ برداً وسلاماً.

«فمن أدرك ذلك منكم، فليقع في الذي يراه ناراً؛ فإنه ماء عذب طيب، وإن الدجَّال ممسوح العين»؛ أي: له عين واحدة، وموضع عين أخرى ممسوح مثل جبهته ليس ثمة أثر عين.

«عليها»؛ أي: على تلك العين.

«ظفرة غليظة»: و(الظفرة) بفتحتين: جليدة تغشى العين نابتة من الجانب الذي يلي الأنف على بياض العين إلى سوادها.

قال الأصمعي: هي لحيمة تنبت عند المآق في كثرة البكاء أو الماء.

«مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤ[ه] كل مؤمن كاتب وغير كاتب».

* * *

٤٢٣٠ ـ وعن حُذَيْفة قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، معَهُ جَنَّتُهُ ونارُهُ، فنارُهُ جنَّةٌ، وجَنَّتُهُ نارٌ».

«عن حذيفة ﷺ قال: [قال] النبي ﷺ: الدجالُ أعور العين اليسرى»:
وجه التوفيق بينه وبين الرواية المتقدمة: أنه أعور عين اليمنى: أن الراوي سمع اليسرى أو اليمنى على التعيين، فنسيها، فذكر اليسرى مكان اليمنى، أو عكسه، أو يكون بالنسبة إلى أشخاص متفرقة، فقوم يرونه أعور اليسرى، وقوم يرونه أعور اليمنى؛ ليدل ذلك على بطلان أمره؛ لأنه إذا لم تُرَ خلقته كما هي، عُلِمَ أنه ساحر كذاب لا يكون له حقيقة.

ووجه الجمع بين كونه أعور، وممسوح العين، أو كأنها عنبة طافية: هو بالحمل على أنه ممسوح إحدى العينين، وأعور بالعين الأخرى، والعين الممسوحة يصدق عليها أنها عوراء؛ لأن عورَ العين أن لا تكون سليمة الفص، وأن كلاً منهما عوراء من جهة العيب؛ إحداهما عوراء حقيقة، والأخرى معيبه بالظفرة ونحوها، أو أن الأعور يطلق على من بقيت له عين، وذهبت عنه أخرى، فأطلق عليه العور تارة بالذاهبة وأخرى بالباقية.

«جُفال الشعر»: بضم الجيم؛ أي: كثير الشعر.

«معه جنته وناره، فناره جنة، وجنته نار».

* * *

٤٢٣١ ـ عن النَّوَّاسِ بن سَمْعانَ قال: ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ فقال: «إنْ يَخرُجْ وأنا فيكُمْ فأَنا حَجِيْجُهُ دُونَكُمْ، وإنْ يَخرُجْ ولَسْتُ فيكمْ فامْرُؤٌ حَجِيْجُ نَفْسِهِ، والله خليفَتي على كُلِّ مُسْلِمٍ، إنَّهُ شابٌّ قَطَطٌ عينُهُ طافِئَةٌ، كأنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بن قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ منكُمْ فلْيَقْرأْ عليهِ فواتِحَ سُورةِ الكَهْفِ».

وفي رِوايةٍ: «فلْيَقْرَأْ عليهِ بفواتِحِ سُورَةِ الكَهْفِ فإنَّها جَوازُكم منْ فِتْنَتِهِ ـ إنَّهُ خارِجٌ مِنْ خَلَّةٍ بينَ الشَّامِ والعِراقِ، فعاثَ يَميناً وعاثَ شِمالاً، يا عِبادَ الله

فاثبُتُوا». قُلنا: يا رسولَ الله! وما لَبْثُهُ في الأَرْضِ؟ قال: «أَرْبعونَ يَوْماً، يومٌ كسَنَةٍ، ويَوْمٌ كَشَهْرٍ، ويَوْمٌ كجُمُعَةٍ، وسائِرُ أيّامِهِ كأيّامِكُمْ»، قُلنا: يا رسولَ الله! فذلكَ اليَوْمُ الذي كسَنَةٍ أيَكفِينا فيهِ صَلاةُ يومٍ؟ قال: «لا، اقْدُروا لهُ قَدرَهُ». قُلنا: يا رسولَ الله! وما إسْراعُهُ في الأَرْضِ؟ قال: «كالغَيْثِ استَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فيأْتي على القَوْمِ فيَدعوهُمْ فيُؤمِنونَ بهِ، فيأْمُرُ السَّماءَ فتُمطِرُ، والأَرْضَ فتُنبتُ، فتَروحُ عليهِمْ سارِحَتُهُمْ أطولَ ما كانتْ ذُرًى، وأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً، وأَمَدَّهُ خَواصِرَ، ثم يأتي القَوْمَ فيَدعوهُمْ فيَردُّونَ عليهِ قولَهُ، فيَنصرِفُ عنهُمْ، فيُصبِحونَ مُمْحِلينَ ليسَ بأيْديهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوالِهِمْ، ويمرُّ بالخَرِبَةِ فيقولُ لها: أَخرِجي كُنوزَكِ فتتبَعُهُ كنوزُها كيَعاسِيبِ النَّحْلِ، ثمَّ يَدعُو رَجُلاً مُمْتلِئاً شباباً، فيَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ فيقطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثمَّ يَدعُوه فيُقبِلُ ويَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَما هوَ كذلكَ إذْ بَعَثَ الله المَسيحَ ابن مَرْيمَ، فيَنزِلُ عِندَ المنارَةِ البَيْضاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بينَ مَهْرودَتَيْنِ واضِعاً كفَّيْهِ على أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذا طَأْطَأَ رأْسَهُ قَطَرَ، وإذا رفعَهُ تَحَدَّرَ منهُ مِثْلُ جُمانٍ كاللُّؤْلؤِ، فلا يَحِلُّ لكافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلا ماتَ، ونَفَسُهُ يَنتَهي حَيْثُ يَنتَهي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّى يُدرِكَهُ بباب لُدٍّ فيَقتُلُه، ثمَّ يأتي عيسَى قَوْمٌ قدْ عَصَمَهُمُ الله مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عنْ وُجوهِهِمْ ويُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجاتِهِمْ في الجَنَّةِ، فبينَما هوَ كذلكَ إذْ أَوْحَى الله إلى عيسى: إنِّي قدْ أَخرَجتُ عِباداً لي لا يَدانِ لأَحَدٍ بقتالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبادِي إلى الطُّورِ، ويَبْعَثُ الله يأْجوجَ ومَأْجُوجَ ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ فيمُرُّ أوائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشرَبونَ ما فيها، ويمُرُّ آخِرُهُمْ فيقولُ: لقدْ كانَ بهذِهِ مَرَّةً ماءٌ، ثمّ يَسيرونَ حتَّى يَنتَهُوا إلى جَبَلِ الخَمْرِ، وهو جَبَلُ بيتِ المَقْدِسِ، فيقولونَ: لقدْ قَتَلنا مَنْ في الأَرضِ، هَلُمَّ فلْنَقْتُلْ مَنْ في السَّماءِ، فيَرمُونَ بنشَّابِهِمْ إلى السَّماءِ، فيرُدُّ الله عليهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَماً. ويُحصَرُ نَبيُّ الله وأَصْحابُهُ حتَّى يكونَ رأسُ الثَّوْرِ

لأَحدِهِمْ خيراً مِنْ مِئَةِ دِينارٍ لأحدِكُمُ اليَوْمَ، فيَرْغَبُ نبيُّ الله عِيسَى وأَصْحابُهُ إلى الله، فيُرسِلُ الله عَلَيهِمُ النَّغَفَ في رِقابِهِمْ، فيُصْبِحونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ واحِدَةٍ، ثمّ يَهبِطُ نبيُّ الله عيسَى وأصحابُهُ إلى الأَرْضِ، فلا يَجدونَ في الأَرْضِ موضِعَ شِبرٍ إلاَّ مَلأَهُ زهَمُهُمْ ونَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نبيُّ الله عيسَى وأصحابُهُ إلى الله، فيُرسِلُ الله طيراً كأعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فتطرَحُهُمْ حَيْثُ شاءَ الله - ويُروى: فتطرَحُهُمْ بالمَهْبِلِ، ويَسْتَوقِدُ المُسْلِمونَ مِنْ قِسِيهِمْ ونُشَّابِهِمْ وجِعابِهِمْ سَبْعَ سِنينَ - ثمَّ يُرْسِلُ الله مَطَراً لا يَكُنُّ منهُ بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيَغْسِلُ الأَرْضَ حتَّى يترُكَها كالزُّلَفَةِ، ثم يُقالُ للأَرضِ: أَنْبِتي ثَمَرَتَكِ ورُدِّي بَرَكَتَكِ، فيَوْمَئِذٍ تأْكُلُ العِصابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ ويَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِها، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ حتَّى أنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإبِلِ لَتَكْفي الفِئامَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقْحَةَ مِنَ البقَرِ لَتكْفي القَبيلَةَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتكْفي الفَخِذَ منَ النَّاسِ، فَبَيْنَما هُمْ كذلكَ إذْ بعثَ الله رِيحاً طَيِّبةً فتأْخُذُهُمْ تحتَ آباطِهِمْ، فتَقبِضُ رُوْحَ كلِّ مُؤْمِنٍ وكُلِّ مُسْلِمٍ، ويبقى شِرارُ النَّاسِ يَتهارَجونَ فيها تَهارُجَ الحُمُرِ، فَعليْهِمْ تقومُ السَّاعَةُ».

«عن النوَّاس»: بفتح النون وتشديد الواو.

«ابن سمعان»: بكسر السين المهملة، ومنع الصرف.

«أنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجَّال فقال: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجُهُ»: فعيل بمعنى: الفاعل من أفعل المبالغة من الحجة؛ أي: غالبٌ عليه بالحجة.

«دونكم»؛ أي: قدامكم؛ يعني: إن كنت فيكم كفيتكم شرَّه.

«وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤٌ حجيجُ نفسه»؛ أي: ليدفع شره عن نفسه بما عنده من الحجج القاطعة الشرعية والعقلية، وإنما قال: (إن يخرج وأنا فيكم) مع علمه - عليه الصلاة والسلام - أنه لا يخرج في زمانه؛ لاحتمال أنه أراد

به: ديني قائم فيكم، أو يريد تحقيق خروجه؛ يعني: لا تشكوا فيه، فإنه سيخرج لا محالة.

والأوجه: أن يراد به عدم علمه بوقت خروجه؛ لعدم علمه بالساعة.

«والله خليفتي على كل مسلم»؛ يعني: أنه تعالى وليُّ كل مسلم وحافظ[ه]، فيعينه عليه، ويدفع شره عنه.

وهذا دليل على أن المؤمن الموقن لا يزال منصوراً وإن لم يكن معه نبي ولا إمام.

«إنه شاب قطط»: بفتحتين؛ أي: شديد الجعودة مثل شعور الحبش.

«عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العُزَّى» بضم العين المهملة والزاي المعجمة المشددة المفتوحة: يهودي من خزاعة، مات في الجاهلية.

«ابن قطن»: بفتح القاف والطاء المهملة المفتوحة، وتشبيهه إشارة إلى أنه كذَّاب.

«فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتحَ سورة الكهف»؛ أي: أوائلها، جمع فاتحة، وهي أول كل شيء، والتخصيصُ به دون سائر السور تعبديٌّ لا يُعقَل معناه، أو لأن فواتحها مشتملة على قصة أصحاب الكهف، وعصمتهم من دقيانوس وجنده، فكذا من قرأها حفظ من الدجال.

«وفي رواية: فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف؛ فإنها جوازكم»: وهو بكسر الجيم[1] والزاي المعجمة، وهو الصكُّ الذي يأخذه المسافر من السلطان أو نوابه؛ لئلا يتعرض له المترصدةُ في الطريق.

وفي بعض النسخ بالراء المهملة، فمعناه: حافظكم.

---

(١) المشهور أنه بالفتح، انظر: «القاموس المحيط»، (مادة: جوز).

«**من فتنته إنه خارج من خَلَّة**»: وهو ـ بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ـ: الطريق في الرمل، يذكر ويؤنث؛ يعني: يخرج الدجال من طريق واقع «**بين الشام والعراق، فعاث يميناً**»: بصيغة الماضي؛ أي: أفسد جانب يمينه.

«**وعاث شمالاً**»؛ أي: جانب شماله.

وفي بعض بصيغة اسم الفاعل؛ أي: مفسد، وهذا أظهر من حيث العطف.

وفيه إشارة إلى أنه لا يكتفي بالإفساد فيما يطأه من البلاد، بل يبعث سراياه يميناً وشمالاً، فلا يأمن ولا يخلو من فتنته موطن.

«**يا عباد الله فاثبتوا**»؛ أي: يومئذ على ما أنتم عليه الآن من الإيمان، ولا تتبعوا اللعين، ولو فعل بكم من العقوبات، والخطاب مع الصحابة والمراد: من يدركه.

«**قلنا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً؛ يوم كسنة**»: قيل: يمكن إجراؤه على ظاهره؛ لأن الله تعالى قادر على أن يزيد في اليوم من الأجزاء مقدار السنة، فيكون بقدر السنة.

«**ويوم كشهر، ويوم كجمعة**»: وقيل: يمكن أن يحمل معناه: أن فتنة الدجال وشدة بلائه على المؤمنين تكون في أول الأمر أشد وأصعب، وكلما مرَّ زمان، ضَعُفَ أمره، ويهون كيده؛ لأن الحقَّ يزيد كل وقت نوراً وعزاً، والباطل ينقص، وأيضاً فإن الناس إذا اعتادوا بالبلاء والمحنة، فإنه يهون عليهم إلى أن يضمحل أمره.

«**وسائر أيامه كأيامكم**»: وفيه إشارة إلى أن الامتداد في الأيام الثلاثة على القدر المذكور.

«**قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره**»؛ أي: قدروا لوقت الصلاة قدر وقتها في سائر الأيام،

فصلوا كلَّ صلاة إذا ذهب القدر الذي كان يذهب في سائر الأيام، ويدخل وقتها.

«**قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟**»؛ أي: كيف إسراعه؟

قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم»؛ أي: ماشيتهم.

«**أطول ما كانت ذُرى**»: بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة؛ أي: أسنمة جمع ذروة، وهي: أعلى سنام البعير، وذروة كل شيء: أعلاه.

«**وأسبغه**»: أفعل تفضيل من السبوغ؛ أي: أتمه.

«**ضروعاً**»: جمع الضرع؛ وهو الثدي؛ أي: تعود إليهم ماشيتهم سماناً كثيرة الدر [أكثر] مما كانت قبل، والضمير فيه للفظة (ما)، وكذا في:

«**وأمده خواصر**»: جمع خاصرة، وهي ما تحت الجنب، وكونها أمدها كناية عن كثرة الأكل والامتلاء؛ أي: أوسعها وأتمها.

«**ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين**»؛ أي: يصيرون أصحاب مَحْل، وهو القحط، من (أمحل): إذا دخل في القحط، وأصله انقطاع المطر، ويبس الأرض والكلأ.

«**ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة**»؛ أي: بالأرض الخربة.

«**فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل**»: جمع يعسوب، وهو أمير النحل، ومنه قيل للسيد: يعسوب قومه، والمعنى: تتبعه كنوز الأرض، كما يتبع النحل اليعسوب الذي هو ملكها.

«**ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً**»؛ أي: يكون في عنفوان شبابه، نصب

(شاباً) على التمييز.

«**فيضربه بالسيف، فيقطعه جِزْلتين**»؛ أي: قطعتين.

و(الجزلة) بكسر الجيم وسكون الزاي: القطعة، وبفتح الجيم: المصدر.

«**رمية الغرض**»؛ أي: الهدف؛ يعني: بعدُ ما بين القطعتين بقدر رمية السهم؛ أي: الهدف.

قيل: هذا على تقدير كـــسر الجيم، وأما إن فتح؛ فهو إشارة إلى سرعة نفوذ السيف فيه، أو إلى إصابة المحن.

«**ثم يدعوه، فيُقبل**»؛ أي: ذلك الشاب على الدجَّال.

«**ويتهلل وجهه**»؛ أي: يتلألأ ويضيءُ.

«**يضحك**»: حال من الضمير؛ أي: يقبل ضاحكاً بشاشاً، فيقول: يصلح هذا إلهاً.

«**فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين**»: يروى بالدال المهملة والمعجمة؛ أي: حلتين أو شقتين من الهرد، وهو الشق، وقيل: الثوب المهروذ المصبوغ بالورس ثم بالزعفران، وقيل: ثياب فيها صفرة خفيفة.

«**واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسَه**»؛ أي: خفضه.

«**قطر**»؛ أي: عرقه.

«**وإذا رفعه تحدر منه**»؛ أي: نزل من رأسه.

«**مثل جمان**» وهو بضم الجيم وتشديد الميم: اللؤلؤ الصغار، وبتخفيفها: حب يتخذ من الفضة كالذرة.

قيل: المراد من الجمان في صفة عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو

الحب المتخذ من الفضة.

«كاللؤلؤ»: فإنه ﷺ شبَّه الجمان باللؤلؤ، فلا بد من المغايرة بينهما، فيكون صفة لجمان، وجاز كون الكاف اسماً في محل الرفع بدلاً من (مثل) الأول، وهو صفة لموصوف محذوف، وتقديره: عرق مثل جمان، أو قطرات نورانية مثله.

«**فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه**»؛ أي: نفس عيسى عليه السلام.

«**إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه**»؛ أي: عيسى ـ عليه السلام ـ الدجالَ.

«**حتى يدركه بباب لُدٍّ**» بضم اللام وتشديد الدال المهملة: اسم جبل بالشام.

«**فيقتله، ثم يأتي عيسى ـ عليه السلام ـ قومٌ قد عصمهم الله منه**»؛ أي: من الدجال.

«**فيمسح عن وجوههم**»: قيل: أثر المشقة، وقيل: معناه: أنه يسرهم بأن يخبرهم بأن الله تعالى قد قتل الدجّال.

«**ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أني قد أخرجت عباداً لي لا يدانِ**»؛ أي: لا قدرة ولا طاقة.

«**لأحد بقتالهم**»: وإنما كنى باليد عن القدرة؛ لأن المباشرة والدفاع يكون باليد، وثنّى اليد؛ ليكون أبلغ في المعنى.

«**فحرِّزْ عبادي**»؛ أي: ضمهم «**إلى الطور**» وحصِّنهم.

«**ويبعث الله يأجوج ومأجوج، ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾**»: وهو ما ارتفع من الأرض.

﴿يَنسِلُونَ﴾[الأنبياء: ٩٦]؛ أي: يسرعون.

«**فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية**»: تصغير بحرة، وطبرية: قصبة بالشام، وطول تلك البحيرة عشرة أميال.

«**فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه**»؛ أي: بهذه البحيرة.

«**مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر**» بفتح الخاء المعجمة والميم: هو الشيء الملتف، وفي بعض بسكون الميم.

«**وهو جبلُ بيتِ المقدس**»: وإنما فسر به؛ لكثرة شجره.

«**فيقولون: لقد قتلنا مَنْ في الأرض هَلمَّ**»؛ أي: تعال، ويطلقه أهل الحجاز على المذكر والمفرد وفروعهما بلفظ واحد، وبنو تميم تطابق به.

«**فلنقتل مَنْ في السماء، فيرمون نشابهم**» بضم النون وتشديد الشين: جمع النشابة، وهي السهم.

«**إلى السماء، فيرد الله تعالى عليهم نشابهم مخضوبةً دماً، ويحضر نبي الله**»؛ يعني:

«**عيسى**» عليه الصلاة والسلام «**وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم**»؛ يعني: يبلغ الفقر بهم هذا الحد.

«**فيرغب نبي الله عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه**»؛ أي: يدعوا الله تعالى بهلاكهم واستئصالهم.

«**فيرسل الله عليهم النَّغَفَ**» بفتح النون والغين المعجمة: دود يكون في أنف الإبل والبقر والغنم، واحدها: نغفة.

«**في رقابهم، فيصبحون فَرْسى**»؛ أي: يصيرون قتلى، جمع: فريس،

وهو القتيل، مِنْ فَرَسَ الذئبُ الشاة؛ أي: كسرها وقتلها.

«كموت نفس واحدة»؛ أي: فيموتون في وقت واحد، وفيه تنبيهٌ على أنه تعالى يهلكهم في أدنى ساعة بأهون شيء.

«ثم يهبط»؛ أي: ينزل.

«نبي الله عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه إلى الأرض»: من الطور.

«فلا يجدون في الأرض موضعَ شبر إلا ملأه زَهَمهم ونتنهم»، والزهم بفتح الزاي المعجمة والهاء: مصدر زَهِمت يده ـ بالكسر ـ تزهم؛ أي: دسمت من رائحة اللحم.

ويروى بضم الزاي مع فتح الهاء؛ جمع (زُهْمة) بالضم ثم السكون، وهي المنتنة؛ يعني: تنتن الأرض من جيفهم.

«فيرغب نبي الله عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت»: وهي جمال طوال الأعناق؛ أي: ملائكة على صورتها.

«فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، ويروى: تطرحهم بالنهبل»: وقيل: حيث تطلع الشمس.

«ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجِعابهم» بكسر الجيم: جمع الجَعْبة بالفتح، وهو غلاف النشاب.

«سبع سنين، ثم يرسل الله مطراً لا يكِنُّ منه»: من الإكنان، والكنُّ: ما يردُّ الحرَّ والبرد من الأبنية والمساكن، كننته أكنُّه كناً: سترته وصنته، وأكننته أيضاً بمعنى، وهو صفة (مطر)، ومفعوله محذوف؛ أي: لا يستر ولا يصون من ذلك المطر.

«بيت مدر، ولا وبر»؛ أي: أهل الحضر والبدو، بل يعمُّ جميع الأماكن.

«فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلفة» بفتح الزاي المعجمة واللام: واحدة الزلف، وهي مصانع الماء، أراد: أن المطر يغزر فتصير الأرض كلها كمصنعة من مصانع الماء، وقيل: الزلفة: المرأة، شبَّه الأرض بها؛ لاستوائها ولطافتها، وقيل: الروضة.

«ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة»؛ أي: الجماعة من الناس.

«من الرمانة، ويستظلون بقحفها»: بالكسر ثم السكون؛ أي: بقشرها، أصل القحف: العظم المستدير فوق الدماغ، ثم استعير لقشر الرمان تشبيهاً به.

«ويبارك»: بصيغة المجهول من البركة، وهي الكثرة والاتساع.

«في الرِّسْل»: وهو ـ بكسر الراء ـ: اللبن والحليب.

«حتى إن اللقحة من الإبل»، وهي ـ بكسر اللام ـ: الناقة التي نتجت حديثاً.

«لتكفي الفِئام من الناس» بكسر الفاء: الجماعة الكثيرة، لا واحدَ لها من لفظها، وأراد بها هنا: أكثر من القبيلة التي هي أكثر من الفخذ؛ فإن الناقة أكثر رسلاً من البقر، وهي من الغنم.

«واللقحة من البقر، لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم، لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك»: (هم) مبتدأ، و(كذلك) خبره؛ يعني: تنعمون في طيب عيش وسعة ورفاهية.

«إذ بعث الله»؛ أي: أرسل عليهم فجاءة.

«ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روحَ كلِّ مؤمن وكل مسلم»: فيموت من في ذلك الزمان من أهل الطاعة.

«ويبقى شرارُ الناس، يتهارجون فيها»؛ أي: يختلطون ويتفاسدون في الأرض، وهو حال من (شرار الناس)؛ أي: متهارجين.

«تهارجَ الحمر»؛ أي: كاختلاطها؛ يعني: يجامعون النساء بحضرة الناس.

«فعليهم تقوم الساعة».

* * *

٤٢٣٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤْمنينَ، فَتَلْقاهُ المَسالِحُ، مَسالِحُ الدَّجَّالِ، فيقولونَ لهُ: أينَ تَعْمِدُ؟ فيقولُ: أَعْمِدُ إلى هذا الذي خَرَجَ، قال فيقولونَ لهُ: أَوَ ما تُؤمِنُ بِرَبنا؟ فيقولُ: ما بِرَبنا خَفاءٌ، فيقولونَ: اقتُلُوه، فيقولُ بعضُهُمْ لبعضٍ: أليسَ قدْ نَهاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تقتُلُوا أَحَداً دُونَهُ، فينطلِقُونَ بهِ إلى الدَّجَّالِ، فإذا رآهُ المُؤْمِنُ قال: يا أيُّها النَّاسُ هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ، قالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ النَّاسَ بهِ فيُشَبَّحُ، فيقولُ: خُذوهُ وشُجُّوهُ، فيُوسَعُ ظَهْرُهُ وبَطْنُهُ ضَرْباً، قال فيقولُ: أما تُؤمِنُ بي؟ قالَ فيقولُ: أنتَ المَسِيحُ الدَّجَّالُ الكَذَّابُ، قالَ: فيُؤْمَرُ بهِ فيُؤْشَرُ بالمِئْشارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قال: ثُمَّ يَمْشي الدَّجَّالُ بينَ القِطْعَتَيْنِ، ثمَّ يقولُ لهُ: قُمْ، فيَستوِي قائِماً، ثُمَّ يقولُ لهُ: أتُؤْمِنُ بي؟ فيقولُ: ما ازْدَدْتُ فيكَ إلا بَصيرَةً، قالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يا أيُّها النَّاسُ إنَّهُ لا يَفْعَلُ هذا بَعْدِي بأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قال: فيأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فيُجعَلُ ما بينَ رقَبَتِهِ إلى تَرْقُوَتِهِ نُحاساً، فلا يَستطيعُ إليهِ سَبيلاً، قال: فَيَأْخُذُ بيدَيْهِ ورِجلَيْهِ فيَقْذِفُ بهِ، فيَحْسِبُ النَّاسُ أنَّما قذَفَهُ إلى النَّارِ، وإنَّما أُلقيَ في الجنَّةِ». فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هذا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهادةً عندَ رَبِّ العالمينَ».

«عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قِبَله»: بكسر القاف وفتح الباء الموحدة؛ أي: نحوه وجانبه.

«رجل من المؤمنين فتلقاه»؛ أي: الرجلَ.

«المسالحُ»: جمع مَسْلَحَة، وهي قوم ذوو سلاح.

«مسالح الدجال»: بدل من المسالح.

«فيقولون له: أين تعمِد؟»؛ أي: تقصد.

«فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال»؛ أي: النبي ﷺ.

«فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه، فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس! هذا الدجَّال الذي ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: فيأمر الدجال به، فيُشبَّح»: الشَّبْحُ في الرأس: هو أن يُضرَب بشيء، فيجرحه ويشقه.

«فيقول: خذوه، وشجوه»: قيل: معناه: شدوا أربعة أطرافه بالأوتاد؛ ليجلد.

«فيوسع ظهره وبطنه ضرباً»؛ أي: فيكثر الضرب فيهما.

«قال: فيقول»؛ أي: الدجال.

«أما تؤمن بي؟ قال: فيقول»؛ أي: الرجل المؤمن.

«أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيؤشَرَ بالمئشار»؛ أي: يشق به.

«من مفرقه حتى يفرَّق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجَّال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً، ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت»:

على بناء المجهول.

«فيك إلا بصيرةً»؛ أي: علماً بك وبفعلك بأنك كاذب مُمَوِّهٌ.

«قال: ثم يقول»؛ أي: المؤمن.

«يا أيها الناس! إنه لا يفعل [هذا] بعدي بأحد من الناس»؛ أي: ما فعل بي من القتل والإحياء في الظاهر.

«قال: فيأخذه الدجال؛ ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً»؛ أي: فيجعل الله ما بينهما كالنحاس لا يعمل فيه السيف.

«فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذه بيديه ورجليه، فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظمُ الناسِ شهادة عند رب العالمين».

٤٢٣٣ ـ عن أُمِّ شَرِيكٍ أنَّها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ حتَّى يَلْحَقُوا بالجِبالِ». قالت أُمُّ شَرِيكٍ: قلتُ يا رسولَ الله! فأَيْنَ العَرَبُ يومئذٍ؟ قالَ: «هُمْ قَليلٌ».

«عن أم شَرِيك ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ليفرنَّ الناسُ من الدجال حتى يلحقوا بالجبال. قالت أم شَرِيك: قلت: يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟»: الفاء فيه جواب شرط محذوف؛ أي: إذا كان حال الناس هذا؛ فأين المجاهدون من العرب في سبيل الله؟

«قال: هم قليل».

٤٢٣٤ ـ عن أنس، عن رسولِ الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهودِ أَصْبَهانَ سَبْعونَ ألفاً عليهِمُ الطَّيالِسَةُ».

«عن أنس ﷺ، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: يتَّبعُ الدجالَ»: بتشديد التاء.

«**من يهود أصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة**»: جمع الطيلسان.

قال سليمان بن جرير: ليس هذا أصفهان العراق، إنما هو أصفهان بخراسان.

* * *

٤٢٣٥ ـ وقالَ: «يأتي الدَّجَّالُ، وهوَ مُحَرَّمٌ عليهِ أنْ يَدخُلَ نِقابَ المَدينةِ، فينزِلُ بَعْضَ السِّباخِ التي تَلي المَدينَةَ، فيخرُجُ إليهِ رَجُلٌ، وهو خَيْرُ النَّاسِ، أو منْ خِيارِ النَّاسِ، فيقولُ: أَشْهَدُ أنَّكَ الدَّجَّالُ الذي حَدَّثَنا رسولُ الله ﷺ حَديثَهُ، فيقولُ الدَّجَّالُ: أرأَيْتُمْ إنْ قَتلتُ هذا ثمَّ أَحْيَيْتُهُ هلْ تَشُكُّونَ في الأَمْرِ؟ فيقولونَ: لا، فيقتُلُهُ ثمَّ يُحْيِيهِ، فيقولُ: والله ما كُنْتُ فيكَ أَشَدَّ بَصيرةً منِّي اليَوْمَ، فيُريدُ الدَّجَّالُ أنْ يقتُلَهُ فلا يُسلَّطُ عليهِ».

«**وقال: يأتي الدجال، وهو محرَّمٌ عليه أن يدخل نِقابَ المدينة**»: وهو بكسر النون: جمع نقب، وهو الطريق بين الجبلين؛ أي: لا يستطيع أن يدخل طرفها.

«**فينزل بعض السِّباخِ**»: بكسر السين: جمع سبخة.

«**التي تلي المدينة، فيخرج إليه رجل**»: قيل: هو الخضر عليه الصلاة والسلام.

«**وهو خير الناس، أو من خيار الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا، ثم أحييته، هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا**»؛ أي: لا نشك، وإنما قالوا ذلك خوفاً منه، لا تصديقاً، ويحتمل: أنهم قصدوا لا نشك في كذبك وكفرك، وخادعوه بهذه التورية خوفاً منه.

ويحتمل: أنهم هم الذين يصدقونه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله شقاوته.

«**فيقتله، ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشدَّ بصيرةً مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله، فلا يسلط عليه**»؛ أي: لا يقدر على قتله.

قال الكلاباذي: في الحديث دليل على أنَّ الدجال لا يقدر على ما يريده، وإنما يفعل الله ما يشاء عند حركته في نفسه، ومحل قدرته ما شاء الله أن يفعله؛ اختباراً للخلق وابتلاء لهم؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حي عن بينة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء.

* * *

٤٢٣٦ ـ عن أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «يأتي المَسيحُ منْ قِبَلِ المَشْرِقِ هِمَّتُهُ المَدينةُ، حتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثمَّ تَصْرِفُ الملائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وهُنالِكَ يَهلِكُ».

«**عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي المسيح**»؛ أي: الدجال.

«**من قِبل المشرق وهمتُه**»؛ أي: قصده.

«**المدينةُ، حتى ينزل دبر أحد**»؛ أي: خلف جبل أحد.

«**ثم تصرف الملائكة وجهه قِبل الشام وهنالك يُهلك**».

* * *

٤٢٣٧ ـ وعن أبي بَكرَةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «لا يَدْخُلُ المَدينَةَ رُعْبَ المَسيحِ الدَّجَّالِ، لها يَوْمَئِذٍ سَبعةُ أبوابٍ عَلَى كلِّ بابٍ مَلَكانِ».

«عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: أنه قال: لا يدخل المدينة رُعْبَ المسيح الدجال»: بضم الراء وسكون العين المهملة؛ أي: خوفه.

«لها»؛ أي: للمدينة.

«يومئذ سبعةُ أبواب على كل باب ملكان».

* * *

٤٢٣٨ ـ عن فاطمةَ بنتِ قَيْسٍ قالت: سَمِعْتُ مُنادِيَ رسولِ الله ﷺ يُنادي: الصَّلاةَ جامِعَةً، فخَرَجْتُ إلى المَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ، فلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ جَلَسَ عَلَى المِنبرِ وهوَ يَضْحَكُ فقال: «لِيَلزَمْ كلُّ إِنسانٍ مُصَلاهُ»، ثُمَّ قال: «هلْ تَدرونَ لِمَ جَمعتُكُمْ؟» قالوا: الله ورسولُهُ أعلمُ، قال: «إنِّي والله ما جَمَعْتُكُمْ لرَغْبةٍ ولا لرَهْبَةٍ، ولكنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَميماً الدَّارِيَّ كانَ رَجُلاً نَصْرانِيّاً، فجاءَ وأَسْلَمَ، وحَدَّثني حَديثاً وافَقَ الذي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ بهِ عنِ المَسيحِ الدَّجّالِ، حدَّثَني أنَّهُ رَكِبَ في سَفينةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثلاثينَ رَجُلاً منْ لَخْمٍ وجُذامَ، فلَعِبَ بِهِمُ المَوْجُ شَهْراً في البَحْرِ، فَأَرْفَؤُوا إلى جَزيرةٍ حينَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ، فجَلَسُوا في أَقْرُبِ السَّفينةِ فدخَلُوا الجزيرةَ، فلقِيَتْهُمْ دابَّةٌ أَهْلَبُ كثيرُ الشَّعَرِ، لا يَدْرونَ ما قُبُلُهُ منْ دُبُرِهِ منْ كثرةِ الشَّعَرِ، قالوا: وَيلَكِ ما أنتِ؟ قالت: أنا الجَسَّاسَةُ، انطلِقُوا إلى هذا الرَّجُلِ في الدَّيْرِ فإنَّهُ إلى خَبَرِكُمْ بالأَشْواقِ، قال: لمَّا سَمَّتْ لنا رجلاً فَرِقْنا منها أنْ تكونَ شَيْطانةً، قال: فانطلَقْنا سِراعاً حتَّى دخَلْنا الدَّيْرَ، فإذا فيهِ أَعْظَمُ إنْسانٍ ما رأيناهُ قطُّ خَلْقاً، وأشدُّهُ وِثاقاً، مَجْمُوعَةٌ يَداهُ إلى عُنُقِهِ ما بينَ رُكبَتَيْهِ إلى كَعْبِهِ بالحَديدِ، قُلنا: وَيْلَكَ ما أنتَ؟ قال: قدْ قَدَرْتُمْ علَى خَبَرِي فأخبِـروني ما أنتُمْ؟ قالوا: نَحْنُ أُناسٌ مِنَ العَرَبِ رَكِبنا في سَفينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فلَعِبَ بنا البَحْرُ شَهْراً فدَخَلْنا الجزيرةَ، فلَقِيَتْنا دابَّةٌ أَهْلَبُ فقالت: أنا الجَسَّاسَةُ، اعْمِدُوا إلى هذا الرَّجُلِ في الدَّيْرِ، فأَقبَلْنا إليكَ سِرَاعاً، فقال:

أَخْبِـروني عنْ نَخْلِ بَيْسانَ هلْ تُثمِرُ؟ قُلْنا: نعَم، ثُمَّ قال: أَما إنَّها يُوشِكُ أنْ لا تُثْمِرَ، قال: أَخْبِـروني عنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ هلْ فيها ماءٌ؟ قلنا: هيَ كثيرةُ الماءِ، قال: أَما إنَّ ماءَها يُوشِكُ أنْ يذهَبَ، قال: أَخْبِـروني عنْ عَيْنِ زُغَرَ هلْ في العينِ ماءٌ؟ وهلْ يَزْرَعُ أهلُها بماءِ العَيْنِ؟ قلنا: نعمْ، هيَ كثيرةُ الماءِ، وأهلُها يزرَعونَ مِنْ مائِها، قال: أَخْبِـروني عنْ نَبـيِّ الأُمِّيـينَ ما فعلَ؟ قالوا: قد خرجَ من مكةَ ونزلَ يثربَ، قال: أقاتَله العربُ؟ قلنا نعم، قال: كيفَ صَنَعَ بهمْ؟ فأخبرناهُ أنَّهُ قدْ ظَهَرَ علَى مَنْ يَليهِ مِنَ العَرَبِ وأطاعوهُ، قال: أَمَا إنَّ ذلكَ خَيْرٌ لهمْ أنْ يُطيعوهُ، وإنِّي مُخبـرُكُمْ عنِّي، إنِّي أنا المَسِيحُ، وإنِّي أُوشِكُ أنْ يُؤْذَنَ لي في الخُروجِ فأَخْرُجَ فأَسيرَ في الأَرْضِ فلا أَدَعَ قريةً إلاَّ هَبَطْتُها في أربعينَ ليلةً غيرَ مكَّةَ وطَيْبَةَ، هُما مُحَرَّمَتانِ عليَّ كِلتاهُما، كُلَّما أَرَدْتُ أنْ أَدْخُلَ واحِدَةً مِنهُما استقبَلَني مَلَكٌ بيدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّني عنها، وإنَّ على كلِّ نَقْبٍ منها ملائِكَةً يَحرُسونَها»، قالَ رسولُ الله ﷺ، وطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ في المِنْبَرِ: «هذِه طَيْبَةُ، هذِه طَيْبَةُ، هذه طيبةُ»، يَعني: المَدينَةَ، «ألا هلْ كنتُ حَدَّثْتُكُمْ؟» فقالَ النَّاسُ: نعمْ، قال: «ألا إنَّهُ في بَحْرِ الشَّامِ أوْ بَحْرِ اليَمَنِ، لا بَلْ منْ قِبَلِ المَشْرِقِ ما هُوَ»، وأَوْمَأَ بيدِه إلى المَشْرِقِ.

«عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: أنها قالت: سمعت مناديَ رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعةً»: برفعهما مبتدأ وخبر، أو بنصبهما على تقدير: احضروا الصلاة في حال كونها جامعة، وبرفع الأول على تقدير: هذه الصلاة، ونصب الثاني على الحالية، وبالعكس على تقدير: احضروا الصلاة وهي جامعة، وهو ضعيف؛ لإضمار حرف العطف، وعلى جميع التقادير فمحل الجملة نصب؛ لأنه مفعول (ينادي) حكاية لكونه في معنى القول.

«فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فلما قضى صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزمْ كلُّ إنسان مُصلاَّه»؛ أي: ليقعدْ

فيه حتى يسمع ما أقول.

«ثم قال: هل تدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة»؛ أي: فيكم.

«ولا لرهبة»؛ أي: منكم.

«ولكن جمعتكم لأن تميم الداريَّ كان رجلاً نصرانياً، فجاء وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال، حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية»؛ أي: كبيرة.

قيل: قيد بالبحرية لتتميَّز عن الإبل؛ إذ يقال لها: سفن البر، وهذا ليس بشيء؛ لأن القرائن الصارفة عن ذلك كثيرة في سياق الحديث.

«مع ثلاثين رجلاً من لخم وجُذامَ»: قبيلتان من العرب.

«فلعب بهم الموج شهراً في البحر»: سمي اضطراب أمواج البحر لعباً؛ لما لم تَسِرْ بهم على الوجه المراد، ويقال: لكل من عمل عملاً لا يجري عليه نفعاً: إنما أنت لاعب.

«فأرفَأُوا»؛ أي: قرَّبوا السفينة.

«إلى جزيرة حين تغرب الشمس، فجلسوا في أقرُبِ السفينة»: بضم الراء: جمع قارب ـ بالفتح ـ على غير القياس، وقد يكسر، وهو سفينة صغيرة تكون مع السفن البحرية كالجنائب لها، تتخذ لحوائجهم.

«فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلبُ»: بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح اللام؛ أي: كثير شعر الأطراف غليظه.

«كثير الشعر»: تفسير له، والهُلْب: ما غلظ من الشعر، كشعر الذَّنَب.

«لا يدرون ما قُبُلُه من دُبُرِه من كثرة الشعر، قالوا: ويلك ما أنت؟»:

خاطبوها مخاطبة المتعجب.

«قالت: **أنا الجساسة**»: سميت جساسة؛ لأنها تجسس الأخبار للدجّال، والحيوان ينطق بقدرة الله تعالى.

«**انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير**»؛ أي: في دير النصارى.

«**فإنه إلى خبركم بالأشواق**»: وفيه مبالغة؛ أي: كأن الأشواق إلى خبركم ملتصقة به وهو بها.

«قال: **لما سمت لنا رجلاً فَرِقنا**»: بكسر الراء؛ أي: فزعنا وخفنا.

«**منها أن تكون شيطانة، قال: انطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان**»؛ أي: في الجثة.

«**ما رأيناه**»؛ أي: الأعظم.

«**قط خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري**»؛ أي: على أن تخبروني عن حالكم، أو على خبري إياكم.

«**فأخبروني**»: أنتم عن حالكم.

«**ما أنتم**»؛ أي: من أنتم؟ أو ما حالكم؟

«**قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فلعب بنا البحر شهراً، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابةٌ أهلَبُ، فقالت: أنا الجساسةُ، اعمدوا**»؛ أي: اقصدوا.

«**إلى هذا الرجل في الدير، فأقبلنا إليك سراعاً**»؛ أي: مسرعين.

«**فقال: أخبروني عن نخل بيسان**»: بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت: قرية بالشام.

«هل تثمر؟ قلنا: نعم. قال: أما إنها يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية، هل فيها ماء؛ قلنا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زُغَر»: بضم الزاي وفتح الغين المعجمتين والراء المهملة: اسم عين بالشام.

«هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين، ما فعل؟ قلنا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب»؛ أي: غلب عليهم.

«وأطاعوه، قال: أما إن ذلك»؛ أي: الإطاعة.

«خير لهم أن يطيعوه»: فإن قيل هذا القول إنما يصدر من المحق الناطق بالصواب، وهو بمعزل عن ذلك.

أجيب بأنه يحتمل أن الله تعالى صرفه عن الطعن والتكبر عليه، فلم يستطع أن يتكلم بغيره؛ تأييداً لنبيه ﷺ.

ويحتمل: أنه أراد الخير في الدنيا؛ أي: طاعتهم له خير؛ فإنهم إن خالفوه استأصلهم.

«وإني مخبركم عني، أنا المسيح، وإني أوشك أن يُؤذَن لي في الخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أدعُ قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، وهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما، استقبلني ملكٌ بيده السيف صلتاً»: نصب على الحال؛ أي: مجرداً عن الغمد.

«يصدني عنها»؛ أي: يردني، ويطردني عن دخولها.

«وإن على كل نقب»؛ أي: باب.

«منها ملائكة يحرسونها، قال رسول الله ﷺ: وطعن بمخصرته»: وهي

ـ بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة والصاد والراء المهملتين ـ قضيب يشير به الملك، أو الخطيب إذا خطب.

«في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة؛ يعني: المدينة»: سماها النبي ﷺ بها؛ لأنها طاهرة، آمنها الله تعالى من كل خبث ونفاق، كما قال رسول الله ﷺ: «المدينة كالكير تنفي خبثها».

«ألا هل كنتُ حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم، ألا إنه»؛ أي: المسيح الدجال.

«في بحر الشام، أو في بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق»: تردده ﷺ في موضعه للشك، وظن أنه لا يخلو عن هذه المواضع الثلاثة؛ فلما ذكر البحرين تيقن من جهة الوحي، أو غلب على ظنه: أنه من قبل المشرق؛ فنفى الأولين، وأضرب عنهما، وأثبت الثالث، أو علم موضعه، وردَّد لمصلحة.

ولم تكن العرب تسافر يومئذ إلا في هذه البحرين، أو أراد ببحر الشام ما يلي الجانب الشامي، وببحر اليمن ما يلي الجانب اليماني، والبحر بحر واحد ممتدٌّ على أحد جوانب جزيرة العرب.

«ما هو»: (ما) زائدة، و(هو) مبتدأ خبره الظرف المتقدم، أو موصولة مبتدأ خبره (هو)؛ أي: الجانب الذي هو فيه قبل المشرق.

«وأومأ بيده»؛ أي: أشار بها **«إلى المشرق»**.

* * *

٤٢٣٩ ـ عن عبدِالله بن عُمَرَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رأيتُني الليلةَ عِنْدَ الكعبةِ، فرأيتُ رَجُلاً آدمَ كأَحْسَنِ ما أنتَ راءٍ منْ أُدْمِ الرِّجالِ، لهُ لِمَّةٌ كأَحْسَنِ ما أنتَ راءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قد رجَّلَها فهيَ تقطُرُ ماءً، مُتَّكِئاً على عَواتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ

بالبيتِ، فسألتُ مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا المَسيحُ ابن مريمَ»، قال: ثمَّ إذا أنا برجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أعورِ العَيْنِ اليُمنَى، كأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ، كأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بابن قَطَنٍ، واضعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطوفُ بالبيتِ، فسألتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا المَسِيحُ الدَّجَّالُ».

وفي رِوايةٍ: قالَ في الدَّجَّال: «رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسيمٌ، جَعدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ عَينِهِ اليُمنَى، أقرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً ابن قَطَنٍ».

«عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: رأيتُني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم»؛ أي: أسمر.

«كأحسن ما أنت راءٍ من أُدْمِ الرجال له لمة»: وهو بكسر اللام وفتح الميم المشددة: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.

«كأحسن ما أنت راءٍ من اللِّمم»: جمع لمة.

«قد رجَّلها»؛ أي: سرَّحها وامتشطها.

«فهي تقطر ماء، متكئاً على عواتق رجلين»: جمع عاتق، وهو موضع الرداء من الكتف.

«يطوف بالبيت، فسألت من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم»: كوشف في رؤياه ﷺ نزول عيسى ـ عليه السلام ـ على صفة الحسن والبهاء وإقامة الدين، ينزل بأحسن ما يكون عليه الإنسان؛ ظاهراً وباطناً، متكئاً على العصمة والتأييد، فيطوف حول الدين، ويصلح فاسده.

«قال: ثم إذا أنا برجل جَعْدٍ»؛ أي: كثير الشعر.

«قَطَط»؛ أي: شديد الجعودة.

«أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن، واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت، فسألت من هذا؟

فقالوا: هذا المسيح الدجال»: خروجه على صفة نقص الخلقة، واعوجاج البنية، على صورة كريهة المنظر خبيث الباطن؛ متكئاً على التلبيس، فيدور حول الدين ليحدث فيه ثلمة.

«وفي رواية: قال في الدجال: «رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعورُ عينه اليمنى، أقربُ الناس به شبهاً ابن قطن».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٢٤٠ ـ عن فاطِمَةَ بنتِ قَيْسٍ في حديثِ تَميمٍ الدَّارِيِّ قال: فإذا أنا بامرأةٍ تجُرُّ شَعْرَها، قال: ما أَنْتِ؟ قالت: أنا الجَسَّاسَةُ، اذهَبْ إلى ذلكَ القَصْرِ، فأتيتُهُ، فإذا رَجُلٌ يجُرُّ شَعْرَهُ، مُسَلْسَلٌ في الأَغْلالِ، يَنْزُو فيما بينَ السَّماءِ والأَرْضِ، فقُلت: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا الدَّجَّالُ.

«من الحسان»:

«عن فاطمة بنت قيس في حديث تميم الداري قال: فإذا أنا بامرأة تجرُّ شعرها قال: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة»: جساسة هذه امرأة، وفي الحديث المتقدم: أنها دابة؛ فيحمل على أن للدجال جاسوسين دابة وامرأة، وكلاهما شيطان واحد، إلا أنه رآه تارة على صورة دابة، وأخرى على صورة امرأة، والشيطان يتصور بأي صورة شاء.

«اذهب إلى ذلك القصر، فأتيته، فإذا رجل يجر شعره مسلسل»؛ أي: معلق.

«في الأغلال يَنْزُو»؛ أي: يتحرك مع القيد مضطرباً بلا قرارٍ.

«فيما بين السماء والأرض»: متعلق بقوله: (مسلسل)، ويجوز تعليقه

بـ (ينزو)، وهو الأظهر.

«**فقلت: من أنت؟ قال: أنا الدجال**».

* * *

٤٢٤١ ـ عن عُبادَة بن الصَّامِت، عن رَسولِ الله ﷺ قال: «إنِّي حَدَّثْتُكُمْ عنِ الدَّجَّالِ حتَّى خَشِيْتُ أنْ لا تَعْقِلوا، إنَّ المَسيحَ الدَّجَّالَ رَجُلٌ قَصيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أعوَرُ، مَطْموسُ العينِ، ليستْ بناتِئَةٍ ولا حَجْراءَ، فإنْ أُلْبِسَ عليكُمْ فاعلَمُوا أنَّ ربَّكُمْ ليسَ بأَعوَرَ».

«**عن عبادة بن الصامت ﷺ، عن النبي ﷺ قال: إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت**»؛ أي: خفت.

«**أن لا تعقلوا**»؛ أي: لا تفهموا ما حدثتكم في شأن الدجال، أو تنسوه من كثرة ما قلت في وصفه، أو خشيت أن يضلكم بخوارقه، فأحدثكم عنه بما تأمنون معه عن الضلال.

«**إن المسيح الدجال**»: بكسر الهمزة.

«**رجل قصير أفحَجُ**»: بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الحاء قبل الجيم هو الذي تباعد بين رجليه إذا مشى.

«**جعد أعور مطموسُ العين**»؛ أي: ممسوحها، والطمس: استئصالُ أثر الشيء.

«**ليس بناتئة**»؛ أي: مرتفعة.

«**ولا حجراء**»: بفتح الجيم وسكون الحاء؛ أي: ليست بمنخفضة.

«**فإن ألبس عليكم**»: الإلباس: الخلط والاشتباه، يعني: إن اشتبه عليكم أمر ما يدعيه في الإلهية.

«فاعلموا أن ربكم ليس بأعور»؛ لأنه منزه عن النقصان، وليس بموصوف بما لا يليق به.

* * *

٤٢٤٢ ـ عن أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّهُ لمْ يكُنْ نبيٌّ بعدَ نُوحٍ إلاَّ قدْ أَنذَرَ الدَّجَّالَ قومَهُ، وإِنِّي أُنْذِرُكُموهُ»، فَوَصَفَهُ لنا فقالَ: «لعلَّهُ سيُدْرِكُهُ بعضُ مَنْ رآني أو سمِعَ كلامي»، قالوا: يا رسولَ الله! فكيفَ قُلوبنا يَوْمَئِذٍ؟ قال: «مِثْلُها ـ يعني: اليومَ ـ أو خَيْرٌ».

«عن أبي عبيدة بن الجراح قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: إنه لم يكن نبي بعد نوح، إلا وقد أنذر الدجال قومه، وإني أُنذِرُكُموه. فوصفه لنا، فقال: لعله سيدركه»؛ أي: الدجال.

«بعض من رآني، أو سمع كلامي»: المراد بمن سمع كلامه ﷺ: من وصل إليه أحاديثه ﷺ وإن كان بعد طول زمان.

«قالوا: يا رسول الله! فكيف قلوبنا يومئذ؟ قال: مثلها؛ يعني: اليوم، أو خير»: عطف على مثلها.

* * *

٤٢٤٣ ـ عن عمرِو بن حُرَيْثٍ، عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قال: قال حَدَّثَنا رسولُ الله ﷺ قال: «الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بالمَشْرِقِ يُقَالُ لها: خُراسانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوامٌ كأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ».

«عن عمرو بن حُريث، عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال

لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة»: تقدَّم بيانه.

* * *

٤٢٤٤ ـ عن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عنهُ، فوالله إنَّ الرَّجُلَ لَيأْتِيهِ وهو يَحسِبُ أنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بهِ مِنَ الشُّبُهاتِ».

«عن عمران بن حصين ﷺ قال: [قال] رسول الله ﷺ: من سمع بالدجال»؛ أي: بخروجه.

«فلْينأَ»؛ أي: فليبعد.

«منه، فوالله إن الرجل ليأتيه»؛ أي: الدجَّال.

«وهو»؛ أي: الرجل.

«يحسب أنه»؛ أي: الدجال.

«مؤمن، فيتبعه»؛ أي: الرجلُ الدجالَ.

«مما»؛ أي: من أجل ما «يبعث به من الشبهات»: كالسحر، وإحياء الأموات، وغير ذلك من الإنبات والأمطار.

أكَّد ﷺ اتباع بعض أمته للدجال باليمين، فينبغي لمن سمع خروجه أن لا يأمنَ من فتنته، ويبعد منه بُعدَ المشرقين، حتى لا يقع فيها، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

* * *

٤٢٤٥ ـ عن أسماءَ بنتِ يَزيدَ قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَمْكُثُ الدَّجَّالُ في الأَرْضِ أَرْبعينَ سَنَةً، السَّنَةُ كالشَّهْرِ، والشَّهْرُ كالجُمُعةِ، والجُمُعةُ كاليَوْمِ، واليَوْمُ كاضْطِرامِ السَّعَفَةِ في النَّارِ».

«عن أسماء بنت يزيد»: بن السكن بفتحتين.

«قالت: قال النبي ﷺ: يمكث الدجال في الأرض أربعينَ سنة، السنة كالشهر، والشهرُ كالجمعة، والجمعةُ كاليوم، واليومُ كاضطرام السعفة»: وهو بفتحتين: غُصَينُ النخل، وقيل: الغصن الرقيق من النخل، وقيل: ورق النخل؛ أي: كالتهابها «في النار».

* * *

٤٢٤٦ ـ عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ أُمَّتي سَبعونَ ألفاً عليهِمُ السِّيجانُ».

«عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم السِّيجان» بكسر السين المهملة وبالجيم: جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر، وقيل: المنقوش ينسج كذلك.

نبه ﷺ بهذا القول عن كثرة سوادهم؛ يعني: إذا كان أصحاب الثروة سبعون ألفاً، فما ظنك بالفقراء؟!

* * *

٤٢٤٧ ـ عن أَسْماءَ بنتِ يَزيدَ قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ في بَيْتي، فذكرَ الدَّجَّالَ فقال: «إنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ثلاثَ سِنينَ: سنةٌ تُمْسِكُ السَّماءُ فيها ثُلُثَ قَطْرِها والأَرْضُ ثُلُثَ نَباتِها، والثَّانِيَةُ تُمْسِكُ السَّماءُ ثُلُثَيْ قَطْرِها والأَرْضُ ثُلُثَيْ نَباتِها، والثَّالِثَةُ تُمْسِكُ السَّماءُ قَطْرَها كُلَّهُ والأَرْضُ نَباتَها كُلَّهُ، فلا يبقَى ذاتُ ظِلْفٍ ولا ذَاتُ ضِـرْسٍ مِنَ البَهائِمِ إلاَّ هلكَ، وإنَّ أَشَدَّ فِتنَتِهِ أنَّهُ يأتي الأَعْرابيَّ فيقولُ: أرأَيْتَ إنْ أحيَيْتُ لكَ إبِـلَكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي ربُّكَ؟ فيقولُ: بلَى، فيُمثِّلُ لهُ نحوَ إبِـلِهِ كأَحْسَنِ ما يكونُ ضُرُوعاً وأَعْظَمِهِ أَسْنِمَةً» قال: «ويأتي الرَّجُلَ قَدْ

ماتَ أَخُوهُ، وماتَ أبوهُ، فيقولُ: أرأيتَ إنْ أَحْيَيْتُ لكَ أباكَ وأخاكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أنِّي ربُّكَ؟ فيقولُ: بَلَى، فيُمَثِّلَ لهُ الشَّياطِينُ نحوَ أبيهِ ونَحْوَ أخيهِ»، قالت: ثُمَّ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ وسلم لحاجَتِهِ، ثمَّ رَجَعَ والقَوْمُ في اهتِمامٍ وغَمٍّ ممَّا حدَّثهُمْ، قالت: فأخذَ بِلُجْمتَي البابِ فقالَ: «مَهْيَمْ أسماءُ؟» قلتُ: يا رسولَ الله! لقدْ خَلَعْتَ أفئِدَتَنَا بذِكرِ الدَّجَّالِ، قال: «إنْ يَخْرُجْ وأنا حَيٌّ فأنا حَجِيجُهُ، وإلاَّ فإنَّ ربـي خَليفَتي على كُلِّ مُؤمنٍ»، فقُلتُ: يا رسولَ الله! والله إنَّا لَنَعْجِنُ عَجِينَنا، فما نَخْبِـزُهُ حتَّى نَجُوعَ، فكيفَ بالمُؤْمنينَ يَوْمَئِذٍ؟ قال: «يَجْزِيهِمْ ما يُجْزِي أهلَ السَّماءِ مِنَ التَّسبيحِ والتَّقْديسِ».

«وعن أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان النبي في بيتي، فذكر الدجال، فقال: إن بين يديه ثلاث سنين: سنة تمسك السماء فيها ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء فيها ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ظِلْفٍ»: أراد به: البقر والغنم والظبي.

«ولا ذاتُ ضرس»: أراد به: السباع.

«من البهائم إلا هلكت، وإن من أشدِّ فتنته: أنه يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت»؛ أي: أخبرني.

«إن أحييت لك إبِـلَك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيتمثل له نحو إبله»؛ أي: يتصور مثل إبله.

«كأحسن ما يكون ضروعاً وأعظمِه أسنمَة. قال: ويأتي الرجلَ قد مات أخوه، ومات أبوه، فيقول: أرأيتَ إن أحييت لك أباك وأخاك، ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيمثل له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه. قالت»؛ أي: أسماء.

«ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع والقوم في اهتمام وغمٍّ مما حدثهم، قالت: فأخذ بلَحْمَتي الباب»: بفتح اللام وسكون الحاء المهملة والميم المفتوحة؛ أي: بناصيتي الباب.

«فقال: مَهْيَمْ»: كلمة يمانية يستفهم بها، معناه: ما لك؟ وما شأنك؟

«أسماء»؛ أي: يا أسماء.

«قلت: يا رسول الله! لقد خلعت أفئدتنا»؛ أي: كسرت قلوبنا.

«بذكر الدجال، قال: إن يخرج وأنا حيٌّ فأنا حجيجه، وإلا فإن ربي خليفتي على كلِّ مؤمن. فقلت: يا رسول الله! والله إنا لنعجن عجيننا»؛ أي: نُهيئ العجين للخبز.

«فما نخبزه حتى نجوع»؛ أي: لا نستطيع أن نخبزه؛ لأجل همٍّ عظيم خلع أفئدتنا وحيَّر عقولنا بذكر الدجال.

«فكيف بالمؤمنين يومئذٍ؟»؛ أي: كيف يكون حال من ابتلي بزمانه؟

«قال: يجزيهم ما يجزي أهل السماء»؛ أي: يكفيهم ما يكفي الملأ الأعلى.

«من التسبيح والتقديس»؛ يعني: من ابتلي بزمانه لا يحتاج إلى الأكل والشرب، كما لا يحتاج الملأ الأعلى إليهما.

* * *

٥ ـ باب

قِصَّةِ ابن الصَّيَّادِ

(باب قصة ابن الصياد)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٢٤٨ ـ عن عبدِالله بن عُمَرَ ﵄: أنَّ عُمرَ بن الخَطَّابِ انطلقَ معَ

رسولِ الله ﷺ في رَهْطٍ منْ أَصْحابـهِ قِبَلَ ابن صيَّادٍ حتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ معَ الصِّبيانِ في أُطُمِ بني مَغالَةَ، وقدْ قارَبَ ابن صيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الحُلُمَ، فَلَمْ يَشعُرْ حتَّى ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ ظَهْرَهُ بيدِه ثمَّ قالَ: «أَتَشْهَدُ أنِّي رسولُ الله؟» فنظرَ إليهِ فقالَ: أَشْهَدُ أنَّكَ رسولُ الأُمِّـيينَ، ثُمَّ قال ابن صيَّادٍ: أَتَشْهَدُ أنِّي رسولُ الله؟ فَرَضَّهُ النبيُّ ﷺ، ثُمَّ قالَ: «آمنتُ بالله ورسولِهِ»، ثُمَّ قالَ لابن صيَّادٍ: «ماذا تَرَى؟» قال: يأتِيني صادِقٌ وكاذِبٌ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «خُلِّطَ عَلَيكَ الأمرُ»، قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنِّي خَبأْتُ لكَ خَبيئاً»، وخَبأَ لهُ ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾، فقالَ: هوَ الدُّخُّ، قالَ: «اخسأْ، فلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»، قال عُمَرُ: يا رسولَ الله! أتأْذَنُ لي فيهِ أضْرِبْ عنُقَه؟ قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنْ يَكُنْ هوَ فلا تُسلَّطُ عليهِ، وإنْ لمْ يكُنْ هوَ فلا خيرَ لكَ في قتلِهِ»، قال ابن عمرَ: انطلقَ بعدَ ذلكَ رسولُ الله ﷺ وأُبَيُّ بن كَعْبٍ الأَنْصارِيُّ يَؤُمَّانِ النَّخْلَ التي فيها ابن صيَّادٍ، فطَفِقَ رسولُ الله ﷺ يتَّقي بجُذوعِ النَّخْلِ، وهوَ يَخْتِلُ أنْ يسمعَ منْ ابن صيَّادٍ شيئاً قبلَ أنْ يراهُ، وابن صيَّادٍ مُضْطَجعٌ على فِراشِهِ في قَطِيفَةٍ لهُ فيها زَمْزَمَةٌ، فَرَأَتْ أمُّ ابن صيَّادٍ النَّبـيَّ ﷺ وهوَ يَتَّقي بجُذوعِ النَّخْلِ فقالت: أيْ صَافِ! وهوَ اسمُه، هذا مُحَمَّدٌ، فَتَناهَى ابن صيَّادٍ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «لو تَرَكَتْهُ بيَّنَ»، قالَ عبدُالله بن عُمَرَ: قامَ رسولُ الله ﷺ في النَّاسِ فأثنَى على الله بما هوَ أَهْلُهُ، ثمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فقالَ: «إنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ، وما منْ نَبـيٍّ إلا وقدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لقد أنذرَهُ نُوحٌ قومهُ، ولكنِّي سأقولُ لكمْ فيهِ قَوْلاً لمْ يقلْهُ نبيٌّ لقومِهِ: تعلمونَ أنَّهُ أَعْوَرُ، وأنَّ الله ليسَ بأَعْوَرَ».

«من الصحاح»:

«عن عبدالله بن عمر: أن عمر بن الخطاب ﷺ انطلق مع النبي ﷺ في رهط من أصحابه»: والرهط: ما دون العشرة من الرجال، اسم مفرد وُضع للجمع.

«قِبَل ابن صياد»؛ أي: جانبه، قيل: هو الدجال، وقيل: هو يهودي وُلِدَ في المدينة.

«حتى وجدوه»: (حتى) هاهنا حرف ابتداء يُستأنَف بعده الكلام، ويفيد انتهاء الغاية.

«يلعب مع الصبيان»: حال من الضمير المنصوب في (وجدوه).

«في أُطُمِ» بضم الهمزة: جمع (إِطام) بالكسر، وهو الحصين.

«بني مَغالَة» بفتح الميم والغين المعجمة: قبيلة؛ أي: في حصونهم.

«وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم»؛ أي: البلوغ.

«فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده، ثم قال: أتشهد أني رسول الله؟ فنظر إليه»؛ أي: ابن صياد إلى رسول الله ﷺ.

«وقال: أشهد أنك رسول الأميين»: أراد بهم: أمة العرب؛ فإنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

وهذا الكلام منه جرى على سُنَنِ اليهود، وهي أنهم إذا عجزوا عن الطعن في نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، زعموا أنه بعث إلى العرب خاصة، لا إلى الكافة.

«ثم قال ابن صياد: أتشهد أني رسول الله؟ فرصَّه النبي»: بفتح الصاد المهملة المشددة، وهو الصواب؛ أي: فتناوله وضغطه حتى ضمَّ بعضه بعضاً بالعصر، وإنما لم يقتله النبي ﷺ مع أنه ادعى النبوة بحضرته ﷺ؛ لأنه كان غير بالغ، أو لأنه في أيام مهادنة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ اليهودَ وحلفائهم، وهو منهم، أو دخيلٌ فيهم.

«ثم قال»؛ أي: النبي عليه الصلاة والسلام:

«آمنت بالله ورسله، ثم قال لابن صياد: ماذا ترى؟ قال: يأتيني صادق وكاذب»؛ أي: كانت له تارات يصيب في بعضها، ويخطئ في بعضها؛ لأن ذلك كان شيئاً يلقيه إليه الشيطان، ويجريه على لسانه؛ قد يكون صادقاً، وقد يكون كاذباً.

«قال النبي ﷺ: خلطَ عليك الأمر»؛ أي: هو شيطان خلَّط عليك الكذب بالصدق؛ ليغويك.

«قال ﷺ: إني خبأتُ لك خبيئاً»؛ أي: أضمرت لك مضمراً؛ لتخبرني عنه.

«وخبأ له»؛ أي: أضمر النبي ﷺ لابن صياد: «﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[الدخان: ١٠]، فقال: هو الدُّخُّ» بضم الدال المهملة والخاء المعجمة المشددة: لغة في الدخان.

«فقال: اخسَأْ»: كلمة زجر واستهانة؛ أي: ابعد واسكت صاغراً، فإنك وإن أخبرت عن خبيئتي «فلن تعدوَ قدرك»؛ أي: لن تستطيع أن تتجاوز الحد الذي حُدَّ لك، يريد: أن الكهانة لا ترفع صاحبها عن القدر الذي هو عليه، وإن أصاب في كهانته، وإنما امتحنه ﷺ بذلك؛ ليظهر إبطال حاله للصحابة، وأنه كاهن ساحر، يأتيه الشيطانُ، فيلقي على لسانه.

وقيل: معنى قوله ﷺ: «فلن تعدو قدرك» أنه دعاء عليه بعدم بلوغه قدره من مطالعة الغيب؛ وحياً كما للأنبياء، أو إلهاماً كما للأولياء.

«قال عمر ﷺ: يا رسول الله! أتأذن لي فيه أضرب عنقه؟ قال عليه الصلاة والسلام: إن يكن هو»: الضمير المستكن يعود إلى الدجَّال، والمنفصل إلى [ابن] صياد، ويجوز بالعكس، والضمير المنفصل خبر (كان).

قيل: كان حقه أن يقال: إن يكن إياه، فوضع المرفوع المنفصل موضع المنصوب المنفصل، وقيل: في (يكن) ضمير للشأن، وهو مبتدأ محذوف

الخبر، والتقدير: إن يكن الشأن ابن صياد الدجال.

«لا تُسلَّط عليه»؛ أي: لا تقدر أن تقتله؛ لأن قاتله عيسى عليه السلام.

«وإن لم يكن هو، فلا خيرَ لك في قتله»: منعه ﷺ عن قتله؛ لأنه كان صغيراً، وقد منع ﷺ عن قتل الصبيان، أو لأنه كان من أهل الذمة.

وهذا يدل على أن عهد الوالد يجري على ولده الصغير.

«قال ابن عمر: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأُبي بن كعب الأنصاري يؤمان»؛ أي: يقصدان.

«النخل التي فيها ابن صياد، فطفق»؛ أي: شرع.

«رسول الله ﷺ يتقي»؛ أي: يستر نفسه.

«بجذوع النخل، وهو يختلُ»؛ أي: يراود ويطلب من حيث لا يشعر.

«أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه»؛ يعني: يريد أن يسترقَ السمع منه؛ ليعلم أنه على الحق، أو على الباطل.

«وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة»؛ أي: دثار.

«له فيها زَمْزَمة»: بزايين معجمتين؛ أي: صوت لا يفهم منه شيء.

«فرأتْ أم [ابن] صياد النبي ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل فقالت: أي صاف! وهو اسمه، هذا محمد، فتناهى ابن صياد»؛ أي: امتنع من زمزمته، وسكت عنها.

«قال رسول الله ﷺ: لو تركته»؛ أي: أمه على حاله، ولم تخبره بمجيئي، لبيَّن باختلاف كلامه ما يهوِّنُ عليكم شأنه، وقيل: أي: أوضح ما في نفسه، وكنت أسمع ما يقول.

«قال عبدالله بن عمر ﷺ: قام رسول الله ﷺ، فأثنى على الله بما هو

أهله، ثم ذكر الدجَّال فقال: إني أنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور».

* * *

٤٢٤٩ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: لقِيَهُ رسولُ الله ﷺ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ في بَعْضِ طُرُقِ المَدينةِ، فقالَ لهُ رسولُ الله ﷺ: «أَتَشْهَدُ أنِّي رسولُ الله؟» فقال هو: تَشْهَدُ أنِّي رسولُ الله؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «آمنتُ بالله وملائِكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، ما تَرَى؟» قال: أَرَى عَرْشاً على الماءِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «تَرَى عَرْشَ إبْليسَ على البَحْرِ، وما تَرَى؟» قالَ: أَرَى صادِقَيْنِ وكاذِباً، أو كاذِبَيْنِ وصَادِقاً، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لُبِسَ عليهِ فَدَعوهُ».

«عن أبي سعيد الخدري أنه قال: لقيه»؛ أي: ابن صياد.

«رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر في بعض طرق المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، ما ترى؟»: قال ابن صياد: «أرى عرشاً على الماء، فقال رسول الله ﷺ: ترى عرشَ إبليس على البحر، وما ترى؟ قال: أرى صادقين وكاذباً، أو كاذبين وصادقاً»؛ يعني: يأتيني شخصان يخبران بما هو صدق، وآخرُ بما هو كذب، أو بالعكس، والشك منه يدل على افترائه؛ لأن المؤيَّد لا يكون كذلك.

«فقال رسول الله ﷺ: لُبس عليه»؛ أي: خُلِط الأمر عليه في كهانته.

«فدعوه»؛ أي: اتركوه، وأعرضوا عنه؛ فإنه لا يحدث بشيء يقول عليه.

* * *

٤٢٥٠ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ: أنَّ ابن صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ عنْ تُربةِ الجنَّةِ، فقال: «دَرْمَكَةٌ بَيْضاءُ مِسْكٌ خالِصٌ».

«عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن ابن صياد سأل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن تربة الجنة، فقال: دَرْمَكَةٌ» بفتح الدال وسكون الراء المهملتين: ترقيق[1] الحُوارى، ويروى: (درمقة)، وهو بمعناه، فقوله: «بيضاء»؛ للتأكيد، شبَّه تربة الجنة بها لبياضها.

«مسك خالص»: شبَّهها بالمسك؛ لطيبها.

* * *

٤٢٥١ ـ عن نافعٍ قال: لقيَ ابن عُمرَ ابن صَيَّادٍ في بَعْضِ طُرُقِ المدينةِ، فقالَ لهُ قولاً أَغْضَبَهُ، فانتَفَخَ حتَّى مَلأَ السِّكَّةَ، فدخلَ ابن عُمرَ على حَفْصَةَ وقدْ بَلَغَها، فقالتْ لهُ: رَحِمَكَ الله، ما أَرَدْتَ منْ ابن صَيَّادٍ؟ أما عَلِمْتَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّما يَخْرُجُ منْ غَضْبَةٍ يغضَبُها».

«قال نافع: لقي ابن عمر ابن صياد في بعض طرق المدينة، فقال له»؛ أي: ابن عمر لابن صياد «قولاً أغضبه» ذلك القول.

«فانتفخ»؛ أي: صار بدنه منتفخاً من الغضب.

«حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة، وقد بلَّغها»؛ أي: ابن عمر تلك القصة التي جرى بينه وبين ابن صياد إلى حفصة زوج النبي ﷺ.

«فقالت له: رحمك الله! ما أردت»: (ما) للاستفهام، محله نصب؛ لكونه مفعول (أردت) مقدماً عليه؛ أي: أي شيء أردت «من ابن صياد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إنما يخرج»؛ أي: الدجَّال.

---

(١) في «ت» و«غ»: «الرقيق»، والتصويب من «القاموس»، (مادة: درمك).

«من غضبة يغضبها؟»؛ يعني: إنما يخرج حين يغضب، وهذا يدل على أنَّ ابن صياد هو الدجال.

* * *

٤٢٥٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: صَحِبْتُ ابن صَيَّادٍ إلى مَكَّةَ، فقالَ لي: ما لقيتُ من النَّاسِ؟ يَزْعُمونَ أنِّي الدَّجَّالُ، أَلَسْتَ سَمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: إنَّهُ لا يُولَدُ لهُ؟ وقدْ وُلِدَ لي، أوَ ليسَ قدْ قالَ: هو كافِرٌ؟ وأنا مُسْلِمٌ، أَوَلَيْسَ قدْ قالَ: لا يَدْخلُ المدينةَ ولا مَكَّةَ؟ وقدْ أَقْبَلْتُ مِنَ المدينةِ وأنا أُريدُ مَكَّةَ، ثمّ قالَ لي في آخِرِ قولِهِ: أَمَا واللهِ إنِّي لأَعْلَمُ مَوْلِدَهُ ومكانَهُ وأيْنَ هوَ، وأعرفُ أباهُ وأُمَّهُ، قال: فَلَبَسَنِي، قال: قلتُ لهُ: تباً لكَ سائِرَ اليَوْمِ. قال، وقيلَ لَهُ: أَيَسُرُّكَ أنَّكَ ذاكَ الرَّجُلُ؟ قال: فقالَ: لوْ عُرِضَ عليَّ ما كَرِهْتُ.

«عن أبي سعيد الخدري قال: صحبتُ ابن صياد إلى مكة، فقال لي: ما لقيت»: (ما) هذه استفهام بمعنى الإنكار.

«من الناس؟ يزعمون أني الدجال، ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لا يولد له، وقد وُلِد لي؟ أليس قد قال: هو كافر، وأنا مسلم؟ أوليس قد قال: لا يدخل المدينة ولا مكة، وقد أقبلت من المدينة، وأنا أريد مكة؟»: ذهب القائل بأنه الدجال إلى أن المراد من قوله ﷺ: «لا يولد له، ولا يدخل المدينة ولا مكة»: أنه لا يكون كذلك بعد خروجه.

«ثم قال لي في آخر قوله: أما إني لأعلم»؛ أي لا أعرف «مولده»؛ أي: زمان ولادة الدجال.

«ومكانه»؛ أي: مكان ولادته.

«وأين هو»؛ أي: أعلم مكانه الذي الآن فيه.

«**وأعرف أباه وأمه، قال**»؛ أي: أبو سعيد.

«**قلبسني**»؛ أي: ابن صياد، من (التلبيس) بمعنى: التخليط، حيث لم يعين مولده وموضعه، بل تركه ملتبساً، فالتبسَ عليَّ، أو معناه: أوقعني في الشك بقوله: ولد لي وبدخول المدينة ومكة، وكان ظني أنه دجال.

«**قال: قلت له: تباً لك سائر اليوم**»؛ أي: خسراناً لك جميع اليوم أو باقي اليوم؛ يعني: ما تقدم من اليوم قد خسرت فيه، فكذا في باقيه.

«**قال**» أبو سعيد: «**وقيل له: أيسرك أنك ذلك الرجل؟**»؛ يعني: الدجال.

«**قال: فقال لو عُرِض علي**»؛ أي: هذا الأمر «**ما كرهت**»، بل قبلت، (ما) هذه نافية، وهذا دليلٌ واضح على كفره.

* * *

٤٢٥٣ ـ وقالَ ابن عُمَرَ: لقِيتُهُ وقد نفَرَتْ عَيْنُه، فَقُلْتُ: متَى فَعَلَتْ عَيْنُكَ ما أَرَى؟ قال: لا أَدْرِي، قلتُ: لا تَدرِي وهيَ في رَأْسِكَ؟ قال: إنْ شاءَ الله خلَقَها في عَصاكَ، قال: فنخَر كأشَدِّ نَخِيرِ حِمارٍ سَمِعْتُ.

«**وقال ابن عمر ﷺ: لقيته وقد نفرت عينه**»؛ أي: ورمت، وأصله من النفار؛ لأن الجلد ينفر عن اللحم؛ للداء الحادث بينهما، والجملة وقعت حالاً من الضمير المنصوب في (لقيته).

«**فقلت: متى فعلت عينك ما أرى**» من الورم؟ أسند الفعل إلى العين مجازاً، والمراد غيره، كأنه لبس على ابن صياد؛ ليختبره أيوافقه، أو يخالفه.

«**قال: لا أدري، قلت: لا تدري وهي**»؛ أي: العين.

«**في رأسك؟ قال: إن شاء الله خلقها في عصاك**»: يريد أن تكون العين في رأسي لا يقتضي أن أكون منها على خبر؛ فإن الله قادر على أن يخلق مثلها في عصاك، والعصا لا تكون منها على خبر، وكأنه ادعى بذلك الاستغراق وعدم

الإحساس في أفكاره، بحيث تشغله تلك الأفكار عن الإحساس.

«قال: فنخر»: بفتح النون والخاء المعجمة؛ أي: صَوَّت صوتاً منكراً.

«كأشد نخير حمار سمعتُ»: والنخير: صوت بالأنف.

* * *

٤٢٥٤ ـ عن مُحَمَّدِ بن المُنْكَدِر ﷺ قال: رَأَيتُ جابرَ بن عبدِالله يَحْلِفُ بالله أنَّ ابن الصَّيَّادَ الدَّجَّالُ، قلتُ: تَحلِفُ بالله؟ قال: إنِّي سَمِعْتُ عُمرَ يَحلِفُ على ذلكَ عندَ النَّبيِّ ﷺ، فلمْ يُنكِرْهُ النَّبيُّ ﷺ.

«عن محمد بن المنكدر أنه قال: رأيت جابر بن عبدالله يحلف بالله أن ابن صياد الدَّجالُ، قلت: تحلف بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك»؛ أي: على أن ابن صياد الدجال «عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فلم ينكره النبي ﷺ»: لعل عمر أراد بذلك: أن ابن صياد من الدجَّالين، يخرجون فيدعون النبوة، أو يضلون الناس ويلبسون الأمر عليهم، وإنما لم ينكر ـ عليه السلام ـ عند حلفه؛ لأنه ﷺ عرف أنه مِن جملِة مَنْ حَذَّر[1] الناسَ منه.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٢٥٥ ـ عن نافع قـال: كانَ ابن عُمَرَ ﷺ يَقُولُ: «والله ما أَشُكُّ أنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ ابن صَيَّادٍ».

«من الحسان»:

«عن نافع ﷺ أنه قال: كان ابن عمر ﷺ يقول: والله ما أشكُّ أن المسيحَ

---

(١) في «غ»: «حذره».

الدجالَ ابن صياد».

* * *

٤٢٥٦ ـ وعن جابر ﷺ قالَ: «فُقِدَ ابن صيّادٍ يومَ الحَرَّةِ».

«وعن جابر ﷺ أنه قال: فُقِد ابن صياد يوم الحرَّةِ»: وهو يوم مشهور بين العرب، وقعت فيه حرب بين عسكر يزيد وأهل المدينة؛ أي: فُقِدَ من ذلك الزمان.

* * *

٤٢٥٧ ـ عن أبي بَكْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَمْكُثُ أَبَوا الدَّجَّالِ ثلاثينَ عاماً لا يُولَدُ لهما ولَدٌ، ثمَّ يُولَدُ لهُما غُلامٌ أَعْوَرُ أَضْرَسُ، وأقلُّهُ مَنْفَعَةً، تنامُ عَيْناهُ ولا يَنامُ قلبُهُ»، ثمَّ نعَتَ لنا رسولُ الله ﷺ أَبَوَيْهِ فقالَ: «أبوه طُوَالٌ ضَرْبُ اللَّحمِ، كأنَّ أنفَهُ مِنْقارٌ، وأُمُّهُ امرأةٌ فِرضَاخِيَّةٌ طَويلةُ اليدَيْنِ»، فقالَ أبو بَكْرَةَ ﷺ: فَسَمِعْنا بمَولودٍ في اليهودِ بالمدينةِ، فذهبتُ أنا والزُّبَيْرُ بن العَوّامِ حتَّى دخَلْنَا على أبَوَيْهِ، فإذا نعْتُ رسولِ الله ﷺ فِيهِما، فقُلْنا: هلْ لكُما وَلَدٌ؟ فقالا: مَكَثْنا ثلاثينَ عاماً لا يُولَدُ لنا وَلَدٌ، ثمَّ وُلِدَ لنا غُلامٌ أَعْوَرُ أَضْرَسُ وأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً، تنامُ عَيْناهُ ولا ينَامُ قلبُهُ، قال: فَخَرَجْنا منْ عِنْدِهِما فإذا هو مُنْجَدِلٌ في الشَّمْسِ في قَطيفَةٍ ولهُ هَمْهَمَةٌ، فكَشَفَ عنْ رأسِهِ فقالَ: ما قُلتُما؟ قُلْنا: وهلْ سَمِعْتَ ما قُلناه؟ قال: «نعَمْ، تنامُ عَيْنايَ ولا ينامُ قلبي».

«عن أبي بكرة ﷺ قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: يمكث أبوا الدجالِ ثلاثين عاماً لا يُولَد لهما ولدٌ، ثم يولد لهما غلامٌ أعورُ أضرسُ»؛ أي: عظيم الضرس، وهو السن، وقيل: هو الذي يولد مع الضرس.

«**وأقله**»؛ أي: أقل الغلام؛ أي: لا غلام أقل منه.

«**منفعةً، تنام عيناه، ولا ينامُ قلبه**»: وعدم نوم القلب قد يكون لاستيلاء الأفكار الفاسدة على المخيلة؛ لما يلقيه إليه الشيطان، وهذا من أوصاف الكهنة، وقد يكون من الأفكار الصالحة، كما في الأنبياء والأولياء.

«**ثم نعت لنا رسول الله ﷺ**»؛ أي: وصف.

«**أبويه، فقال: أبوه طُوال**»: بالضم والتخفيف؛ أي: طويل، وقد يشدد مبالغة.

«**ضرب اللحم**»؛ أي: خفيف اللحم مستدق.

«**كأن أنفه منقار**»؛ أي: في أنفه طول بحيث يشبه منقار الطائر.

«**وأمه امرأة فِرضاخية**»: بكسر الفاء؛ أي: ضخمة، عظيمة الثديين، والياء للمبالغة.

«**طويلة اليدين، فقال أبو بكرة: فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة، فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما**»؛ أي: وصفه موجود في أبويه.

«**فقلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد، ثم ولد لنا غلام أعور أضرس، وأقله منفعة، تنام عيناه، ولا ينام قلبه، قال: فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل**»؛ أي: غلام ملقى على وجه الأرض.

«**في الشمس، وله همهمةٌ**»؛ أي: كلام خفي ضعيف لا يُفهَم.

«**فكشف**»؛ أي: الغلام القطيفة «**عن رأسه، فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم، تنام عيناي، ولا ينام قلبي**».

* * *

٤٢٥٨ ـ وعن جابرٍ ﷺ: أنَّ امرأةً منَ اليهودِ بالمَدينةِ ولَدَتْ غُلاماً مَمْسُوحَةً عَيْنُهُ طالعَةٌ نابُهُ، فأَشْفَقَ رسولُ الله ﷺ أنْ يكونَ الدَّجّالَ، فَوَجَدَهُ تَحْتَ قَطيفَةٍ يُهَمْهِمُ، فآذَنَتْهُ أُمُّهُ فقالت: يا عبدَالله! هذا أبو القاسِم، فَخَرَجَ منَ القَطِيْفَةِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ما لها؟ قاتَلَها الله، لو تَرَكَتْهُ لبَيَّنَ»، فَذَكَرَ مِثْلَ مَعْنَى حديثِ ابن عُمَرَ، فقالَ عُمرُ بن الخَطَّابِ ﷺ: ائذَنْ لي يا رسولَ الله! فأَقْتُلَهُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنْ يكُنْ هُوَ فَلَسْتَ صاحِبَهُ، وإنَّما صاحِبُهُ عيسَى ابن مَرْيَمَ عليه السلام، وإلا يكُنْ هوَ فَلَيسَ لكَ أنْ تقتُلَ رَجُلاً منْ أَهْلِ العَهْدِ»، فلمْ يزَلْ رسولُ الله ﷺ مُشْفِقاً أنَّهُ الدَّجّالُ.

«وعن جابر ﷺ: أن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاماً ممسوحةً عينه، طالعةً نابه»؛ أي: سنه.

«فأشفق رسول الله ﷺ»؛ أي: خاف.

«أن يكون الدجال، فوجده تحت قطيفة يُهمهِمُ، فآذنته»؛ أي: أعلمته «أمه، فقالت: يا عبدالله! هذا أبو القاسم، فخرج من القطيفة، فقال ﷺ: ما لها»: (ما) للاستفهام مبتدأ، و(لها) خبره؛ أي: أيُّ شيء لها؟

«قاتلها الله»؛ أي: دعاء عليها.

«لو تركته لبيَّن. فذكر مثل معنى حديث ابن عمر»، ومعنى حديثه هو: أنه قال قولاً أغضبه.

«فقال عمر بن الخطاب: ائذن لي يا رسول الله فأقتله، فقال ﷺ: إن يكن هو»؛ أي: ابن صياد الدجال.

«فلست صاحبه»؛ أي: قاتله.

«إنما صاحبه عيسى ابن مريم»: و(إنما) تفيد الحصر، معناه: لا يقدر أحدٌ على قتله إلا عيسى ابن مريم.

«وإن لم يكن هو، فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد، فلم يزلْ رسول الله ﷺ مشفقاً»؛ أي: خائفاً «أنه الدجّال».

والوجه في الأحاديث الواردة في ابن صياد على ما فيها من الاختلاف والتضاد: أن يقال: إنه ﷺ حسبه الدجال قبل التحقيق بخبر المسيح الدجال، فلما أُخبر ـ عليه الصلاة السلام ـ بما أخبر به من شأنه وقصته في حديث تميم الداري، ووافق ذلك ما عنده، تبين له ﷺ أن ابن صياد ليس بالذي توهمه، ويؤيده ما ذكره أبو سعيد حين صحبه إلى مكة.

وأما توافق النعوت في أبوي الدجال وأبوي ابن صياد؛ فليس مما يقطع به قولاً؛ فإن اتفاق الوصفين لا يلزم منه اتحاد الموصوفين.

وكذا حلف عمر وابنه ﷺ مع عدم إنكاره ـ عليه الصلاة والسلام ـ عليه، وكذا إشفاقه ـ عليه السلام ـ من ابن صياد أن يكون دجالاً، كلٌّ ذلك قبل تبيُّنِ الحال، وقد كان ابن صياد دجّال الفِعالِ موافقاً له في بعض علاماته، فجرّأ ذلك على الحلف، وأورث في النبي ﷺ إشفاقاً منه.

❐❐❐

فهرس الكتب والأبواب

(٢٣)

كتاب الأدب

(٢٤)

كِتَابُ الرِّقَاقِ

(٢٥)

كِتَابُ الفِتَنِ

الكتاب والبـــاب	الصفحة

❑❑❑